

الحل الهندسية

فيما لا يخفى ولا الاشتغال بالابتداء

بقلم

الأستاذ شكيب المصيلحي

دار مكتبة الحياة
بيروت

الحلل السنديسيه

في الأخبار والآثار الأندلسية

وهي معلقة أندلسية تحيط بكل ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود

بمقتل
الأمير شكيب أرسلان
من أعضاء المجتمع العلمي العربي

الجزء الأول

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

ان من غايات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ان تبقى مجلية في كل مضمار يرتبط بالكتاب ، مها اختلف نوعه ومنحاه ، شرط ان يكون ذا قيمة انسانية يسهم في البناء الثقافي العربي المعاصر، وقد الف القراء مفاجآت هذه المؤسسة النشيطة بكتب التراث العربي الضخمة أمثال «الاغاني» لابي الفرج الاصبهاني و«محاضرات الادباء» لابي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و«مجمع الامثال» للميداني و«عيون الانباء في طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة واخيراً الموسوعة التاريخية الادبية الضخمة «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد . كما نشرت «معجم متن اللغة» للشيخ احمد رضا في خمسة مجلدات . مع عشرات الكتب الماثلة في الادب والفكر والتاريخ، يقابلها ثروة من الترجمات العالمية لمفكرين أمثال : اشبنغلر ووايتهد وبرتراند راسل وجان بول سارتر وكامو وجون ديوي وكثيرين غيرهم في حقول مختلفة من اقتصاد وعلم وسياسة وفلسفة وفن الخ.. وغاياتها من هذا النشاط الرصين هي اغناء المكتبة العربية وتهيئة الجوار فيها للكتب العالمية ، الآمنة الجوار .

وهي اذ تقدم كتاب «الحلل السندسية» في حلته هذه فانما تعتبره حلقة من سلسلة في موضوعه تواصل بها رسالتها أمام تراث الحضارة العربية ولخدمة ثقافة العرب المعاصرة .

الاهداء

هدية روحية من المؤلف إلى روح أبي المطرف
الخليفة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر
الأموي الذي يعجب به المؤلف أكثر
من كل خليفة حاشا الخلفاء الراشدين

المؤلف



صورة المؤلف أمام مسجد قرطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

الحمد لله قبلة الكلام ، والصلاة على رسول الله باب السلام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تشفي الأوام ، وتقتلع الظلام ، وتكون لنا العدة الواقية في حشرة الأنفس وسكرات الحماة ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، النبي العربي الأُمِّي الذي كرمه بنى آدم بنعمة الاسلام ، وجنتهم عبادة الأصنام ، وسنتهم من التوحيد نعمة دائمة لا تريم ، وذروة عالية لا ترام ، والذي نثر بدعوته يافوخ الشرك نثراً ليس له من بعده نظام ، النبي الذي تمخض لظهوره الكون قبل أن تلج الأيام في الليالي والليالي في الأيام ، والرسول الذي بلغت به الرسالة أمدتها الأقصى فانطوت من بعده الصحف السماوية وجفت الأقلام ، إذ ليس وراء توحيد الله تعالى مذهب ولا بغير حبه تعالى هيام ، صلى الله عليه وسلم صلاة لباسها الدوام وشعارها الزمام ، وسلم سلاماً نفعه الرند ونشره الخزام . ورضى الله عز وجل عن آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور التمام ، وأنصاره الذين أزمهم كلمة التقوى وكانوا بها أحق الأنام ، الذين أقبلوا على الأمم بالعقيدة الحق والأخلاق العظام ، وطعموا بنجيل الله على المشرق والمغرب بسهام غير خطأ وسيوف غير كهام ، ونشروا علم الفرقان الذي فرقت له قلوب الطوائف وخفقت من الخوف سائر الأعلام ، ففتنوا عذارى الممالك وأدركوا غرر الأمانى بشدة الحزم لا بشدة الخزام .

وبعد ، فإن من غرائز الجبلة البشرية التي لا جدال فيها ، تذكر الحوادث

الماضية ، والتحدث بالوقائع الخالية ، والوقوف على الرسوم العافية ، والاعتناء بحفظ الغابر إلى الحد الذي جعل الناس ينقشون الأخبار على الأحجار ، ويزرون القصص على الجراد ، فضلا عن أن يكتبوها في الأوراق ويحفظوها ضمن الأجلاد ، خشية عليها من الضياع بتقادم العهد ، وذهاباً بها عن النسيان بتناول الدهر ، وذلك بما فطر الله عليه هذا النوع من حب الاشراف والاطلاع ، والغرام بالرواية والسماع ؛ وبأن الإنسان يجتهد أبدأً أن يحفظ الماضي ، كما يجتهد أن يستدرك الآتى ، فحياته عبارة عن وصل آخر بأول ، وربط ماضٍ مع مستقبل ، وتعليل حديث بقديم ، فهذا لا يبرح بين أثر دارس يقف عنده ، ورسم طامس يتعرف خطبه ، وكتابة مطلوسة يفك حروفها ، وحكاية مأثورة يتندس نصوصها ، تارة يعرضها على أصولها ، وطوراً يقيسها بشكولها ؛ وهو لا يزال يجمع بين قرائنها ، حتى يدرك مبادئها ويفقه مغازيها ، وكم للانسان من سهر ليل ، وبذل غوال ، وأعمال حَلّ وترحال ، وراء قصة مغلقة يستوحى حديثها ، وقضية مُرْتَجَة يستوحى نَجِيئها ؟ وكَم من واقعة مبهمه ينشد عند الهير وغليف سرها ، ولدى القلم المسامى بَحِيئها ؟ سنة الله الذى أقام الناس عليها بإزاء أى علم وأمام أى سر ، لا يتقيدون فيها بقريب دون بعيد ، ولا يقصرونه على حاضر دون غابر ، ولا يختصون به موضعاً دون موضع ؛ بل استشراف الأسرار ، واستشفاف الأستار ، وهما من لوازم الانسان أيّاً كان متعلق العلم ومتسلق الفكر . إلا أنه إذا تعلق بالآباء والأجداد كانت النفوس به أولع ، وإليه أنزع ؛ وإذا اتصل بالقرابات والكلالات ، أو انتسب إلى الديارات والمبائات ، كان الحنين إليه أعظم ، والتأهف عليه أسرع ؛ فان المرء ليحرص على مآثر آبائه ، ما لا يحرص على مآثر سواهم ، ويُعنى بالقصص وراء أصوله ما لا يُعنى وراء من تعدهم ؛ بل إن قسطهم من هذا الأمر هو على نسبة القرب والبعد ، وبمقدار الفصل والوصل .

وكل أمة من الأمم تدرس تواريخ البشر أجمع ، إلا أنها تجعل تاريخ سلفها هو العلم المقدم ، والدرس المقدس ، والبغية التى يجب أن تتوجه إليها خواطر ناشئتها ،

والغاية التي يتعين أن تُستَحَثَّ نحوها ركاب نابهتها؛ لما في ذلك من وصل حديث
 بقديم، وربط آخر بأول، وإعادة فرع إلى أصل، ورد عجز على صدر. فإن كان
 الحاضر مماثلاً لماضي، والطريف غير مختلف عن التليد، فغزى التاريخ هو حفظ
 التسلسل ومنع التخلف، وحث الأخلاف على متابعة الأسلاف، وبناء المجد سافاً
 من فوق ساف، فإن الأمم هي في تنازع بقاء لا يفتر، وتزاحم ورد لا يسكن، وكل
 منها يعني أن يحفظ كيانه، ويوطد بنيانه، ويحمي حقيقته، ويخلد سجيته. بل
 يحاول أن يتقدم عما كان، وأن يطاول كل درجة إمكان. وإن كان الحال مقتضراً عن
 الخلال، وقد عادت البدور أهلة، وذهب المجد إلا أقله، وصارت الأوساط أطرافاً،
 واستحالت الأنواب أطهاراً، ولم يبق من تلك المعالي السوالم إلا أخبار وسير
 ومثلات، وذكور وحكايات، يعتبر بها من اعتبر، كان درس تاريخ السلف أحسن
 وسائل النشاط من العقل، وأفضل حوافز الاستباق إلى الكمال، ليقال للناشئ :
 هكذا كان آباؤك، فأين إباؤك؟ وهذا ما فعله أجدادك، فأين جهادك؟ وإذا
 كان هذا فرى آبانك، فكيف ترضى أن تقصر عنهم، وإذا رضيت بأن تقصر
 عنهم، فقد يستبعد العقل أن تكون منهم. أيرضى أصحاب النفوس الأبية أن
 يقعدوا مع الخوالم، وقد كان أولهم من السابقين الأول؟ أو أن يكونوا تابعين،
 بعد أن كانوا متبوعين، وأن يسودهم من كان لهم من جملة الخول؟

فاذا كان علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء، فضلاً عن الارتقاء؛
 وشرطاً من شروط اللحاق، فضلاً عن السباق؛ فأية أمة أجدر بمدارسته من هذه
 الأمة العربية ذات التاريخ الأجد، والسنام الأقدس، والعرق الأنجب، واللسان
 الأذرب، والجهاد الذي شرق وغرب. أيام ملأت من الدهر مسميته، وضربت
 كل جبار في أخدعيه، وفرضت الذلة على جماجم الأكاسرة، وأطارت النعرة من
 معاطس القياصرة.

قوم ابتسلوا الموت نفوسهم، فرفموا في الحياة رؤوسهم؛ يركبون من البر والبحر

كل غارب ، ولتتمسون بالجيش دار المحارب ؛ أحت أنوفهم حياة القفر ، وأعزت نفوسهم الرمال العفر ؛ فكانت بلادهم عذارى تخلف ظن كل فاتح ، وعقائل لا ينتهى إليها الطيف فضلاً عن الطائف .

ثم لما جاءهم الإسلام بعزائم القرآن ، وعزز ما فيهم من خيم كريم ، وطبع سليم ، بصلافة الايمان ؛ اندقت سيولهم من منابعها ، وخرجت سنابلهم من قنابها ؛ وملكوا ما بين الصين وبحر الظلمات في أقل من مائة عام ، وأتوا من الأعمال ما لو حدثوا أنفسهم به من قبل لقييل إنه من الأحلام . على أنهم لم يلبثوا بعد ذلك العز الأمتع ، والسناء الأسنع ، أن انصاعوا انصياع الكواكب عند انكدارها ، وأسرعوا إلى الهبوط سرعة المياه عند انحدارها . وذلك بتجردهم عما كان قد كساهم الإسلام من فضائل ، وأهب فيهم القرآن من عزائم ، و بسقوطهم في مثل ما كان قد سقط فيه أعداؤهم من الأعاجم ؛ وبانغماسهم في الشهوات البدنية ، وانصرافهم إلى السفسافات الزمنية ؛ ولولوعهم بالانتقاض على أمرائهم ، واشتغال الأمراء بأغراضهم وأهوائهم ، وتحلف العلماء عن تقويم منادهم ، وردعهم عن فسادهم . فمشى الفساد في جنباتهم ، وطار الطيش بعدباتهم ، وتنازعوا ففلشت ريجهم ، وجاءت تباريجهم ؛ وتذكروا ؛ حتى لو عرضوا على السلف في أجدانهم لجلولهم ، وتغيروا ، حتى لو نشر الآباء وتلاقوا بأبنائهم لأهمولهم ؛ فجنوا من انقلاب أخلاقهم فقد خلا قهم ، ونالوا من اعوجاج مسالكهم ، ضياع ممالكهم ؛ وبعد أن كانت أنفثهم ملء العرائين ، وحميتهم ملء الحيازيم ، صاروا يرضون بكل حطة ، ويسلكون من الهوان كل خطة ، وهووا عن صهوات ذلك المجد العظيم ، وأخرجوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم .

وكان من أنفث ما سددهم الله إلى فتحه ، وقيض لهم بالجهاد الطويل وسائل ربحه ، هذه الجزيرة الأندلسية الخضراء ، الخطة العذراء ، والدرة الدهماء ، والبقعة الجامعة بين الشمس والأفياء ، الرافلة في حلل موشية من حوك الأرض وطرز السماء ، فأتوها من كل فج ، بين محتسب ومكتسب ، وراغب في الدنيا وماهد للأخرة ،

وساموا ولايتها بالنفقات الوجيعة ، والبطشات الذريعة ؛ والنفوس السائلة أنهارا ، والجماجم الطائفة أسرابا ، والجيش يتلو الجيش ، والبعث يردف البعث ، وما زالوا يفاورونها بجليل لا تنحط لبودها ، وفوارس لا تفارقها زرودها ، ويريفونها من بين أيديها ومن خلفها ، وعن أيمنها وشمالها ، إلى أن ذلّوا أعرافها ، وألنوا أعطافها ؛ فخيم الإسلام بعقرتها تخيم من أجمع الاعتمار ، وسكن إليها سكنى من ألقى عصا التسيار ، وأمدتهم جزيرة العرب بأفلاذ أكبادها ، ورمت أعداءهم بأنجاد أجنادها ؛ وكانوا لولا العصبية بين القيسية والينبية ، والخلاف على الخلافة بين الأموية والعباسية ، وما أضيف إلى ذلك من ملاحم بين القبائل العربية والبربرية ؛ قد ألحقوا بالأندلس جميع الأرض الكبيرة ، وصارت لهم جوفى جبال البرانس أندلسات كثيرة ؛ ولكن اشتغالهم بفتنهم الداخلية ، وانهماكهم بمشاجراتهم العائلية ، وبقاء ما بقي في طباعهم من حمية الجاهلية ، واستبداهم ملوك الطوائف ، بجيوش الصوائف ، وحركات الفساد ، بحركات الجهاد ، ورضاهم عن تحمل الهزائم ، بدلا من تجريد العزائم ؛ كل ذلك أعاد تقدمهم تأخرآ ، وردّ تجمعهم تبعثراً ، حتى صار عدوهم في الجزيرة قسيما لهم مشاركا ، وخليطاً معهم مشابكا ؛ وكان هو لم يبق له من البلاد إلاّ الجبال والصخور ، ولم يملك إلاّ ما تركه له العرب من مسارح الغزلان وأوكار النسور ؛ وكانوا هم رتعوا في كل روض نضير ، وملك كبير ، ومالوا إلى طعام أنيق وفراش وثير ، وجرّروا من التيه مطارف سندس وحرير ، وأغرّتهم السعة بالدعة ، وأفضى بهم الرخاء إلى الارتخاء ، وأورثتهم رفاهية العيش قلة الانتحاء . وشتان بين من ألف الترف ومال إلى الهوى ، وبين من لزم الشظف وطوى على الطوى . والله در من قال عن وقعة بطرنة بقرب بلنسية ، وقد مُحصّ فيها المسلمون :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُللَ الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبَحهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

وهكذا لم يزل الخشوشن يفتك بالمتنعم ، حتى دوّخه ؛ والمحروم يوقع بالمترف ، إلى

أن ريحهم ؛ والشقاق مع ذلك بين المسلمين لا تنطفيء ناره ، ولا تنقطع أخباره ، والإصلاح بينهم تُخفق مساعيه ، والشر أبدأً تجادعُ أفاعيه ؛ لا ينجع في عقولهم بليغ نصح ، ولا يهوج بأسماعهم نذير خطب ؛ ولا يهولون على شاهد نقل ، ولا دليل عقل ، ولا يعتبرون بحلول بثق واقع على بثق . تنزل بهم كل هذه القوارع وهم في سكرتهم يعمهون ، ويقرأ عليهم الدهر كل يوم سورة الغاشية فلا يتدبرون ، ولا يسمعون ، و (يُفنون في كلِّ عامٍ مرةً أو مرتين ثم لا يتوبون ، ولا هم يذكرون) وأخيراً تناثروا بددا ، وتطايروا قددا ، فلكل بلدة دولة وأمير ، ومنبر وسرير ؛ وكل جار لجاره مناظر لا نظير ، يجرور عليه ولا يُجبر ، ولا يفار عليه بل يُغير !

وتفرقوا شيعاً فكلُّ مدينةٍ فيها أمير المؤمنين ومنبرٌ

وهم في أثناء هذا يتسابقون في ميدان الاستعانة ، بعضهم على بعض ، بالطاغية الذي يساومهم على المناصرة بتسليم الحصون ، وتعطيل النغور ، والانهزام بلا سيف ، والرضى بكل حيف ، ويواطئون على حوزة الإسلام علناً (ويأخذون عَرَضَ هذا الأذنى ويقولون سيففر لنا) والعدو كل يوم يتقدم ، وحوض الإسلام كل يوم يتهدم ؛ والخلاصة : ما زال يطغى وهم يحسرون ، ويمد وهم يجزرون ، ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى علم ناكس ، وصوت خافت ، وباتوا - كما يقال - طوع كل شامت ؛ وتوقع كل عاقل الفارقة الكبرى ، وأن من هو باق بسيف البحر ليس بثابت ؛ وما كانت إلا شفاقة في إناء الأندلس أراد العدو أن يستصفي سُورها ، وبقية فيما وراء البحر صمم أن يقتلع جذرها ، وجاءهم ذلك حيناً لم يبق مرابطون ولا موحدون ، ولا أبطال يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، بل حيناً كل ملك بالعدوة مشغول بسد فتوقه ، وحفظ حقوقه ؛ سعيد بأن يثبت في مكانه ، راضٍ بأن يخلص من عادية جيرانه ، بل من غائلة إخوانه . فكيف يستطيع أن يركب البحر لينازل الطواغيت ، ويجمع من الإسلام ذلك الشمل الشئيت ؟ فأراد الله أن يتركهم وشأنهم ، وهو تعالى المحيي المميت . واستأسد بذلك العدو ، فلم يزل يواثبهم

ويكافحهم ، ويفاديهم القتال ويراوحهم ، حتى أجهضهم عن أماكنهم ، وجفاهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق ، واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق ؛ وردوا في الحافرة ، وصاروا رهن هوى الأمة الظافرة . ومن اختار منهم الدجن انتقلوا تدريجاً إلى دين الطاغية ولسانه ، فحسروا الدنيا والآخرة ، وصاروا عبرة في العالمين (وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين)

نعم ؛ حواضر كالبهار الزاخرة ، كانت تموج بالبشر ؛ وحصون كالجبال الشائخة ، تحصى بالألوف وتكبو فيها جياذ الفكر ، وجيوش كانت حصى الدهناء ، ورمال البطحاء ، ومساجد كانت في الجمع المشهورة تفصُّ بألوف الألوف من المصلين ، ومدارس كانت مكتظةً بالألوف من القراء والطالبين ، وما شئت من إسلام وإيمان ، وحديث وفرقان ، وأذان يملأ الأذان ، وما أردت من نحو ولغة وطب ، وحكمة ومعان وبيان ، بلغة عربية عرباء ، يجرسها علماء كنجوم السماء^(١) ؛ وما أردت من عيش خضل

(١) قال العلامة دوزي المستشرق الكبير الهولاندى ، أوثق أوربي كتب عن الأندلس ، وذلك في كتابه « مباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها في القرون الوسطى »
Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge ما يلي :

« انهم كتبوا (يعنى الاسبانول) تاريخ وطنهم الذى منه عدة مقاطعات تولاها العرب مدة ثمانية قرون ، وذلك بدون أن يعرفوا لغة العرب . ولما لم يكونوا قادرين على مراجعة الكتب العربية كان لا مناص لهم من الخط عند كل خطوة كلما أرادوا الكلام عن الدول العربية أو عن الحرب والسلم بين المسيحيين ، ولهذا تجد كثيراً من الحقائق التى هى فى الدرجة القصوى من البال بجهولة عندهم مع أنها متعلقة بأخبار ممالك النصرى ، وذلك لأن هذه المعلومات لا توجد فى الكتب اللاتينية ولا الاسبانيولية بل فى كتب مؤرخى العرب وأدبائهم وشعرائهم ، لأن اسبانية المسئلة هى البلاد الأوربية التى فى القرون الوسطى كتب فيها أكثر من الجميع ، والتي كان فيها المذهب التاريخى أكل وأدق منه فى أى مكان ،

وزمن نصر، وحزرات أنفس، وضحكات قلوب. كل هذا عاد كهشيم المحتظر، كأن لم يغن بالأمس، ولم يبق منه إلا آثار صوامت، وأخبار تتناقلها الكتب، كأنه لم يعمر الأندلس من هذه الأمة عامر، ولا سمر فيها سامر. قال تعالى: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ).

وبقيت الأمة العربية تنوح على هذا الفردوس المفقود الذي هبط منه أهله بأعمالهم، نحواً من أربعمائة عام، نواح الثاكل لولده لا يريد أن ينسى مصابه، ولا يفتأ يذكر فضاله؛ ولما كنت من جملة هذه الأمة الباكية على ذلك الفردوس الضائع، أولعت من أوائل صباى بقراءة تاريخ الأندلس، والتنقيب عن كل ما يتعلق بالعرب فى تلك الجزيرة، حتى إننى لما اطلعت على رواية «آخر بنى سراج» للكاتب الفرنسى الكبير «رينه شاتو بريان» بادرت بنقلها إلى العربية وذيلتها بتاريخ الأندلس نشرته من أربعين سنة؛ ثم نفذت نسخته بأجمعها، فأعدت طبعه منذ إحدى عشرة سنة، وقد قلت فى خاتمة كتابى ذلك ما يناسب أن أعيده هنا، رعيًا لكون الغرض الذى حدانى يومئذ إلى نشر ذلك الملخص، هو نفس الغرض الذى يحدونى اليوم إلى نشر هذا المطول؛ فالروح التى أملت ذلك هى التى قد أملت هذا، وكلامى الأول هو كلامى الآخر، ولو كررت الأيام وتعددت الأعوام، قلت:

«ولأكرم القارىء الذى هو خليف بأن لا يخفى عليه ذلك بشفوف بصره ولطف حسه، أن الأمر غير خال فى هذا الإيملاء، من نزعة جنسية، وحنوة عصبية، وهفوة للفؤاد وراء آثار بنى الجلدة، مما تستشعر فيه مرضاة هذه النفس، العظيمة السر، البعيدة مهوى الغرض، الغريبة شكل المهم، وتوفر به اللذة والراحة لهذا الوجدان الداخلى، السائح فى إثر ما يتعلق بالنفس من جميع جهاتها، على ترجيح الأقرب فالأقرب؛ وقد طبع الخالق الحكيم هذا المرء على حب جنسه، والميل للاتصال بأبناء آبيه، فكأنما يتمثل بذلك صورة نفسه التى هى جزء من هذا المجموع، لما يُحس من أن أقرب أنواع الدم إلى دمه، هو الجارى فى عروق قومه؛ فهو يحن إليهم ويحنو

عليهم، ويتألم لألمهم، ويعتز بعزيم؛ وتراه إذا غابت أشخاصهم استأنس بآثارهم بعد الأعيان، وأرتاح إلى مواطنهم ورغب في الدوس على مواطنهم ولو بعد أزمان. وقد عهدنا الذي يصاب بعزيم أو بذي قرابة يختلف إلى قبره، ويشفي بالبكاء عنده حرارة صدره؛ وإذا ظفر بقطعة من ملبوسه، أو مفروشه أو برقعة من خطه، احتفظ بها، وغالى في قيمتها، وجعلها مدار أنسه، في خلوات نفسه، وروح حياته في منتبذ مناجاته. وبناء على هذا الشعور أولع الخلق بحفظ آثار الغابرين، وتطلعوا بغريزة فيهم إلى معرفة سير السالفين، ووقفوا على الأطلال الدوارس، وبكوا على الدمن البوالى، كأنما يجدون عندها عهدهم مع آبائهم، ويشدون لديها معهم عروة وفأهم.

إلى أن أقول: « فياليتنا نتبع الآن سنن من قبلنا، ونقتدى بسلفنا، ونبنى بناء أوائلنا، ونعتبر بحمراء غرناطتنا، وخضراء دمننا، ونأمل في سالف عزها، وسابق أمرها، ونتجنب الفرقة التي آلت إلى فقدها، ونسأل رسومها عما مضى من تميمها، فهي رسوم إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً؛ فلا يكونن دائماً من شأننا أن نتباهى بمجد الأوائل ونفاخر بالعظم الرميم، دون أن تقتص أثر الآباء، ونحكي ذكر القديم، ولا يبقى من نصيبنا في المجد إلا حديث سمر، ومجرد ذكر. وما أحسن ما قال شوقي شاعر العصر:

وذا تـ دلـالـ من بنى الروم حولها	إذا ما تبدت إخوة سبعة مُردُ
عُنيت بها حتى التقينا فهزها	فتى عربى ملء برده مجدُ
فـقالـتـ: أطيبُ بعد عسر وشدة؟	فقلت نعم مسك الأحاديث والندُ
عطلنا من النعمى وطوق غيرنا	تداولت الأيام وانتقل العقدُ
وما ضاعت الدنيا علينا وحسنا	ولكن عن أغصانه رحل الوردُ

هذا، وكان الفراغ من كتابة هذا التاريخ، ليلة السبت الواقع في السادس

والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وثلثمائة بعد الألف « اه

فأنت ترى أن الكتاب الأول قد مضى عليه أربعون سنة ، وهي مدة تسمى عمراً ، ولقد سمعت من كثير من أعيان الأمة العربية أنهم قرءوا كتابي ذلك في وقته ، وتبعوا حوادث سقوط مملكة غرناطة وجلاء المسلمين الأخير عن الأندلس باهتمام عظيم ، ودعم سجين . وقال لي بعضهم إنهم قرءوه مرتين ، وإن منهم من كان يبكي ، ومنهم من كان يتلَّهَّبُ وجداً ، ومنهم من كانت مهجته تذوب حسرة عند قراءته . وقد تضاعفت الآن هذه الذكرى ، وبعد مضى هذه السنين الأربعين ازداد الولوع بتاريخ الأندلس ، بازدياد الناشئة المقبلة على العلم ، وبنمو الشعوب العربي في جميع طبقات هذا الشعب ، سواء منهم من في الشرق ومن في الغرب ، ولا يزال هذا الشعور في نمو ، وما برحت هذه الهمم في سمو ؛ ولا عجب فإن قوة الأمة هي على قدر ما مجت من مشارب العلم ، وارتقت من درجات الثقافة الجسم ، والأمة العربية في هذه المدة قد اجتازت عقبات جياداً ، وقطعت أشواطاً طويلاً ، وسارت السير النجاء ، وشمرت التشمير الباعث على الرجاء ؛ فأخذت تُخفي سؤال التاريخ عن ماضي أحوالها ؛ كما صرفت معظم بالها ، في توطيد استقبالها .

ولهذا رأيت أنه من أمثل ما يمكنني أن أخدم به هذه الأمة ، قبل انصرافي من هذه الدنيا ، هو أن أهدى ناشئتها عن هذه القطعة النفيسة من تاريخها ، كتاباً شافياً للقليل ، جامعاً لأقطار هذا البحث ، ناظماً بين القديم والحادث ، مقابلاً بين ما قاله العرب وما قاله الأفرنج .

وكنت قدّمتُ بين يدي هذا التأليف رحلة قمت بها من ست سنوات في أكثر أنحاء أسبانية ، لأقرن الرواية بالرؤية ، وأجعل القَدَمَ رِداءً للقلم ، ونويت أن أجعل الرحلة أساس الكلام وواسطة النظام ، وأن أضم التاريخ إليها ، وأفرِّع التخطيط عليها .

ومن أجل ذلك كنت نويت أن أسمي هذا الكتاب « بالرحلة السندسية في رحلة الأندلسية » وأشرت إلى هذا الاسم في كتابي المنشور من سنتين ، الموسوم

« بغزوات العرب في جنوبي فرنسا وشمالى إيطاليا وفي سويسرة وجزائر البحر المتوسط » الذى عدده جزءاً من كتابى الأندلسى . إلا أنى رأيت فيما بعد أن ما نحن بسبيله قد اتسع جداً عن الرحلة ، وأن الاسم قد ابتعد عن المسمى ، وأن الكتاب قد يقع في عدة مجلدات كبار ، وقد يكون أوسع كتاب عربى كتب عن الأندلس ؛ هذا إذا فسح الله في الأجل ، ووفق للعمل ، فمدلت إلى اسم آخر يشعر ما أنا متوخيّه من الإحاطة بقدر الطاقة ، وهو « الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية » وآليت لأبلغن فيه جهيدى ، وأعقل به ما شرد عن سواى . ولم أقصد في ذلك تشبلاً على الخلق ، ولا تزييداً فيما ليس بحق ، وإنما أردت النصح ما استطعت ، والتحريض ما قدرت . والعلم أمانة ، من حملها فقد حمل إداً وتجشم بهراً . والتاريخ من عاجله فقد رقى حزناً ، وركب خشناً . فان كنت قرطست أو قاربت ، فقد بلغت من عملى المراد أو بعض المراد ؛ وإن كان سهى قد طاش ، فكم فى حامٍ وما ورد ، وغنى وما أطرب ، ولكن شفع له الاجتهاد .

ولقد سهرت في هذا التأليف ليالى متمطيات بأصلاها ، تحقيقاً عن لفظ ، أو تنقيحاً عن اسم ، أو ضبطاً لرواية مختلف فيها ، أو لعدد أقلّ فيه الواحد وأكثر الآخر ، أو تعييناً ليوم واقعة من أى شهر أو من أية سنة ، أو مقابلة بين ما قاله عربى وما قاله أوربى عن الحادثة الواحدة ، أو تعريباً لعلم اسبانيولى على الوجه الذى كان يقوله العرب ، أو تبيناً لعلم عربى كيف كان يتلفظ به الاسبانيول ، وما أشبه ذلك مما أذبت له سواد العيون ، وأحييت كثيراً من الليالى الجون . ولا أزعم مع ذلك أنى بلغت به الأمد الذى ينجيه من تعنت الحساد ، أو يعليه على تصفح النقاد ، ولكنى بلغت فيه الجهد ، وأبليت العذر ، ولم أبق في القوس منزع ظفر .

وما لا بدلى من الإشارة اليه في هذه المقدمة أنى اخترت النقل عن المؤلفين ما استطعت ، لتكون هذه الموسوعة في هذا الموضوع معرضاً للآراء ، ومجماً للأفكار التى يطلع منها القارئ على الصور المختلفة التى كانت عن مملكة العرب في الأندلس ،

في أذهان الذين عاشوا في ذلك العصر وكتبوا عنه ، أو في أذهان من كانوا على مقربة منه . ولم أشأ أن أصنع ما يصنعه الكثيرون من أخذ الشيء عن الآخرين وإبرازه للناس كأنه من وري زنادهم ، وفيض قرائحهم ؛ فليس هذا مذهبي في الكتابة ، ولا أراه الطريقة المثلى في التأليف ؛ وإنما ينقل الانسان ما يستطيع الاتصال به من آراء الناس ورواياتهم ، ثم يشفعها برأيه الخاص ، وبالرواية التي يكون قد جزم هو بها ، أو رجحها على غيرها بحسب اجتهاده ؛ وله أن يستدل على صحة رأيه أو ثبوت روايته بما وجد من قرائن ، وآنس من شواهد ، وللقارىء بعد ذلك أن يذهب في الترجيح والتجريح كيفما شاء بحسب ما يؤديه اليه نظره .

ولهذا نقلت ما قدرت أن أعر عليه من الفصول المتعلقة بالأندلس ، عن السعودي ، وابن حوقل ، والمقدسي ، والشريف الادريسي ، وابن الأثير ، وياقوت الحموي ، وابن عذارى ، وابن بشكوال ، وابن عميرة ، وابن الأبار ، وابن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ، وصاعد الطليطلي ، والهمداني ، والقلقشندي ، والمقرى صاحب نفع الطيب ، وغيرهم من مؤلفي العرب ؛ ونقلت أيضاً عن دوزي المستشرق الهولندي ، وعن رينو المستشرق الأفرنسي ، وعن أيزيدور الباجي ، وغيره من مؤلفي القرون الوسطى ، وعن أصحاب الانسيكوابيدية الاسلامية ، وعن لاوي بروفنسال من المعاصرين ، وعن الميسوجوسه P. Gousset صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال ، وعن بديكر ، وعن بعض علماء الاسبانيول مثل سيمونه Simonet وكوندي Conde وعن أبار دوسيركور صاحب تاريخ المدجنين ، والموريسك Albert de Circourt وعن دو مارليس de marlès وعن كتب أخرى اسبانيولية استعنت على ترجمتها ببعض أصحابي من الأسبان ، ومن غيرهم . وعزوت الروايات إلى أصحابها ، ونقلت كثيراً من الفصول بنصوصها ، أو تلخيصاً مع التعليق عليها في الحواشي بما يمن لي مخالفاً أو موافقاً .

وهناك اصطلاح آخر ، جرى عليه بعض مؤلفي الافرنجة ، وتابعهم فيه الشرقيون

وهو إرسال الكلام من عندهم في الموضوع ، ثم الاستشهاد بأقوال الآخرين بادماج بعض الجمل المأخوذة عنهم ، وذلك في صلب الكلام مع الإشارة في الحاشية إلى مأخذ تلك الجمل ؛ ولست أرى في ذلك بأساً ، وإنما ألاحظ هنا أن المؤلف قد يكون له رأى خاص في مسألة من المسائل ، فيهمه تأييد رأيه ، فينقب في الكتب على كل ما يعزز وجهة نظره ، وكلما وقع على جملة لمؤلف رأى فيها تقوية لنظريته نقلها دون سواها ، وأدججها في كلامه ، فربما جاءت بتراء لا يعرف ما تقدمها ولا ما تأخر عنها ، وربما جاء نقل تلك الجملة من قبيل « ولا تقرّبوا الصلاة » وحذف « وأنتم سكارى » فمن المعلوم أن الحكم لا يصح باعتبار جملة واحدة لمؤلف ، وإنما يصح باعتبار مجموع كلامه بعد تصفحه بمخاضه . وهذا الذي حداني إلى نقل فصول بأصبارها ، أخذ العذق بشماريخه ، ولو كان في خلالها ما ليس عندي بثبت ، وما اضطرت أحياناً إلى رده .

وإتماماً للفائدة رأينا تزوين هذا الكتاب باطالس جغرافية ، محررة فيها أسماء البقاع والمدن ، باللغة العربية ؛ ورصّعناه بتصاوير لم يسبق أن اطلع عليها العرب ، وذلك لأن التصوير بالريشة قد يفعل ما لا يفعله لتصوير بالقلم ، ولأن الصورة المحسوسة في العين هي أوقع من الصورة المجردة في الذهن ، فما ظنك إذا كانت الواحدة رديفاً للأخرى ؟

ولما كان المقصود بهنا الكتاب التوسع في الموضوع بقدر الطاقة ، قسمناه إلى قسمين : جغرافية وتاريخ . وبدأنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ ، ولم تقتصر في الجغرافية على ما كانت عليه إسبانية في أيام العرب أو في القرون الوسطى ، غير ناظرين إلى أحوالها الجغرافية الحاضرة ، بل جمعنا القديم إلى الحديث ونظمنا بين الخالي والحالي وقرنا ما كتبه العرب بما كتبه الأفرنج ، وإن كنا لم نحب أن نملأ الكتاب بالأرقام والاحصائيات ، في الكليات والجزيئات ، مما قد تمل الأنفس مطالعته .

وقد أدخلنا في القسم الجغرافي ذكر من نبغ من أهل العلم في كل بلد من البلدان التي ذكرناها؛ ولم نحصر ذلك في العرب، بل تجاوزناه إلى الأسيان، ولكننا استقصينا في أسماء العرب بالبديهة ما لم نستقص في أسماء أولئك، واكتفينا من الأسيان بالمشاهير، لأن قراءنا هم من العرب وغرضنا إنما هو تعريف ناشئة العرب بالأندلس العربية، ولن يقرأ كتابنا من غير العرب إلا من شاء من المتخصصين. وقد كان مرادنا بادي ذي بدء أن نسرد أسماء العلماء والأدباء المنسوين إلى كل بلدة سرداً مجرداً من دون ترجمة، ثم نرد تراجم أحوالهم إلى جزأين في الآخر، مخصصين بذلك الموضوع؛ ولكننا رأينا في ما بعد أن السرد المجرد لا يفيد شيئاً ولا يبلغ في صدور القراء حاجة، وأنه لا بد من شذو شيء من ترجمة كل واحد منهم، ومن تبين العلم الذي كان متخصصاً به، وذلك في الأجزاء الأولى. وإن كنا عوّلنا على هذا الأسلوب فهو لا يمنعنا من أن ننتخب من هؤلاء المترجمين طبقة عبقرية وفئة ممتازة نكتب لهم في الآخر سيراً ضافية، إن شاء الله، تأتي فيها بمختارات من أقوالهم وأتمودجات من نظمهم ونثرهم.

هذا ولقد أحببت أن أتوج هذا الكتاب الذي تعبت فيه هذا التعب كله، باسم أحد أمراء الإسلام وأقطاب الشرق، الذين يتفق في شأنهم الكلام ممن يملأ العيون والصدور، ولا يكون الثناء عليه تنميق جمل وتشويق ألقاظ، بل يكون نفس فعله هو هو الهاتف بمدحه بدون منة لقائل، ولا فضل لمنوه، وتكون سيرته الشخصية وما أثره المستمرة هي الخلد له في الأعقاب وعلى طول الأحقاب، وإذا رأني الناس اخترته لتتويج هذا الكتاب باسمه قالوا بأجمعهم: تالله لقد أحسن الاختيار وأتى الأمر من باب، وما أطرى ولا بالغ، ولا تملق ولا داهن، وإنما هو الحق الذي لا يجمله أحد. ولا يأتي على هذا الشرط عظيم من عظماء الإسلام قبل الأمير الكبير العلامة الخطير صاحب السمو الأمير عمر طوسون حفظ الله مهجته للإسلام والمسلمين وأمتع بطول حياته الشرق والشرقيين فقد أصبح هو في هذا العصر أمين هذه الأمة

في كل ملة، ومفزعها في كل مهمة. وإليه ارتاحت جميع الضمائر، وعليه حامت جميع الخواطر، وما من بَزْلَاءَ إلا وقد نهض بها يشار إليه بالبنان في جميع أنحاء العالم الإسلامي لا يعمل شيئاً مما يعمله رثاء ولا سمعة ولا ابتغاء شهرة ولا أمانة، هو الذي يزينها وليس بالذي يتزين بها، وإنما يعمل ما يعمله ابتغاء وجه الله تعالى، وخدمة لهذه الأمة التي أبي أن يكون من أعظم أمرائها نسباً وجلاء، بدون أن يكون من أجل أمرائها علماً وعملاً وِجْدَاءَ، فكان قدوة لكل أمير لا يعرف العيب، ولا يريد أن يضيع من عمره لحظة واحدة بدون فائدة للبشر. وما أقول هذا عن متابعة للناس في شأن هذا الأمير المنقطع النظير، ولا عن روايات معنونة ولا عن شهرة طائفة وإن كان التواتر يفيد اليقين وإن كان الناس اكيس من أن يجمعوا على مدح رجل إن لم يكن لذلك أهلاً، وإنما أقول ما أقوله عما خبرته بنفسى وشاهدته بعيني، وتبادلت معه فيه الكتب المتصلة والرسائل المتواترة، مدة تزيد على خمس وعشرين سنة، من أيام الحرب الطرابلسية إلى الحرب البلقانية، إلى الحرب الكبرى إلى جميع الخطوب والنوازل التي حلت بالاسلام من بعدها مما قيدت خلاصته في ترجمة حياتي التي أوصيت بأن تنشر من بعدي، واستودعتها مكتب المؤتمر الإسلامي في بيت المقدس، وكذلك مما سجلته في تاريخ الدولة العثمانية الذي حررته تعليقاً على تاريخ العلامة ابن خلدون رحمه الله إجابة لطلب المتصدي لتجديد طبعه الحاج محمد المهدي الحبابي الفاسي وفقه الله، ولست والله أعلم في شيء مما قيدته من أعمال الأمير الأوحى عمر طوسون مد الله، في حياته بالذي وفاه إلا النزر الأقل مما يجب من حقه على هذه الأمة التي تعرف له من فضله عليها بقدر ما ينكر هو من ذاته، ولست في جملي هذا الكتاب باسمه الكريم إلا الكاتب الذي عرف أن يسد ما نقصه من العلم ويتلافى ما فاته من براعة الانشاء بما وفق إليه من معرفة الفضل وألهمه من براعة الاهداء.

ولأبدأ الآن بالموضوع مستمداً من الله الصواب والسداد (وأفوض أمرى إلى

الله إن الله بصير بالعباد).



لمحة عامة

من الأمثال المصروبة في أوربة أن جبال البرانس — كما يقول العرب ^(١) — أو البيرانة Pyrénees كما يقول الأفرنج — هي الحد الفاصل بين أوربة وأفريقية . ويقولون : إذا تجاوزت معابر البيرانة فاعلم أنك قد دخلت في أفريقية . وربما يستغرب القارىء هذا القول بعد علمه أن في غرب البرانس (أو البيرانة) بلاداً طويلة عريضة هي من أكبر أقسام أوربة ، تتألف منها مملكتان أوربيتان هما إسبانية والبرتغال فكيف يمكن أن تكون هذه البلاد من أفريقية ؟ وما الموجب ، ياليت شعري ! لضرب هذا المثل الذى قد يكون من باب المبالغة في تشبيه إسبانية والبرتغال الضاربتين في مناطق الجنوب بجاراتها سواحل أفريقية الشمالية ؟ والحقيقة أنه ليس في هذا المثل شيء من المبالغة . أما من جهة الشجر والحجر والتراب والماء فإن الجزيرة الايبيرية المنفصلة عن أوربة بجبال البرانس أشبه بشمالى أفريقية وبغربى آسيا . ولقد جرّبت هذا الشعور بنفسى فور دخولى إلى إسبانية ، إذ كان ذهابى إليها من طريق فرنسا أى من الشمال ، فما عبرت الحدود الواقعة بين فرنسا وإسبانية حتى خلت نفسى سائراً في سواحل الشام بلادى . فكيفما نظرت وقع نظرى على التين والزيتون والخروب والصنوبر والصبير وجميع الأشجار والنباتات الحرجية التى أعرفها في بلادى ، مع وجوه الشبه الكثيرة في منظر الأرضين ولون التراب وتحدر الغدران يحف بها القصب والحلفاء ، ومع حنين النواعير في البقاع التى لا يصح لها الشرب من الغدران ، وغير ذلك مما يخيل لك أنك فعلاً في سواحل سورية . ولا شك في أن هذا التشابه بين البلادين هو الذى حدا عرب سورية على انتجاع الأندلس أكثر من أى بلاد سواها ، لأن الانسان يحب إذا تغرّب أن يقع في أرض تشبه مسقط رأسه .

وكان الجغرافيون القدماء يقسمون الكرة الأرضية إلى مناطق سبع ، وبحسب

(١) وقد يقول لها العرب جبال البرتات

هذه المناطق تكون اسبانية وجزائر البحر المتوسط مثل سرديانية وصقلية وكريت وقبرص ، وكذلك البلاد الشامية والعراقية ، منطقة واحدة . وقد شاهدت شمالى المغرب فرأيتة لا يفترق عن جنوبي أسبانية . وكيف يختلف عنه وكل الفاصل بينهما مضيق لا يتجاوز في بعض الأماكن أكثر من مسافة ١٥ كيلو متراً ؛ وهذا الفاصل قد جرى الماء فيه حديثاً بالنسبة إلى الأدوار الجيولوجية . وأنت إذا نظرت إلى شكل الأرض في الجزيرة الخضراء وجبل طارق ، من جهة ، وإلى شكلها في طنجة وجبل موسى وسبتة تجده واحداً ، فهي بقعة خرقها الماء من الأوقيانوس الاطلانطيقى إلى البحر المتوسط فجعلها شطرين ، ولكن لم ينزع من كل من الشطرين وحدته الطبيعية مع الآخر . وقد قيل لى : إن في برية جبل طارق نوعاً من القرادة قديم الوجود فيها ، وهذا النوع نفسه يسكن في جبل موسى المقابل لجبل طارق وذلك من جهة افريقية .

هذا من جهة الجغرافية الطبيعية . أما من جهة الجغرافية السياسية التي تتعلق بالسكان والممالك ، أو من الجهة الاثنوغرافية كما يقال ، فلا شك أن الاسبانين والبرتغاليين وإن كانوا أوريبيين في سلالاتهم فأنهم لاختلاطهم بالعرب والبربر والأمم السامية مدة قرون متطاولة أصبحوا أمة وسطاً بين الغرب والشرق ^(١) . وإذا صح

(١) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الايبيريين الذين هم سكان أسبانية الأولون هم والبربر من أصل واحد . ويستدلون على ذلك بالتشابه بين عادات الفريقين . من ذلك ما رواه سترابون من أن المرأة كان لها المقام الأول عندهم إلى زمن الرومانيين وهذه العادة معروفة الآن عند الطوارق في صحراء إفريقية . ثم إن السليتين جاءوا من أوربة الوسطى فاختلطوا بالايبيريين ، كما أن قرطاجنة أرسلت إلى أسبانية مهاجرين كثيرين من إفريقية ، وقبل قرطاجنة كان الفيديقيون قد عمروها . فأنت ترى أن أسبانية ماتت للعناصر الشرقية والغربية ، فمنها العناصر العربية التي تأتيها من شمالي البرانس ومنها العناصر الشرقية التي تأتيها من جنوبي بحر الزقاق . ثم إنه طراً على اسبانية جاليات يونانية نزلت في أقسامها الشرقية ، وتلاها

الاقتراض الذى يذهب إليه بعضهم من أن السلالة البيضاء هى التى انتقلت من على عنق الدهر من المغرب إلى أوربة لم يكن العرب هم أول من أجاز من إفريقية إلى الأندلس .

إن شبه الجزيرة الايبيرية لا يتصل بأوربة إلا ببرزخ ، هو جبال البرانس ، وهى جبال شهيرة متوسط ارتفاعها سبعمائة متر عن سطح البحر تتكسر على أذيالها

جاليات رومانية غلبت على جميعها ، وفى أثناء ذلك دخلها العنصر السامى أيضاً بمجىء عدد كبير من اليهود .

وبعد أن تلاقى فيها الايبيريون والسليتون واللاتينيون واليونانيون من السلائل الأوربية ، والقرطاجنيون والفينيقيون واليهود من السلائل الآسيوية ، طرأت على اسبانية أمم جرمانية مثل السويف والالانين والفندالس والقوط الذين ملكوها وكانوا الطبقة السائدة فيها عند ما فتحها العرب .

ولما جاء العرب دخلها ملايين منهم ومن البربر ، فاختلطت آسية وأفريقية بأوربة اختلاطاً شديداً ، وصار الغالب على اسبانية هو المدنية الشرقية ، ولا عبرة بما جرى من إجلاء العرب والبربر فيما بعد ، فإن هؤلاء قد بقى منهم فى الجزيرة عدد كبير اندمجوا فى الأهالى فى جميع المقاطعات ودانوا بالنصرانية ولا يوجد فى اسبانية مكان يخلو منهم حتى أن القشتاليين الذين هم أقل أهل اسبانية اختلاطاً بالعناصر الشرقية والذين يمثلون السلالة الايبيرية القديمة لا يخلون من عنصر دخيل من العرب والبربر .

وعلى وجه الاجمال السلالة الآرية هى الغالبة على القسم الشمالى الغربى من اسبانية ولذلك أجسامهم أقوى وعضلاتهم أصلب . ومنهم القشتاليون الذين يعدون أنفسهم محررى البلاد ، فى أنوفهم نغرة شديدة . ومثل القشتاليين فى حمية الأنوف أهل أراغون وأهل مقاطعة مرسية . أما الكستكونيون فهم أهل صناعة وعمل ، ولا يفترون كثيراً عن أهل اللندوق فى جنوبى فرنسة لأنهم جيرانهم . وأما سكان الأندلس أى المقاطعات الجنوبية فيغلب على أهلها الذكاء والجمال والسرور وحب الترف ، وذلك لأنهم من بقايا العرب ومن كان اندمج فى العرب . اه تلخيصاً عن جوسه صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال .

أمواج البحر المتوسط من الشرق والاطلانطيق من الغرب ، وقد حفرت المياه على منحدرها سواء من جهة الشرق أو من جهة الغرب مُسَلِّلاً لا تحصى وأنهارا تتدفق وجرّدت صخورها من التراب الذي لا يزال يجحف به السيل من عشرات الآلاف من السنين .

والجيولوجيون يقولون : إنه لو حصل خلل في توازن قشرة الأرض الصلبة أدّى إلى اضطراب أعماق البحار لما أمكن أن تكون الجزيرة الايبيرية بمنجاة من هجوم البحر من جهة الوادى الكبير فى الجنوب وجون نهر « إبره Ebre » فى الشرق حيث أن طرطوشة ليست إلاّ على ارتفاع مترين فقط من مصب نهر « إيره » كما أن إشبيلية لا تملو إلاّ عشرة أمتار عن الوادى الكبير . ولو قُدِّر أن البحر ارتفع مائة متر عما هو الآن لضربت أمواجه حيطان قرطبة . ولو أن البحر انبسط على سهل اشبيلية لغمر أكثر سهول الأندلس ، ولم يقف إلاّ فى سفوح جبال مورينه ، sierra - morena بحيث يعود إلى التشكل ذلك البوغاز القديم الذى يسميه العلماء بالبوغاز البيتيّ D'étroit Bétique الذى كان يصل البحر المتوسط بالأوقيانوس فاصلا بين جبال إسبانية الوسطى وبين جبال شليير الثلج^(١) sierra nevada التى يدها العلماء من جبال أفريقية والتى ذروتها المسماة بقمة مولاى الحسن تعلو عن البحر ٣٤٨١ مترا . وهذا قبل أن حصلت الهزّات الجيولوجية الكبرى التى نشأ عنها الخرق البحرى المسمى ببوغاز جبل طارق .

كذلك ضفاف نهر « ايره » كضفاف الوادى الكبير الذى كان القديما يقولون له نهر « بتيس » هى تحت تهديد البحر الدائم ، وذلك بحسب درجة ما يمكن أن يرتفع . فاذا ارتفع بضع مئات من الأمتار فان بنبلونة من نبارة^(٢) Panpelune

(١) nevada معناها بالاسبانيولى الثلجة فالاسبانيون يعنون بقولهم Sierra nevada سلسلة جبال الثلج وأما العرب فكانوا يسمون سلسلة هذه الجبال شليير الثلج وكانوا يطلقون على مجموعها اسم الشارات أو الشرايا وهى تعريب للفظه Sierra مع الجمع

(٢) navarre

لا تعلو أكثر من أربعائة متر ، وشقه Huesca لا تعلو أكثر من ٤٦٦ متراً . وكذلك لاردة هي من هذه الأماكن التي قد تفرها المياه ، وأهم من الجميع سرقسطة التي لا تعلو أكثر من مائتي متر وتطيلة التي علوها ٢٥٧ متراً

ولقد ثبت وجود مواد مالحة في أعماق هذه الأودية تدل على أن البحر لم يتقلص عنها إلا من عهد قريب بالنسبة للاعمار الجيولوجية . فقلعة الجزيرة الايبيرية في وجه البحار هي في الجنوب جبال مورينه وجبال البشرات وفي الشرق جبال البرانس . وأما في الشمال فهناك جبال قنطرية ^(١) Cantabrique التي تعلو نحواً من ألفين وخمسمائة متر ثم تنقطع دفعة واحدة فوق سواحل الاطلانطيك ، حيث تصادم البحر سلسلة صخور لا تنتهي إلا عند الوادي الكبير في الجنوب . وإلى الاطلانتيك تنحدر الأنهر الأربع « مينو Minho » و « دورو Duero » ^(٢) و « تاجه Tage » « وادي يانه Guadiana » ومنها « دورو » و « تاجه » قد حفرا أخايد ضيقة في الأرض هي من العمق بحيث صارت فواصل طبيعية أبدية . ولا شك أنها لم تخل من تأثير في السياسة وأن لها يدأ في فصل البرتغال عن أسبانية ، على حين أنه لا يوجد من جهة السكان فاصل بين الفريقين .

ثم أن القسم الأعلى من جبال اسبانية يقسم البلاد إلى قسمين : قشتالة القديمة ، وقشتالة الجديدة ؛ ويقال لها ولبلاذ ليون Léon والاشتراما دور Estramadure و« الميزيتا » meseta وهي أعلى اسبانية التي لولاها لدخل البحر على الجزيرة الايبيرية من جهات متعددة بارتفاع قليل ، ولجعل عاليها سافلها .

(١) الغالب على مؤلفي العرب أنهم كانوا يسمون هذه الجبال في شمالي اسبانية بجبال استورياس Asturias أو جبال جليقيه . وأما قنطرية الأصلية فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تلتقي بالبرانس . والطرف الشمالي الممتد من بلدة الفارو le Ferrol إلى بيوتة Bayonne على الساحل يقال له جبال « شبية » ،

(٢) يسميه العرب « بالوادي الجوفى » ،

ثم إن الفاصل بين القشتالين les deux Castilles سلسلة أهاضيب يقال لها شارات وادى الرمل ، لكثرة رملها ، والاسبانيول حرفوا « الرمل » فجمعوها « الرامه » فهم يقولون « وادى الرامه » وهو التوجيه الأرجح Guadarrama وسلسلة أخرى يقال لها هضاب « غريدوس » Sierra de Gredos وهى متصلة بسلسلة مثلها من جهة الغرب يقال لها شارات « غاتا » والشارات البرتغالية التى يقال لها « استريلا » Estrella كما أنها متصلة من جهة الشرق بنشود « شوربه » Seoria ومرتفعات « ديمنده » Demanda على نهر « ابره »

ولما كانت هضاب وادى الرمل عارية من الشجر الذى من طبيعته أنه يمسك الأرضين ، فقد تفككت أجزاءها بحرارة شمس القيظ وبرودة جلد الشتاء ، وتكون منها كتل كثيرة لاسيما فى الجنوب حيث هى البلاد التى يعبر عنها بقشتالة الجديدة . وأن هذه الشارات التى فى وسط اسبانية هى التى تنحدر منها مياه وادى « الدوره » Duero الذى يجرى فى قشتالة القديمة ومياه النهرين الشقيقتين « تاجه » Tage و وادى « يانه » Gadiana ^(١) اللذين يتحيفان فى جريهما جبال طليطالة Toléde وهضاب « وادى لب » Guadalupe ويخترقان البلاد إلى البرتغال ، إلا أن أحدهما « تاجه » ينصب فى خليج « اشبونة » Lisbonne والآخر يلتوى عن مجراه المستقيم قاصداً إلى الجنوب ، بدلا من الغرب ، فينصب بجزاء « بطليوس » Badajoz بقرب خليج قادس cadix

وغير بعيد عن مصب وادى يانه ، ينصب الوادى الكبير Guadilquivir الذى ينبع من الجبال الوسطى فى اسبانية . ولكن انصباب الأنهار من جهة البحر

(١) فى أسبانية نهران بهذا الاسم أحدهما يسير من شلير الثلج nevada ويمر ببلدة وادى آس guadis فى الجنوب والثانى الذى نذكره الآن يمر ببلاد البرتغال ويتصب فى البحر المحيط

المتوسط في القسم الجنوبي من اسبانية هو قليل ، نظراً لاشراف شلير الثلج على البحر يتدلّى إليه بدون فاصل ، فلا تسكاد تجد الجداول مجالاً للجري . وذلك مثل وادى مالقة Guadalhorce ونهر المرية ونهر شنقورينه المشتق من نهر شقر Seegur والنهر المسمى بوادى الأبيار وادى بالنسية Guadalaviar وغيرها ويندر في الدنيا وجود ساحل مضرّس مشقّق تشقّق هذا الساحل الذي هو شاطيء البحر المتوسط من اسبانية وهو معهد زلازل وموقد حركات بركانية لم تنطفئ ، وآثار ذلك بارزة في الشقوق الهائلة التي تتخلّله من جبل طارق جنوباً ، إلى كتلونية شمالاً ، وأعظمها الشق الذي ينحدر منه نهر « ابره » إلى البحر . ويرجح العلماء أن الهزاهز البركانية هي التي فصلت جزيرة ميورقة عن راس « ناو » nao وأن ميورقة نفسها . إن هي وأخواتها ميورقة ويايسة إلاّ حلقات من سلسلة كان من جملتها قورسيكا وسردانية .

ويظهر أن الزلازل البركانية التي شقّت بوغاز جبل طارق ، وفصلت هذا الجبل عن أمّة افريقية ، وجعلته من أوربة ، وأقامت وأقعدت أركان شلير الثلج ، وفتحت في ساحل اسبانية الشرقي فجاً ، وأحدثت فوق كثير من أقسام ذلك الساحل لججاً وأمواجاً ، لم تنقطع حركتها بالمرّة ولا سكن توهجها ؛ فانه لا يزال هذا الشاطيء في قلق إلى يومنا هذا . وكل يعلم أنه في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وقعت زلزلة عظيمة كان معظم شدتها في مالقة وقرنطة ونواحيهما ، وذهبت طائفة من العلماء حينئذ إلى هناك وحققوا منطقة الزلازل فوجدوا أنها لم تتجاوز اسبانية السفلى ، وأنها وقفت في حذاء شارات مورنيا فكان الحاجز الذي صدّ الزلازل عن شمول اسبانية العليا هو شفير « الميزيتا » meseta الايبيرية . وهكذا رجعت من أمام هذا الحاجز إلى الورا تصديقاً لقوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميد بكم)

ولا تشتد الزلازل في اشبيلية وقرطبة شدتها في هذا الساحل من جبل طارق إلى برشلونه ، بل إن شارات الثلج أو الجبال التي يقول لها العرب جبال شلير Solair

بالرغم من غلظ أعناقها وثبوت أركانها ، ليست بمنجاة تماماً من تأثير هذه الهزات الأرضية ، يظهر لك ذلك من أودية غرناطة ووادي آش ولورقة والوادي المسمى شانفورينة عند مرسية . وتستمر آثار عمل الزلازل إلى بلنسية فبرشلونة . فجيرونده من كتلونية .

وكثيراً ما تتجاوز الشقوة مع السعادة ويسكن الخير مع الشر في بيت واحد ، فان هذه المنطقة هي مع زلازلها أخصب بقاع اسبانية ، ناهيك بمرج غرناطة وبساتين مالقة وجنان مرسية ولورقة وغيضة نخيل أش وحقول القنت ، وأخيراً غوطة بلنسية التي تضارع غوطة دمشق . وبالاختصار هذا الخط البديع الذي فوقه الماء وتحتته النار والذي هو بين الشمس والأمطار قد بسقت فيه عظام الأشجار وتهدلت فوقها أصناف الثمار ، وهو لجيد الجزيرة الايبيرية كالعقد لجيد الحسناء بلا إنكار .

اسم الجزيرة الايبيرية

توخينا أن نطلق على أسبانية والبرتغال اسم « الجزيرة الايبيرية » لأنها فعلاً جزيرة ، قد جزر البحر عنها من الجهات الأربع ، بل فراراً من تكرار جملة « شبه الجزيرة الايبيرية » ولقد كان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة الاندلسية مع معرفتهم أيضاً بأنها شبه جزيرة وأنها متصلة بالأرض الكبيرة من ناحية جبال « البرتات » أو البرانس . وقد قالوا كذلك « جزيرة العرب » مع أنها محاطة بالبحر من جهات ثلاث لا غير مثل جزيرة الاندلس . هذا ولو ارتفع البحر المتوسط قليلاً من جهة « أربونة » Narbone لغمر تلك البسائط إلى خليج « برديل » Bordeaux وصارت أسبانية والبرتغال جزيرة حقيقية

أما هذه النسبة وهي الايبيرية فهي نسبة إلى أمة قديمة يقال لها « الايبير » ibère كانت أقدم أمة عمرت تلك البلاد ، ولم يعرف قبلها هناك أمة أخرى . وجميع الذين أوطنوا هذه الجزيرة إنما جاءوا بعد أمة الايبير هذه .

اسم الجزيرة الاندلسية

أما الجزيرة الاندلسية التي كان العرب يسمون بها هذه البلاد فهي منسوبة إلى « الاندلس » وقد كثر الكلام في أصل هذه اللفظة ، ولكن أرجح الأقوال أنها مشتقة من اسم « القاندالس » وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر « الاودر » oder ونهر « الفيستول » vistule في شرقي المانية . ويقال إنهم من أصل جرماني ، ويقال إن بعضهم من أصل سلافي أو صقلي كما تقول العرب . وهؤلاء القاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا بوغاز جبل طارق ، وذلك سنة ٤١١ قبل المسيح . ومن هناك أجازوا إلى افريقية . فلما عرفهم أهل افريقية أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاءوهم منها وسموا هذه البلاد بالاندلس . وقالوا أن عبورهم إلى المغرب كان من جهة « طريف » tarifa وقالوا بل من الجزيرة الخضراء .

وجاء في الانسيكلوبيديا الاسلامية في الجزء الأول صفحة ٣٥٤ بقلم سيبولد Seybold أن القاندالس لم يقيموا في جنوبي اسبانية إلا ثمانى عشرة سنة لاغير ، وأن بلاد جنوبي اسبانية كان يقال لها إلى ذلك الوقت « باتيكة » Betique فصار يقال لها « قانداليسيا » ومنها جاءت لفظة الأندلس ، ولما جاء العرب وفتحوا اسبانية أطلقوا عليها هذا الاسم وصاروا يقولون أندلس ، لا للبقعة الجنوبية المقابلة للمغرب فحسب ، بل لجميع الجزيرة الايبيرية ولجميع ما فتحوه من البلدان بعد أن عبروا بوغاز جبل طارق . فالأندلس عند العرب هي من بحر الزقاق أو بوغاز جبل طارق . إلى جبال البرانس . وربما أطلقوا لفظة الأندلس على ما وراء البرانس من أرض الأفرنجية فاما الأسبان أنفسهم فكانوا لا يعرفون هذا الاسم قبل العرب وكانوا يسمون البقاع الجنوبية من الجزيرة الايبيرية باسبانية القديمة ، كما كانوا يسمون شمالي اسبانية بأسمائها المختلفة مثل استورية التي كان العرب يقولون لها استورية أو اشتورياس ومثل ليون وقشتالة وأراغون النخ . ولكن بعد أن غاب العرب على تلك الأقطار

واشتهر اسم الأندلس عند الإسبانول أنفسهم صاروا يطلقونه على جنوبي اسبانية ،
 لاسيما بعد أن بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، إلى أن انحصر هذا الاسم في مملكة
 غرناطة الصغيرة . انتهى كلام الانسيكلوبيديّة الاسلاميّة ملخصاً وقد نقل ذلك
 عنها المستشرق ليفي أو لاوي بروفنسال E. Levi - Provençal في كتابه
 (اسبانية المسلمة في القرن العاشر ^(١) المطبوع في باريس سنة ١٩٣٢)

قلنا أن هذا الاسم لا يزال يطلق إلى الآن على ولايات اسبانية الجنوبية ، مثل
 قرطبة واشبيلية وغرناطة ورُنْدَه ومالقه وما جاورها . ولننظر الآن إلى مقاله مؤرخو
 العرب في أصل اشتقاق لفظة الأندلس :

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : الأندلس يقال بضم الدال وفتحها وضم
 الدال ليس إلا ، وهي كلمة عجمية لم يستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في
 الاسلام وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام . وقد استعمل حذفها في
 شعر ينسب إلى بعض العرب فقال عند ذلك :

سألت القوم عن أنسٍ فقالوا بأندلس وأندلسٌ بعيد

ثم أخذ ياقوت يبحث في بناء لفظة أندلس ومكانها من الأوزان العربية وكيف
 أنه لا يوجد لها وزن في هذه اللغة ، بحثاً ليس له طائل ، لأن هذه اللفظة هي أعجمية
 من أصلها كما قال هو فلا حاجة لعرضها على وزن عربي . ولم يقل ياقوت مصدر هذه
 اللفظة كما ذكر غيره ، ولكن نقل المقرئ في نفع الطيب عن ابن سعيد أنها إنما
 سميت بالأندلس لأن هذا الاسم هو اسم ابن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها
 كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوّة المقابلة لها وإليه تنسب مدينة سبتة (؟)
 قال : وقال ابن غالب : إنه أندلس بن يافث والله تعالى أعلم .

وقال القلقشندي في صبح الأعشى الجزء الخامس : وقد اختلف في سبب تسمية
 الأندلس بهذا الاسم ، فقبل ملكته أمة بعد الطوفان يقال لها الأندلس بالشين المعجمة

(١) L'Espagne musulmane au xème siècle

فسمي بهم ، ثم عرب بالسين المهملة . وقيل خرج من رومة ثلاثة طوابع في زمن الروم يقال لأحدهم القندلس بالقاف في أوله وبالشين المعجمة في آخره ، فنزل القندلس هذه الأرض فعرفت به ثم عربت بابدال القاف همزة والشين المعجمة سيناً مهملة . ويقال أن اسمها في القديم « آفارية »^(١) ثم سميت « باطقه » ثم أشبانية^(٢) ثم الأندلس باسم الأمة المذكورة . قال في تقويم البلدان : وسميت جزيرة لاحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب وإن كان جانبه الشمالى متصلاً بالبر

(١) لا نعرف ما إذا أراد القلقشندى بهذه اللفظة « آفارية » ، وإن لم تكن محرفة أو مصحفة فيكون الأشبه بها أن تكون « آقارية » ، والحال أن بلاد الآقاريين هي في شمال القوقاس . ثم إن الشعب الآقارى هو من أصل تركى زحف من الشرق إلى الغرب في القرون الوسطى ولكنه لم يتجاوز بوهيميا غرباً ووقع بين السلاف من جهة والفرنج من جهة أخرى ثم اندمج في الشعوب الأخرى لا سيما في المجر

(٢) الإيبيريون السليون هم أقدم أمة في غربي أوربة انتجعت شبه الجزيرة الإيبيرية أى إسبانية والبرتغال الحاضرتين وقسماً من بلاد الغال أى جنوبي فرنسا وبعض شمالي إيطاليا . وقيل لاسبانية الحالية « إيبيرية » نسبة إليهم ثم تحولت هذه اللفظة إلى « هيسبرية » ، بقلب الألف هاء Hespérie وهو اسم كان اليونانيون يسمون به شبه جزيرة إيطاليا كما كان الرومانيون يسمون به شبه جزيرة إيبيرية وبعد ذلك تحولت « هيسبرية » إلى « هيسبانية » Hispanie ومنها صارت « اسبانية » Espagne والعرب كانوا يعرفون هذا الاسم إلا أنهم كانوا يجعلون السين شيئاً

وهناك توجيه آخر لاسم اسبانية ، وهو أن اشبيلية كانت في القدم مستعمرة إيبيرية ، وكان يقال لها « هيسباليس » Hispalis ولم تلبث أن صارت عاصمة « بايكا » أى اسبانية الجنوبية ، فلا عجب أن اشتق اسم اسبانية من هيسباليس لأن اللام والنون كثيراً ما يحصل التبادل بينهما ولا تنس أن أصل البلاد التي يقال لها اسبانية هو الجنوب من اسبانية الحالية وأن اسم اسبانية لم يشمل شمالي الجزيرة الإيبيرية إلا حديثاً فلا يبعد أن يكون اسم اشبيلية القديم شمل البلاد التابعة لها ، وكثيراً ما تسمت المملكة باسم العاصمة .

وهذا التوجيه هو الذى ظهر لمحرر هذه السطور ولم أجده في كتاب وقد كاشفت

ما قاله دوزى عن اشتقاق اسم الأندلس

لم يأت دوزى فى هذه المسألة بشىء جديد ، فى كتابه المسمى « بمباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها فى القرون الوسطى » المحرر بالفرنسية ، يقول : ان هذا الاسم كان يطلق على مقاطعة بتيكة وقد جعله العرب عاماً لجميع اسبانية ، فترجح أن لفظة أندلس مشتقة من الفندالس الذين قبل أن أجازوا إلى افريقية احتلوا جنوبى أسبانية . وهذا رأى فى هذا الاشتقاق هو قديم ، لأنه قد رواه الرازى ورد عليه بأن مقام الفندالس فى جنوب أسبانية كان قصيراً جداً ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أول من أطلق لفظ أندلس على مقاطعة بتيكة وعلى أسبانية كلها هم المسلمون ، فان مؤرخى شمالى أسبانية لا يعرفون هذا الاسم بل يسمون باسبانية Spania جميع البلاد التى كانت فى حوزة العرب . فاما مؤلفو العرب فيسمون البلاد بالأندلس ويذكرون وجه التسمية . وفى « أخبار مجموعة » يقول إن أندلس كان اسم الجزيرة التى نزل بها طريف ، ويقال لها جزيرة طريف من ذلك الوقت . وقال المؤرخ عريب : أن

به الأستاذ المدقق السيد محمد علال الفاسى من آل الجد وهو من ثقبو الذهن وأصالة رأى وسعة الاطلاع بالمكان الذى يعرفه له كل من عرفه فأجابنى بما يلى :

إن المحدثين تكلموا عن مصدر اشتقاق هذا الاسم « اسبانية » فذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ من لفظة « شافان » السامية ومعناها الأرنب وهو الحيوان المعروف قيل لأن الفينيقيين وجدوه بكثرة هناك . ويظن الآخرون أنها سميت « اسبانية » من لفظة « أزبانيا » وهى لفظة باسكية معناها « شاطىء » ، ونفسى تطمئن لهذا التعليل لأنه منطبق تماماً على حال الجزيرة وليس فيه تغير كبير . أما كونها سميت اسبانية باسم اشيلية التى كانت تدعى « هيسباليس » فقير متعين لأنى أظن أن هذه اللفظة كانت من قبل ، أى بعد سقوط مملكة القرطاجنيين ، علماً على شبه الجزيرة كلها وأن اشيلية كانت معروفة عند الفينيقيين باسم « سيفيلا » والرومان هم الذين أبقوا اسم المملكة على خصوص هذه المدينة اه فرأى السيد علال هو إذا اشتقاقها من ازبانيا بمعنى شاطىء والله أعلم .

طريقاً نزل قبالة طنجة في الأندلس التي يقال لها اليوم جزيرة طريف . إذاً أصل الاسم كان لذلك المحل لا للبلاد كلها ، وقد ذكر غريغوار التوري Grégoire de Tours ما يدل على أن اسم المكان الذي نزل فيه طريف كان طرادو كته Traducta وهو المكان الذي أجاز منه القاندا لس إلى افريقية فلما جاء البربر ونزلوا في هذا المكان سموا بانداس كل البلاد وجاء طارق من بعده فكان هذا الاسم أصبح مستعملاً

تخطيط الجزيرة الأندلسية

قال سيبولد في الانسيكلو بيديا الاسلامية : إن العرب لم يكونوا ليتخلصوا من المصور الجغرافي المعكوس المنحرف الذي وضعه بطليموس من قديم الزمان ، فكانوا يصورون اسبانية بشكل مثالث غير منتظم ، أطرافه هي : من الجنوب طريف ورأس مراكش ، ومن الشمال الشرقي رأس كريوس Créus ومرسى فاندز fort-Vendres وفي الشمال الغربي بلاد فينستير Finistère وكذلك كانوا يصورون جميع الشواطئ الممتدة من طريف إلى كريوس أو بالأقل إلى طركونة و برشالونة كأنها ثغور جنوبية كما تعلم ذلك من كتاب المراكشي . فأما جبال البرانس فهي في تصورهم ثغور شرقية للأندلس ! ثم إنهم فيما بعد فهموا أن شرق الأندلس إنما هو سواحل بلنسية ومرسية وفهموا أن الحد الغربي هو الاقيانوس الاطلانتيكي الذي كانوا يقولون له بحر الظلمات أو البحر المظلم أو البحر المحيط الأعظم أو الاقيانوس أو القاموس أو البحر الغربي في مقابلة الشرق الذي كانوا يقولون له البحر الرومي أو البحر الشامي أو المتوسط . وكان الحد الغربي للأندلس عندهم ممتداً من طريف إلى رأس « سان فنسان » Cap Saint - Vincent أو رأس « روكه » Roca عند أشبونة Sisbonne ومن هناك يصير عندهم الحد الشمالي الذي يمتد وراء غاليسية Galice إلى جبال البرانس في بلاد « فونترابية » Fontarabie . وكانوا يقولون لجبال البرانس جبل البرتات أو الجبل الحاجز أو الفاصل ، ويسمون جبال قشتالة بجبل الشارات وجبال نيفاده

Névada بجبل الثلج أو جبل شاير chulair (واصل هذه اللفظة هو سولوريوس
(Solorius

ولهذا جميع الاطالس الجغرافية المتعلقة باسبانية العربية المنشورة إلى اليوم هي غير
صحيحة ، سواء أطالس « سبرونز » و « منكه » Spruner et menka المطبوعة
سنة ١٨٨٠ وأطالس دوريزين Draysen المطبوعة سنة ١٨٩٤ في كتاب اوغست
مولر المسمى « بالإسلام في الشرق والغرب » أو أطالس ستانلي لانبول Sane-Poole
في كتابه « العرب في اسبانية » وكأها قد تناقلت الأغلاط الجغرافية من أيام
« كازيرى » و « كوندى » و « سوزة » و « جوبرت » و « غاينفوس » و « هامر »
و « ملرن » وغيرهم ، حتى أن دوزى Dozy نفسه برغم مجهوداته الكثيرة لم يترك
أثراً يذكر في تصحيح جغرافية اسبانية ، وهو في ترجمته لكتاب الادريسي عن
الاندلس والمغرب وتعليقه عليه لم يأت أيضاً بشيء من تصحيح الأغلاط التي وردت
في نفس الأصل ^(١) نعم أنه في تضاعيف كتبه عن الأندلس حقق بعض أما كن

(١) علق دوزى بعض ملاحظات على الادريسي ، إلا أن جل همه كان تحقيق
الأعلام التي ذكرها الادريسي وذكر ما يقال لها بالاسبانية ، وقد رمى فقرطس
في جميع ما قاله إلا في مواضع معدودة توقف فيها أو كان في قوله نظر . وعلى كل حال
فترجمته لكتاب الادريسي هي أحسن ترجمة ، وكفاها حسناً تصحيحه للأغلاط الفظيعة
التي وقعت في ترجمة « جوبر » Joubert وذهبت بالمعاني إلى أبعد ما يصل إليه التصور
ومن أمثلة هذه الأغلاط أن الادريسي ذكر الروس فقال : إنهم يحلقون لحامهم ومنهم
من يجمعها ويضفرها كاعراف الدواب . فوقع تصحيح في « اعراف » جعلها « اعراب » ،
فترجم جوبر ذلك بما يلي :

la réunion et la tressent à la manière des Arabes de Douab
أى يجمعونها ويضفرونها على نسق اعراب بلاد دواب !

وجاء في كلام الادريسي عن أحد الظالمين انه « مسخ » وهو فعل مبنى للجهول
فلم يفهم جوبر لفظة « مسخ » وظنها اسم علم وترجمها هكذا on dit que cest masth
بدلاً من أن يقول il fut métamorphosé ووقع جوبر في اغلاط كثيرة من هذا

لا سيما في مبحثه المسمى « بملاحظات جغرافية على بعض مقاطعات الأندلس القديمة » وذلك في كتابه المسمى « بالتنقيبات عن تاريخ اسبانية وآدابها »

Recherches sur l'histoire et la litterature de l'Espagne

ولم تقدم جغرافية اسبانية العلمية في كتابات « سافيدرا » Soavedra ولا « سيمونه » Simoner ولا « اغيلاز » Egilaz ولا « قديره » Codera ولا « باسه » Basser

وقد كان يجب جمع جميع ما تقدم من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، ونخلها نخلا دقيقاً ، مع طرح جميع المجازفات والأخطاء التي تراكت من أيام كزيري Caisri وكوندى Conde إلى أيام هامر Hamner وميرن Mehren فكما أن دوزي الكبير عند ما كتب التاريخ المسمى بتاريخ مسلمى اسبانية ترك جميع ما كان تقدم عنها من الكتابات ، وعدّها لغواً ، ورجع إلى المنابع العربية نفسها ؛ كذلك يجب العمل

الخط ، أتينا بأمثلة منها استدلالاً على خطب بعض المستشرقين ، ولكن بعض هؤلاء تعقبوا جوهر هذا في ترجمته السقيمة هذه ، ومن هؤلاء « كاترمار » Quatremère ومنهم دوزي . إلا أن كاترمار وإن أصاب في أكثر ما تعقب به جوهر فقد أخطأ في بعضه مثل أن أكثر خشب مسجد قرطبة هو من الصنوبر الطرطوشي ، فذهب كاترمار إلى أن الطرطوشي هنا لا محل له وأنه قد يكون محرفاً عن لفظة « مرصوص » والحال أنه هو الصنوبر الطرطوشي المنسوب إلى طرطوشة tortose الموصوفة بجودة الصنوبر والتي فيها دار صنعة للسفن بسبب متانة خشب صنوبرها

وقد كانت ترجمة دوزي « لزهة المشتاق في اختراق الآفاق » عن نسخة مخطوطة في مكتبة باريز ، وأخرى في مكتبة اكسفورد ، وفي كليهما أغلاط نسخ تحير دوزي وغير دوزي في ردها إلى الأصل . وأما على وجه الاجمال فقد كان اجتهاد دوزي برغم بعض آراء تعسف فيها مما أزاح الستار عن أكثر حقائق العلم بالأندلس سواء من جهة تاريخها أم من جهة جغرافيتها ، وذلك في نظر الأوربيين الذين لم يكونوا يعلمون عنها من قبله الا معلومات ناقصة وأخبارا مشوهة ولم تكن لهم عنها إلا آراء مشوبة باهواء رجال الكنيسة

نفسه في جغرافية هذه البلاد. وهذا العمل يحتاج إلى مراجعة الكتب اللاتينية والاسبانية والعربية نفسها. وذلك أنه وإن كان التعصب الأعمى، بعد سقوط مملكة غرناطة، قد أخنى على كنوز أدبية هي فوق كل تقدير، ومحا كتباً ذهبت وأصبح لا يمكن إحيائها، فانه لا بد أن يكون في الشرق وفي شمالي أفريقيا كتب عربية متعلقة بالأندلس يمكن الاستفادة، جدُّ الاستفادة منها؛ بل يجب جمع التأليف الجغرافية والتاريخية التي كتبها العرب، من زمن ابن خرداداذبه، إلى اليعقوبي، إلى المسعودي، إلى ياقوت، إلى المقرئ الذي أخذ عن مائة مصنف، هذا مع مراجعة كتب التراجم التي فيها نسبة العلماء الأندلسيين إلى بلدانهم مما تؤخذ منه معلومات جغرافية كثيرة أيضاً، ومما يدل على انتشار العلم في اسبانية العربية بصورة مدهشة. ومما لا شك فيه أنه قبل كل شيء تلزم مراجعة المكتبة العربية الاسبانية Beblioteca Arabico - Hispana لُقديرة^(١) التي هي عشرة مجلدات وفيها تراجم علماء الأندلس، وإن كان مع الأسف فيها تحريف أسماء كثيرة من أسماء البلاد التي ينسب إليها أولئك العلماء. انتهى ملخصاً.

وقال لاوي بروقتسال في كتابه «أسبانية الاسلامية في القرن العاشر»: إن جغرافيات العرب لم ترد فيها تفاصيل كافية شافية عن الأندلس، ونحن مضطرون أن تقتنع بالموجود بين أيدينا منها، مثل كتاب الهمداني الذي كتب في حوالي سنة ٩١٠ مسيحية، وكتاب الأصبخري الذي تاريخه ٩٢١ مسيحية، أي أوائل عهد عبد الرحمن الناصر، وابن حوقل الذي أكمل جغرافيته سنة ٩٧٦ والمقدسي الذي كتب كتابه في أحسن التقاسيم. بعد ابن حوقل، فالأصبخري ذكر أن أهم مدن

(١) Franciscus codera هو مستشرق أسباني يقال إنه من سلالة عربية واسمه قديرة دليل على ذلك. وقد علمنا من الأستاذ القسيس آسين بالاسيوس Acin palacios المستشرق الاسبانيولي المعاصر الذي أثبت أن داتى في المهزله الالهية سرق رسالة الغفران للمعري أن قديره هو أستاذه

الاندلس في أيامه كانت شنترين ، وجبل طارق . وطليلة ، ووادي الحجارة ، ورية ، وفحص البلوط ، وقورية ، وماردة . وقال : إن أهم الثغور لذلك العهد كانت ماردة ونفزة ووادي الحجارة وطليلة . وأما المقدسي فأحصى ثمانى عشرة كورة الاندلس (سيأتى كلام المقدسى بحروفه نقلا عن الأصل)

أما محمد بن أحمد الرازى الانداسى فله تاريخ وجغرافية للاندلس ، لا يوجد لها سوى ترجمة باللغة الاسبانية القشتالية ، عن ترجمة برتغالية ، عن الأصل العربى الذى كتب فى أوائل القرن الرابع عشر ، وقد أمر بهذه الترجمة إلى البرتغالية دنيس ملك البرتغال . وكتاب الرازى هذا كان عمدة ياقوت الحموى عن الأندلس . وبحسب كلام الرازى كانت الأندلس إحدى وأربعين كورة : قرطبة ، وقبرة ، والبيرة ، وجيان ، وتدمير ، وبلنسية ، وطرطوشة ، وطرأ كونة ، ولاردة ، وبرباطانية ، ووشقة ، وتطاية ، وسرقسطة ، وباروشة ، ومدينة سالم ، وشتتيرية ، وراقوبيل ، وزوريتة ، ووادي الحجارة ، وطليلة ، واوبيط ، وفحص البلوط ، وقريش ، وماردة وباطيوس ، وبيجه ، واقشونوبه ، وشتتيرين ، وقويمره ، واكشيتانية ، واشبونة ، واشبيلية ، وقرمونة ، ومورون ، وشذونة ، والجزيرة ، ورية ، واسجه ، وناكرونة . وأما الادريسى الذى كتب جغرافيته فى القرن الثانى عشر فالأندلس عنده ستة وعشرون أقلية - وهو تقسيم جغرافى ليس بىساسة ولا إدارى - وهذه الأقاليم هى : البحيرة ، وشذونة ، وجرف ، وقنباية ، واشونه ، ورية ، والبشرات ، وبجآنه ، والبيرة ، وفزيرة ، وتدمير ، وقونسه ، وأرجيرة ، ومريبط ، والقواطم ، والفلجحة ، والبلالطة ، والفخر ، وقصر أبى دنيس ، والبلاط ، وبلاطة ، والشارات ، وأرنيد ، والزيتون ، والبرتات ، وممرية . قال : وقد رأينا أن الشاميين نزلوا فى البيرة ، وأن أهل الأردن نزلوا فى مالقة ، وأن أهل فلسطين نزلوا فى شذونة ، وأن أهل حمص نزلوا فى اشبيلية ، وأن أهل قنسرين سكنوا جيان ، وأن أهل مصر كانوا فى بيجة ومرسية ؛ فكانت هذه المدن فى زمن الخلافة الأموية امصاراً . وأما سائر الكور

قتشكلت فيما بعد ، مثل كور الجنوب العربي وهى : مورون ، ولبلبة ، وماردة ، وشنترين ، وتاكرونه ، وريّة ، وبجانه ، أى رُنْدَة ، ومالقة ، واطرية . وسنة ٣٥٠ عند ماتولى الحكم المستنصر كانت الثغور خطأً منحنيًا ماراً بالقسم الشمالى من الأندلس من شرقية إلى الغرب ، يبتدىء من جنوبي برشلونة ويمتد شمالاً بغرب ، وذلك من عند برشتر ووشقة ، ثم يتصل بوادى إبره شمالى تطيلة ، ثم يصعد من هذا الوادى إلى هارو ، ثم يعود فينحى صوب الجنوب تابعاً مجرى الوادى الجوفى أى دويره ، إلى المحيط الاطلانتيكى بعد أن يمر بالمدن التالية : أشمه ، وسيمينكاس ، وزموره ، ولاميغو ، وبورته . وأما المسعودى فيقول فى مروج الذهب الذى تاريخه سنة ٣٢٧ للهجرة : إن الثغر الشمالى يمتد من طرطوشة إلى افرغة إلى لاردة . انتهى وسياقى كلام المسعودى بحروفه .

عدد سكان أسبانية

لا شك أن العصر الذى بلغت فيه أسبانية ذروة نموها هو العصر الرومانى ، فقد قيل أنه كان فيها أيام الرومان من ثلاثين إلى أربعين مليون نسمة . ولكن لم يوجد وثائق تاريخية تؤيد بلوغ أهالى الجزيرة الايبيرية هذا العدد . ثم أنها كانت فى نمو عظيم أيام العرب ، يستدل على ذلك بكثرة مدنها الحافلة لعهد العرب ، فقد كان فيها نحو من أربعين مدينة عربية ، ومنها قرطبة التى أحزر عدد سكانها بنحو من مليونى نسمة ، كما سياقى الكلام فى هذا البحث . إلا أنه مع الأسف لا يوجد عندنا وثائق يعرف منها بالضبط عدد المسلمين الذين كانوا فى أسبانية لعهد الناصر مثلاً ولا عدد مجموع السكان من مسلمين ومسيحيين فى ذلك العصر

ومن باب الحزر والتخمين أقول إنه لا يمكن أن يكون عدد مسلمى الاندلس لعهد الناصر والمستنصر أقل من خمسة عشر مليوناً . ولما أجلي الاسبانيول المسلمين واليهود هبط عدد سكان أسبانيا ، لهذا السبب ولسبب آخر هو كشف اميركة التى هاجروا إليها ، هبوطاً عظيماً . فى سنة ١٥٩٤ كان عدد سكان أسبانية نيفاً وثمانية

ملايين ، ومضى على ذلك قرنان ولم يزد عدد الأهالي أكثر من مليون واحد ، ففي سنة ١٧٦٨ كان في أسبانية تسعة ملايين ومائة وستون ألفاً من السكان ، ثم ازداد هذا العدد في زمن آل بربون إلى عشرة ملايين ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وسنة ١٨٣٢ كانوا احد عشر مليوناً ، وسنة ١٨٤٩ كانوا ١٤ مليوناً ، وفي أوائل هذا القرن العشرين صاروا ٢١ مليوناً ، والآن هم ٢٢ مليوناً و٣٣٨ ألفاً ومعدل كثافة السكان بالنسبة إلى مساحة الأرض هو ٤٠ نسمة في الكيلومتر الواحد ، هذا بالتعديل المتوسط . وأسباب عدم تزايد السكان كما في الممالك الأخرى ، لا تنحصر في الهجرة ، بل هناك أسباب أخرى ، مثل عدم التناسب في توزيع الأراضي ، ومثل فدح الضرائب ، ومثل التعامل بالربا . ومن جملة هذه الأسباب ندور الحراج والغابات ، فالناس يرحلون إلى اميركة من الفقر ولا سيما من بلاد البشكونس ولاردة ووشقة وجيرونة . وأكثر الذين يرحلون من الجنوب هم أهالي المرية والقنت ، ففي السنة يرحل زهاء مائتي الف ، وهم يرحلون إلى المكسيك والارجنتين وسائر أمريكا . ومنهم من يرحل إلى المغرب وإلى الجزائر . وفي عمالة وهران ١٧٥ ألف اسبانيولي

أقوال العرب عمه جغرافية الاندلس

قول ابن حوقل

قال ابن حوقل الذي خرج راحلا من مدينة السلام سنة ٣٣١ ، ووصف جميع ماشاهده ؛ وأما الأندلس فجيزة كبيرة فيها عامر وغامر ، وطولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة ، وتغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية من أكثرهم ، ولما هم بها من رغد العيش وسعته وكثرته . يملك ذلك أهل منهم وأرباب صنائعهم لقله مؤنهم وصلاح بلادهم . ويساوى ملكهم بقله شغله وسقوط تكلفه بشيء . يحذرده

وحال يخافه ، إذ لا خوف عليه ولا رقبة لأحد من أهل جزيرته مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله . وبما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدينانير والدرام ضريبتها في كل سنة مائتا ألف دينار ، يكون ، عن صرف سبعة عشر دينار ، ثلاثة آلاف درهم وأربعمائة الف درهم ، هذا إلى صدقات البلد وجباياته وخراجاته واعشاره وضماناته ومراصده والأموال المرسومة الواردة والصادرة والجوالى والرسوم على ييوع الأسواق . ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يدهم مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم وتقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الاتجاد والأبطال ، وعلم موالينا^(١) عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها^(٢)

(١) في النسخة التي عندنا من « المسالك والممالك » لابن حوقل وهي المطبوعة في ليدن سنة ١٨٧٣ يقول : وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها الخ ، وأما في نفع الطيب نقلا عن ابن حوقل فيقول : ، مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها الخ ،
 (٢) كلام ابن حوقل هنا لا يقره عليه أحد من أهل العلم الذين أجمعوا على وصف أهل الأندلس بخلاف هذه الأوصاف التي ينزههم ابن حوقل بها ، وأقروا بمكان أهل الأندلس من سعة العقول وعلو الهمم وشدة البأس وسائر المناقب التي بلغوا بها ذرى أحسن مدينة وجدت في القرون الوسطى ، إلا خصلتين كانتا بدون شك سبب بوارهم احداهما كثرة الانتفاض على ملوكهم وحب الشقاق فيما بينهم ، واثانية شدة الانغماس في الترف الذي أدى إلى رجحان عدوهم عليهم في الحروب بما كان عليه من الخشونة والصبر على الشدائد ، والذي يظهر لنا أن ابن حوقل إنما أراد تصغير شأن أهل الأندلس يومئذ أغراء لبني العباس ، وهو من أتباعهم بشن الغارة عليها وإعادتها إلى إلى حضن الخلافة العباسية ، فقال ما قال على سبيل الدعاية لا غير ، وإلا فان كثيراً مما قاله مخالف للمحسوس ومنقوض بالاجماع ، وقد نقل المقرئ في نفع الطيب عن ابن سعيد مكمل هذا الكتاب ما يلي :

لم أر بدأ من إثبات هذا الفصل وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة ، فن الذين دبروها بأرائهم وعقولهم

فأما مغرب هذه الجزيرة ، فمن مدخل هذا الخليج المذكور ^(١) ومصب مائه

مع مرادة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حموها ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصره الصليب؟ وإني لأعجب منه إذ كان في زمن قد دلفت فيه عباد الصليب إلى الشام والجزيرة ، وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبه العظمى ، حتى أنهم دخلوا مدينة حلب . وما أدراك ، وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ . ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب ، وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالبعد من البلاد التي ترك وراء ظهره . وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره اه قلت : لم يقصد بن سعيد بما قاله عن تخاذل مسلمي الشام ، الحروب الصليبية المعهودة التي تجلت فيها هذه الحالة بعينها لأن ابن حوقل عاش قبل الحروب الصليبية بمائة وخمسين سنة ، وإنما قصد حروب الروم البيزنطيين التي كانت سجالات بينهم وبين المسلمين . وحادثه حلب هذه كانت سنة ٣٥١ أي في عصر ابن حوقل ، وسى الدمشق من حلب بضعة عشر ألف صبي وصبية وفعل الأفاعيل ، ولكن المسلمين في أمر التخاذل سواسية لا شرق منهم يقدر أن يندد بغرب ولا غرب يقدر أن يندد بشرق إلا من رحم ربك (١) قوله المذكور يشير به إلى ما ورد له من كلام سابق عند ذكره لبلاد المغرب وذلك في الصفحة ٧٣ من كتابه المسالك والممالك طبعة ليدن ، فان ابن حوقل يقول في تلك الصفحة ما يلي : فأما ناحية البربر الذين بنواحي طنجة وأزيلة والبصرة وظاهر فاس فأكثرهم في ضمن ولد ادريس بن عبد الله وهو ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهم في غاية من طيب العيش ورفاهيته وخصبه ورخص الأسعار وطيب الأهوية والأغذية ، وكانت حالهم فيما تقدم أزيد من هذه الحال صلاحاً ، وفي وقتنا هذا فقد تدانت أحوالهم وصلحت أهورهم وعمر طريقهم . ولم يزل أهل هذا النسب منظوراً اليهم مرعية حقوقهم عند بني أمية على سالف الدهر . وأدركت عبد الرحمن أبا المطرف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان يحافظ عليهم مرة ويسوقهم بالعصا مرة لما كان تظاهر به أبو العيش من

عند البحر المحيط من نواحي « لبلبة » (niebla) « وجبل العيون » (Gibraleon)
 آخذاً على « ألب » (Hielba) و « شلب » (Silves) إلى أن يتصل « بشنطرة »
 (cintre) ذاهباً على « سمورة » (Zamora) وليون (Léon) واربونة
 (narbonne) من بلاد جليقية^(١) إلى أقاصى (بياض بالأصل) ومشرقها . فمن
 مشرق جليقية إلى الخليج الرومى على نواحي « سرقصة » وضواحي « وسكة »^(٢)
 وطرطوشة وجميع بلاد الأفرنجية من جهة البر ، وجنوبها الخليج المذكور من تجاه
 جزيرة صقلية إلى بلاد بلنسية ومرسية والمرية ومالقة والجزيرة إلى ركن البحر المحيط
 وأول أرضها المعمورة على الخليج الرومى ، فمن أشبيلية إلى طرطوشة وهى آخر المدن
 التى على البحر المتصلة ببلاد الأفرنجية ، ومن جهة البر ببلاد (غلجسكس) وهى بلاد
 حرب من النصرارى ، ثم تتصل ببلاد (بسكونس) وهى أيضاً نصرارى ، ثم ببلاد
 الجلائقة ، فتنتهى الأندلس إلى حدين : حد إلى دار الكفر ، وحد إلى البحر .
 وما ذكرته من المدن على البحر وغيره فمدن كبار عامرة ولم تزل الأندلس فى أيدي
 بنى مروان إلى هذه الغاية . ومن مشاهير مدنها القديمة جيان (Jian) والاسبانيول

قبح السيرة وخبث المعاملة لبنى السبيل وكثرة الغيلة ، وذلك أن عبد الرحمن هذا
 (يعنى به الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموى الملقب بالناصر وكان ابن حوقل من
 أبناء عصره) وأهله يماكون الأندلس ويحاذون هذه الناحية وبينهم أصل الخليج
 الخارج إلى بلد الروم عن قرب مسافة ما بين العدوتين ، حتى انهم ليرى بعضهم ماشية
 بعض وصور أشجارهم وزروعهم ويتبينون الأرض المفلوحة من الأرض البور وعرض
 الماء فى ذلك يكون ١٢ ميلا

(١) المعهود أن العرب كانوا يقولون جليقية لشمالي الأندلس ، وقد يقولون لها
 غاليسية كما يقول الاسبانيول ، وإذا كان كذلك فاربونة (Narbonne) ليست
 من بلاد جليقية المذكورة . والذى يظهر أن ابن حوقل أراد بجليقية هنا البلاد المسماة
 ببلاد الغال من الأفرنجية وهى بلاد تقع أربونة فيها

(٢) الغالب أن أهل الأندلس يقولون سرقسطة ووشقة ولكن ابن حوقل كثيراً
 ما يتابع اللفظ الاسبانيول فتجد بينه وبين جغرافى العرب بعض الاختلاف فى الإسماء

يلفظونها الآن خيان (بالخاء على عادتهم في قلب الجيم خاء) وطليلة (Toledo) ووادي الحجارة (والاسبانيون يكتبونها هكذا Guadalajara وكان العرب يسمونها أيضاً مدينة الفرج) وجميعها قديمة ولم يحدثوا بها بالاسلام غير مدينة بجانة (Pechina) وهي المرية (نقل القلقشندى في صبح الأعشى عن تقويم البلدان أن مدينة مرسية هي إسلامية محدثة بنيت في أيام الأمويين) وهي على حدود رستاق البيرة وشنترين على ظهر البحر المحيط . وبالاندلس قلاع كثيرة ترد إلى مصر والمغرب وأكثر جهازهم الرقيق من الجوارى والغلمان ، من سبي أفرنجة وجليقية والخدم الصقالبة .

وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان من جلب (١) الأندلس ،

(١) ذكر لافي بروفسال في كتابه « اسبانية المسلمة في القرن العاشر » ان لفظه صقالبة كان يطلقها العرب على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربة . وأصل ذلك أن الجيوش الجرمانية عندما كانت تغزو بلاد السلاف كانت تكثر من السبي منهم وإذا رجعت من غزواتها بالأسرى باعتهم من عرب اسبانية . ولما كان هؤلاء الأرقاء من جنس السلاف سماهم العرب صقالبة ، وصارت لفظه الصقالبة تطلق على جميع هؤلاء الممالك . قال : وفي زمان الرحالة ابن حوقل في أواسط القرن العاشر كانوا يسمون في اسبانية صقالبة جميع الممالك الذين من أصل أوربي والذين كانوا يخدمون في الشرطة أو في الجند أو في قصر الخلافة . وقد ذكر أنه لما كان بجول في الأندلس ، لعهد الحكم المستنصر ابن الناصر ، لم يكن الصقالبة أى الممالك كلهم من الجنس السلافي بل كان منهم جم غفير من سبي « كلايره » و « لومباردية » و « كتلونية » و « غاليسية » وكان أكثر وصولهم إلى الأندلس بواسطة غزاة البحر من المغاربة والأندلسيين ، وأما الذين منهم كانوا يرشحون لخدمة الحرم في القصور فقد كانوا يخدمونهم . وكان تجار اليهود عندهم كما قال دوزى معامل للنخسى أهمها معمل فردون Verdune في فرنسة فكانوا بعد خصيمهم يبيعونهم في الأندلس ، ونظرا لانهم كانوا يأتون بهم صفاراً فكانوا يتعلمون العربية بسرعة وينشأون في الاسلام انتهى .

وأقول إن ترجمة لفظه سلاف بصقالبة آتية من كون أحد أصناف الأمة السلافية

لأنهم بها يخلصون ، ويفعل ذلك بهم تجار اليهود عند قرب البلد . وجميع ما يسبي إلى خراسان من الصقالبة فباقي على حالته ، ومُقدَّم على صورته ؛ وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من بحر الروم ممتدًّا على القسطنطينية واطرابزنده يشق بلدهم بالعرض ، فنصف بلدهم بالطول يسببه الخراسانيون ، والنصف الشمالي يسببه الأندلسيون ، من جهة جيليقية وافرنيجة وانكبردة Lombardia وقلورية Calabria وبهذه الديار من سببهم الكثير باق على حاله

وريو ^(١) Rio كورة عظيمة خصيبة ، ومدينتها « ارجدونة » ومنها كان عمر ابن حفصون الخارج على بنى أمية ، ونخص البلوط متصل بديار ابن حفصون كورة واسعة خصيبة . واسقفة رستاق حسن ومدينته غافق ^(٢) . وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن . وهم على دين النصرانية روم ، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ قوم منهم إلى حصن ، فطال جهادهم لأنهم في غاية العتو والتمرد ، وإذا خلعوا ربة الطاعة صعب ردهم إلا باستنصاحهم ، وذلك شىء يطول . وماردة وطليطلة من أعظم مدن الأندلس وأشدّها منعمة ^(٣) وثغور الجلالقة « ماردة » و« نفزة » ^(٤)

ومنهم من يسكن الآن في بوغسلافية ، يقال لها الاسكلافون Escklavon أو الاسكلافون فعرها العرب اسقلافون ، ثم جمعوها على صقالبة أو صقالب . قال المنبني :

يجمع الروم والصقالب والبلاغار فيها وتجمع الأجالا

(١) الغالب على العرب أنهم يقولون « ريه » لا « ريو » فابن حوقل تابع فيها لفظ الاسبانول .

(٢) سيأتي ذكرها كلها .

(٣) سيأتي إن شاء الله في القسم التاريخي من « الحلل السندسية » أخبار ثورات هاتين البلديتين على بنى أمية وهم في عنفوان أمرهم وريعان قوتهم .

(٤) نفزة بفتح فسكون فزاي بلدة بالأندلس جاء في معجم البلدان ما يلي : قال السلفي : نفزة بكسر النون قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ماجان المقيمون بشاطبه . ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن الفقيه النفزي أحد الأئمة على

و « وادى الحجارة » و « طليطلة » . ومدينة الجلالة مما يلي ثغور الأندلس يقال لها « سَمُور » (Zamora) . وعظيم الجلالة بمدينة يقال لها « ليون » (Léon) فيها سلطانهم وعدتهم بعد سَمُورة ، ومدينة يقال لها « أُوَيْت » (Ovido) وهي بعيدة عن بلد الاسلام ، وليس في أصناف الكفر الذين يلون الأندلس (يريد أن يقول أنهم يجاورون الأندلس) أكثر عددا من الأفرنج ، غير أن الذين يلون المسلمين منهم فئة ضعيفة شوكتهم ، قليلة عدتهم ، وفيهم إذا ملكوا طاعة ، وحسن نصيحة ، ومحاسن كثيرة ، وإليهم يرغب أهل الأندلس عن الجلالة بأولادهم ، والجلالة أصدق محاسن ، وأقل طاعة ، وأشد قوة ، وأكثر بأسا و بسالة ، وفيهم غدر . وهم في عرض طريق الأفرنجية .

وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ، وليس بجميع المغرب عندي لها شبيه في كثرة أهل وسعة رقعة ، وفسحة أسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد ، وكثرة حمامات وفنادق . ويزعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبي بغداد : وذلك أن عبد الرحمن بن محمد ^(١) ابنتى في غربها مدينة تعرف بالزهراء في سفح جبل يعرف بجبل « بطلس » ^(٢)

مذهب مالك وله تصانيف . وأبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزى الأندلسى سمع مشايخنا ودخل نيسابور واصهبان ، وخرج من بغداد سنة ٦١٣ ودخل شيراز . وأبو عبد الله محمد بن سليمان الميالى النفزى ، وهو ابن أخت غانم بن الوليد بن عمرو ابن عبد الرحمن الخزومى أبى محمد من الأندلس ، روى عن خالد . مات في شوال سنة ٥٢٥ ومولده سنة ٤٣٤ قال أبو الحسن المقدسى : وأبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله النفزى ، وله تصانيف مات في ربيع الآخر سنة ٥٣٩ وأبوه من أهل الرواية مات في سنة ٣٧ . اهـ

(١) يريد به عبد الرحمن الثالث الأموى الملقب بالناصر أعظم ملوك ذلك القطر بل . أعظم ملوك عصره

(٢) العرب يسمونه جبل العروس والمعروف أن قرطبة هى مبنية فى سفوح شاربات موريتا

وخط فيها الأسواق ، وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء : ألا من أراد أن يبني داراً أو يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربعائة درهم ، فتسارع الناس إلى العمارة ، فتكاثفت وتزايدوا فيها ، فكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء ، وانتقلوا ببیت مالهم وديوانهم وخزائنهم . وقد نقل جميع ذلك وأعيد إلى قرطبة تطهيراً منهم بها ، وتشاؤماً بموت رجالهم فيها ، ونهب سائر ذخائرهم .

وسمعت من غير ثقة ممن يستنبطن حالهم أن لعبد الرحمن بن محمد ، مما اتجه له جمعه من مال الأندلس وجباياتها ، من حقوقها وغير واجبها إلى سنة ٣٤٠ نحو عشرين ألف ألف دينار ، ولست أشك على ما يوجبہ النظر ، وتواطأ به الخبر ، في ما جمعه الحكم بعد هلاك أبيه ، من خدمه والمصادرین الذين كانوا في جملة ، وإلى وقتنا هذا عن أسباب الأندلس ولوازمها وجباياتها وخراجها وأعشارها وصدقاتها وجوايلها^(١) تمام أربعين ألف ألف دينار . وليس لهذا المال في وقتنا هذا بموضع من مواضع الأرض نظير ، غير ما في يد أبي تغلب الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فإنه مما يملئه الخاص والعام بالعراق وديار ربيعة ، جمع من تركة أبيه ما يضاويه ويزيد عليه زيادة بيّنة .

وقرطبة وإن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولا حقة به إن شاء الله ، وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ، وفيها كان مسكن سلطانهم قديماً ، وداره داخل سورها ، وأكثر أبواب هذه الدار مشرعة في البلد من غير جهة . ولها بابان يشرعان في نفس السور إلى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة ، والرصافة مساكن أعلى البلد متصلة بأسفلها من ربضها ، مشتبكة أبنيتها ، محيطة بها ، مستديرة عليها من شرقها وشمالها وغربها . فأما الجنوبية

(١) الجوالى جمع جلية وهي ما يؤخذ من أهل الذمة المقيمين في دار الاسلام

منها فهو إلى واديتها ، وعليها الطريق المعروف بالرصيف ، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها^(١) ، ومسجد جامعها جليل في نفس المدينة ، والحبس منه قريب ، وقرطبة هذه بأئنة بنفسها عن مساكن أرباضها ظاهرة ، ودُزْتُ بها في غير يوم في قدر ساعة ، وقد قطعت الشمس خمسة عشر دقيقة ماشياً .

وللزهاء أيضاً مسجد جامع دون جامع البلد في المحل والقدر والكبر ، وعلى سورها سبعة أبواب حديد ، وليس لها نظير بالمغرب فخامة حال ، وسعة تملك ، وابتدالاً لجيد الثياب والسكس ، وفراهة كراع ، وكثرة حلى ، وإن لم يكن لها في عيون كثير من الناس حسن بارع ، فليس لجيوشهم حلاوة في العين ، ولا علم بأفانين الفروسية وقوانينها ، ولا بالشجاعة وطرقها . وأكثرت ظفر جيوشهم في القتال بالكيد ، ومما يدل على ذلك أنى لم أر قط بها أحداً أجرى فرس فاره أو برزون هجين ، ورجلاه في الركب ، ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغنى عن أحدهم ، وكل ذلك لخوفهم من السقوط إلى فشل فيهم عند لقاءهم وتواطؤهم على نزع أرجلهم من ركبهم ، ولم تطبق قط جريدة عبد الرحمن ، ولا من سبقه من آله ، خمسة آلاف فارس ، فمن يقبض رزقه ويحتم عليه ديوانه لأنه مكفى المؤونة بأهل الثغور ، مما ينوبه من كيد العدو الذى يجاوره من الروم ، ولا عدو عليه سواهم ، وقلمما يكثر لهم ، وربما طرقة في الأحايين مراكب الروس والترك والصقالبة والبجناكية ، وهم جيل من أجيال الترك المجاورين لأرض الخزر والبلغار ، فأنسكوا في أعمال الأندلس وربما انصرفوا خاسرين .

وبالأندلس غير مجلب من التجارة كالزبيق والرقيق والحديد والرصاص ، وضروب من الفرش ، كقطع الأرمنى الحسن . وعندهم تعمل اللبود المشهورة في جميع الأرض بالجودة والصبغ الحسن ، ولهم من الألوان والأصباغ والحشائش التى يلون بها الحرير وأنواع الصوف والثياب ما ليس في بلد من بلدان الأرض له نظير حسناً

(١) سياتى الكلام مفصلاً عن خطط قرطبة ومعه أطلس خاص بها على ما كانت عليه أيام العرب

وكثرة . فأما أسعارهم فتنضاهى النواحي الموصوفة في الرخص ، وكثرة فواكههم مع طيبة فيها فكالمباحة التي لا تمن لها . وملابسهم نظيفة ، إلى طيب عيش يناله عوامهم وقل من يصير إليه أهله من أهلها إلا على الفاره من المركوب ، ولا يعرف فيهم المهنة والمشى إلا أهل الصنائع والأرذال ، وأكثر ركوبهم البغال وفيها يتفاخرون وبها يتكاثرون . ولهم منها نتاج في جزائرهم^(١) لم أر مثله في معادن البغال المذكورة ، ومواضعها المشهورة ، كرمينية والران ، ونتاج برزعة ، وباب^(٢) الأبواب ، وشروان شاه ، لأنها توضع عندهم ، وتنجب في بلدهم ، ويجلب إليهم أيضاً منها شيء حسن الشية ، عظيم الخلق ، كثير الثمن والطالب من مبورقة ، وهي جزيرة في بحرهم منقطعة تلى ناحية الفرنجة ، واسعة الخير ، كثيرة الثمار ، رخيصة الماشية ، لكثرة المراعى ، غزيرة النتائج والمواشى ، معدومة الجوائح ، قليلة الآفة ، فليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم في سائمهم ، ورأيت منها غير بغل بيع بمخمسة دینار ، وإليها ترغب ملوكهم وإياها يستوطنون ، ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما تبلغ قيمته منها المائة والمائتي دينار فأكثر من أن يحصى . وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة في حسن السير وسرعة المشى ، بل لعظم خلقها ، وحسن شياتها ، واختلاف ألوانها ، وجمال مناظرها وعلو ظهورها ، وصحة قوائمها .

ذكر المسافات بها من قرطبة إلى «مراد»^(٣) مرحلة ، ومن مراد إلى «غرغيره»^(٤) يوم ، ثم إلى اشبيلية يوم ، وهي مدينة كثيرة الخير والفواكه والكروم ، والتين خاصة ، وهي على وادى قرطبة (أى الوادى الكبير) . ومن اشبيلية إلى «لبلة»^(٥)

(١) لا سيما جزيرة مبورقة

(٢) يقال باب الأبواب للبلاد المسماة اليوم بطاغستان

(٣) هو عند الأَسبان Moratalla

(٤) الإدريسي يقول عن هذا المحل الغيران

(٥) هي التي يقول لها الأَسبان Niebla وهي وطن بنى الجند الفهريين الذين هم اليوم

يومان . وهي مدينة صالحة القدر ، عليها سور . ومنها إلى « جبل العيون » يومان ، وهي مدينة قديمة أزلية كثيرة الخير ، ومن جبل العيون إلى « ألب » (٢) ثلاثة أيام ، وهي أيضاً مدينة قديمة ذات سور ، ومن ألب إلى « أخشنة » (٣) وهي مدينة مشهورة عظيمة كثيرة الخير ، أربعة أيام ، ومن أخشنة إلى مدينة « شلب » (٤) ستة أيام ، ومن شلب إلى « قصر أبي دانس » خمسة أيام ، وهي مدينة صالحة خصيبة ، ومنها إلى المعدن ، وهو فم النهر ، إلى مدينة « لشبونة » (٥) يوم ، ومن لشبونة إلى شنترين (٧) يومان ، ومن شنترين إلى « يابرة » (٨) أربعة أيام ، ومن يابرة إلى « جليانة » يومان ، ومن جليانة إلى « ألبس » يوم ، ومن ألبس إلى « بطليوس » (٩) عدوة النهر ، يوم ، ومن بطليوس إلى « قنطرة » (١٠) السيف « أربعة أيام ، ومن قنطرة السيف إلى « ماردة » (١١) يومان ، ومن ماردة إلى « مدلين » (١٢) يومان ، ومن

بفاس وما زال يظهر منهم التوابغ سواء في الأندلس أو في المغرب . وكان نزوحهم من لبله إلى مالقة أولاً ثم إلى إشبيلية ثم إلى فاس

(١) Gebraleon عندالاسبانيول

(٢) هي Huelva عند الاسبانيول وأكثر ما يقول لها العرب « أونبه » ،

(٣) عند الاسبان Osconba

(٤) عندهم Selves

(٥) Abidanis

(٦) Lisbonne و Lisboa

(٧) Santarem

(٨) عند الاسبانيول Evora وهي بلدة سكانها اليوم ١٦ ألفاً ولكنها كانت ذات

بال في أيام العرب ولا تزال عليها المسحة العربية إلى اليوم وهي من أعمال البرتغال وسندكرها فيما بعد .

(٩) Badajoz كانت من حواضر الأندلس وسيأتي خبرها الوافي بقدرها

(١٠) عند الاسبانيول Alcantara

(١١) ماردة هي merida وهي أيضاً من أمهات الأندلس وسيأتي ذكرها

(١٢) مدلين هي medellin وكان الرومان يقولون لها metellinum

مدائين إلى « ترجيلة »^(١) يومان ، ومن ترجيلة إلى « قصراش »^(٢) يومان . ومن قصراش إلى « مكناسة » يومان . ومن مكناسة إلى « مخاضة البلاط » يوم ، ومن مخاضة البلاط إلى « طلبيرة »^(٣) خمسة أيام ، ومن طلبيرة إلى طليطلة ثلاثة أيام . ومن قرطبة إلى بطليوس في جهة المغرب على الجادة ست مراحل . ومن قرطبة إلى بلنسية اثنتا عشرة مرحلة . ومن قرطبة إلى المرية ، فرضة بجانة ، سبعة أيام ، ومن المرية إلى مرسية خمسة أيام .

وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالفلات والتجارات والسكروم والعمارة والأسواق والعيون والحمامات والحانات والمساجد الحسنة ، وفيها ما يزيد على بعضها في الحال والحياية والارتفاع والولاية والقضاة والمحلفين على رفع الأخبار ، وتأمل الأحوال ، وليس بها مدينة غير معمورة ، ذات رستاق فسيح إلى كور ، إلا ولها ضياع كثيرة ، وأكارة واسعة ، وماشية وسائمة ، وعدة وكراع وعبيد . ومن قرطبة إلى كركويه^(٤) ، مدينة فيها منبر ولها أسواق وبها حمامات وفنادق ، أربعة أيام ، وفي كل ليلة ينزل بقرية أهلة ، ومن كركويه إلى « قلعة رباح »^(٥) يوم ، وهي مدينة كبيرة ذات سور من حجارة ، ولها واد كبير هي عليه ، منه شربهم ، ويزرعون عليه ، وبها أسواق وحمامات ومتاجر ، والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح إلى « ملقون » مرحلة ، وهي مدينة على نهر ، لها سور من تراب ، وهي دون قلعة رباح في الكبر ، ونهرها يعرف باسمها ، ومنه شرب أهلها . ومنها إلى « أبلش » مرحلة ، وهي قرية فيها فندق وعين منها شربهم أهلة ، ومن

(١) ترجيله هي Trajillo

(٢) قصرش هي Caseres

(٣) Talavera de la Reina

(٤) Caracuel وقال بيلاج الأوبيطي Pélage D'oviedo هي - caraqui أى

كما يلفظها العرب

(٥) Calatrava

أبلش إلى طليطلة مرحلة ، و طليطلة مدينة كبيرة جليلة مشهورة ، أكبر من بجانة ، ذات سور منيع ، وهي على وادي تاجه ، وعليه قنطرة عظيمة ، ويقال إن طولها خمسون باعاً ، ويصير واديهما إلى الوادي المنصب إلى شنترة .

ومن طليطلة إلى « مغم » ^(١) مرحلة ، وهي قرية كبيرة بها معدن الطفل الأندلسي ، ومن مغم إلى « الغرا » مرحلة ، وهي مدينة كبيرة ذات سوق ومحال ، وتكون نحو وادي آش . ومن الغرا إلى وادي الحجارة ، وهي مدينة كبيرة ، وثغر مشهور الحال مسور بحجارة ، وهي ذات أسواق وفنادق وحمات وحاكم ومختلف وبها تسكن ولاية الثغور كأحمد بن يعلى وغالب ، وعليها أكثر جهاد جليقية ، ومنها إلى « شعراء القوارير » مرحلة ، وبها منهل تنزله الرفاق ، ومن شعراء القوارير إلى « مدينة سالم » مرحلة ، ومن مدينة سالم إلى مدينة غالب بن عبد الرحمن ، ولها سور عظيم ورساتيق واقليم واحد وماشية ، رفهة في جميع أسبائها ، وهي أكثر الأندلس حرباً وغزواً . انتهى كلام ابن حوقل .

قول ياقوت الحموي

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان :

قال ابن حوقل التاجر الموصلي ، وكان قد طوف البلاد ، وكتب ما شاهده : أما الأندلس فجزيرة كبيرة ، فيها عامر وغامر ، طولها نحو الشهر ، في نيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال . وعرض فم الخليج الخارج من البحر المحيط قدر اثني عشر ميلاً ، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادرهم . قال : وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس . وإلى « طبرقة » إلى « جزائر مزغناي » ثم إلى « أنكور » ثم إلى « سبتة » ثم إلى « أربلي » ثم إلى البحر المحيط . وتتصل

الأندلس في البر الأصغر من جهة جليقية ، وهو جهة الشمال ، ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها ، والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها من حد الجلالة على كورة « شنترين » ^(١) الى « اشبونة » ^(٢) ثم إلى جبل الغور ، ثم إلى ما لديه من المدن إلى جزيرة جبل طارق ، المحاذي لسبته ، ثم إلى « مالقة » ثم إلى « المرية » فرضة « بجانة » ^(٣) ثم إلى بلاد « مرسية » ^(٤) ثم إلى « طرطوشة » ^(٥) ثم تتصل ببلاد الكفر مما يلي البحر الشرقي في ناحية أفرنجة ، ومما يلي المغرب ببلاد « عَجَسْكَس » ^(٦) وهم جيل من الانكبرد ^(٧) ثم إلى بلاد « بسكونس » ^(٨) ورومية الكبرى في وسطها ، ثم ببلاد الجلالة حتى تنتهي إلى البحر المحيط ووصفها بعض الأندلسيين بأتم من هذا وأحسن . وأنا أذكر كلامه على وجهه قال : هي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث ، قد أحاط بها البحران

(١) Santarem (٢) Lisbonne (٣) Béchina (٤) Marcie

(٥) Tortose

(٦) نظن أنه يعني بهذا الاسم الجيل الذي يقال له عندهم Cuskaldonac والاسبان

يقولون vascongados

(٧) يريدون بهم اللومباردين وقد جاء تعريفه الانكبرده في معجم البلدان قال :

الانكبرده بالفتح ثم السكون وفتح الكاف وضم الباء الموحدة وسكون الراء ودال مهملة وهاء بلاد واسعة من بلاد الافرنج بين القسطنطينية والاندلس تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذة جبل القلال وتمر على محاذة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد فلوريه انتهى . قلت هذا الوصف لا ينطبق إلا على مملكة إيطالية الحاضرة الممتدة من جبل القلال غرباً وهو الجبل المشرف على مدينة نيس إلى بلاد كالبرة شرقاً وهي التي يعنها بقوله فلورية . عليك لمعرفة جبل القلال بمراجعة كتابنا « غزوات العرب في أوربة » .

(٨) هم الباسك في شمال أسبانية وجنوبي فرانسة والعرب يقولون لهم الباشكنس أو الباسكنس ولغتهم يقال لها vascuence ومن هذه اللفظة قال لهم العرب ذلك لأن الفاء (v) هي دائماً باء عند العرب .

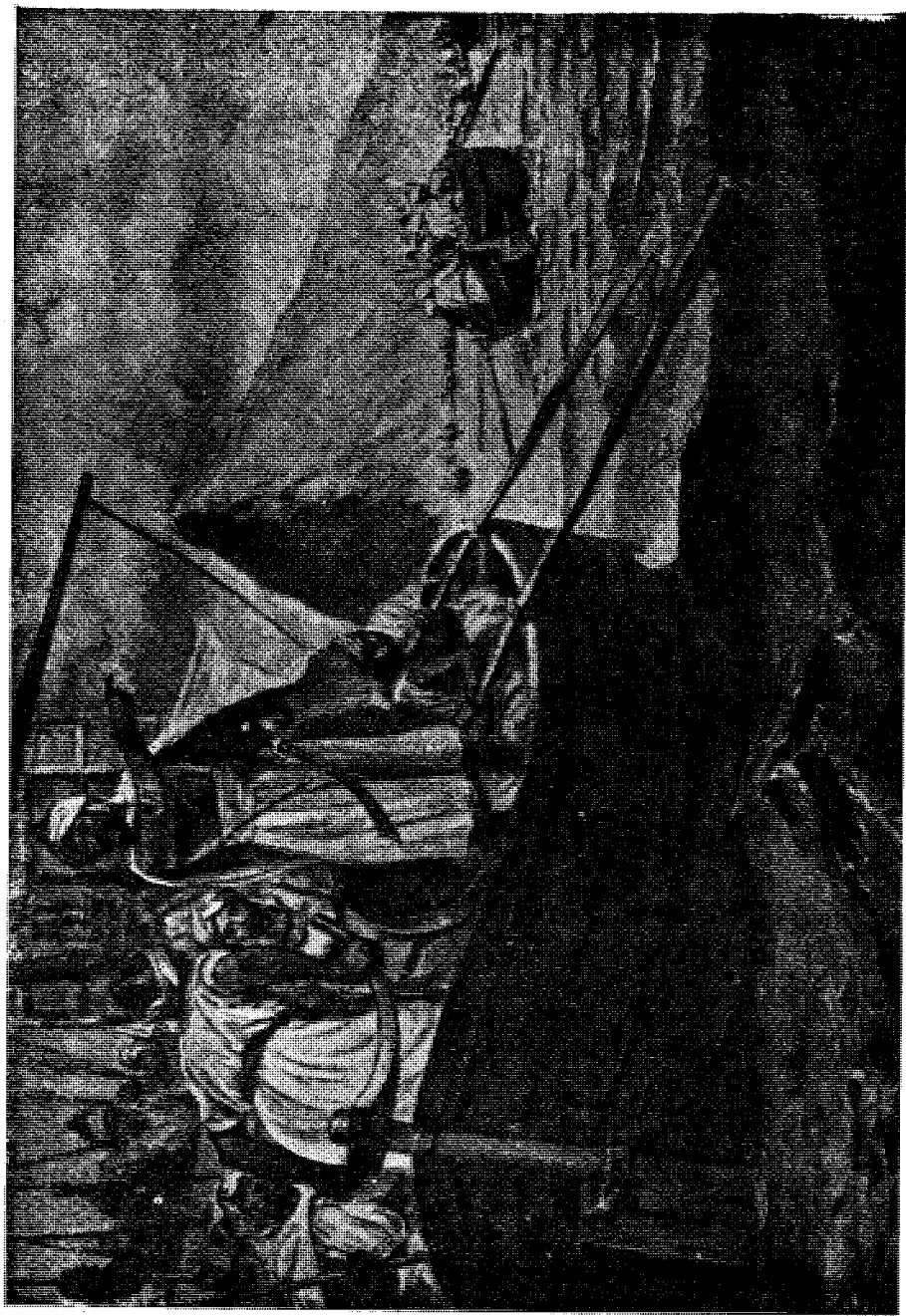
المحيط والمتوسط ، وهو خليج خارج من البحر المحيط ، قرب سلا من بر البربر . فالركن الأول هو في هذا الموضع الذى فيه صنم قادس ، ^(١) وعنده مخرج البحر المتوسط الذى يمتد إلى الشام ، وذلك من قبلى الأندلس . والركن الثانى شرق الأندلس بين مدينة « أربونة » ^(٢) ومدينة « بُرديل » ^(٣) وهى اليوم بيد الافرنج بازاء جزيرتي « ميورقة » و« منورقة » مجاورة من البحر بين المحيط والمتوسط ومدينة أربونة تقابل البحر المتوسط ، ومدينة برديل تقابل البحر المحيط . والركن الثالث هو ما بين الجنوب والغربى من حيز جليقية ، حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيه الصنم العالى المشبه بصنم قادس ، وهو البلد الطالع على بريطانيا ^(٤) . فالضام الأول منها أوله حيث مخرج البحر المتوسط الشامى من البحر المحيط ، وهو أول الزقاق فى موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مصمودة بازاء سلا فى الغرب الأقصى من البر المتصل بأفريقية وديار مصر ، وعرض الزقاق ههنا اثنا عشر ميلا ، ثم تمر فى القبلة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس المقابلة لمدينة سبتة . وعرض الزقاق ههنا ثمانية عشر ميلا . وطوله فى هذه المسافة إلى ما بين جزيرة طريف وقصر مصمودة إلى المسافة التى ما بين الجزيرة الخضراء وسبتة نحو العشرين ميلا . ومن ههنا يتسع البحر الشامى إلى جهة المشرق ، ثم يمر من الجزيرة الخضراء إلى مدينة « مالقة » ^(٥) إلى حصن « المنكب » ^(٦) إلى مدينة « المرية » ^(٧) إلى قرطاجة ^(٨) الخلفاء ، حتى تنتهى إلى جبل « قاعون » ^(٩) الموفى على مدينة « دانية » ^(١٠) .

(١) على ربوة من الأرض كان هذا الصنم إلى جنوبى المكان المسعى الآن سان فرناندو وهو من بناء الفينيقيين وكان خبر بنائه محفوراً على أعمدة الفولاذ بأحرف فينيقية . وقد عمر فينيقيو صور قادس من منذ ١١٠٠ قبل المسيح ثم فى سنة ٥٠١ قبل المسيح فتحها فينيقيو قرطاجنة .

(٢) Narbonne فى جنوبى فرنسا (٣) Beurdeaux (٤) جزيرة انكلترا

(٥) Malaga (٦) Amonacar (٧) Almeria (٨) Cartagène

(٩) Caoun (١٠) Dénia



مردود العرب لأول مرة من المغرب إلى الأندلس سنة ٧١٠ ب.م

ثم يعطف من دانية إلى شرق الأندلس ، إلى حصن « قليره » ^(١) إلى بلنسية .
و يمتد كذلك شرقاً إلى « طَرَكَوَنَة » ^(٢) إلى « برشلونة » ^(٣) إلى « اربونة » إلى
البحر الرومي ، وهو الشامي ، وهو المتوسط .

والضلع الثاني مبدؤه كما تقدم من جزيرة « طريف » ^(٤) آخذاً إلى الغرب في
الحوز المتسع الداخل في البحر المحيط ، فيمر من جزيرة طريف إلى « طرف الأغر » ^(٥)
إلى جزيرة « قادس » ^(٦) وههنا أحد أركانها . ثم يمر من قادس إلى بر المائدة ^(٧) ،
حيث يقع نهر إشبيلية في البحر ، ثم إلى جزيرة « شلطيش » ^(٨) إلى وادي « يانة » ^(٩)
إلى « طبيرة » ^(١٠) ، ثم إلى « شنترية » ^(١١) إلى « شلب » ^(١٢) ، وهنا عطف
إلى أشبونة وشنترين ، وترجع إلى طرف العرف ، مقابل شلب . وقد يُقطع البحر من
شلب إلى طرف العُرف مسيرة خمسين ميلا ، وتكون اشبونة وشنترية وشنترين على
يمين من حَوْز طرف العُرف ، وهو جبل منيف داخل في البحر نحو أربعين ميلا ، وعليه
كنيسة الغراب ^(١٣) المشهورة ، ثم يدور من طرف العرف مع البحر المحيط فيمر على
حوز « الريحانة » وحوز « المَدْرَة » وسائر تلك البلاد مائلا إلى الجوف ^(١٤) ، وفي
هذا الحيز هو الركن الثاني .

(١) Cullera (٢) Tarracone (٣) Barcelonne (٤) Tarifa

(٥) Trafalgar (٦) Cadix (٧) Almeida (٨) Saltés

(٩) Guadiana (١٠) Tavira (١١) Cintra (١٢) Silves

(١٣) يتكرر ذكر كنيسة الغراب في جغرافيات العرب وتحرير خبرها وجود
أسطورة مألها أن الرومان في صدر النصرانية قتلوا قديساً مسيحياً اسمه صان فنان
في بلنسية وطرحوا تجاليد في البرية لناكلها الوحوش فجاء غراب وحفظه من أكل
الضواري له ولا نعلم لأي سبب أريد نقل جثة هذا القديس من شرق الأندلس إلى
غربها ؟ وإنما نعلم أنه في أيام عبد الرحمن الداخل صدر الأذن للنصارى بنقلها إلى كنيسة
في طرف مقاطعة الغرب على البحر المحيط .

(١٤) الجوف في اصطلاح إخواننا المغاربة والاندلسيين هو الشمال وقد فكرت
كثيراً في وجه هذا الاصطلاح فلم يظهر لي شيء يصح التعويل عليه ولا عثرت على نص

والضلع الثالث ينعطف في هذه الجهات من الجنوب إلى الشرق ، فيمر على بلاد جليقية وغيرها حتى ينتهى إلى مدينة برديل (Bordeaux) على البحر المحيط المقابل

يفيد سبب تسميتهم الشمال بالجوف وقد سألت أهل الذكر من أعتقد بعلمهم فأبدي كل واحد ما عنده : فالسيد علال الفاسي يظن أنه لما كان الجوف واقعاً شمالي مكة فقد غلب على أهل الحجاز أن يقولوا لكل شمال جوفاً ثم سرى هذا الاستعمال من الحجاز إلى المغرب والأندلس . وهو وجه وجيه لأن مدينة الجوف هي في وسط البرية إلى الشمال من الحجاز وإلى الغرب من العراق وإلى الشرق من الشام ، وكما غلب على الناس جميعاً في الشام أن يقولوا للجنوب قبلة نظراً لكون الكعبة هي إلى الجنوب من الشام يجوز أن يكون الحجازيون سمو الشمال جوفاً لكون الجوف ونواحيها هي في شمالهم وأنت ترى أنهم يقولون للشمال شاماً بغلبة الاصطلاح المبني على كون الشام هي إلى الشمال من الحجاز وفي كثير من الصكوك تجدهم يكتبون : يحده من القبلة كذا ومن الشام كذا وقد أجبني الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي بأنه يستحسن رأى الأستاذ علال الفاسي في هذه اللفظة ويقول إنهم في الحجاز يعبرون عن الشمال بالشام وإنه وجدت في أوراق الطابو التركية القديمة ما ورد فيه لفظة « يمني » بمعنى الجنوب فانهم في الحجاز نفسه كما عبروا عن الشمال بالشام فقد عبروا عن الجنوب باليمن وهو شيء طبيعي بالنسبة لهم ثم قال الشيخ المغربي : إلا أنه يوجد في الأندلس بلدان باسم الجوف كما يظهر من معجم البلدان أحدهما في غربي الأندلس على البحر المحيط والآخر في إقليم كوشونية فالى أى جوف انتسب هذا الاصطلاح ؟ هل هو الجوف الذى في الشرق أم الجوف الذى في الأندلس ؟ وأما الأستاذ الاب انسطاس الكرملى فقد أجبني بما يلي : الجوف : الشمال وهو من اصطلاح المغاربة جاء في كتاب الادريسي وفي اللمحة البدرية : وسبب هذه التسمية هو ان الذين سمو بهذا الاسم ربح الشمال أو الشمال نفسه هم سكان البلاد الواقعة في جنوبي بحر الروم فاذا هبت الشمال عندهم جاءتهم من « جوف » ذبالك البحر فلذلك عرفوها بهذا الاسم كأنهم أشاروا إلى أصل مهمها فحذفوا واكتفوا باللفظ الظاهر الاشارة إليه انتهى . أما دوزى في كتابه « متمم المعاجم العربية » ذكر في صفحة ٥٣٥ ما يلي : جوفى : شمالي . هذا المعنى كثير الاستعمال لدى المؤلفين المغاربة ربح جوفى : ربح الشمال انتهى . قلت : أما في الأندلس فلا يكادون يعبرون عن الشمال إلا بالجوف .

لأربونة على البحر المتوسط ، وهنا هو الركن الثالث ، وبين أربونة وبرديل الجبل الذى فيه هيكل الزهرة ، الحاجز بين الأندلس وبين بلاد أفرنجة العظمي ، ومسافته من البحر نحو يومين للقاصد . ولولا هذا الجبل لالتقى البحرين ، ولكانت الأندلس جزيرة منقطعة عن البر ، فاعرف ذلك ! فان بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها البحر في جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة ، وائس الأمر كذلك ، وإنما سميت جزيرة بالغلبه ، كما سميت جزيرة العرب وجزيرة « أقور »^(١) وغير ذلك وتكون مسيرة دورها أكثر من ثلاثة أشهر ، ليس فيها ما يتصل بالبر إلا مقدار يومين كما ذكرنا وفي هذا الجبل المدخل المعروف بالأبواب^(٢) الذى يدخل منه من بلاد الأفرنج إلى الأندلس ، وكان لا يرام ولا يمكن أحداً أن يدخل منه لصعوبة مسلكه فذكر بطليموس أن قَلَوْ بَطْرَة ، وهى امرأة كانت آخر ملوك اليونان ، أول من فتح هذه الطريق وسهلها بالحديد والخل .

قلت : ولولا خوف الاضجار والاملال لبسطت القول فى هذه الجزيرة ، فوصفها كثير ، وفضائلها جمة ، وفى أهلها أئمة وعلماء وزهاد ، ولهم خصائص كثيرة ، ومحاسن لا تحصى ، وإتقان لجميع ما يصنعونه ، مع غلبة سوء الخلق على أهلها ، وصعوبة الاتقياد^(٣) . وفيها مدن كثيرة ، وقرى كبار ، يحى ذكرها فى أما كتبها من هذا الكتاب حسب ما يقتضيه الترتيب إن شاء الله تعالى ، وبه العمون والعصمة انتهى كلام ياقوت فى المعجم .

- (١) هى إقليم الموصل وآمد وديار بكر وديار ربيعة وما إليها .
- (٢) ولذلك عرف حتى عند العرب بلفظة « البرتات » أى الأبواب بلغات الافرنج
- (٣) وهذا هو الأمر الذى كان سبب ضياع هذا الفردوس على العرب فاحصله عرب الاندلس بحزمهم وحسن ترتيبهم أضاعوه بشدة لإنشاقهم واستمرار تشغيهم ولله أمر هو بالغه .

قول الشريف الإدريسي

وقال الشريف الإدريسي في كتابه « نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق » وهو أشهر جغرافية عربية - الكلام الآتي :

الجزء الأول من الأقليم الرابع مبدأوه من المغرب الأقصى حيث البحر المظلم ، ومنه يخرج خليج البحر الشامي ماراً إلى المشرق ، وفي هذا البحر المرسوم بلاد الأندلس المسماة باليونانية « أشبانية » وسميت جزيرة الأندلس بجزيرة لأنها شكل مثلث ، وتضيق من ناحية المشرق حتى يكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بجزيرة الأندلس ٥ أيام . ورأسها العريض نحو من ١٧ يوماً . وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء المعمور من الأرض ، محصور في البحر المظلم ، ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ^(١) ولا وقف بشر منه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره وتعاضم أمواجه ، وكثرة أهواله ، وتسلسط دوابه ، وهيجان رياحه ، وبه جزائر كثيرة ، ومنها معمورة ومغمورة . وليس أحد من الرابنين يركبه عرضاً ولا ملججاً ، وإنما يمر منه بطول الساحل ، ولا يفارقه . وأمواج هذا البحر تندفع منفلقة كالجبال ، لا ينكسر ماؤها ، وإلا فلو تنكسر موجه لما قدر أحد على سلوكه . والبحر الشامي ^(٢) فيما يحكي كان بركة منحازة مثل ماهو عليه الآن بحر طبرستان ^(٣) لا تتصل مياهه بشيء من مياه البحر .

وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الأضرار . وأهل الأندلس أيضاً يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة ، إلى أن كان زمان الاسكندر ^(٤) ووصل إلى أهل الأندلس ، فاعلموه بما هم

(١) خلفه بر اسمه أمريكا حاول العرب العبور إليه من قبل وقيل وصلوا إليه

(٢) أي المتوسط

(٣) أي بحر الخزر أو قزوين Caspienne

(٤) من عادة مؤرخينا نقل روايات العامة ومن عادة العامة أنهم كلما رأوا أثراً

عليه من التناكر مع أهل السوس ، فأحضر الفعلة والمهندسين ، وقصد مكان الزقاق ، وكان أرضاً جافة ، فأمر المهندسين بوزن الأرض ، ووزن سطوح ماء البحرين ، ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف علوه على البحر الشامى بشىء يسير ، فرفعوا البلاد التى على الساحل من بحر الشام ، ونقلها من أخفض إلى أرفع . ثم أمر أن تحفر الأرض التى بين طنجة وبلاد الأندلس ، فحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التى فى أسفل الأرض ، وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجيار ا فراغاً ، وكان طول البناء ١٣ ميلاً ، وهو الذى كان بين البحرين من المسافة والبعد ، وبنى رصيفاً آخر يقابله مما يلي أرض طنجة . وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط . فلما أكمل الرصيفين حفر للماء من جهة البحر الأعظم ، فمرّ ماؤه بسيله وقوته بين الرصيفين ، ودخل البحر الشامى ، ففاض ماؤه ، وهلكت مدن كثيرة كانت على الشطين معاً ، وغرق أهلها ، وطمى الماء على الرصيفين نحو ١١ قامة ، فأما الرصيف الذى يلي بلاد الاندلس فانه يظهر فى أوقات صفاء البحر ، فى جهة الموضع المسمى بالصفيحة ظهوراً بينياً ، طوله على خط مستقيم (هنا لم ندين الكتابة) وقد رأيناه عياناً ، وجربنا على طوله مع هذا البناء . وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة ، ووسط هذا البناء يوافق الموضع الذى فيه حجر الأيل على البحر .

وأما الرصيف الآخر الذى بناه الاسكندر فى جهة بلاد طنجة ، فان الماء حمله فى صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض ^(١) ، وما استقر ذلك منه حتى وصل إلى

متوغلا فى القدم أو خيراً أحاطت به الظلم نسبهه إلى الاسكندر أو إلى هرقل أو إلى العاقلة أو إلى الجن وهلم جرا .

(١) علماء الجيولوجية يذهبون إلى أن إتصال البحر المحيط بالبحر المتوسط كان نتيجة زلازل ونوازل طبيعية بها الله تعالى مرج البحرين يلتقيان وإن ذلك لم يكن من عهد شديد التوغل فى القدم بالنسبة إلى الادوار الجيولوجية وعليه فتكون حكاية الاسكندر وفتح بحر الزقاق ليمنع الغارات بين أهل السوس وأهل الاندلس هى من جملة الخرافات التى يروى مثلها فى كل مكان عن الاسكندر ولو كان منع الغارات

الجبال من كلتي الناحيتين . وطول هذا المجاز المسمى بالزقاق ١٣ ميلا ، وعلى طرفه من جهة المشرق المدينة المسماة بالجزيرة الخضراء ، وعلى طرفه من ناحية المغرب المدينة المسماة بجزيرة طريف . ويقابل جزيرة طريف في الضفة الثانية من البحر مرسى القصر المنسوب لمصمودة ، ويقابل الجزيرة الخضراء في تلك العدو مدينة سبتة . وعرض البحرين سبتة والجزيرة الخضراء ١٨ ميلا ، وعرض البحرين جزيرة طريف وقصر مصمودة ١٣ ميلا وهذا البحر في كل يوم وليلة يجزر مرتين ، ويمتلى مرتين ، فعلا دائماً ، ذلك تقدير العزيز الحكيم .

وأما على ضفة البحر الكبير من المدن الواقعة في هذا البحر المرسوم فهي « طنجة » و « سبتة » و « نكور » و « بادس » و « المزمة » و « مليلة » و « هنين » و « بنو زار » و « وهران » و « مستفانم » فأما مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء ، وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ، طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل ، ويتصل بها من جهة المغرب ، وعلى ميلين منها ، جبل موسى وهذا الجبل منسوب لموسى بن نصير ، وهو الذي كان على لديه افتتاح الأندلس في صدر الإسلام ، وتجاوره جنات وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، وقصب سكر ، وأترج يتجهز به إلى ما جاور سبتة من البلاد ، لكثرة الفواكه بها . ويسمى هذا المكان الذي جمع هذا كله (بليونش)^(١) . وبهذا الموضع مياه جارية ، وعيون

والحروب بين الشعوب يقتضى أن يحال بين الفريقين المتغاورين بيجر لامتلات كرة الارض ترعا وخلقاً وما الناس بعد ذلك يبالغى مرادهم من السلام لانه قد يغير بعضهم على بعض بالسفن وكم من أمة أغارت على أمة أخرى وبينهما أبحر محيطة وأبعاد لا يكاد يتصورها العقل فالحدث الذى رووه عن الاسكندر هو غريب ، وأغرب منه ذلك التعليل الذى جعلوا وصل ما بين البحرين من أجله

(١) مما أرويه عن بليونش هذه أنها جنة غناه ولكن طريقها في غاية الوعورة ولهذا قال أحدهم :

بليونش جنة ولكن طريقها يقطع النياط
كجنة الخلد لا يراها إلا الذى جاوز الصراطا

مطرده ، وخصب زائد ، ويلى المدينة من جهة المشرق جبل عال يسمى « جبل المنية »^(١) وأعلاه بسيط ، وعلى أعلاه سور بناه محمد بن أبي عامر عند ما جاز إليها من الأندلس وأراد أن ينقل المدينة إلى أعلى هذا الجبل فمات عند فراغه من بنيان أسوارها ، وعجز أهل سبتة عن الانتقال إلى هذه المدينة المسماة بالمنية ، فكشوا في مدينتهم ، وبقيت المنية خالية ، وأسوارها قائمة ، وقد نبت حطب الشعراء فيها . وفي وسط المدينة بأعلى الجبل عين ماء لطيفة لكنها لا تجف البتة ، وهذه الأسوار التي تحيط بمدينة المنية تظهر من عدوة الأندلس لشدة بياضها . ومدينة سبتة سميت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة ، والبحر يطيف بها من جميع جهاتها ، إلا من ناحية المغرب ، فإن البحر يكاد يلتقي بعضه ببعض هناك ، ولا يبقى بينهما إلا أقل من رمية سهم ، واسم البحر الذي يليها شمالا بحر الزقاق ، والبحر الآخر الذي يليها في جهة

(١) دوزى يقرأ هذه الجملة « جبل المينا ، لا جبل المنية ونحن نقول لا مانع من ذلك ولكن يكثر تسمية المصايف والمرتبات عند العرب باسم « منية ، بالكسر وفي مصر من هذه المنيات ما لا يحصى منها ما هو بالمفرد ومنها ما هو بالثنية ومنها ما هو بالجمع . وقد عد الزيدى في التاج نحواً من مائة وتسعين منية بالمفرد . وزيادة على ثلاثين بالثنية هكذا : منيتا طاهر وأمامه . منيتا فانتك ومزاح ، منيتا السويد والطبل الخ وعدة منيات أو منيات بالجمع هكذا : منى مرزوق ، منى جعفر ، منى مغنوج ، منى غصين الخ وكل هذا في بر مصر . وفي الشام بعض « منيات ، أيضا منها « المنى ، بقرب طرابلس الشام وهي تلفظ بالامالة على عادة الشام . وفي الأندلس عدة منى ذكر منها الزيدى منية عجب ، منها خلف بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٥ ولم يذكر غيرها . ولكن لافي بروفنسال في كتابه « اسبانية المسلمة في القرن العاشر ، قال إن بالأندلس عدة أما كن اسم الواحد منها « منية ، وإنما يلفظها الأندلسيون بالضم ويظن أن أصل اللفظة يوناني ثم دخلت في لغة القبط بمعنى ميناء أو محط أو دير . وكان في قرطبة « منية الناعورة ، للخليفة الناصر وهو متنزه معروف و « منية عبد الله ، و « منية المغيرة ، و « منية عجب ، ولم يذكر ياقوت منى الأندلس سوى منية عجب ولم يذكر من منى مصر إلا منية أبي الخصيب وبضع عشرة أخرى

الجنوب يقال له بحر بسول ، وهو مرسى حسن يُرْسَى فيه فيُكَيَّن من كل ريح .
 وبمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يعدلها بلد في إصابة الحوت وجلبه ، ويصاد بها
 من السمك نحو من مائة نوع ، ويصاد بها السمك المسمى بالتنين الكبير ، وصيدهم
 له يكون زرقاً بالرماح وهذه الرماح لها في أسنتها أجنحة بارزة تنشب في الحوت
 ولا تخرج ، وفي أطراف عصيها شرائط القنب الطوال ، ولهم في ذلك دربة وحكمة
 سبقوا فيها جميع الصيادين .

ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان الذي لا يعدله صنف من صنوف المرجان
 المستخرج بجميع أقطار البحار . وبمدينة سبتة سوق لتفصيله وحكّه وصنعه خرزاً
 وثقبه وتنظيمه ، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد ، وأكبر ما يحمل إلى « غانة »
 وجميع بلاد السودان ، لأنه في تلك البلاد يستعمل كثيراً . ومن مدينة سبتة إلى قصر
 مصمودة في الغرب ١٣ ميلاً وهو حصن كبير على ضفة البحر ، تنشأ به المراكب والحراريق
 التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس ، وهي على رأس الجاز الأقرب إلى ديار الأندلس
 ومن قصر مصمودة إلى مدينة طنجة غرباً ٢٠ ميلاً . ومدينة طنجة قديمة أزلية ،
 وأرضها منسوبة إليها ، وهي على جبل عال مطل على البحر ، وسكنى أهلها منه في
 سند الجبل إلى ضفة^(١) البحر ، وهي مدينة حسنة لها أسواق وصناع ، وفعلة وبها
 انشاء المراكب ، وبها أقالع وحط ، وهي على أرض متصلة بالبر فيها مزارع وغلات
 وسكانها برابر ينسبون إلى صنهاجة . ومن مدينة طنجة ينعطف البحر المحيط الأعظم
 آخذاً في جهة الجنوب إلى أرض « تشمس » وتشمس كانت مدينة كبيرة ذات
 سور من حجارة يشرف على نهر « سفدر » وبينها وبين البحر نحو ميل ، ولها قرى
 عامرة باصناف من البربر ، وقد أفنتهم الفتن وأبادتهم الحروب المتوالية عليهم . ومن
 تشمس إلى قصر عبد الكريم ، وهو على مقربة من البحر ، وبينه وبين طنجة ،
 (١) سند الجبل ما قالك منه وعلا عن السفح فأما الآن فقد ارتفعت طنجة إلى
 أعلى الجبل وهي مدينة حسنة كما قال ، عمرها الله بأهلها

يومان ، وقصر عبد الكريم مدينة صغيرة على ضفاف نهر « لكس » وبها أسواق على قدرها يباع بها ويشترى ، والأرزاق بها كثيرة والرخاء بها شامل . ومن مدينة طنجة إلى مدينة « أزيلا » مرحلة خفيفة جداً ، وهي مدينة صغيرة جداً ، وما بقي منها الآن إلا نزر يسير ، وفي أرضها أسواق قريبة . وأزيلا هذه ، ويقال أصيلا ، عليها سور . وهي متعلقة على رأس الخليج المسمى بالزقاق ، وشرب أهلها من مياه الآبار . وعلى مقربة منها في طريق القصر مصب نهر سفدد ، وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب ، ومنه يشرب أهل تشمس التي تقدم ذكرها . وهذا الوادي أصله من مائتين يخرج أحدهما من بلد « ذنهاجة » من جبل « البصرة » والماء الثاني من بلد كتامة ، ثم يلتقيان ، فيكون منهما نهر كبير . وفي هذا النهر يركب أهل البصرة في مراكبهم بأمتعتهم حتى يصلوا البحر فيسيروا فيه حيث شاءوا . وبين تشمس والبصرة دون المرحلة على الظهر . والبصرة ^(١) كانت مدينة مقتعدة عليها سور

(١) بعد أن ذكر ياقوت البصرة المشرقية في معجم البلدان عاد فذكر البصرة المغربية فقال : بلد في المغرب في أقصاه قرب السوس خربت . قال ابن حوقل وهو يذكر مدن المغرب من بلاد البربر : والبصرة مدينة مقتعدة عليها سور ليس بالمنيع ولها عيون خارجها عليها بساتين يسيرة وأهلها ينسبون إلى السلامة والخير والجمال وطول القامة واعتدال الخلق وبينها وبين المدينة المعروفة بالأقلام أقل من مرحلة وبينها وبين مدينة يقال لها تشمس أقل من مرحلة أيضاً . ولما ذكر المدن التي على البحر قال : ثم تعطف على البحر المحيط يساراً وعليه من المدن قريبة منه وبعيدة بحماية ، و « ساوران » و « الحجى » على نحر البحر ودونها في البر مشرقاً « الأقلام » ، ثم البصرة وقال البشارى : البصرة مدينة بالمغرب كبيرة كانت عامرة وقد خربت وكانت جليلة . وكان قول البشارى هذا في سنة ٣٧٨ . وقرأت في كتاب المسالك والممالك لآبى عبيد البكرى الأندلسى : بين فاس والبصرة أربعة أيام قال : والبصرة مدينة كبيرة وتعرف ببصرة الكتان كانوا يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجاراتهم بالكتان وتعرف أيضاً بالحرام لأنها حرام التربة وسورها هبني بالحجارة والطوب وهي بين شرفين ولها

ليس بالحصين ، ولها قرى وعمارات وغلات ، وأكثر غلاتها القطن والقمح ، وسائر الحبوب بها كثيرة ، وهي عامرة الجهات ، وهوؤها معتدل ، وأهلها أعفاء ، ولهم جمال وحسن أدب . وعلى نحو ١٨ ميلا مدينة « باب أقلام » ^(١) وهي من بناء عبدالله بن ادريس ، بين جبال وشعار متصلة ، والمدخل إليها من مكان واحد . وبالجملة فإنها خصيبة كثيرة المياه والفواكه ، وعلى مقربة منها مدينة « قرت » وهي على سفح جبل منيع ، لا سور عليها ، ولها مياه كثيرة وعمارات متصلة . وأكثر زراعتهم القمح والشعير وأصناف الحبوب . وكل هذه البلاد منسوبة إلى بلاد طنجة ومحسوبة منها . وفي جنوب البصرة على نهر « سبو » الآتي من ناحية فاس قرية كبيرة كالمدينة الصغيرة يقال لها « ماسنة » وكانت قبل هذا مدينة لها سور وأسواق وهي الآن خراب . وعلى مقربة منها مدينة « الحجر » وكانت مدينة محدثة لآل ادريس ، وهي على جبل شامخ الذرى ، حصينة منيعة ، لا يصل أحد إليها إلا من طريق واحد ، والطريق صعب المجاز ، يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهي خصيبة رفة كثيرة الخيرات ، وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمارات ، ومن مدينة سبتة

عشرة أبواب وماؤها زعاق وشرب أهلها من بئر عذبة على باب المدينة وفي بساتينها آبار عذبة ونساء هذه البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهن . قال أحمد بن فتح المعروف بابن الحزاز التهرقي يمدح أبا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم .

قبح الاله الدهر إلا قينة بصرية في حمرة وبياض
 الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها والكشع غير مفاض
 في شكل مرجى ونسك مهاجر وعفاف سنى وسمت إياض
 تبهرت ، أنت خلية وبرقة عوضت منك ببصرة فاعتاضى
 لا عذر للحمرء في كفى بها أو تستفيض بأبجر وحياض

قال : ومدينة البصرة مستحدثة أسست في الوقت الذى أسست فيه أصيلة أو قريامنة

(١) ورد ذكرها في نقلنا عن ياقوت هنا

السابق ذكرها بين جنوب وشرق إلى حصن « تطاون » مرحلة صغيرة ، وهو حصن في بسيط الأرض ، وبينه وبين البحر الشامى خمسة أميال . وتسكنه قبيلة من البربر تسمى بـمُحْكَسَة^(١) . ومنه إلى « أنزلان » وهو مرسى فيه غمارة ، نحو من ١٥ ميلا وأنزلان مرسى عامر ، وهو أول بلاد غمارة . وبلاد غمارة جبال متصلة بعضها ببعض كثيرة الشجر والغياض وطولها نحو من ثلاثة أيام . ويتصل بها من ناحية الجنوب جبال « الكواكب » وهي أيضاً جبال عامرة كثيرة الخصب ، وتمتد في البرية مسيرة ثلاثة أيام حتى تنتهى قرب مدينة فاس . وكان يسكنها غمارة إلى أن طهر الله منهم الأرض ، وأفى جمعهم ، وخرب ديارهم ، لكثرة ذنوبهم ، وضعف اسلامهم وكثرة جرائمهم ، وإصرارهم على الزنا المباح ، والمواربة الدائمة ، وقتل النفس التى حرم الله بغير الحق ، وذلك من الله جزاء الظالمين . وبين سبتة وفاس على طريق « زجان » ثمانية أيام . وعلى مقربة من انزلان حصن « تقساس » على البحر ، وبينهما نصف يوم ، وهو حصن معمور فى غمارة ، لكن أهله بينهم وبين غمارة حرب دائمة ، ومن تقساس إلى قصر « تاركّا » وله مرسى . ومنه إلى حصن « مسيكاسه » نصف يوم ، وهو لغمارة . ومن مسيكاسه إلى حصن « كركال » ١٥ ميلا ، وهو أيضاً لغمارة . ومن حصن كركال إلى مدينة « بادس » مقدار نصف يوم ، وبادس مدينة متحضرة فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغماره يلجأون إليها فى حوائجهم ، وهى آخر بلاد غمارة ، ويتصل بها هناك طرف الجبل ، وينتهى طرفه الآخر فى جهة الجنوب ، إلى أن يكون بينه وبين بلد بنى « تاوده » أربعة أميال ، وكان بهذا الجبل قوم من أهل « مزكلدة » أهل جرأة وسفاهة وتجاسر على من جاورهم ، فأبادهم سيف الفتنة ، وأراح الله منهم . ومن مدينة بادس إلى مرسى « بوزكور » ٢٠ ميلا ،

(١) كان هذا فى القرن السادس للهجرة وهو القرن الذى عاش فيه الشريف الادريسي ولكن فى القرن العاشر للهجرة عمرت تطاون بالاندلسيين بعد جلائهم الاخير وصارت من المدن الكبار المعدودة من القواعد زاداها الله من فضله .

وكانت مدينة فيما سلف لكنها خربت ولم يبق لها رسم ، وتسمى في كتب التواريخ « نكور » وبين بوزكور وبادس جبل متصل يُعرف بالأجراف ، ليس فيه مرسى . ومن بوزكور إلى المزمّة ٢٠ ميلا ، وكانت به قرية عامرة ومرسى توسق المراكب منه . ومن المزمّة إلى واد بقرها ، ومنه إلى طرف « ثغالل » ١٢ ميلا . وهذا الطرف يدخل في البحر كثيراً ، ومنه إلى مرسى « كرط » ٢٠ ميلا وبشرقي كرط واد يأتي من جهة « صاع » ومن كرط إلى طرف جون داخل في البحر ٢٠ ميلا ، ومن كرط إلى مدينة « مليلة » في البحر ١٢ ميلا ، وفي البر ٢٠ ميلا .

ومدينة مليلة مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع وحال حسنة على البحر ، وكان لها قبل هذا عمارات متصلة وزراعات كثيرة ، ولها بئر فيها عين أزلية كثيرة الماء ومنها شربهم ، ويحيط بها من قبائل البربر بطون بطوية .

ومن مليلة إلى مصب الوادي الذي يأتي من « آقرسيف » ٢٠ ميلا ، وأمام مصب هذا النهر جزيرة صغيرة . ويقابل هذا الموضع من البرية مدينة « جراو » ومن مصب وادي آقرسيف إلى مرسى « تافركنيت » على البحر ، وعليه حصن منيع صغير ٤٠ ميلا . ومن تافركنيت إلى حصن تابجريت ثمانية أميال ، وهو حصن حصين ، حسن عامر أهل وله مرسى مقصود . ومن تابجريت إلى « هُنين » على البحر ١١ ميلا ومنها إلى « تلسان » في البر ٤٠ ميلا . وفيا بينهما مدينة « ندرومة » وهي مدينة كبيرة عامرة أهلة ، ذات سور وسوق ، موضعها في سند ، ولها مزارع ولها واد يجري في شرقيها ، وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثير .

وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر ، وهي عامرة ، عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء ، وخارجها زراعات كثيرة ، وعمارات متصلة . ومن هنين على الساحل إلى مرسى « الوردانية » ستة أميال ، ومنها إلى جزيرة « القشقار » ثمانية أميال ، ومنها إلى جزيرة « إرشقول » ويروي « ارجكون » وكانت فيما سلف حصناً عامراً له مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال السائمة ، ومرساها في جزيرة فيها

مياه ومواجهل كثيرة للراكب ، وهي جزيرة مسكونة ، ويصب بمخائنها نهر مَلَوِيَّة ومن مصب الوادى إلى حصن « أسلان » ستة أميال على البحر ، ومنه إلى طرف خارج فى البحر ٢٠ ميلا ، ويقابل الطرف فى البحر جزيرة الغنم ، وبين جرائز الغنم وأسلان ١٢ ميلا . ومن جزائر الغنم إلى بنى وزَّار ١٧ ميلا ، وبنو وزَّار حصن منيع فى جبل على البحر ، ومنه إلى « الدفالى » وهو طرف خارج فى البحر ١٢ ميلا ، ومن طرف الدفالى إلى طرف « الحرشة » ١٢ ميلا ، ومنه إلى « وهران » ١٢ ميلا .

وقد ذكرنا وهران وأحوالها فيما صدر من ذكر الأقليم الثالث ، والله المستعان فلنرجع الآن إلى ذكر الأندلس ووصف بلادها ، ونذكر طرقاتها ، وموضوع جهاتها ، ومقتضى حالاتها ، ومبادئ أوديتها ، ومواقعها من البحر ، ومشهور جبالها وعجائب بقعها ، ونأتى من ذلك بما يجب بعون الله تعالى فنقول :

أما الأندلس فى ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث ، فجنوبها يحيط به البحر الشامى ، وغربها يحيط به البحر المظلم ، وشمالها يحيط به بحر الانقليشيين^(١) من الروم . والأندلس طولها من كنيسة الغراب التى على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل ، وعرضها من كنيسة « شنت ياقوب »^(٢) التى على أنف بحر الانقليشيين إلى مدينة المرية التى على بحر الشام ستمائة ميل .

وجزيرة الأندلس مقسومة من وسطها فى الطول بجبل طويل يسمى الشارات^(٣) وفى جنوب هذا الجبل نأتى مدينة طليطلة . ومدينة طليطلة مركز لجميع بلاد الأندلس

(١) يريد بالانقليش أو بالانقليشيين الانكليز وكان من عادة العرب أن يقلبوا السين والزاي شيئاً فى أكثر الاحيان .

(٢) العرب يقولون شنت ياقوب أو شنت ياقب والاسبان يقولون « سانتياغو دو كومبستله » ، Santiago De Compostela وهى أقدس كنيسة عند الاسبانول وفيها قبر يعقوب أحد الحواريين .

(٣) Sierra وقد صارت الشارات تفيد معنى سلسلة جبال .

وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة ، بين غرب وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها إلى لشبونة غرباً تسع مراحل ، ومن طليطلة إلى شنت ياقوب على بحر الانقليشين تسع

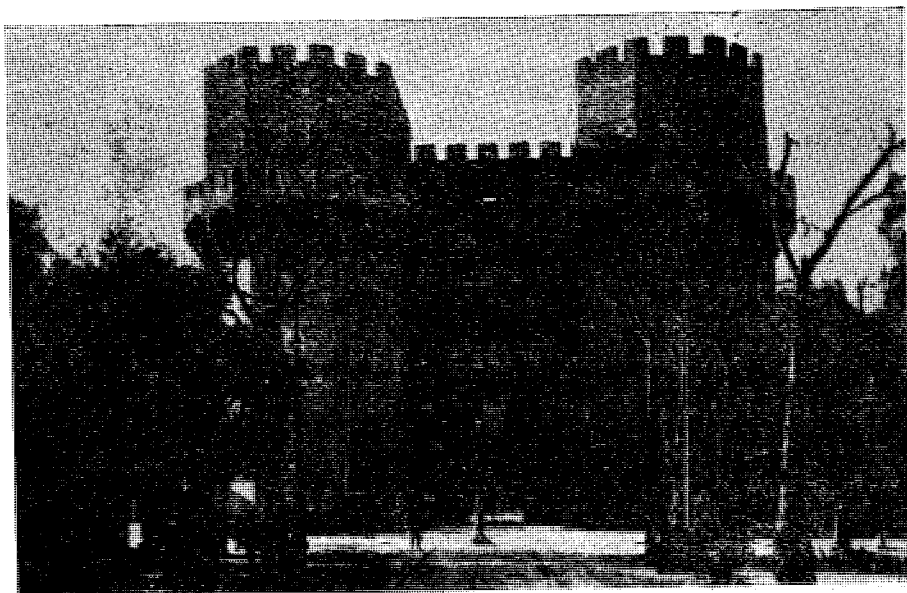


مدينة شانت ياقب أقدس بلدة عند الإسبانين



متنزه في شانت ياقب

مراحل ، ومنها إلى « جاقه »^(١) شرقاً تسع مراحل ، ومنها إلى مدينة بلنسية ، بين شرق وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل .



برج سرافوس (بلنسية)

ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملك ومدارآلولاتها ، وبها وجدت مائدة سليمان بن داود ، مع جملة ذخائر يطول ذكرها . وما خلف الجبل المسمى بالشارت في جبة الجنوب يسمى اشبانية ، وما خلف الجبل في جبة الشمال يسمى قشتالة . ومدينة طليطلة في وقتنا هذا يسكنها سلطان الروم القشتاليين .

(١) جاقه من بلاد سرقسطة بلدة فيها اليوم ٥٠٠٠ نسمة من السكان وهي مركز ناحية « سورباربي » ولها سور يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر وقد أنشئ خط حديدي بين جاقه Jaca واولورون oloron يختصر بنحو مائة كيلو متر المسافة بين باريز ومجريط .



متنزه النخل (بلنسية)

والأندلس المسماة اشبانية أقاليم عدة ، ورساتيق جملة ، وفي كل إقليم منها عدة مدن
 نريد أن نأتى بذكرها مدينة مدينة بحول الله تعالى . ولنبدأ الآن منها بإقليم البحيرة^(١)
 وهو إقليم مبدأه من البحر المظلم ، ويمرّ مع البحر الشاميّ ، وفيه من البلاد جزيرة
 طريف ، والجزيرة الخضراء ، وجزيرة قادس ، وحصن « أركش »^(٢) ، و« بكة »^(٣)
 و« شريش »^(٤) ، و« طشانة »^(٥) ، و« مدينة ابن السليم »^(٦) ، وحصون
 كثيرة كالمدين عامرة ، سنأتى بها في موضوعها
 ويتلوه إقليم « شذونة »^(٧) ، وهو من إقليم البحيرة شمالا ، وفيه من المدن

(١) Le Lago de la janda (٢) Arcos (٣) Becca
 (٤) Jeres (٥) Tocina (٦) Grazalema وأظن اسمها محرفاً عن
 « قرية سالم » وهي الآن قرية كبيرة في بزيرة تبعد عن رندة ٢٥ كيلو متراً إلى الجنوب
 وقد زرتها بالسيارة لما كنت في رندة (٧) Sidonia

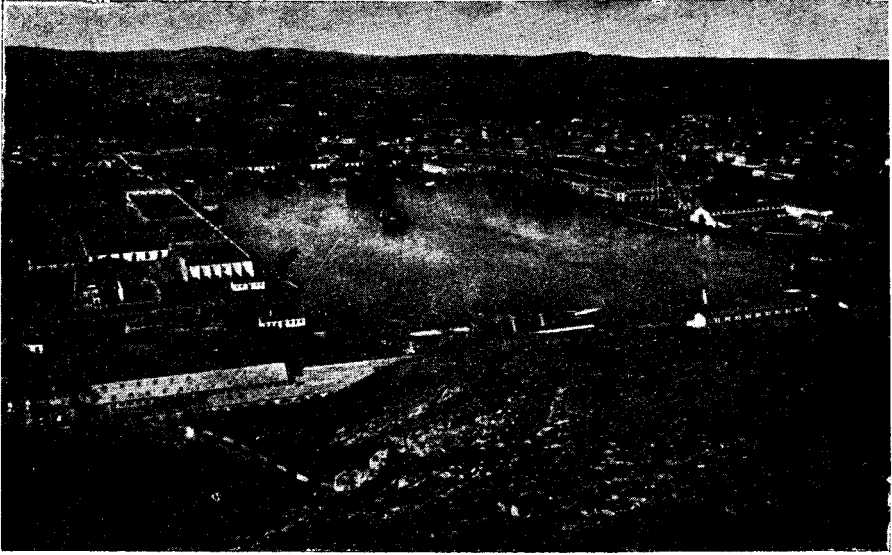
مدينة « اشبيلية » ^(١) ، ومدينة « قرمونة » ^(٢) ، و« غلسانة » ^(٣) ، وحصون كثيرة . ويتلوه اقليم الشرف ، وهو ما بين اشبيلية و« لبله » ^(٤) والبحر المظلم ، وفيه من الماقل « حصن القصر » ^(٥) ومدينة لبله و« ولبة » ^(٦) وجزيرة « شلطيش » ^(٧) وجبل العيون . ثم يليه اقليم « الكنبنانية » ^(٨) وفيه من المدن قرطبة و« الزهراء » ^(٩) و« استجة » ^(١٠) و« بيانة » ^(١١) و« وقبرة » ^(١٢) و« اليسانة » ^(١٣) وبه جملة حصون كبار سنذكرها بعد هذا . ويلي اقليم الكنبنانية اقليم « اشونة » ^(١٤) وفيه حصون عامرة كالمدن ، منها لورقة واشونة وهو اقليم صغير . ويليه مع الجنوب اقليم « رية » ^(١٥) وفيه من المدن مدينة مالقة و« ارشذونة » ^(١٦) و« مربلة » ^(١٧) و« بْبَشْطَر » ^(١٨) و« ليسكنصاد » ^(١٩) وغير

(١) Sevilla (٢) Carmona بلدة ذات موقع نادر في الدنيا مبنية على جبل مشرف على بسائط لا ينتهى البصر إلى مداها وقد زرتها بالسيارة من اشبيلية
(٣) غلسانه هي اليوم عند الاسبانيول medina Sidonia (٤) niebla
(٥) Hisnalcasar (٦) Hulba (٧) Saltes (٨) La campina
(٩) medina Az-zahra (١٠) Ecija (١١) Baena
(١٢) cabra (١٣) Lucina (١٤) usona (١٥) Rio
وليعلم القارىء أننا التزمنا ترجمة الأعلام العربية بما يقابلها من الأسماء الاسبانيولية و ترجمة الأعلام الاسبانية بما كان يقوله لها العرب وتحرينا في ذلك جهد الطاقة ولم نبق في قوس البحث منزع ظفر حتى حققنا كل هذه الأسماء إلا ما ندر فان معرفتها بلساني العرب والافرنج شرط في فهم جغرافية الأندلس وتاريخها وبدون ذلك لا تحصل للقارىء صورة تامة عنها في ذهنه ولم نكتف بترجمة الأعلام من العربي إلى الاسبانيولي ومن الاسبانيولي إلى العربي مرة واحدة بل ربما كتبنا اسم المكان الواحد باللغتين مرتين وثلاثاً لا نمل من ذلك حتى يرسخ في ذهن القارىء بالتكرار وإلا فانه لا يحفظ هذه الأعلام المتبادلة من قرأها مرة واحدة .

(١٦) Archidona وقد يكتبها العرب بالجيم (١٧) marbella

(١٨) Bobachtero (١٩) هذه اللفظة لم ندر حقيقتها

هذه من الحصون . ويتلو هذا الاقليم « البشارت » ^(١) وفيه من المدن « جيان » ^(٢) وجملة حصون وقرى كثيرة تشفّ على ستمائة قرية ، يتخذ بها الحرير . ثم اقليم « بجانة » ^(٣) وفيه من المدن « المرية » ^(٤) و « برجة » ^(٥) وحصون كثيرة منها « مرشانة » ^(٦) و « برشانة » ^(٧) و « طرجالة » ^(٨) و « بالش » ^(٩) ويتلوه

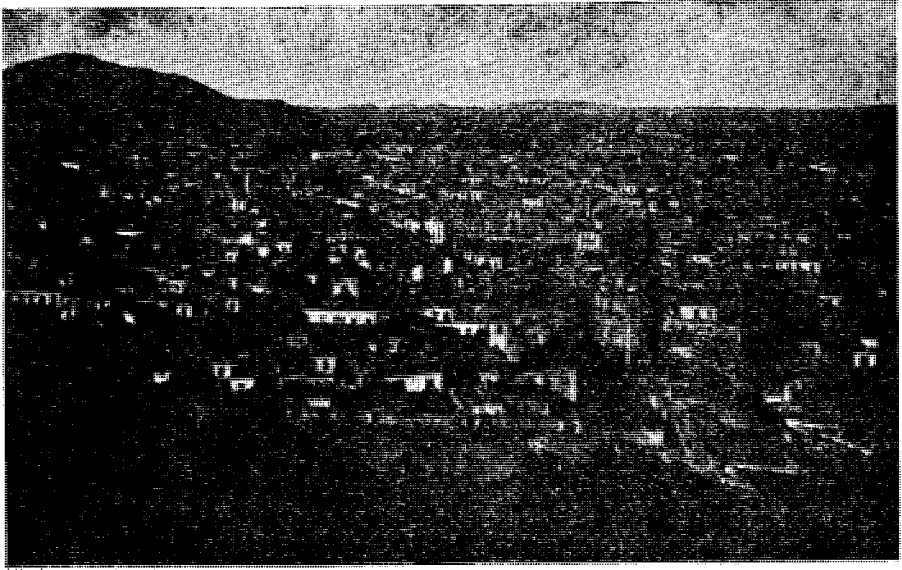


صورة مرسى قرطاجنة

في جهة الجنوب اقليم « البيرة » ^(١٠) وفيه من المدن « اغرناطة » ^(١١) و « وادي آش » ^(١٢) و « المنكب » ^(١٣) وحصون وقرى كثيرة . ومنها اقليم « فريرة » ^(١٤)

(١) Sierra jaen (٢) واصل اسمها في زمن الرومان usiense وكان القشتاليون يقولون لها Gien (٣) Béchina (٤) Almeria (٥) Berja (٦) merchana هي من مقاطعة بجانة وقد درست ولا تزال منها بقايا في دسكرة يقال لها ترك ، Terque (٧) برشانة Purchina هي أيضا من مقاطعة بجانة (٨) Targela (٩) velez (١٠) vera (١١) Grenade (١٢) Guadix (١٣) Almonacar (١٤) Ferreira

وهو يتصل باقليم البشارت ، وفيه مدينة « بسطة » ^(١) وحصن «تشكر» ^(٢) الموصوف بالمنعة . وفيه حصون كثيرة وسنأتي بها بعد . ثم كورة « تدمير » ^(٣) وفيها من المدن « مرسيه » ^(٤) و « اوريوه » ^(٥) و « قرطاجنة » ^(٦) ، و « لورقه » ^(٧) و « مولة » ^(٨) و « جنجاله » ^(٩) ويتصل بكورة « كونسكة » ^(١٠) وفيها « الش » ^(١١) و « القنت » ^(١٢) و « شقورة » ^(١٣) ويليه اقليم « ارغيرة » (؟) وفيه من البلاد



مدينة قرطاجنة

« شاطبة » ^(١٤) و « شقر » ^(١٥) و « دانية » ^(١٦) وفيه حصون كثيرة . ويليه اقليم مرباطر وفيه من البلاد « بلنسية » ^(١٧) و « مرباطر » ^(١٨) و « بُر يانة » ^(١٩) وحصون

- Murcie (٤) Todmir (٣) Tixar (٢) Baza (١)
 Mola (٨) Lorca (٧) Cartagène (٦) Orihuela (٥)
 Alicante (١٢) Elche (١١) Cuenca (١٠) Chinchilla (٩)
 Se gur (١٥) Jatiba أو Chativa (١٤) Segura (١٣)
 Brienne (١٩) Murviedro (١٨) Valence (١٧) Denia (١٦)

كثيرة . ويليه مع الجوف إقليم « القواطم » ^(١) وفيه من البلاد « الفَنْت » ^(٢) و « شنت » ^(٣) ماريه « المنسوبة لابن رزين . ويتصل به إقليم « الوجة » ^(٤) وفيه من البلاد « سرتة » ^(٥) و « قلعة رباح » ^(٦) و « فتة » ^(٧) ويلى هذا الاقليم اقليم « البلاطة » ^(٨) . وفيه حصون كثيرة منها ومن أكبرها « بطروش » ^(٩)



الساقية العتيقة (الش)

و « غافق » ^(١٠) وحصن ابن هارون (؟) وغيرها دونها في الكبير . ويلى هذا الاقليم غربا اقليم « الفقر » (؟) وفيه من البلاد « شنت » ^(١١) ماريه و « مارتلة » ^(١٢) و « شلب » ^(١٣)

- (١) دوزى يظن أن الاسم محرف بالنسخ وأن أصله « القواسم » ونحن نرجح أنه محرف عن « القواطن » وسيأتي الكلام على ذلك (٢) puente
 (٣) Albarracine (٤) لم ندرأهوعربي أم معرب؟ وهى Walaja
 (٥) Zarruta (٦) Calatrava (٧) Puente (٨) البلاطة أى البلوطين
 نسبة إلى لخص البلوط (٩) Pedroche (١٠) Gafic
 (١١) Santa Maria (١٢) Martela (١٣) Silves

و حصون كثيرة وقرى . ويلي هذا الاقليم اقليم « القصر »^(١) وفيه القصر المنسوب
 « لأبي دانس » وفيه « يابرة »^(٢) و « بطليوس »^(٣) و « شريشة »^(٤) و « ماردة »^(٥)
 و « قنطرة »^(٦) السيف و « قورية »^(٧) . و يليه اقليم البلاط وفيه مدينة « البلاط »^(٨)

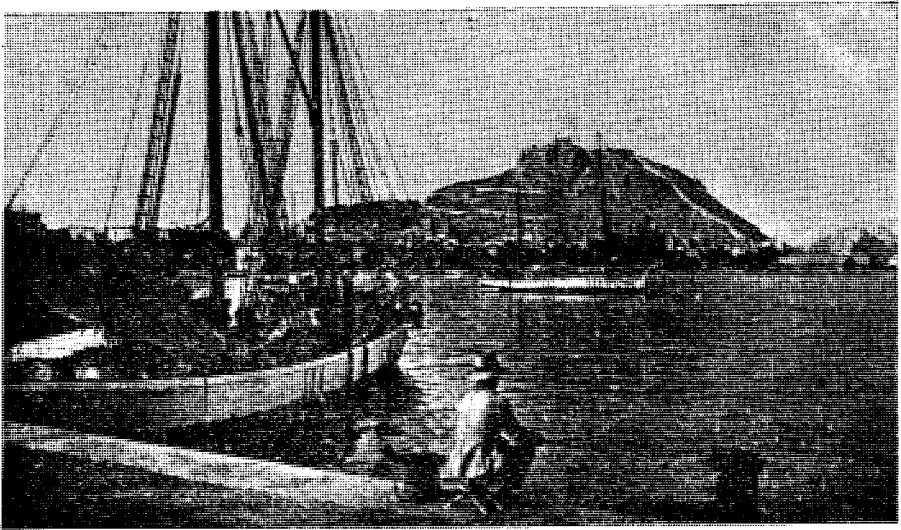


غيزة من غياض الش

ومدين ^(٩) . ويلي هذا الاقليم إقليم بلاطه ^(١٠) وفيه « شترين » و « لشبونة »
 و « شترة » و يليه إقليم الشارات وفيه « طليبة »^(١١) و « طليطة »^(١٢)

- (١) Cacer (٢) Evora (٣) Badjoz (٤) Xerex de
 Estremador وهي عند العرب شريشة إلا أنها غير شريش التي منها أبو العباس
 الشريشي شارح المقامات الحريرية (٥) Merida (٦) Alcantara
 (٧) Coria (٨) Albalat
 (٩) Medellin (١٠) بورة البلاطة في أيام العرب كانت تشتمل على شترين
 Santarem وأشبونة Lisbonne أو Lisboa وشترة Cintra ويقال لها في هذه
 الأيام « استرمادوره ، البرتغالية (١١) Talavera (١٢) Toledo

- و « ومجريط »^(١) و « الفهمين »^(٢) و « وادى الحجارة »^(٣) « اقليش »^(٤)
 و « وبنة »^(٥) و يليه أيضاً إقليم « أرنيط »^(٦) وفيه من البلاد « قلعة أيوب »^(٧)
 و قلعة « دروقة »^(٨) ومدينة « سرقسطة »^(٩) و « وشقة »^(١٠) و « تطيلة »^(١١)
 ثم يليه إقليم الزيتون وفيه « جاقة »^(١٢) و « لاردة »^(١٣) و « مكناسة »^(١٤)
 و « افراغه »^(١٥) و يليه إقليم « البرتات »^(١٦) وفيه « طرطوشة »^(١٧) و « طركونة »^(١٨)



مرسى القنت

- (١) Madrid (٢) بلدة من أعمال طليطله اسمها عربي منسوبة إلى بني فهم
 على ما ورد في معجم البلدان لياقوت وقد ذكرنا ما قال في موضع آخر
 (٣) Guadalajara وقد يقول لها العرب مدينة الفرج محرمة (٤) Aclés
 (٥) Huete (٦) أظن أن أرنيط هي التي يقال لها Arenedo
 (٧) Calatayud (٨) Daroca (٩) Saragosse
 (١٠) Huesca (١١) Tudela (١٢) Jaca (١٣) Lerida
 (١٤) Méquinensa (١٥) Fraguas (١٦) جبال البرتات هي جبال
 البرانس أو جبال البيرانه (١٧) Tortosa (١٨) Tarracona



متنزه راميرو (القنت)

و « برشلونة » ^(١) ويلي هذا الاقليم غرباً اقليم « مرمرية » ^(٢) وفيه حصون خالية ، ومما يلي البحر حصن « طشكره » ^(٣) و « كشتالي » ^(٤) و « كتندة » ^(٥) فهذه كلها أقاليم اشبانية المسمى جملتها بالأندلس . فأما جزيرة « طريف » ^(٦) فهي على البحر الشامي ، في أول الحجاز المسمى ، بالزقاق ، ويتصل غربها ببحر الظلمة . وهي مدينة صغيرة ، عليها سور تراب ، ويشقها نهر صغير ، وبها أسواق وفنادق وحمامات ، وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى احدهما « القنتير » ^(٧) وهما على مقربة من البر . ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا ، تخرج من الجزيرة إلى « وادي » ^(٨) النساء « وهو نهر جار ، ومنه إلى الجزيرة » ^(٩) الخضراء

(١) Barcelone (٢) Marmaria (٣) Tixar

(٤) Castello (٥) Cutenda (٦) Tariffa

(٧) لم نعرف اسمها بالاسباني (٨) الاسبانيول يقولون Guadannasi

وذلك أنهم حكوا في لفظها العرب وهؤلاء في الأندلس كانوا يميلون الألف كثيراً
(٩) الاسبانيول بحسب عادتهم من قلب الجيم خاء والسين والزاي ثاء يقولون

وهي مدينة متحصرة لها سور حجارة مفرغ بالجيار، ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة، ويشقها نهر يسمى نهر العسل، وهو حلو عذب، ومنه شرب أهل المدينة، ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكثي ضفته معاً. وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط، وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر، وعرضه هنالك ثمانية عشر ميلاً. وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة «أم حكيم» وبها أمر عجيب، وهو أن فيها بئراً عميقة كثيرة الماء حلوة، والجزيرة في ذاتها صغيرة مستوية السطح، يكاد البحر يركبها^(١) والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الاسلام، وذلك في سنة ٩٠ من الهجرة، وافتتحها موسى بن نصير من قبل الروانيين، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي، ومعه قبائل البربر. فكانت هذه الجزيرة أول مدينة افتتحت في ذلك الوقت، وبها على باب البحر مسجد يسمى بمسجد الرايات، ويقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى، وكان وصولهم اليها من جبل طارق وإنما سمي جبل طارق لأن طارق^(٢) بن عبد الله بن ونمو الزناتي لما جاز بمن معه من البرابر

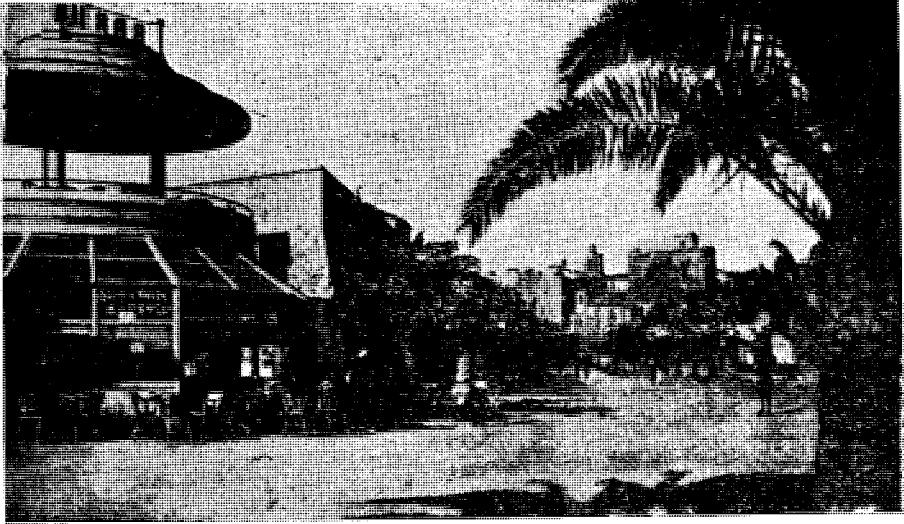
والخثيرة، وقد ذكرت في إحدى مقالاتي عن رحلتي إلى الأندلس أن للقوم رغبة شديدة في حرف «الخاء»، ثم طالعت بعد ذلك كتاب «السفر إلى المؤتمر» لصديقي العلامة أحمد زكي باشا المصري رحمه الله وفيه فصل عن رحلته إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ فوجدته يقول في صفحة ٣٨٧ ما يلي: «لاحظت دوران حرف الخاء في غالب كلماتهم التي يكون فيها شين أو جيم أو سين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المزاح لاستمنح السماح وقال أن لغة القوم تدور على حرف الخاء، قال: وقد سمعتم يقولون «الخثيرة، فسألت فاعلموني بأنها الجزيرة الخضراء» فقد توارد الخاطر مع الخاطر

(١) قد يوجد الماء الحلو أحياناً في وسط البحر إذا انقشعت عنه موجة الماء المالح

شرب منه ركاب السفن.

(٢) لا نعلم لماذا ينسب الشريف الادريسي طارق المنسوب إليه جبل الفتح بخلاف ما هو شائع، فانه يجعله طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي والمشهور أن اسم أبيه زياد وأن عبد الله هو جده جاء في «البيان المغرب في أخبار المغرب»، لابن

وتحصنوا بهذا الجبل ، أحس في نفسه أن العرب لا تتق به ، فأراد أن يزيج ذلك عنه ، فأمر باحراق المراكب التي جاز فيها ، فتبرأ بذلك عما آتهم به .
وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال ، وهو جبل منقطع عن الجبال



صورة طرا كونة من كلونية

مستدير ، في أسفله من جهة البحر كهوف ، وفيها مياه قاطرة جارية ، وبمقربة منه مرسى يعرف بمرسى الشجرة . ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية خمسة أيام . وكذلك من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مالقة خمس مراحل خفاف ، وهي مائة ميل ، ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية طريقان طريق في الماء ، وطريق في البر ، فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء إلى الرمال في البحر ، إلى موقع نهر «برباط»^(١)

عذارى المراكشي الجزء الأول المطبوع في « ليدن » بتصحيح المستشرق الشهير الهولاندى دوزى Dozy وذلك سنة ١٨٤٨ أن طارق هو ابن زياد بن عبد الله بن ولفو بن ودغوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطومت بن نفاوذة . وأجمع مؤرخو العرب على أنه ابن زياد

(١) يقول دوزى في ترجمة كلام الادريسي أن نهر برباط يمر بقرب الموضع

المسمى اليوم Alola de los Gazules

٢٨ ميلا ، ثم إلى موقع نهر « بكة »^(١) ستة أميال ، ثم إلى الحلق المسمى « شنت »^(٢) بيطر « ١٢ ميلا ، ثم إلى « القناطر »^(٣) وهي تقابل جزيرة قادس ١٢ ميلا ، وبينهما مجاز سمته ستة أميال . ومن القناطر تصعد في النهر إلى رابطة « روطه »^(٤)



صورة طرا كونة متنزة المحطة

٨ أميال ، ثم إلى « المساجد »^(٥) ٦ أميال ثم إلى مرسى « طبرشانة »^(٦) إلى « العطوف »^(٧) إلى « قبطور »^(٨) إلى « قبطل »^(٩) . وقبطور وقبطل قريتان في وسط النهر ، ثم إلى جزيرة ينشتالة^(١٠) ثم إلى الحصن الزهر^(١١) إلى مدينة اشبيلية

(١) Becca وهي بقرب طرف الأغر (٢) Sancti petri

(٣) هي الجزائر التي يقال لها عند الاسبانيول Iles des lions

(٤) بلدة محصنة على جون قادس والاسبانيول يكتبونها هكذا : Rota

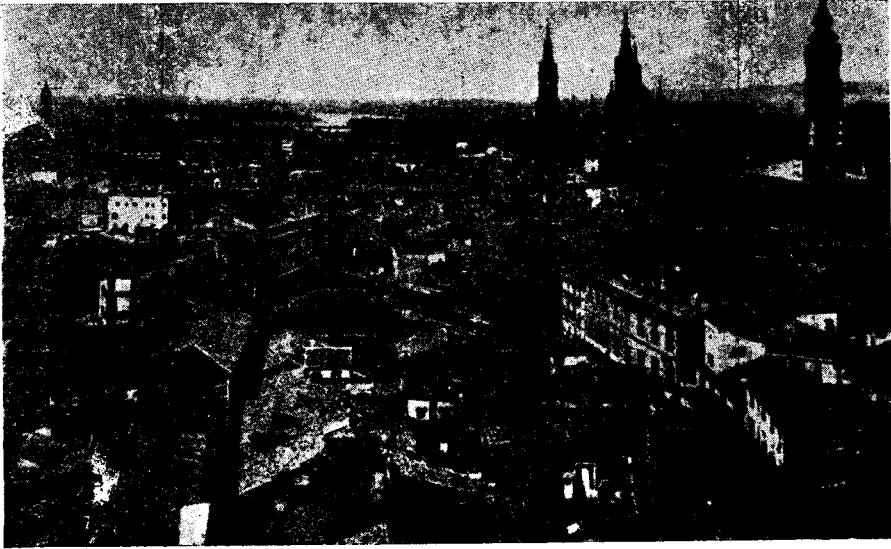
(٥) يقول الاسبان للمساجد San Locar ويقال إن أصلها Solucar وإنها محرقة

عن Solis Lucos (٦) Tebugena (٧) لم نعلمه

(٨) Captor (٩) Cabtal (١٠) Jenechtelà

(١١) لم نعرف هل يسميه الأسبان باسمه العربي أم له عندهم اسم آخر ؟

فذلك من اشبيلية إلى البحر ٦٠ ميلا . وأما طريق البر فالطريق من الجزيرة إلى « الزتبة » ثم إلى نهر « يرباط » ^(١) إلى قرية « فيسانة » ^(٢) وبها المنزل . وهي قرية كبيرة ، ذات سوق عامرة ، وخلق كثير . ومنها إلى مدينة « ابن السليم » ^(٣) إلى جبل « مُنت » ^(٤) ثم إلى قرية « عسلوكة » ^(٥) ، وبها المنزل . ثم منها إلى



صورة سرقسطة أو الثغر الأعلى « منظر عمومي »

« المدائن » ^(٦) إلى « زيرد » ^(٧) الحباله « وبها المنزل ، ثم إلى اشبيلية مرحلة . ومدينة اشبيلية مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة ، وأسواق كثيرة ، وبيع وشراء ، وأهلها مياسير ، وجل تجارتها بالزيت ، يتجهز به منها إلى أقصى المشارق

(١) مر ذكره (٢) Faisana

(٣) هذه التي يقال لها عند الأسبان « غرازالبا » Grasalema

(٤) mont

(٥) لم نعرف هذه القرية ولا عرفنا هل هذا هو اسمها الحقيقي أم هو محرف ؟

(٦) ما اطلعنا على هذه المدائن

(٧) ولا على حقيقة هذا الاسم الآخر

والمغرب ، برأً وبحراً ، وهذا الزيت عندهم يجثم من « الشرف »^(١) وهذا الشرف هو مسافة أربعين ميلاً ، وهذه الأربعمون ميلاً كلها تمشى في ظل شجر الزيتون والتين ، أوله بمدينة اشبيلية وآخره بمدينة « لبلبة »^(٢) وكله شجر الزيتون وسعته ١٢ ميلاً وأكثر ، وفيه فيما يذكر ثمانية آلاف قرية عامرة آهلة بالحمامات والديار الحسنة . وبين الشرف وأشبيلية ثلاثة أميال . والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية اشبيلية ممتد من الجنوب إلى الشمال . وهو تل تراب أحمر ، وشجر الزيتون مغروسة به من هذا المكان إلى قنطرة لبلبة . واشبيلية على النهر الكبير ، وهو نهر قرطبة

ومدينة لبلبة مدينة حسنة أزلية ، وهي متوسطة القدر ، ولها سور منيع . وبشرقيها نهر يأتيها من ناحية الجبل ، ويجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبلبة . وبها أسواق وتجار . ومنافع حمة . وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربيها . وبين مدينة لبلبة والبحر المحيط ستة أميال .

وهناك على ذراع من البحر تطل مدينة « ولبية »^(٣) وهي مدينة صغيرة متحضرة ، عليها سور من حجارة ، وبها أسواق وصناعات ، وهي مطلة على جزيرة « شلطيش »^(٤) وجزيرة شلطيش يحيط بها البحر من كل ناحية ، ولها من ناحية الغرب اتصال بأحد طرفيها إلى مقربة من البر ، وذلك يكون مقدار نصف رمية حجر . ومن هناك يجوزون لاستقاء الماء لشربهم ، وهي جزيرة طولها نحو من ميل وزائد ، والمدينة منها في جهة الجنوب ، وهناك ذراع من البحر يتصل به موقع نهر لبلبة ، ويتسع حتى يكون أزيد من ميل ، ثم لا يزال الصعود فيه في المراكب إلى أن يضيق ذلك الذراع حتى

(١) لا يزال يقال له الشرف إلى اليوم

(٢) Niebla وكان اسمها عند الرومان « ايلبوله » ، فلفظ العرب بها أقرب إلى

الاسم الروماني القديم

(٣) Hueloa واسمها الروماني القديم « أونبة » ، Onba وهكذا كان يقول لها

العرب وربما قالوا « ولبية »

(٤) Saltés

يكون سعة النهر وحده مقدار نصف رمية حجر ، ويخرج النهر من أسفل جبل عليه مدينة ولية ، ومن هناك تتصل الطريق إلى مدينة ابلة . ومدينة شلطيش ليس لها سور ولا حظيرة ، وإنما هي بنيان يتصل بعضه ببعض ، ولها سوق وبها صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه ، وهي صنعة المراسى التي ترسى بها السفن والمراكب الحاملة الجافية ، وقد تغلب عليها المجوس ^(١) مرات ، وأهلها إذا سمعوا بخطر ^(٢) المجوس فروا عنها وأخلوها . ومن مدينة شلطيش إلى جزيرة قادس ١٠٠ ميل ، ومن جزيرة قادس المتقدم ذكرها إلى جزيرة طريف ٦٣ ميلا . ومن جزيرة شلطيش مع البحر ماراً في جهة الشمال إلى حصن « قسطلة » ^(٣) على البحر ١٨ ميلا وبينهما موقع نهر يانة ، وهو نهر ماردة وبطليوس ، وعليه حصن « مارتلة » ^(٤) المشهور بالمنعة والحصانة . وحصن قسطلة على نحر البحر ، وهو عامر أهل ، وله بساتين وغلات شجر التين كثيرة ، ومنه إلى قرية « طيرة » ^(٥) على مقربة من البحر ١٤ ميلا ، ومن القرية إلى مدينة « شنت » ^(٦) ماريه « الغرب ١٢ ميلا .

ومدينة شنت ماريه على معظم البحر الأعظم ، وسورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان المد ، وهي مدينة متوسطة القدر ، حسنة الترتيب ، لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة ، وهي كثيرة الأعناب والتين .

ومن مدينة شنت ماريه إلى مدينة شلب ٢٨ ميلا ، ومدينة شلب حسنة ، في بسيط من الأرض ، وعليها سور حصين ، ولها غلات وجنات ، وشرب أهلها من

(١) يريد بالمجوس النورمانديين الذين كانوا يطرقون سواحل فرنسا وأسبانية وغيرهما وكانوا في الماضي مجوساً ثم بعد طول ترددهم إلى البلدان الجنوبية استقروا في غربي فرنسا وتركوا العبث ولصوصية البحر ودخلوا في النصرانية .

(٢) استعمل الادريسي « الخطور » بالمعنى الذي تستعمله فيه العامة وهو الحضور أو السفر وأما في الفصيح فهو مصدر خطر الشيء بالبال

(٣) Castella أو Casella (٤) Martola (٥) Tavira

(٦) Santa Maria ويقال لها Santa maria de Algaroe ويقال لها أيضا

« فارو » وهي من البرتغال

واديها الجارى بجنوبها ، وعليه ارحاء البلد ، والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ، ولها مرسى فى الوادى ، وبها الانشاء ، والعود بجبالها كثير ، يُحمل منها إلى كل الجهات . والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة ، بديعة المباني . مرتبة الأسواق ، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها ، وهم يتكلمون بالكلام العربى الصريح ، ويقولون الشعر وهم فصحاء نبلاء ، خاصتهم وعامتهم . وأهل بوادى هذا البلد فى غاية من الكرم ، لا يجاريهم فيه أحد . ومدينة شلب على إقليم الشنشين ^(١) ، وهو إقليم به غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب كلها ، وهو تين طيب علك لذيذ شهى . ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل . وكذلك من شلب إلى حصن « مارتلة » ثلاثة أيام . ومن مارتلة إلى حصن ولبة مرحلتان خفيفتان . ومن مدينة شلب إلى حلق « الزاوية » ^(٢) ٢٠ ميلا وهو مرسى وقرية ومنه إلى قرية « شقرش » ^(٣) على مقربة من البحر ١٨ ميلا ومنه إلى طرف الغرب ، وهو طرف خارج فى البحر الأعظم ١٢ ميلا ، ومنه إلى « كنيسة الغراب » ^(٤) ٧ أميال .

وهذه الكنيسة من عهد الروم إلى اليوم لم تتغير عن حالها ، ولها أموال يتصدق بها عليها . وكرامات يحملها الروم الواردون عليها ، وهى فى طرف خارج فى البحر وعلى رأس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها وعهد زوالها ، وقسيسو الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بفرائب يتهم الخببر بها ولا سبيل لأحد من المجتازون بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة الكنيسة ، ضريبة لازمة وسيرة دائمة ، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منها ، وورثها الخلف عن السلف ، أمر معتاد متعارف دائم ، والكنيسة فى ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين والرهبان ، وبها أموال مدخرة ، وأحوال واسعة وأكثر هذه الأموال محبسة عليها فى أقطار الغرب وبلادها

(١) Chinchin

(٢) يقول دوزى أن حلق الزاوية مقاطعة هناك

(٣) Sagres (٤) تقدم ذكرها

وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها ، معما يكرم به الأضياف الواردون على الكنيسة المذكورة ، قلوا أو كثروا .

ومن كنيسة الغراب إلى القصر مرحلتان . وكذلك من شلب إلى القصر أربع مراحل . و « القصر » ^(١) مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى « شطوبر » ^(٢) وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً . وفي ما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوبر ، ولها الانشاء الكثير ، وهي في ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل والاحوم . وبين القصر والبحر ٢٠ ميلا . ومن القصر إلى « يبورة » ^(٣) مرحلتان .

ومدينة يبورة كبيرة عامرة بالناس ، ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبها الحصب الكثير الذي لا يوجد غيرها من كثرة الخنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ، وهي أحسن البلاد بقعة ، وأكثرها فائدة ، والتجارات إليها داخلة وخارجة ، ومن مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان في شرق . ومدينة بطليوس مدينة جلييلة في بسيط الأرض ، وعليها سور منيع ، وكان لها روض كبير ، أكبر من المدينة في شريقها فخلا بالفتن . وهي على ضفة نهر « يانة » ^(٤) وهو نهر كبير ويسمى النهر الغور ، لأنه يكون في موضع يحمل السفن ، ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد

(١) وهي الآن بلدة صغيرة ليس فيها أكثر من ٢٥٠٠ نسمة وفيها آثار قديمة ويقول لها الاسانيول Alcacer do jal

(٢) Chetvubar وهذا الاسم هو اسم بلدة اليوم على هذا النهر

(٣) ويقال لها أيضاً « يابره » بضم الباء وبالاسانيولى Evora وهي الآن بلدة ليس فيها أكثر من ١٦ ألف نسمة وكانت هذه البلدة شهيرة في زمان الرومانيين واستولى عليها العرب سنة ٧١٥ مسيحية ثم استردها الاسبان سنة ١١٦٦ وكان يجلس فيها ملوك البرتغال أحيانا وإذا دخل إليها الانسان إلى هذه الساعة يظنها مدينة عربية لكثرة مباني العرب فيها وغلبة طرز الانشاء العربي على مبانيها

(٤) Guadiana

منه قطرة فسمى الغور لذلك ، وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ، ويصب في قريب من جزيرة شلطيث . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة اشبيلية ٦ أيام على طريق حجر بن أبي خالد ، إلى جبل العيون^(١) ، إلى اشبيلية . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة على الجادة ٦ مراحل . ومن بطليوس إلى مدينة ماردة على نهر يانة شرقاً ٣٠ ميلاً ، وبينهما حصن على يمين المارّ إلى ماردة .

ومدينة ماردة كانت دار مملكة « الماردة »^(٢) بنت هرسوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة ، تنطق عن ملك وقدره ، وتعرب عن نخوة وعزّة ، وتفصح عن غبطة . فمن هذه البنات ان في غربي المدينة قنطرة كبيرة ذات قسيّ ، عالية الذروة ، كثيرة العدد ، عريضة المجاز . وقد بنى على ظهر القسيّ أقباء تتصل من داخل المدينة إلى آخر القنطرة ، ولا يُرى الماشى بها . وفي داخل هذا « الداموس »^(٣) قناة ماء تصل المدينة . ومشى الناس والدواب على تلك الدواميس . وهي متقنة البناء ، وثيقة التأليف ، حسنة الصنعة . والمدينة عليها سور حجارة منجورة من أحسن صنعة واثق بناء . ولها في قصبها قصور خربة . وفيها دار يقال لها دار الطبخ ، وذلك أنها في ظهر مجلس القصر ، وكان الماء يأتي دار الطبخ في ساقية ، هي الآن بها باقية الأثر ، لا ماء بها ، فتوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدي الملائكة ، فترفع على الموائد . ثم إذا فرغ من

Jibraltarion (١)

(٢) المعروف أن مدينة ماردة بنيت سنة ٢٣ قبل المسيح بناها بوبليوس كاريوسوس ونمت نمواً عظيماً حتى صار يقال لها رومة الاسبانية وفي زمان القوط صارت قاعدة ولاية لوزيطانية وقيل أنه كان لها ٨٤ باباً وخمسة حصون و ٣٧٠٠ برج واستولى عليها العرب بقيادة موسى بن نصير سنة ٧١٣ مسيحية واستردها الاسبانيول سنة ١٢٢٨ مسيحية ومنذ استردها الاسبانيول سقطت أهميتها وسند كرها في الكلام على قواعد الأندلس .

(٣) الداموس هو الفترة أو ما يستتر الانسان به .

أكل ما فيها وضعت في الساقية ، فتستدير إلى أن تصل إلى يد الطباخ بدار الطبخ ، فيرفعها بعد غسلها . ثم تمر بقية ذلك الماء في سرورب القصر . ومن أغرب الغريب جلب الماء الذي كان يأتي إلى القصر على عمد مبنية تسمى « الأرجالات ^(١) » ، وهي أعداد كثيرة باقية إلى الآن قائمة على قوام ، لم تخل بها الأزمان ولا غيرها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال ، بحسب الأماكن التي وجب فيها البناء ، وأطولها يكون غلوة سهم ، وهي على خط مستقيم . وكان الماء يأتي عليها في قنّ مصنوعة ، خربت وفنيت ، وبقيت تلك الأرجالات قائمة يخيل إلى الناظر إليها أنها من حجر واحد ، لحكمة إتقانها ، وتجويد صنعها . وفي وسط هذه المدينة احناة قوس ، يدخل عليه الفارس بيده علم قائم ، عدة أحجاره ١١ حجراً فقط ، في كل عضادة منها ثلاثة أحجار ، وفي القوس أربعة أحجار حنيّات ، وواحد قنّ ، فكانت الجملة ١١ حجراً . وفي الجنوب من سور هذه المدينة قصر آخر صغير ، وفي برج منه كان مكان مرآة ، كانت الملكة ماردة تنظر إلى وجهها فيها . ومحيط دوره ٢٠ شبراً ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانها قائماً . ومكانه إلى الآن باقٍ . ويقال إنما صنعته ماردة لتحاكي به مرآة ذي القرنين التي صنعها في منار الاسكندرية .

ومن مدينة ماردة إلى قنطرة السيف يومان . وقنطرة السيف ^(٢) من عجائب

(١) هذه اللفظة « لم تمر بنا أصلاً مع اتساع اللغة والذي يظهر لنا أن عامة الأندلس استعملوها بمعنى « الأرجل » جمع « رجل » ، بكسر فسكون وقد يأتي جمعه أيضاً على « أرجال » ، فتكون الأرجالات جمع الجمع وذلك كما جمعوا « الرجل » ، بفتح فضم على رجال ثم جمعوا رجالاً على رجالات . ومعنى تسمية هذه الأعمدة التي يجرى فوقها الماء « أرجالات » ، هو أن قنّ الماء قائمة عليها وهي لهذه الأتية أشبه بالأرجل

(٢) هذه البلدة هي الآن صغيرة وموقعها على الضفة الجنوبية من نهر تاجهوشهرتها بالجسر الذي فيها وكان العرب لذلك يسمونها القنطرة والاسبان يقولون لها الآن Alcantara وكان ينسب إليها نظام فرسان القنطرة وكان هذا النظام تأسس سنة ١٨٧٦ مسيحية في قلعة سان بوليان دويرال لأجل لحماية ثغور المسيحيين في وجه العرب فلما

الأرض . وهو حصن منيع على نفس القنطرة . وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شيء . والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط . ومن مدينة قنطرة السيف إلى مدينة « قورية » ^(١) مرحلتان خفيفتان ، وقورية الآن مدينة في ملك الروم ، ولها سور منيع ، وهي في ذاتها أزلية البناء واسعة الفناء من أحصن المعامل ، وأحسن المنازل . ولها بوايد شريفة خصيبة ، وضياح طيبة عجبية ، وأصناف من الفواكه كثيرة ، وأكثرها الكروم وشجر التين .
ومن قورية إلى « قلورية » ^(٢) ٤ أيام . ومدينة قلورية مدينة على جبل مستدير ،

بدأ العرب يتراجعون بسبب قنطهم وتفرق كلمتهم تقدم هذا النظام إلى القنطرة وجعل مركزه فيها وصار رئيس فرسان القنطرة يجب أن يكون من بيت الملك وأما الجسر فهو روماني واقع إلى الشمال الغربي من البلد كان بناؤه سنة ١٠٥ بعد المسيح وهو من الحجر المحب طوله ١٨٨ متراً وعرضه ٨ أمتار وهو على ستة أقواس اثنتان منها في الوسط فوهة كل منها ١٥ متراً وعلوه ٥٨ متراً وله برج علوه ١٣ متراً . وفي بلدة القنطرة كنيسة اسمها سانتا مارية المسكبر Almocober بنيت في القرن الثالث عشر في محل جامع .

(١) Coria قال ياقوت في معجمه هي من عمل ماردة وهي النصف بينها وبين زهوره مدينة الأفرنج

(٢) Coimbre يقول لها العرب « قلورية » ، قاعدة مقاطعة من مقاطعات البرتغال وعدد سكانها اليوم يناهز ٢٠ ألفاً وفيها مدرسة جامعة ومرصد فلكي وهي قسيمان المدينة العليا والمدينة السفلى وهذه متصلة بنهر « منديق » Mondego وكان اسم قلورية عند الرومان هو « آمينيوم » Aeminium ثم في القرن التاسع أطلقوا عليها اسم « كونمبريكا » Conimbrica وهي مدينة قديمة خربت وانتقل أهلها إلى هذه . وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من الجزيرة الأندلسية ثم استرجعها النصارى منهم سنة ٨٧٢ أي بعد فتح المسلمين لها بقليل ثم استردها المسلمون سنة ٩٧٨ مسيحية في زمن الحكم المستنصر الأموي رحمه الله على يد غالب مولاه وجاء في النسخ أن الحكم عمرها واعتنى بها . ثم عاد النصارى فاستولوا عليها سنة ١٠٦٤ بعد سقوط الدولة الأموية في قرطبة وذلك على يد فرديناند الأول القشتالي الذي بقي يحاصرها ستة أشهر إلى أن ملكها .

وعليهما سور حصين ، ولها ٣ أبواب ، وهي في نهاية من الحصانة ، وهي على نهر « منديق »^(١) وجريه على غربها ، ويتصل جرى هذا النهر إلى البحر ، وعلى مصبه هناك حصن « منت ميور »^(٢) ولها على النهر أرحاء . وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالغربي منها إلى ناحية البحر ، ولها أغنام ومواش ، وأهلها أهل شوكة في الروم ، ومن القصر المتقدم ذكره إلى مدينة « لشبونة »^(٣) مرحلتان ، ومدينة لشبونة على شمالي النهر المسمى تاجة وهو نهر طليظلة ، وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجزر كثيراً ، وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور ، وقصبة منيعة ، وفي وسط المدينة حمامات حارة في الشتاء والصيف ، ولشبونة على نحر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه ، قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الأرض ، وقد رأيناه عياناً . ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين^(٤) في

ثم آلت إلى البرتغال وصارت عاصمة ملكهم ولذلك العهد زحف إليها أبو يعقوب يوسف سلطان الموحدين ليسترجعها للإسلام فامتعت عليه . وبقيت عاصمة للبرتغال إلى سنة ١٢٦٠ حينما جعلوا العاصمة في اشبونة ولكن الملك دنيس عوض قلبرية بنقل المدرسة الجامعة من اشبونة إليها . وفي زمن ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦) كان المسلمون قد فقدوها لأنه قال : وهي اليوم بيد الافرنج خذلهم الله

(١) Mondego (٢) Montemayor

(٣) لشبونة أو إشبونة Lisbonne أو Lisboa وسيأتي الكلام عليها مفصلاً
(٤) قصة الاخوة المغرورين هذه قصة شهيرة صارت الآن معلومة عند أهل هذا العصر بعد أن بقيت مدة طويلة مدفونة في كتاب الادريسي ، هذا الذي لم تتداوله الأيدي ، وإنما كان يطلع عليه بعض المستشرقين من علماء الافرنج ، وبعض المطلعين من العرب على خزائن الكتب . وقليلاً ما هم . وبقي الأمر كذلك إلى سنة ١٨٩٢ ، وكنت في باريز ، وكان عمري ٢٢ سنة ، فقرأت في جريدة النشرة الأسبوعية التي كان ينشرها الأستاذ العلامة ابراهيم الحوراني باسم جمعية الأميركيين في بيروت ، وذلك

ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين اتهاؤه ، كما تقدم ذكرهم ، ولهم بمدينة

مقاله مترجمة ، عن مجلة أميركية ، لا أتذكر الآن اسمها ، يقول فيها بمناسبة كشف قارة أميركة : إنه شائع من جملة الأخبار كون العرب وصلوا إلى أميركة قبل كولمبوس وذلك بركوهم البحر قاصدين الغرب من جهة الأندلس . ويقول : ليس عندنا نحن معلومات عن هذا الشأن تستند إلى وثائق خطية ، وإنما هو كلام متواتر بين الناس ، فكنا نود لو عرفنا ما عند العرب من هذا الموضوع ، وأردف الأستاذ الحوراني ذلك بداءه إلى علماء العرب أن افنونا بما عندكم عن هذه المسألة .

ففي الحال فكرت في هذه المسألة ، وقلت أنا في باريز وأمامي المكتبة العمومية العظيمة ، فيمكنني أن أبحث فيها ما شئت وذهبت إلى خزانة الكتب الكبرى Bibliotique National وبمجرد وصولي أمام ذلك البحر الخضم من الكتب فكرت أن حادثاً كهذا لا يمكن أن ينشد إلا في كتب العرب المؤلفة عن الأندلس ورجحت أن أبدأ البحث في كتب الجغرافية على كتب التاريخ ، وقلت في نفسي أن أشهر جغرافية عربية في القرون الوسطى هي جغرافية الشريف الإدريسي ، فطلبت فهرس الكتب العربية ، ووجهت نظري إلى كتب الجغرافية ، فعثرت على كتاب « نزهة المشتاق ، إلى اختراق الآفاق ، للسيد الإدريسي ، وبدأت بتصفحه ، ولم أكن طالعه من قبل ، فامضى ربع ساعة حتى عثرت على هذه الواقعة ، وهي التي يسردها الإدريسي حسبما هو مكتوب في المتن . فكان ذلك عجباً ، لأن ما كنت أقدر له حتى أصل إليه أياماً طويلاً ، من بحث وتقيب في مختلف الكتب ، قد وصلت إليه في ربع ساعة . فنسخت ماورد عن الاخوة المغرورين أو المغرورين بتامه ، وذهبت فكتبت مقالة بعثت بها إلى جريدة ثمرات الفنون في بيروت أوردت فيها في عرض الجواب على سؤال النشرة الاسبوعية وسؤال علماء أميركة ماجاه في كتاب الشريف الإدريسي بالحرف . ثم علقت على ذلك توجيهها للكلام يساعد على استخلاص المعنى ، وهو أن الاخوة المغرورين خرجوا من أشبونة أولاً ، إلى ناحية الغرب ، في نحر البحر ، وساروا ١٢ يوماً . فلم يجدوا شيئاً ، فانطفئوا إلى ناحية الجنوب ، فساروا ١٢ يوماً أخرى ، فوصلوا إلى جزيرة لم يجدوا فيها إلا غنماً لحومها مرة لا تؤكل ، فانطفئوا أيضاً إلى الجنوب ، وجرؤا ١٢ يوماً ، إلى أن وصلوا إلى جزيرة وجدوا فيها بشراً ، وأخذوا إلى أمير الجزيرة ، وجرى معهم ماجرى ، كما هو وارد في

لشبونة بموضع من قرب الحمة ، درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين إلى آخر

الكتاب . وأزيد الآن هذا بياناً فأقول : الذى يلوح لى أنهم وصلوا أولاً إلى جزيرة من جزائر الانطيل ، التى هى بين أميركة الشمالية ، وأميركة الجنوبية ، ومجموع هذه الجزائر هو بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى ، وبين ٦٢ و ٨٧ درجة من الطول ، فى غربى خط نصف النهار ، المار بباريز . وكان أول وصول كريستوف كولومبوس إلى جزيرة من اميركا كهذه فى ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ ، وجزر الانطيل تنقسم إلى الانطيل الكبرى ، وهى إلى الشمال الغربى ، والانطيل الصغرى ، وهى إلى الجنوب الشرقى ، وهذه الجزر صغيرة لا تحصى ، والذى يظهر أن الاخوة المغرورين بعد أن ساروا ١٢ يوماً خطأ مستقيماً إلى الغرب ، ولم يجدوا شيئاً ، خافوا من التلف ، فرجعوا إلى الجنوب ، وكانوا لو صبروا وتابعوا جريهم خطأ مستقيماً ، وصلوا إلى ساحل القارة المسماة الآن بأميركا الشمالية ، ولكنهم يئسوا من الوصول إلى البر من جهة السير نحر إلى الغرب ، فساروا إلى الجنوب ، لعلمهم يجدون البر هناك ، فوصلوا الجزيرة التى وجدوا فيها الغنم ، ولم يجدوا البشر ، فحينئذ يئسوا ، وعادوا جنوباً إلى الشرق ، فوصلوا إلى إحدى جزائر الخالدات أو جزائر أسور Acores وهذه الجزائر كما هو معلوم ، مسكونة من قديم الزمان ، وهى واقعة بين ٢٧ و ٣٣ و ٤٠ درجة من الطول الغربى ، و ٣٦ و ٥٠ و ٣٩ و ٤٥ من العرض الشمالى . وهى أقرب قليلاً إلى أوربة منها إلى افريقية . وقد جاء فى الانسيكلويدية الافرانسية الكبرى أن جزر أسور كان وصل إليها القرطاجنيون ، ثم النورمنديون ، ثم العرب . تجد هذا فى الجزء الأول صفحة ٤٣١ . ثم يقول أنهم لم يكتشفوا هذه الجزائر إلا فى القرن الخامس عشر ، حينما وصل إليها البرتغاليون ، وأن هؤلاء بدأوا باستعمارها سنة ١٤٤٤ ، ولم تنكشف جميع هذه الجزائر دفعة واحدة ، بل الواحدة بعد الأخرى .

قال وإنه كان قد قصدها بعد البرتغال قوم من الفلنك ، ثم قال ولما طرد العرب من اسبانية التجأ منهم أناس إلى هذه الجزر ؛ ونشروا فيها المدينة . أما الخالدات ويقال لها كنارى Canaries فهى أقرب إلى افريقية منها إلى أوربة ، وهى ممتدة من الشمال إلى الجنوب بين ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٢٥ من العرض الشمالى ، وممتدة من الشرق إلى الغرب بين الدرجة ١٥ و ٤٠ و ٢٠ و ٣٠ من العرض الغربى عن باريز ، وليس بين إحدى الخالدات المسماة فورت أفطورة Fortaventura وبين رأس جنوبى من مراكش

الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال ، كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مراكباً حملاً ، وأدخلوا فيه

غير مائة كيلو متر لا غير وربما كان وصولهم إلى إحدى جزائر الخالدات أرجح ، لانهم من هناك ذهبوا بهم إلى مرسى أسفى (قرب) ما بين الخالدات ومراكش . وبالاختصار الاخوة المغرورون كانوا قد وطأوا البر الاميركى بأرجلهم ، ولكنهم بقلة عددهم ، وقلة الوسائل التي كانت في أيديهم ، لم يتقدموا الى الامام . ويغلب على الظن أن كريستوف كولومبوس لم يكن يحمل قصة المغرورين هذه ، وأنه سمع بنزولهم في إحدى الجزر بعد مسيرة ٢٤ يوماً في الاوقيانوس الاطلانطيكي ، ناخرين الغرب ثم منعطفين إلى الجنوب ، فاستتج من ذلك أن وجود البر وراء بحر الظلمات أمر لا بد منه ولكن لا بد أيضاً من أن يكون الملمججون في هذا البحر العظيم عدداً كبيراً . وتكون معهم جميع الاقوات والأدوات والأسباب اللازمة ، وأن يكونوا سائرين في عدة سفن ، بعضها في اثر بعض . ولذلك بقي كولومبوس مدة طويلة ، يراجع الملك فرديناند والمملكة ايزابله حتى أقنعهما بتزويده بكل ماطلبه ، لعله أن السفر شاق وطويل ، وأن أمامه أهوالاً . ولذلك كلفت رحلته هذه حتى كشف أميركا مبلغاً قدره بثلاثمائة وستة وثلاثين ألفاً وخمسمائة فرنك افرنسى . وهو مبلغ جسيم بالنسبة إلى ذلك الوقت ، وسار بثلاث سفن كبيرة وكان سفره من جزيرة «شاليس» قبالة «أونبة» في غربي أسبانية ، إلى جزر الخالدات ، ومنها بقي يخوض بحر الظلمات ٣٢ يوماً ، إلى أن وصل إلى إحدى الجزر وهي التي سماها سان سالقادور . ومن المحقق أن قضية وجود بر وراء بحر الظلمات ، لم تكن تولدت في مخيلة كولومبوس بل هي فكرة قديمة معروفة وكان كولومبوس قد اطلع على كتاب «صورة الأرض» تأليف الكردينال بطرس دالى Pierre D'Ailly مطران كمبراي Combray ، وهو تأليف كتبه هذا المطران سنة ١٤١٠ ، وحشر فيه معلومات كثيرة تتعلق بصورة الأرض ، منها ما نقله عن التوراة ، ومنها ما نقله عن اليونان ، ومنها ما أخذه عن العرب ، كما جاء في الانسيكلوبيديا الكبرى الافرنسية ، في ترجمة كولومبوس ، وقد ورد في هذا الكتاب أن أرسطو وشارحه ابن رشد لم يكونا يعتقدان أنه يوجد بين ساحل إفريقيا الغربي وساحل الهند الشرق مسافة شاسعة البعد ، فطالعة كولومبوس هذا الكتاب بنوع خاص كانت تحمله على الاعتقاد بالوصول إلى الهند من طريق بحر الظلمات ولا تعاباً برواية الادريسي عن عدة أيام السفر التي رواها عن المغرورين ، فانه إنما روى عن أفواه

من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح ^(١) الشرقية فجروا بها نحواً من ١١ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح كثير التروش ^(٢)

الناس ، ولم يجتمع بالاخوة المذكورين . والأرجح أن سفرهم استمر أكثر مما قال ، لأن كولبوس بقي يالجحج في الجزر الخالدات إلى أول جزيرة وطئها من أميركا مدة ٣٢ يوماً ، وهذا ثابت تاريخياً ، وغاية ما يستفاد من العبرة في قصة المغرورين ، أن العرب حاولوا اختراق بحر المحيط ، والوصول إلى البر الذي يقال له اليوم أميركا .

هذا وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي عند ذكر ملوك مملكة « مالي » في السودان الغربي ما يلي : انه تولى منهم الملك منسى موسى بن أبي بكر ، قال في « العبر » : وكان رجلاً صالحاً ، وملكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد ، قال في « مسالك الأبصار » : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال ، وقرى وضياع . قال في « مسالك الأبصار » قال ابن أمير حاجب : سألته عن سبب انتقال الملك اليه فقال : إن الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئين من السفن وشحنها بالرجال والازواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تنفذ ازوادهم ، فغابوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم فقال . سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جربة عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقه . فجهز التي سفينة . الفأ للاولاد ، وألفاً للازواد . واستخلفني ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك ، وكان آخر العهد به وبمن معه قال في « العبر » وكان حجه في سنة أربع وعشرين وسبعائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون . اه ومعناه أن هذا الحادث إن كان وقع فيكون في أول القرن الثامن من الهجرة وقد ورد هذا الخبر في الجزء الخامس من صبح الأعشى فليراجع هناك

(١) هذه اللفظة غير عربية ومعناها هبوب الريح .

(٢) هكذا في الأصل وربما كان المعنى مناسباً لسياق الكلام الذي تقدمه فان فعل

ترش في العربي معناه ساء خلقه

قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ، وجروا في البحر في ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عدو ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها ، فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها في دار ، فأرأوا رجلاً شقراً زرعاً شعور رؤوسهم شعورهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب ، فاعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، فسألهم عن حالهم وفي ما جاءوا ، وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروه به للترجمان بالأمس : من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان خبر القوم أن أبى أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهراً ، إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا من غير حاجة ، ولا فائدة تجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يعدمهم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم ، إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمّر بهم زورق ، وعصبت أعينهم . وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بليالها ، حتى جيء بنا إلى البر ، فأخرجنا وكتبنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضحى النهار ، وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال ، من شدة الأكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحننا بأجمعنا

فأقبل القوم إلينا ، فوجدونا بتلك الحالة السيئة فخلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا برابر ، فقال لنا أحدهم : أتعملون كم بينكم وبين بلدكم ؟ قلنا : لا . فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم وأسفى ! فسمى المكان إلى اليوم «أسفى» ، وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب ، وقد ذكرناه قبل هذا . ومن مدينة لشبونة Lisbonne^(١) مع النهر إلى مدينة شنترين Santaren^(٢) شرقاً ثمانون ميلاً والطريق بينهما لمن شاء فى النهر أو فى البر ، وبينهما فخص « بلاطة » ، ويخبر أهل لشبونة وأكثر أهل الغرب أن الخنطة تزرع بهذا الفحص ، فتقيم بالأرض أربعين

(١) Lisbonne

(٢) Santaren مستعمرة رومانية كان يقال لها فى زمن قيصر سكالابيس Scallabis فأطلق عليها اسم « بريزيديوم يوليوم » وقد تحول اسمها بعد النصرانية إلى سنتا ايرين أى القديسة ايرينة وهى قديسة شهيدة عند الاسبانول . والبلدة تعد مفتاح وادى تاجه وكان لها شأن عظيم فى تاريخ البرتغال وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من البلدان ثم استرجعها منهم الاذفونش السادس ملك قشتالة سنة ١٠٩٣ وفى زمن أبى يعقوب يوسف سلطان الموحدين حاول المسلمون استردادها فردهم عنها دون شأنجه Don Sancho وفى هذه البلدة غرق فى النهر البرنس الفونس ابن يوحنا الثانى ملك البرتغال وكان الابن الوحيد لآبيه وكان عروساً وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة فذهب لاستقبال آبيه تمتطيا جواده فرحاً فحملته غرارة الشباب على الخوض فى النهر فأخذه النهر وكانت فاجعة عظيمة لا تزال مراثيها عند البرتغال محفوظة إلى اليوم . وقد وقعت هذه الفاجعة فى ١٣ يوليو سنة ١٤٩١ هذا وقد سقطت مكانة شنترين اليوم فالآن جميع سكانها عشرة آلاف نسمة وفيها بعض آثار من زمن العرب وأسوار وقصر عربى يقولون له «الكازار» Alcaazr كما يقولون لكل قصر عربى وفيها برج يقال له برج «كبساس» Cabaças كان فى أصله منارة مسجد . قال باقوت الحموى عن شنترين : كلتان مركبتان من شنت كلبة ورين كلبة ورين بكسر الراء وباء مشاة من تحت ونون مدينة متصله الاعمال بأعمال باجه فى غربى الاندلس ثم غربى قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصابه فى البحر المحيط وهى حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة أربعة أيام وهى الآن للفرنح ملكت فى سنة ٥٤٣

يوماً فتحصد ، وأن السكيل الواحد منها يعطى مائة كيل ، ووربما زاد وتقص .
ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جداً ، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة
ولا سور لها ، وبأسفلها ربحض على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن
ماء النهر أيضاً ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ، ومباقل ، وخير شامل . ومن
مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس ^(١) أربع مراحل ، وعلى يمين طريقها مدينة
يلبش ^(٢) ، وهي في سفح جبل ، ولها سور منيع ، وورقة فرحة ، وبها عمارة وأسواق
وديار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها إلى بطليوس ١٢ ميلاً . ومن ماردة ^(٣)
إلى حصن « كركوى » ^(٤) ثلاث مراحل ، ومن كركوى إلى مدينة « قلعة رباح » ^(٥)
على ضفة نهر يانة . وهذا النهر يأتي من مروج فوقها ، فيمر بقرية يانة ^(٦) إلى قلعة
رباح ، ثم يسير منها إلى حصن « أرندة » ^(٧) ومنه إلى ماردة ، ثم يمر بمدينة بطليوس
فيصير منها إلى مقربة من « شريشة » ^(٨) ، ثم يصير إلى حصن « مارتلة » ^(٩)
فيصب في البحر المظلم .

ومن قلعة رباح ^(١٠) إلى قلعة « ارلية » ^(١١) يومان ، وهو حصن منيع ، ومنه

- (١) Badajoz عاصمة بني الألفطس وسيأتي الكلام عليها تفصيلاً
- (٢) بالأسبانيولى Elvas استرجعها ملك ليون من العرب سنة ١١٦٦
- (٣) بالأسبانيولى Merida وهي من قواعد الأندلس مر ذكرها وسيأتي أيضاً
- (٤) Karacuel أو Caraqui
- (٥) Calatrava (٦) Ana (٧) Aranda
- (٨) شريشة الوارذذ كرهاها يقال لها عند الأسبانيول Xeres de Estramadura
وهي غير شريش البلدة المشهورة بقرب اشبيلية التي ينسب إليها الشريشى شارح مقامات
الحريرى وسيأتي ذكرها .
- (٩) يقول الأسبانيول لهذا الحصن Martola
- (١٠) حرف الأسبانيول قلعة رباح إلى كالاترابة وسيأتي الكلام عليها .
- (١١) عند الأسبانيول Aralia

إلى طليطلة مرحلة . ومن قلعة رباح في جهة الشمال إلى حصن البلاط ^(١) مرحلتان ومن حصن البلاط إلى مدينة « طليطلة » ^(٢) يومان . وكذلك من مدينة « قنطرة السيف » ^(٣) إلى المخاضة أربعة أيام ، ومن المخاضة إلى طليطلة يومان وكذلك من مدينة ماردة إلى حصن مدلين ^(٤) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن عامر أهل ، وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرقات في بلاد الروم . ومن حصن مدلين إلى « ترجاله » ^(٥) مرحلتان وهما خفيفتان ، ومدينة ترجاله كبيرة كالحصن المنيع ، ولها أسوار منيعة وبها أسواق عامرة وخیل ورجل يقطعون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم ، والأغلب عليهم اللصوصية والحداع . ومنها إلى حصن « فاصرس » ^(٦) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن منيع ومحرس رفيع ، فيه خيل ورجل يغاورون في بلاد الروم . ومن مكناسة إلى مخاضة البلاط يومان . ومن البلاط إلى « طليطلة » ^(٧) يومان ، ومدينة طليطلة

(١) Balat

(٢) Talavera وسيأتي الكلام عليها وهي من المدن المذكورة وقد خرج منها رهط من العلماء .

(٣) Alcantra وسيأتي الكلام عليها .

(٤) Medellin

(٥) ترجاله يقول لها الاسبانيول Trugillo قال في دليل بديكر أنها اليوم قرية فيها ١٢٥٠ نسمة وفيها حصن من أيام العرب ربه الفرنسييس في زمن بونابرت لما كانوا في أسبانية

(٦) يقول الاسبانيول لهذه البلدة Ceçares جاء في دليل بديكر أن سكانها ١٦٩٠٠ وأن القسم القديم منها مبني على رابية تحيط به أسوار وأبراج وأبواب وأن القسم الجديد هو في الجانب الأدنى منها ثم أن في القسم الأعلى كنيسة يقال لها « سان ماتيو ، مبنية مكان المسجد الجامع وفيه أيضاً مكان القصر الذي كان في أيام العرب ويوجد في هذه البلدة في شارع الدانه Aldana رقم ١٠ بيت عربي لا يزال محفوظاً على حاله .

(٧) يوجد في الأندلس ثلاث بلاد باسم طليطلة هذه وقرية إلى الجنوب منها

على ضفة نهر تاجة ، وهى مدينة كبيرة ، وقلعتها أرفع القلاع حصناً ، ومدينتها أشرف البلاد حسناً ، وهو بلد واسع المساحة ، شريف المنافع ، وبه أسواق جميلة الترتيب ، وديار حسنة التركيب ، ولها على نهر تاجة أرحاء كثيرة ، ولها عمل واسع المجال ، وإقليم شريف الحال ، ومزارعها زاكية ، وجهاتها حسنة مرضية ، أزية العمارة ، قديمة الآثار ، وهى من مدينة طليطلة على سبعين ميلا .

ومدينة طليطلة من طليطيرة شرقاً وهى مدينة عظيمة القطر ، كثيرة البشر حصينة الذات ، لها أسوار حسنة ، فيها حصانة ومنعة وهى أزية ، من بناء « العالقة » ^(١) وقليل ما رؤى مثلها اتقاناً ، وشماخة ^(٢) بنيان ، وهى عالية الذرى ، حسنة البقعة ، زاكية الرقعة ، وهى على ضفة النهر الكبير المسمى « تاجة » لها قنطرة من عجيب البنيان ، وهى قوس واحدة والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جرى ،

يقال لها طليطيرة البقعة Talavera La Vega ويوجد على ضفة وادى يانة بقرب بطليوس قرية يقال لها طليطيرة . وأما المقصود هنا فهى السكرى ويقال لها طليطيرة رينه De La Reina وهى الآن بلدة صغيرة سكانها عشرة آلاف لكنها واقعة فى بقعة جميلة على نهر تاجة ولها جسر مركب من ٣٥ قوساً وفيها باب رومانى قديم وفيها أبراج يقال لها « البراناس » من بناء العرب يعود تاريخها إلى سنة ٩٣٧ مسيحية ولعل اللفظة محرقة عن « البرانية » أى الأبراج البرانية . ومن طليطيرة هذه يذهبون إلى الزهة فى شارات « غريدوس » وإلى وادى اللب Guadalupe . وبالقرب من طليطيرة بلدة قلصادة Colzada وهى بلدة ينسب إليها بعض أهل العلم من العرب

(١) يقول دوزى عند شرح هذه اللفظة أن العرب كانوا يعنون بالعملاق كل عظيم الجثة . فكأنه يريدان يقول أنه لا يجب أن يفهم أن العالقة الساميين الذين هم من بلاد العرب والذين كانت الحروب بينهم وبين اليهود هم الذين بنوا طليطلة وإنما قصدوا بذلك شعباً عظام الجثث وقد جرت العادة عند الناس أنهم كلما رأوا بناء عظيماً شامخاً نسبوه إلى العالقة أو إلى الجن أو إلى الاسكندر وما أشبه ذلك مما يهولهم من منظره

(٢) المعروف فى اللغة شمش يشمخ شمشاً وشموخاً ولم نجد شماخة وربما كانت هذه اللفظة من جملة خطأ النسخ

ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو ٩٠ ذراعاً ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، والماء يجرى على ظهرها فيدخل المدينة . ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم ، وموضع قصدهم ، ووجد أهل الاسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة ، فمنها أنه وجد بها ١٧٠ تاجاً من الذهب مرصعة بالدر ، وبأصناف الحجارة الثينة ، ووجد بها ألف سيف مجوهر ، ملكي ، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق . ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة مالا يحيط به تحصيل ، ووجد بها مائدة سليمان بن داود ، وكانت في مايدكر من زمردة وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة .

ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار جارية مخترقة ، ودواليب دائرة ، وجنات يانعة ، وفواكه عديمة المثال ، لا يحيط بها تكيف ولا تحصيل ، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، وقلاع منيعة ، تكنفها . وعلى بعد منها في جهة الشمال الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارت ، وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلورية . في آخر المغرب . وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد ، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولا ، بل هي في نهاية السمن ، ويضرب بها في ذلك المثل ، في جميع أقطار الأندلس . وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمغام^(١) ، وجبالها وتراها

(١) عند الاسبانول Magham وقد ذكر ياقوت هذه البلدة وقال أنه يقال لها أيضاً «مغامه» بالفتح فيهما وقال إنه ينسب إليها أبو عمران يوسف بن يحيى المغامى ومحمد بن عتيق بن فرج بن أبي العباس بن اسحق التجيبي المغامى المقرئ الطليطلي أبو عبد الله لقي أبا عمرو الداني وعليه اعتمد وروى عن أبي الربيع سليمان بن ابراهيم وأبي محمد بن أبي طالب المقرئ وغيرهم وكان عالماً بالقراءة بوجهها إماماً فيها ذا دين متين وكان مولده لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٤٢٢ هـ ومات باشبيلية في منتصف ذي القعدة سنة ٤٨٥ هـ وحبس كتبه على طلبة العلم الذين بالعدوة وغيرها . قال : وفيها معدن الطين الذي تغسل به الرووس ومنها ينقل إلى سائر بلاد المغرب .

الطين المأكول ، الذى ليس على قرارة الارض مثله ، يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراقات وبلاد الترك ، وهو نهاية في لذادة الأكل ، وفي تنظيف غسل الشعر^(١) . ولطليطة في جبالها معادن الحديد والنحاس ، ولها من المناير في سفح هذا الجبل مجريط^(٢) ، وهى مدينة صغيرة ، وقلعة منيعة معمورة ، وكان لها في زمن الاسلام مسجد جامع ، وخطبة قائمة ، ولها أيضاً مدينة الفهمين^(٣) ، وكانت مدينة متحضرة ، حسنة الأسواق والمباني ، وبها مسجد جامع ، ومنبر وخطبة ، وهى كلها اليوم مع طليطة في أيدي الروم ، وملكها من القشتالين ، وينتسب إلى الأذفونش الملك وفي الشرق من مدينة طليطة إلى مدينة وادى الحجارة ٥٠ ميلا وهى مرحلتان ومدينة وادى الحجارة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات ، جامعة لاشتات المنافع والغلات ، وهى مدينة ذات أسوار حصينة ، ومياه معينة ، ويجرى منها بجهة غربها نهر صغير ، لها عليه بساتين وكروم ، وجنات وزراعات ، وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير ، يتجهز به منها ، ويحمل إلى سائر العائلات والجهات . وهذا النهر يجرى إلى جهة الجنوب ، فيقع في نهر تاجه الأكبر فيمده . ونهر تاجه

(١) الغسل بالكسر ما يغسل به الرأس من خطمى وطين واشنان ونحوه . عن لسان العرب .

(٢) هى التى يقول لها الاسيان مدريد وهى اليوم عاصمة اسبانية ومن أهم مدن أوربة وقد كانت مجريط في زمن الادريسي خرجت من يد الاسلام ومثلها طليطة فلذلك قال أنه كان لمجريط في زمن الاسلام مسجد جامع وخطبة قائمة وسنذكر طايطة تفصيلا وتؤيد ما يجب تأييده من كلام الادريسي عنها ونزد ما هو من قبيل الاساطير مثل قوله : أن طليطة هى من بناء العالقة

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان : الفهمين كأنه جمع فهمى اسم قبيلة الفهمين بالأندلس من أعمال طايطة انتهى ولم يذكر زيادة على ذلك ونحن نعلم أنه يقال الفهميون لفهم الجرات بطن من لحم وأنه يوجد أيضاً في الازد بطن اسمهم فهم بن غنم ابن دوس بن عدنان منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرص راجع تاج العروس

المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة^(١) والفنت^(٢) فينزل ماراً مع المغرب إلى مدينة طليطلة^(٣) ، ثم إلى طليطيرة^(٤) ، ثم إلى الخاضة^(٥) ، ثم إلى القنطرة^(٦) ثم إلى قنيطرة محمود^(٧) ثم إلى مدينة شنترين^(٨) ، ثم إلى لشبونة^(٩) ، فيصب هناك في البحر . ومن مدينة وادي الحجارة إلى مدينة سالم^(١٠) شرقاً ٥٠ ميلاً . ومدينة سالم هذه مدينة جليله في وطاء من الأرض ، كبيرة القطر كثيرة العمارات والبساتين والجنات ، ومنها إلى مدينة شنت مارية ابن رزين^(١١) أربع مراحل خفاف ، ومنها إلى الفنت أربع مراحل . وبين شنت مارية والفنت مرحلتان ، وشنت مارية والفنت مدينتان عامرتان ، بهما أسواق قائمة ، وعمارات متصلة دائمة ، وفواكه عامة وكانا في الاسلام منازل القواطم^(١٢) . ومن مدينة سالم إلى مدينة قلعة

(١) يقول دوزى في ترجمته لكلام الادريسي هنا إن المقصود بهذه القلعة هي قلعة كبريال وهي إلى الشمال الغربي من « الفنت »

(٢) الفنت هذه هي التي يقول لها الاسبانيول « البونت » Alpuente

(٣) Toledo (٤) Talevera De La Reina

(٥) لا نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذا المكان

(٦) هي قنطرة السيف بلدة معروفة ينسب إليها في زمن العرب جماعة من أهل

العلم والاسبان يقولون Alcantra (٧) لم نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذه البلدة

(٨) Santaren وهي مدينة مشهورة سيأتي ذكرها

(٩) Lisboa عند البرتغال أو Lisbonne وسيأتي ذكرها

(١٠) Medinaceli عند الاسبانيول بخذف الميم

(١١) عند الاسبانيول Albarrazin

(١٢) غريب جداً ذكر الادريسي هؤلاء « القواطم » بدون التعريف عنهم بشيء

ولذلك لم يفهم هذه اللفظة أحد من مترجمي كلام الادريسي ومفسريه ونحن أشكل

علينا أيضاً فهمها ولم يذهب فكرنا إلى أنها « القواطم » بالفاء الموحدة لأنه لم يسمع

أن قوماً من الفاطميين سكنوا بتلك الأرض واشتهروا بها واشتهرت بهم وكذلك

من العادة أن يقال لهم « الفاطميون » أو « الطالبيون » أو « الهاشميون » ولم نسمع

أيوب^(١) ٥٠ ميلاً شرقاً ، وهي مدينة رائقة البقعة ، حصينة شديدة المنعة ، بهية الأقطار كثيرة الأشجار والأثمار . وعيونها مخترقة ، وينايمها مغدودة ، كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، وبها يصنع الغفار المذهب ، ويتجهز به إلى كل الجهات . ومن مدينة قلعة أيوب إلى قلعة درّوقه^(٢) ١٨ ميلاً . ودروقة مدينة صغيرة متحضرة ، كثيرة العامر

بقوم اسمهم القواطم يسكنون في شمالي الأندلس فبقى علينا أن نعلم ما المراد بالقواطم بالقاف المشاة ، فالعلامة دوزى يظن أنها محرفة عن « القواسم » ، لأنه كان في الفنت فخذ يقال لهم « بنو قاسم » ، ولا يزال هذا الاسم Beni Cassim يطلق على مكان بشرق الفنت إلى اليوم . قال دوزى : فيجوز أن يكون قيل لهم فيما بعد القواسم ، ثم تحرفت القواسم هذه بطول الزمن إلى قواطم . قلنا : أن وجود أناس في تلك البقعة كان يقال لهم بنو قاسم لاشك فيه وقد رأيت في معجم البلدان ذكر مكان في تلك الناحية قال ياقوت عنه أنه من عمل بنى قاسم . ثم إن دوزى نفسه يقول إن بنى قاسم هؤلاء من ذرية عبد الملك بن قطن الفهرى أمير الأندلس المشهور الذي كان قبل بنى أمية فأنا أظن أن القواطم غير محرفة عن القواسم بل محرفة عن القواطن وذلك نسبة إلى عبد الملك بن قطن المذكور فإن ذرية هذا الرجل ينبغي أن يقال لهم « القطنيون » فالناس استثقلوا جمع ذرية ابن قطن على القطنيين كما جمعوا بنى فهم على الفهميين لثقل الأولى وخفة الثانية فاختاروا للأولى جمع التكسير وقالوا قواطن يريدون به بنى قطن . ومثل هذا الجمع كثير عند العرب . وأما انقلاب نون قواطن إلى ميم بحيث صارت قواطم فإن بين النون والميم تبادلاً كثيراً كما لا يخفى فهذا وجه خطر ببالنا عن هذه اللفظة والله أعلم

(١) الإسبان يقولون لها « كالاتايد » Calatayud ، وهي بلدة على وادي شلون جاء في دليل بديكر أنه يشرف على هذه البلدة حصن اسمه قلعة أيوب بناه العرب في القرن الثامن للمسيح وأن أذفونش الأول ملك أراغون انتزع قلعة أيوب سنة ١١١٩ من أيدي العرب . والمشهور أن باني قلعة أيوب هو أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير . وسنأتي على ذكرها تفصيلاً

(٢) هذه البلدة هي على ٣٥ كيلو متراً من قلعة أيوب ، والأسبان يقولون لها « داروكة » Daroca جاء في دليل بديكر أن هذه البلدة ازدهرت في زمان العرب

غزيرة البساتين والكروم ، وكل شىء بها كثير رخيص . ومن دروقة إلى مدينة سرقسطة^(١) ٥٠ ميلا . وكذلك من مدينة قلعة أيوب إلى مدينة سرقسطة ٥٠ ميلا ومدينة سرقسطة قاعدة من قواعد مدن الأندلس ، كبيرة القطر ، أهلة ممتدة الأطناب ، واسعة الشوارع والطرقات ، حسنة الديار والمساكن ، متصلة الجنات والبساتين ، ولها سور مبنى من الحجارة حصين ، وهى على ضفة النهر الكبير المسمى إبره^(٢) ، وهو نهر كبير ، يأتي بعضه من بلاد الروم ، وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب ، وبعضه من نواحي قلهره^(٣) ، فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيله^(٤) ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة ، إلى أن تنتهى إلى حصن جبره^(٥) ، إلى موقع نهر الزيتون ، ثم إلى طرطوشة فيجتاز بفريها إلى البحر .

ومدينة سرقسطة هى المدينة البيضاء ، وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها ، ومن خواصها أنها لا تدخلها حية البتة ، وإن جلبت إليها وأدخلت المدينة ماتت وحيًا بلا تأخير . ولمدينة سرقسطة جسر عظيم يمتاز عليه إلى المدينة ، ولها أسوار منيعة ، ومبان رفيعة ، ومنها إلى وشقة^(٦) ٤٠ ميلا . ومن وشقة إلى لاردة^(٧) ٧٠

وكان لها سور طوله ثلاثة كيلومترات وعليه ١١٤ برجاً وكان لدروقة قلعة مبنية على صخر عظيم من بناء العرب وسيأتى ذكرها بأوسع من هذا

(١) Saragosse وهى من قواعد الأندلس الكبار كان العرب يسمونها بالثغر الأعلى وسندكر عنها كل ما يلزم عند الوصول إلى مكانها من جغرافية الأندلس

(٢) Ebro وسيأتى الكلام على هذا النهر ومنبعه ومجره .

(٣) Calahorra وهى بلدة قديمة على ضفة نهر سيدا كوس Cidacos اشتهرت بشدة أهلها فى مقاومة الرومانيين ومنها إلى «شورية» ٩٩ كيلومتر .

(٤) Tudela (٥) Chibrana

(٦) الاسبانيول يقولون لها Huesca وهى مدينة قديمة جدا وكان الرومانيون يسمونها أوسكه Osca وعمرت فى زمان العرب وبقيت فى أيديهم إلى سنة ١٠٩٦ ثم صارت قاعدة لمملكة أراغون وهى على مسافة ٢٢ كيلومترا من سرقطة وسكانها اليوم ١٣٠٠٠ نسمة وسيأتى ذكرها .

(٧) هذه البلدة هى من عمل كتلونية فيها اليوم ٢٣٠٠٠ نسمة والاسبان يقولون

ميلا . ومدينة لاردة مدينة صغيرة متحضرة . ولها أسوار منيعة ، وهى على نهر كبير ومن مكناسة ^(١) إلى طرطوشة ^(٢) مرحلتان وهما ٥٠ ميلا ، ومدينة طرطوشة مدينة على سفح جبل ، ولها سور حصين ، وبها أسواق وعمارات ، وصناع وفعلة ، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها يكون خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والغلظ ، ومنه تتخذ السوارى والقرى ^(٣) وهذا الخشب الصنوبر الذى بجبال هذه المدينة أحمر صافى البشرة ، دسم لا يتغير سريماً ، ولا يفعل فيه السوس ما يفعله فى غيره ، وهو خشب معروف منسوب . ومن طرطوشة إلى موقع النهر فى البحر ١٢ ميلا ، ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة ^(٤) ٥٠ ميلا .

ومدينة طركونة على البحر ، وهى مدينة اليهود ، ولها سور رخام ، وبها أبنية حصينة وأبراج منيعة ، ويسكنها قوم قلائل من الروم ، وهى حصينة منيعة ، ومنها

لها ليريدہ Lerida وكان الرومانيون يسمونها ايلرده Herda وهى مدينة قديمة جداً أيضاً وجدت فيها مسكوكات من زمان الايبيريين وعليها رأس ذئب . وفى السنة ٤٩٤ قبل المسيح هزمت فيها جيوش قيصر جيوش أعدائه المنتسبين إلى بومي . وكان استيلاء العرب عليها سنة ٧١٣ مسيحية واسترجعها الاسبان سنة ١١١٧ وسيأتى ذكرها (١) الاسبان يلفظونها مكيننسة Mequinenza وهى من شارات ساحل كتلونية (٢) عند الاسبان تورتوزه Tortosa وكان الرومان يقولون لها درتوزه Dertosa وقال لها العرب طرطوشة وسيأتى ذكرها بما يليق من التفصيل .

(٣) السوارى جمع سارى وهو الخشبة المعترضة فى وسط السفينة ويكون عليه الشراع وهو معروف . وأما القرى فليس فى اللغة بهذا المعنى بل القرى جمع قرية وهى البلدة . ولكن يوجد فى اللغة القرية ، بتشديد الياء وهى عود الشراع الذى يجعل فى عرضه من أعلاه والمعروف أنه يجمع على قرايا . ورد ذلك فى تاج العروس وقال الزبيدى : والعامية تقول القرية بالتخفيف أى أن الادريسي جرى فى جمعه القرية على القرى مجرى العامة لأنه من بعد تخفيفها صار جمعها على قرى هو الأولى وقد لحظنا أن الادريسي يستعمل كثيرا من الألفاظ العامية ولحظ ذلك دوزى من قبل

(٤) Tarragona والاسبانيول يقولون لها طركونه كالعرب وهى مدينة بحرية

إلى برشلونة ^(١) في الشرق ٦٠ ميلا ، ومن مدينة طر كونة غرباً إلى موقع نهر إبره ٤٠ ميلا ، وهذا الوادي ههنا يتسع سعة كثيرة ، ومن موقع النهر إلى رابطة « كشتالى » ^(٢) غرباً على البحر ١٦ ميلا ، وهى رابطة حسنة ، حصينة منيعة ، على نحر البحر الشامى ، يسكنها قوم أخيار ، وبالقرب منها قرية كبيرة ويتصل بها عمارات ومزارع ، ومن رابطة كشتالى غرباً إلى قرية « يانة » Ianna قرب البحر ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « بنشكله » ^(٣) ٦ أميال ، وهو حصن منيع على ضفة البحر ، وهو عامر أهل ، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة . ومن حصن بنشكله إلى عقبة « ايشة » ^(٤) ٧ أميال ، وهو جبل معترض عال على البحر والطريق عليه لا بد من السلوك على رأسه ، وهو صعب جداً . ومنه إلى مدينة « بور يانه » ^(٥) غرباً ٢٥ ميلا

سكانها ٢٤ ألفا ، مشرفة على البحر تعلوه إلى حد ١٦٠ مترا وهى مدينة قديمة ايبيرية ولا يزال فيها مسكوكات من ذلك العهد . استولى عليها الرومانيون وحصنوها وجعلوها مرسى شهيراً وصارت مركزاً لهم فى اسبانية وأقام بها أغسطس الرومانى سنة ٢٦ قبل المسيح وجعلها قاعدة للمقاطعة المسماة « اسبانية الطر كونية » وفيها ابنية رومانية ومشهد للتمثيل وبعد النصرانية صارت مركز اسقفية ولما جاء القوط سنة ٤٧٥ للمسيح جعلوا عاليها سافلها واستولى عليها العرب سنة ٧١٣ واسترجعها الاسبانيول بعد ذلك بأربعمئة سنة وصارت تابعة لبرشلونة

(١) Barcelona وهى قاعدة كتلونية وأكبر مدن اسبانية وأوسعها تجارة وأكثرها صناعة وسيأتى ذكرها تفصيلا

(٢) دوزى يعتقد أن هذه الرابطة هى التى يقول لها الاسبانيول Castillo De Chiver وهى بقرب قلعة شيفر أو شير

(٣) ويقول لها الاسبانيول « بنيسكولا » ، Penuscola وتسمى جبل طارق ببلنسية لأنها فى جزيرة متصلة بالبر بلسان من الرمل وكان هذا الحصن فى يد العرب إلى سنة ١٢٣٣ إذ أخذه منهم جاك الأول ملك أراغون .

(٤) هى بالاسبانيول Abicha

(٥) الاسبانيول يقولون لبوريانة Burriano أى بوريانة بالتشديد . وتأمل فى ما ورد فى دليل بديكر فى كلامه على البلاد التى بين طرطوشة وبلنسية قال : إن

ومدينة بوريانه مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم، وهي في مستو من الأرض، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال. ومن بوريانه إلى «مرباطر»^(١) وهي قرى عامرة وأشجار ومستغلات، ومياه متدفقة، ٦٠ ميلا، وكل هذه الضياع والأشجار على مقربة من البحر. ومنها إلى «بلنسية» غرباً ١٢ ميلا.

ومدينة بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس، وهي في مستو من الأرض، عامرة القطر، كثيرة التجار والعمار، وبها أسواق وتجارات، وحط واقلاع، وبينها وبين البحر ٣ أميال مع النهر، وهي على نهر جار ينتفع به، ويسقى المزارع، ولها عليه بساتين وجنات، وعمارات متصلة. ومن مدينة بلنسية إلى مدينة سرقسطة ٩ مراحل على «كتندة»^(٢) وبين بلنسية وكتندة ٣ أيام، ومن كتندة إلى «حصن الرياحين» مرحلتان، وهو حصن كثير الخلق عامر بذاته. ومن حصن الرياحين إلى «القنت»^(٣) يومان، ومن مدينة بلنسية إلى جزيرة «شقر»^(٤) ١٨ ميلا، وهي على نهر شقر

قسطلون البلانة Castellon De La Plana هي مدينة زاهرة سكانها ٢٨ ألف نسمة وهي مركز تجارة للبرتقال ولها فرصة على البحر اسمها «غراو»، والقطار الحديدي يمر منها في مكان اسمه المجر Migares على جسر ثلاثة عشر قوساً ركب فوق قناة قسطلون المشتقة من النهر. وهذه التحفة البديعة من بدائع هندسة العرب تسقى تلك الأراضي منذ ستمائة سنة ثم تفيض من هناك إلى مدينة فيلارريال Villarreal وهي مدينة سكانها ١٦ ألفاً ويوجد فيها بساتين البرتقال وبينها بعض أشجار النخل والنساء تحمل هناك أباريق غربية ترجع إلى عهد قديم، ثم إن مياه المجر هذا لا تزال تتوزع على الأراضي إلى بوريانه التي هي أيضاً من الأماكن المشهورة بالبرتقال.

(١) Murbiter أو Merviedero

(٢) الاسبانيول يقولون Ceutenda

(٣) Alicante

(٤) Rio Jucar أي نهر شقر وعليه بلدة اسمها الصيرة

وجزيرة شقر المذكورة حسنة البقاع ، كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار ، وبها ناس وجلة ، وهي على قارعة الطريق الشارع إلى مرسية . ومن جزيرة شقر إلى « شاطبة »^(١) ١٢ ميلا . ومدينة شاطبة مدينة حسنة ، ولها قصاب ، يضرب بها المثل في الحسن والمنعة ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بعمور الارض ، ويعم المشارق والمغرب ومن شاطبة إلى « دانية »^(٢) ٢٥ ميلا ، وكذلك من شاطبة إلى بلنسية ٣٢ ميلا ، وكذلك من بلنسية إلى مدينة دانية ، على البحر مع الجون ٦٥ ميلا ومن بلنسية إلى حصن « قليرة »^(٣) ٢٥ ميلا ، وحصن قليرة قد أحرق البحر به ، وهو حصن منيع ، على موقع نهر شقر ، ومنه إلى مدينة دانية ٤٠ ميلا ومدينة دانية على البحر عامرة حسنة ، لها روض عامر ، وعليها سور حصين ، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر ، قد بنى بهندسة وحكمة ، ولها قسبة منيعة جداً ، وهي على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم ، وهي مدينة تسافر إليها السفن ، وبها ينشأ أكثرها ، لانها دار انشاء السفن ، ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ، ومنها يخرج الاسطول للغزو ، وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير يظهر من أعلاه جبال « يابسة »^(٤) في البحر ، ويسمى هذا الجبل جبل قاعون^(٥)

والعرب يسمونها جزيرة شقر والصيرة وهي تحريف الجزيرة

(١) الاسبانيول يقولون لها Jatiba ويقبلون الجيم خاء على عادتهم
 (٢) Denia ولا بد من لفظ الألف بالاماله حتى يفهم الاسبانيولي أن المراد هو هذه البلدة . ومن المعلوم أن عرب الأندلس كان أكثر لفظهم بالامالة . ولما كنت في الأندلس أردت الذهاب من القنت إلى دانية فلفظت هذه بغير امالة لأجل قطع تذكرة السفر فلم يفهموا مني في بادى الأمر .

(٣) دوزى يقول انه « كوليره » Cullera

(٤) يابسة هي جزيرة Ibiza أعلى قمة فيها تلوو ٤٧٥ متراً

(٥) Càoun

ومن مدينة شاطبة إلى بكيران غرباً ٤٠ ميلاً ، وحصن « بكيران » ^(١) حصن منيع عامر كالمدينة ، وله سوق مشهوده ، وحوله عمارات متصلة ، تصنع به ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية ، ويعمر الثوب منها سنين كثيرة ، وهى من أبداع الثياب عتاقة ورقة ، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض . ومن بكيران إلى دانية ٤٠ ميلاً . ومن حصن بكيران الى مدينة « الش » ٤٠ ميلاً . ومدينة الش ^(٢) مدينة فى مستوى الأرض ، ويشقها خليج يأتى إليها من نهرها ، يدخل المدينة من تحت السور ، فيتصرفون فيه ، ويجرى فى حمامها ، ويشق أسواقها وطرقاتها ، وهو نهر مليح سبخى ، وشرب أهل المدينة من الخوابى ، يجلب إليها من خارجها ، ومياهها المشروبة من مياه السماء . ومن مدينة الش إلى مدينة « وريولة » ^(٣) ٢٨ ميلاً ، ومدينة أوريولة على ضفة النهر الأبيض هو نهرها ونهر مرسية ، وسورها من ناحية الغرب على جريته ، ولها قنطرة على قوارب ، يدخل إليها منها ، ولها قصبة فى نهاية من الامتناع ، على قنة جبل ، ولها بساتين وجنات ، ورياضات دانية ، وبها من القواكه ما لا تحصيل له ، وبها رخاء شامل ، وبها أسواق وضياع . وبين أوريولة والبحر ٢٠ ميلاً . وبين أوريولة ومدينة مرسية ١٢٠ ميلاً ، ومن مدينة أوريولة إلى « قرطاجنة » ٤٥ ميلاً .

ومن مدينة دانية المتقدم ذكرها على الساحل إلى مدينة « لَقنت » ^(٤) غرباً

- (١) حصن بكيران هو فى جنوبى شاطبة والاسبانيول يكتبونه Bocayrant
- (٢) Elche وهى ذات النخل وسيأتى الكلام عنها . وأظن بنى الالشي فى دمشق أصلهم منها
- (٣) هى بالأسبانيول أوريواله Orihuela والعرب يتولون لها اريوله وربما يضعون الواو بعد الألف ولكن وردت فى جغرافية الادريسي وغيره بزيادة ألف بعد الواو أى اريواله وتكررت على هذا الشكل ويقال لهذه البلدة تدمير باسم الأمير الذى كان فيها يوم أخذها منه العرب صلحا
- (٤) الأسبانيول يقولون آليكننت Alicante والعرب يقولون القنت بالألف

على البحر ٧٠ ميلا . ولقنت مدينة صغيرة عامرة ، وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر . وبها فواكه وبقل كثير وتين وأغاب ولها قصبة منيعة عالية جداً في أعلى جبل ^(١) ، يصعد اليه بمشقة وتعب ، وهي أيضاً مع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق . وبالقرب من هذه المدينة ، وبالقرب منها ، جزيرة تسمى « ابلناصة » ^(٢) وهي على ميل من البر ، وهي مرسى حسن ، وهي ممكن لمراكب العدو ، وهي تقابل « طرف الناظور » ^(٣) ، ومن طرف الناظور إلى مدينة القنت ١٠ اميال ، ومن مدينة القنت في البر إلى مدينة الش مرحلة خفيفة ، ومن مدينة القنت إلى « حلوق بالش » ^(٤) ٥٧ ميلا وبالش مع مراسى افواه أودية تدخلها المراكب ومن بالش إلى جزيرة الفيران ^(٥) ميل . وبين هذه الجزيرة والبر ميل ونصف ، ومنها إلى طرف « القيطال » ^(٦) ١٢ ميلا ، ومنه إلى « برتمان » ^(٧) الكبير ، وهو مرسى ، ٣٠ ميلا ، ومنه إلى مدينة « قرطاجنة » ^(٨) ١٢ ميلا . ومدينة قرطاجنة ، وهي فرضة مدينة مرسية .

واللام وأحيانا لقنت بلام دون ألف وجميع هذه المدن سيأتي الكلام عليها في مواضعها (١) الاسبانيول يقولون لهذه القنصة التي بأعلى الجبل حصن « سانتا برباره »

Castillo De Santa Barbara

(٢) هنا خطأ في النسخ ولا يوجد ابلناصه وإنما الجزيرة اسمها بلانة وهي في جنوبي القنت .

(٣) طرف الناظور هو سانتا بولو Santa Polo

(٤) بالش هي Bélich ومرساها يقول له الاسبانيول Mar Menor

(٥) اسم هذه الجزيرة عند الاسبان Isla Grosa

(٦) القيطال Cap De Palos

(٧) برتمان الكبير هو عند الاسبان Puerto Pormann وكان يقال له أيام

الرومان Pertus Magnus

(٨) أحسن مرسى في أسبانية وسيأتي ذكرها

وهي مدينة قديمة أزلية ، لها مرسى ترسى بها المراكب الكبار والصغار ، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ، ولها إقليم يسمى « الفندون »^(١) وقليل ما يوجد مثاله في طيب الأرض ، وجودة نمو الزرع فيه ، ويحكى أن الزرع فيه يثمر بسقى مرة واحدة ، واليه المنتهى في الجودة .

ومن مدينة قرطاجنة على الساحل إلى « شجانة »^(٢) ٢٤ ميلا ، وهو مرسى حسن وعليه بقر به قرية ، ومنه إلى حصن « آقلة »^(٣) ١٢ ميلا ، وهو حصن صغير على البحر ، وهو فرضة « لورقة » ، وبينهما في البر ٢٥ ميلا . ومن حصن آقلة إلى وادي « بيّرة »^(٤) في قعر الجون ٤٢ ميلا . وعلى مصب النهر جبل كبير وعليه حصن بيّرة

(١) يظن دوزى أنه واقع تحريف لم يظهر معه أصل الكلمة

(٢) Chadjena

(٣) جاء في دليل بديكر عند ذكر مدينة لورقة قال أن سكانها ٣٠ ألف نسمة وكانت تسمى إلوكرو Ilucro في زمن الرومانين فقال العرب لها لورقة وهي مبنية إلى الشمال الغربي من شارات كانو ، ويشقها وادي « الانطين » والبلدة القديمة لا تزال شوارعها ضيقة وهي تذهب صعدا فوق الصخور إلى أن تتصل بحصن عربي لا يزال مائلا وفيها كنيسة اسمها سنتامارية مبنية في المكان الذي خيم فيه الأذفونش الملقب بالحكيم قبل أن أخرج هذه البلدة من أيدي العرب سنة ١٢٣٤ وإلى الشمال شارات كانو والخط الحديدى يمر في مكان يقال له « نوغلت Nogalte كان ميداناً للوقائع الشداد بين عرب غرناطة والمسيحيين وهناك على البحر مرسى آكيلاس اه فهذه هي آقلة التي يشير إليها الادريسي

(٤) Vera جاء في كتاب « صفة مملكة غرناطة » المنقول عن « معيار الاختبار » لابن الخطيب مايلي عن بيره هذه وضبطها بفتح فسكون : « بلدة صافية الجور رحبية الدو يسرح فيها البعير ويجم بها الشعير ويقصدها من مرسية واحوازاها العير فسا كنها بين تجر وابتغاء أجر ، وواديها نبلي الفيوض والمدود ، مصرى التخوم والحدود ، إن بلغ إلى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود ، إلا أنها قليلة المطر ، مقبحة

المطلّ على البحر، ومن الوادى إلى الجزيرة المسماة « قربُنيرة »^(١) ١٢ ميلا، ثم إلى « الرصيف » ستة أميال، ثم إلى « الشامة البيضاء » ثمانية أيام، ثم إلى طرف « قابطة »^(٢) ابن أسود « ستة أميال . ومن طرف القابطة إلى المرية ١٢ ميلا . ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر ٤٠ ميلا .

ومدينة مرسية قاعدة أرض تدمير . وهى فى مستو من الأرض ، على النهر الأبيض ، ولها روض عامر أهل ، وعليها وعلى روضها أسوار حصينة ، وحظائر متقنة والماء يشق روضها ، وهى على ضفة النهر المعروف ، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب . ولها أرحاء طاحنة فى المراكب ، مثل طواحن سرقسطة . التى هى تتركب فى مراكب تنتقل من موضع إلى موضع ، وبها من اليباتين والأشجار والعمارات مالا يوجد بتحصيل ، ولها كروم ، وبها شجر التين كثير ، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال . ومن مدينة مرسية إلى مدينة بلنسية خمس مراحل ، ومن مرسية إلى المرية على الساحل ٥ مراحل ، ومن مرسية إلى قرطبة عشر مراحل ، ومن مرسية إلى حصن شقورة^(٣) ، ٤ مراحل ، ومن مرسية إلى « جنجاله »^(٤) ٥٠

على الخطر ، مثلومة الأعراض والأسوار ، مهطعة لداعى البوار ، خليفة الحسن المغلوب ، معللة بالماء المجلوب ، آخذة بكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشورور ، وذهل أهلها فى الصلاة شائع فى الجمهور ، وسوء ملكة الأسرى من الذائع بها والمشهور .

Cap De Gata (٢) Carbonéra (١)

(٣) النهر الذى تشرب منه مرسية كان يقال له فى القديم تادر Tader والاسبانيول يقولون له سيغوره Segura والعرب يقولون له شقورة وسيأتى الكلام على شقورة وغيرها تفصيلا والادريسي يسميه بالنهر الأبيض ودوزى يقول إن Guadalaviar الذى يمر ببلنسية هو النهر الأبيض وكذلك جاء فى دليل بديكر ولكن تعريب Guadalaviar هو وادى الايبار .

(٤) يقول الاسبانيول لهذه البلدة شنشيلة Chinchilla وهى على ٢٩٨ كيلومتراً من مجريط وفيها يتلاقى خطان حديديان خط مرسية وخط قرطاجنة وهى مبنية على

ميلا . ومدينة جنجاله متوسطة القدر ، حصينة القلعة ، منيعة الرقعة ، ولها بستين وأشجار وعليها حصن حسن ، ويعمل بها من وطاء الصوف ما لا يمكن صنعه في غيرها باتقان الماء والهواء ، ولنسائها جمال فائق وحصافة .

ومن جنجاله « إلى » كونكة « يومان ، وهي مدينة أزلية صغيرة ، على منقع ماء مصنوع قصداً ، ولها سور ، وليس لها ربض ، ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة . ومن كونكة إلى قلصة ^(١) ثلاثة مراحل شرقاً ، وقلصة حصن منيع يتصل به أجبل كثيرة ، بها شجر الصنوبر الكثير ويقطع بها الخشب ويلقى في الماء ، ويحمل إلى دانية وإلى بلنسية في البحر ، وذلك أنها تسير في النهر من قلصة إلى جزيرة شقر ، ومن جزيرة شقر إلى حصن « قالبيره » وتفرغ هناك على البحر ، فتملاً منها المراكب ، وتحمل إلى دانية ، فتنشأ منها السفن الكبار ، والمراكب الصغار ، ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عريضاً ، فيصرف في الأبنية والديار . ولا تزال عادة ارسال الخشب في النهر إلى جزيرة شقر إلى قليرة النخ إلى

راية عليها حصن وفي جوانبها كهوف يسكن فيها الناس ومنها يمتد الخط الحديدي إلى بلدة يقال لها « ألبره » على نحو ٤ كيلو مترا من جنجاله ثم إلى محل يقال له عند الاسبانيول ألمنسا Almansa ولا شك أنه محرف عن المصنع جاء في دليل بديكر أن هناك خزاناً بناه العرب طوله ألفاً متر وعرضه ألفاً متر وعمقه ثمانون متراً وهو مبنى على واد بين جانبيه سد وهناك حصن عربي مبنى على حجر أبيض مشرف على السهل . قلت ولقد مررت على جنجاله والمصنع في طريق إلى مرسية وأنا بالقطار وشاهدت هذا الخزان في أثناء المسير . وقد ضبطت ياقوت الحموي اسم شنشالة بالتاء فقال شنشجاله وبخط الأشتوى شنتجبل بالياء . وسأتي ذكرها في موضعه

(١) الخط الحديدي من مرسية يمر على قرية اسمها « غرنجة » ثم على « قلصة » ويقول لها الاسبانيول كاللوزه Callosa وهي بلدة صغيرة منظرها لا يزال عرياً مبنية بحذاء جندل كبير وفيها بيوت كثيرة منحوتة في الجندل وحوها يرتقال ونخل . ولم يعرف دوزى قلصه هذه فوضع عليها علامة وقال إن أحرفها غير بينة وكتبها

هكذا : Calaca

يومنا هذا . ومن قلصة إلى شنت مارية ثلاث مراحل ، وكذلك من قلصة إلى « الفت » أيضاً مثل ذلك ، ومن « قونكة » ^(١) إلى « وبذى » ^(٢) ثلاث مراحل و « وبذى » و « اقليش » ^(٣) مدينتان متوسطتان ، ولها أقاليم ومزارع عامرة ، وبين وبذى واقليش ١٨ ميلا ، ومن اقليش الى شقورة ٣ مراحل وشقورة حصن كالمدينة ، عامر بأهله ، وهو في رأس جبل عظيم متصل ، منبع الجهة ، حسن البنية ، ويخرج من أسفله نهران ، أحدهما نهر قرطبه ، المسمى بالنهر الكبير ، والثاني هو النهر الأبيض الذى يمر بمرسية ، وذلك أن النهر الذى يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ، ظاهر في نفس الجبل ، ثم يغوص تحت الجبل ، ويخرج من مكان في أسفل الجبل ، فيتصل جريه غربا إلى جبل « نجدة » ^(٤) ، إلى « غادرة » ^(٥) ، إلى قرب مدينة « أبذة » ^(٦) ، إلى أسفل مدينة « بياسة » ^(٧) ، إلى حصن « اندوجر » ^(٨) ، إلى « القصير » ^(٩) ، إلى « قنطرة اشتشان » ^(١٠) ،

(١) يأتي المسافر من مجريط قاصدا إلى ساحل البحر عن طريق جنجالة فيمر ببلدة يقال لها « غيتاف » Getafe على ١٤ كيلو مترا من مجريط وبعد ذلك يمر ببلدة يقال لها « بنتو » Pinto ثم ببلدة يقال لها بلدمورو Valdemoro - ومن المعلوم أن المورو عند الأسبان هو المسلم - ثم إن الخط الحديدي يمر ببقعة مريعة مسقية يقال لها بقعة جراما Jarama ومن هذه البقعة يصل المسافر إلى نهر تاجه وهناك بلدة يقال لها « أرنجويس » Arenjuez على مسافة ٥٠ كيلو مترا من مجريط ومنها يصل إلى مدينة قونكة وهي بلدة قديمة جداً كانت من مراكز العرب استرجعها من أيديهم الازفونش الثامن سنة ١١٧٧ بعد حصار طويل وهي الآن قسبان المدينة القديمة والمدينة الجديدة وعدد سكانها ١٢ ألفا والقديمة مبنية على صخور شامخة

(٢) هي Huete (٣) اقليش هي Ucles

(٤) Nadjda (٥) Gadira (٦) Ubeda (٧) Baeza

(٨) Andojar (٩) Al - Kosair (١٠) Pont D'échtechàn

إلى قرطبة إلى حصن « المدور »^(١) إلى حصن « الجُرف »^(٢) إلى حصن « لورة »^(٣) إلى حصن « القليعة »^(٤) إلى حصن « قطنيانة »^(٥) إلى « الزَّرادة »^(٦) إلى اشبيلية ، إلى « قبّال »^(٧) إلى « قبتور »^(٨) ، إلى « طبرشانة »^(٩) ، إلى « المساجد »^(١٠) ، إلى قادس ، ثم إلى بحر الظلمات .

وأما النهر الأبيض الذي هو نهر مرسية فإنه يخرج من أصل الجبل ، ويحكى أن أصلهما واحد ، أعنى نهر قرطبة ونهر مرسية . ثم يمر نهر مرسية في عين الجنوب إلى حصن « افرد »^(١١) ، ثم إلى حصن « موله »^(١٢) ، ثم إلى مرسية ، ثم إلى أور يواله إلى المدور ، إلى البحر ، ومن شقورة إلى مدينة « سرتة »^(١٣) مرحلتان كبيرتان ، وهي مدينة متوسطة القدر ، حسنة البقعة ، كثيرة الخصب ، وبالقرية منها حصن . . .^(١٤) ، ومن حصن . . . إلى طليطلة مرحلتان . ومن أراد من مرسية إلى المرية سار من مرسية إلى قنطرة « اشكابة »^(١٥) إلى حصن « لبرالة »^(١٦) إلى حصن « الحمة »^(١٧) إلى مدينة « لورقة »^(١٨) ، وهي مدينة غراء حصينة ، على ظهر جبل

Alcoléa (٤) Lora (٣) Aljorf (٢) Almodovar (١)

Cabtal (٧) Az - Zarrada (٦) Cantillana (٥)

Trébugena (٩) Cabtor (٨) يقول الاسبانيول (١٠)

للساجد سان لوكار San - Locar ويقال ان أصلها Solus Lucos (١١) Perez

Mula (١٢) يقول لها الأسبانيول Almonacid De Zorita

(١٤) موضوع في الأصل بعد لفظه حصن ثلاث نقط . ثم موضوع جملة « ومن

حصن ، وبعدها أيضاً ثلاث نقط . وبعدها جملة « الى طليطلة ، وهذا في النسخة

المطبوعة في ليدن المترجمة الى الافرنسية بقلم دوزى وفي الحاشية مذكور انه « حصن

فته ، أو دقة ، أو ديه ، اشارة الى ان اللفظة غير محققة . ثم ان دوزى يقول بعد

هذا ان هذا البلد هو الذي يقال له Hita Calatrava

(١٥) قنطرة اشكابة هي Cantarilla

Lebrilla (١٦)

(١٧) الحمة يقول لها الاسبانيول Alhama وفي الاندلس حمات متعددة

(١٨) تقدم ذكرها وسيأتي مرة أخرى

ولها أسواق و ربيض في أسفل المدينة ، وطلّى الربيض سور ، وفي الربيض السوق ،
والرهادرة^(١) ، وسوق العطر ، وبها معادن تربة صفراء ، ومعادن مغرة ، تحمل
إلى كثير من الأقطار . ومن حصن لورقة إلى مرسية ٤٠ ميلا ، ثم من لورقة إلى
« آبار الرتبة »^(٢) إلى « حصن بيّرة »^(٣) مرحلة ، وهذا الحصن حصن منيع ،
على حافة مطلة على البحر . ومن هذا الحصن إلى « عقبة شقر »^(٤) ، وهى عقبة
صعبة المرقى ، لا يقدر أحد على جوازها راكباً ، وإنما يأخذها الركبان رجالة ، ومن
العقبة إلى « الرابطة »^(٥) مرحلة ، وليس هناك حصن ولا قرية ، وإنما بها قصر
به قوم حراس للطريق ، ومن هذه الرابطة إلى المرية مرحلة خفيفة

ومدينة المرية كانت في أيام الملتّم^(٦) مدينة الاسلام ، وكان بها من كل الصناعات
كل غريبة ، وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ٨٠٠ طراز ، يعمل بها الخلل
والديباج والسقلاطون والاصهبانى والجرجانى ، والستور المكحلة والثياب المعينة ،
والخمر والعنّابى ، والمعاجر ، وصنوف أنواع الحرير ، وكانت المرية قبل الآن يصنع بها
من صنوف الآلات النحاس والحديد ، إلى سائر الصناعات ، ما لا يحد ولا يكيف ،
وكان بها من فواكه وادبها الشيء الكثير الرخيص ، وهذا الوادى المنسوب إلى
بجاجة Bichèna بينه وبين المرية ٤ أميال ، وحوله جنات وبساتين وأرجاء ، وجميع
نعمها وفواكهها تجلب إلى المرية ، وكانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من

(١) لم يظهر لنا معنى هذه اللفظة ونظنها من تحريف النساخ

(٢) Ar - Rataba ومن يقرأ « الرتبة » يظنها لأول وهلة بالضم فالتسكون أى
المنزلة والحال انها محرّكة بفتح الأول والثانى والثالث فالرتبة هى الخلل الذى بين الأصابع
(٣) هى التى تقدم ذكرها وتلفظ بفتح أولها وهى غير البيرة المشهورة التى منها
مدينة غرناطة

(٤) Mujacar (٥) Arrabita

(٦) أى أيام دولة المرابطين يوسف بن تاشفين ورهطه

الاسكندرية والشام كله ، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا . ولا أنجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً .

والمرية في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبته المشهورة بالحصانة . والجبل الثاني منهما فيه رِبْضُها ويسمى جبل « لاهم » Lahem والسور يحيط بالمدينة وبالربض . ولها أبواب عدة ولها من الجانب الغربي ربض كبير عامر يسمى ربض الحوض ، وهو ربض له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات . والمدينة في ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات ، والمسافرون إليها كثيرون وكان أهلها مياسير ، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقداً ، ولا أوسع منهم أحوالاً . وعدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التعيين ألف فندق ، إلا ثلاثين فندقاً ، وكان بها من الطرز أعداد كثيرة ، قدمنا ذكرها . وموضع المرية من كل جهة استدارت به صنخور مكدسة ، وأحجار صلبة مضرسة ، لا تراب بها ، كأنما غُرِبت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر ، والمرية في هذا الوقت الذي ألفنا كتابنا فيه ، صارت ملكاً بأيدي الروم ، وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها . وخرَّبوا ديارها ، وهدموا مشيّد بنيانها ، ولم يبقوا على شيء ^(١) منها . والمرية منابع

(١) ان الشريف ابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الخودى الحسمى المعروف بالشريف الاديسى ولد سنة ٤٩٣ للهجرة وفق ١١٠٠ للميلاد وكانت ولادته في سبتة وقد توفى سنة ٥٦٠ للهجرة وفق ١١٦٦ للميلاد وقد حصل العلم في قرطبة ولذلك قيل له القرطبي ولما اتصل بخدمة دجار الثاني ملك صقلية قيل له الصقيلي وقد صنع لذلك المذكور قبل وفاته بقليل صورة للارض كانت أكلل ماعرف لذلك العهد وكرة أرضية من فضة وألف كتابه هذا « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، وقد اكمل تأليفه قبل سنة ٥٤٨ . وأما استيلاء العدو على مدينة المرية فقد كان يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ أى قبل تأليف كتاب الاديسى هذا بست سنوات واستشهد في وقعة الاستيلاء عليها الامام الرشاطى المحدث الكبير صاحب كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في نسب الصحابة ورواة الآثار » ، وهو أبو محمد

منها مدينة برجة^(١) ودلاية^(٢) . وبين المرية وبرجة مرحلة كبيرة . وبين برجة ودلاية نحو من ٨ أميال . وبرجة أكبر من دلاية ، ولها أسواق وصناعات وحروث ومزارع . ومن المرية لمن أراد مالقة طريقان ، طريق في البر وهو تحليق^(٣) وهو ٧ أيام والطريق الآخر في البحر وهو ١٨٠ ميلا . وذلك أنك تخرج من المرية إلى قرية البجانس^(٤) على البحر ستة أميال ، ومن قرية البجانس يمر الطريق في البر إلى برجة ودلاية . ومن قرية البجانس إلى آخر الجون ، وعليه برج مبني بالحجارة ،

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن احمد بن عمر اللخمي الرشايطي المري جاء في فتح الطيب أنه بعد أخذ النصارى مدينة المرية هذه المرة رجعت إلى ملك المسلمين واستفقدوها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت في أيدي الاسلام سنين . وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبدالمؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقتلوه وقدموا على أنفسهم الرميمي فأخذها النصارى منه عنوة وأحصى عدد من سبي من أبكارها فكان ١٤ ألفاً . قال في النفتح : ولما أخذت المرية أقبل إليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرنا النصارى بها وزحف إليها أبو عبد الله بن مردنيس ملك شرق الأندلس محاربا لها فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا . ثم رأى ابن مردنيس العار على نفسه في قتالهما مع كونهما يقاتلان النصارى فارتحل فقال النصارى ما ارتحل ابن مردنيس إلا وقد جامهم مدد فاصطاحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت إلى أن أحيى رمةها الرئيس أبو العباس احمد بن كمال واشتهر من ولاتها في مدة بني عبد المؤمن في المائة السابعة الأمير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك إفريقية أبي زكريا ثم استبد بأمر المرية أحد بني الرميمي الذين أخذ النصارى البلدة من جدهم ثم آلت إلى بني الأحمر أصحاب غرناطة . ثم ذهبت فيما ذهب من ملكهم عند ما انطوى بساط الأندلس والله غالب على أمره انتهى ملخصاً وسأني على هذه الوقائع بتفصيل عند ما نصل إلى التاريخ إن شاء الله .

(١) Berja (٢) Dalias عند الاسانويل . وسيأتي ذكر برجة ودلاية .

(٣) لعله يريد الارتفاع والدوران لأنه طريق في الجبال .

(٤) لم نهتد إلى معرفة هذه القرية ولا اهتدى دوزي

مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور المدو في البحر^(١) ، ستة أميال ، ومن هذا الطرف إلى مرسى البيرة ٣٢ ميلا ، ومنه إلى قرية « عذرة »^(٢) على البحر ١٢ ميلا . وقرية عذرة مدينة صغيرة لا سوق لها ، وبها الحمام والفندق ، وبها بشر كثير ، وبغيرها ينزل نهر كبير ، منبعه من جبل شاير ، ويجتمع بمياه برجه وغيرها فيصب عند عذرة في البحر ، ومن عذرة إلى قرية « بليسانة »^(٣) ٢٠ ميلا ، وهي قرية آهلة على شاطئ البحر ، ومنها إلى « مرسى الفروج »^(٤) ، ١٢ ميلا ، وهو مرسى كالحوط صغير . ومنه إلى قرية « بطرنة »^(٥) ٦ أميال ، وبها معدن التوتية

(١) عند ما ذهبنا من مالقة إلى الجزيرة الخضراء بالسيارة الكهربائية على شاطئ البحر لم نكن نجتاز أكثر من خمسمائة متر حتى نرى برجاً مخروطي الشكل على أكمة مشرفة على البحر أشبه بمنارة مسجد . فهذه الأبراج كانت في القديم توقد في رؤوسها النيران إذا طرقت العدو البلاد وكانت تقابلها أبراج في الداخل فتى شاهد الناس النيران خفوا إلى محل الواقعة . وأما البرج الذي يذكره الإدريسي هنا فيقول له الإسبانيول

Puerta elema

(٢) هذه القرية هي المرسى الذي ركب منه أبو عبد الله محمد بن الأحمر آخر ملوك المسلمين في الأندلس قاصداً إلى المغرب فرسى به السفين بمرسى مائلة وهذا حسبما جاء في كتاب « أخبار العصر » في انقضاء دولة بني نصر ، الذي لم يذكر اسم مؤلفه وقد عثرنا على نسخة منه مطبوعة بمدينة مينيخ الألمانية سنة ١٨٦٣ مع ترجمة ألمانية وحواش للمستشرق الألماني « مارك بوس مولر » وطبعناه مضافاً إلى الطبعة الثانية من كتابنا مختصر تاريخ الأندلس تذيلاً على ترجمتنا « لآخر بني سراج » ، وقد طبع كتابنا هذا أول مرة سنة ١٣١٥ وثاني مرة سنة ١٣٤٣ وسنأثر عنه وعن « أخبار العصر » في انقضاء دولة بني نصر ، عند الوصول إلى القسم التاريخي من « الحلال السندسية » ، لا سيما أن مؤلف هذا الكتاب قد ألفه سنة ٩٤٧ أي قبل تأليف نفع الطيب بنحو من ٩٣ سنة وكان حياً في أثناء الكائنة الأندلسية على أثر سقوط غرناطة واحتضار حشاشة الإسلام في الأندلس كما يظهر من تاريخ كتابه . والإسبانيول يقولون لهذه

القرية Adra

(٣) هي عند الإسبانيول Torre De Melicena

(٤) هو المسمى Castillo De Ferro (٥) هي Paterna عند الأسبان

التي فاقت جميع معادن التوتية طبيياً ، ومنها إلى قرية « شلبونة » ^(١) ١٢ ميلا ، ومن شلبونة إلى مدينة المنكب في البحر ٨ أميال . « والمنكب » ^(٢) مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك ، وبها فواكه جمّة ، وفي وسطها بناء مربع قائم كالصنم أسفله واسع ، وأعلاه ضيق ، وبه حفيران من جانبيه متصلان من أسفله إلى أعلاه وبأزائه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نهر ميل ، على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد فيصب ماؤه في ذلك الحوض ، ويذكر أهل المعرفة من أهل المنكب أن ذلك الماء كان يصعد إلى أعلى المنار ، وينزل من الناحية الأخرى ، فيجرى هناك إلى رحى صغيرة . كانت ، وبقي موضعه الآن على جبل مطل على البحر ، ولا يعلم أحد ما المراد بذلك ؟

ومن مدينة المنكب في البر إلى مدينة أغرناطة ٤٠ ميلا ، ومن المنكب على البحر إلى قرية « شاط » ^(٣) ١٢ ميلا ، وبقريّة شاط زيب حسن الصفة ، كبير المقدار أحمر اللون ، يصحب طعمه مرارة ، ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية . وهو منسوب إلى هذه القرية . ومن قرية شاط إلى قرية « طرّش » ^(٤) على ضفة البحر

(١) هي عند الاسبان Salobrena والعرب تقول لها في الغالب « شلوبانية » ونظرا للامالة في لهجة الأندلس فقد يقولون « شلوبينية » وهكذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان . وأما لسان الدين بن الخطيب فكتبها بالألف لا بالياء وسنذكر وصفه لها وقال ياقوت : هي من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحر كثيرة الموز وقصب السكر والشاه بلوط . قال : ينسب إليها أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي النحوي إمام عظيم مقيم باشيلية وهو حي أو مات عن قريب أخبرني خبره أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المرسي يعرف بأبي الفضل وكان من تلاميذه . اه . قلت هو أبو علي الشلوبيني النحوي المشهور وكان يقال له أبو علي الشلوبين وقد مات ياقوت النحوي وهو حي بل أبو علي الشلوبين عاش بعد ياقوت ١٩ سنة لأن ياقوت مات سنة ٦٢٦ والشلوبين مات سنة ٦٤٥ بين يدي حصار الاسبانول لاشيلية قبل أخذهم أياها بقليل

(٢) يقول لها الاسبانول Almunécar

(٣) شاط يقول لها الاسبانول Jete (٤) يقول لها الاسبان Turrox

١٢ ميلا. ومنها إلى قسبة «مرية بلديش»^(١) ١٢ ميلا، وهو حصن على ضفة البحر صغير المقدار ويصب بمقربة منه في جهة المغرب نهر الملاحه، وهو نهر يأتي من ناحية الشمال، فيمر بالحمّة، ويتصل بأحواز حصن صالحه^(٢)، فيقع فيه هناك جميع مياه صالحه، وتنزل إلى قرية «الفشاط»^(٣) وتصب هناك في غربى حصن مرية بلش في البحر، ومن مرية بلش إلى قرية «الصيرة» ولها طرف يدخل في البحر، ٧ أميال. ومن طرف قرية الصيرة إلى قرية «بزليانة»^(٤) ٧ أميال.

وهي قرية كالمدينة في مستو من الأرض، وأرضها رمل، وبها الحمام والفنادق وشباك يصاد بها الحوت الكثير، ويحمل منها إلى تلك الجهات المجاورة لها، ومن بزليانة إلى مدينة مالقة^(٥) ٨ أميال، ومدينة مالقة مدينة حسنة عامرة أهلة، كثيرة الديار، متسعة الأقطار، بهية كاملة سنية، أسواقها عامرة، ومتاجرها دائرة، ونعمها كثيرة، ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين

(١) ان دوزى يرى في لفظة «مرية» عند عرب الأندلس معنى البرج الذى «يرى» منه أو الذى توقد فيه النار إذا طرقت العدو. فقول الادريسي «مرية بلش» معناه البرج الخاص بهذا الأمر من ابراج بلش البحرية ويستشهد على صحة رأيه بقول البكرى «مرية بجانه» وأما بلش هذه فهي بلش مالقة ويقال لها عند الاسبان Velez Torra Del Marre المرية

(٢) الاسبان يسمونه Saliha أو Zalia وقد خرب من بعد جلاء العرب عن غرناطة :

(٣) Al - Fachat

(٤) بزليانة عند الأسبانيول Las Ventas De Mesmiliana

(٥) قال عنها ابن الخطيب في «معيار الاختيار» ما أقول في الدرّة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة أشهد لو كانت يوماً لكانت عيداً في الأيام تبعث لها بالسلام مدينة السلام وتاتي لها يد الاستسلام محاسن بلاد الاسلام أى دار وقطب مدار وهالة أبادار وكنز تحت جدار النخ، ويكتبها الأسبان Malaga وسياق وصفها مشبعا

طيباً ، وعدوياً ، ولمدينة مالقة ربضان كبيران . ربض « فنتالة » ^(١) وربض « التبانين » ^(٢) وشرب أهلها من مياه الآبار ، وماؤها قريب الغور ، كثير عذب ، ولها واد يجرى في أيام الشتاء والربيع ، وليس بدائم الجرى . وسنذكرها بعد هذا بحول الله تعالى وقوته .

ولنرجع الآن إلى ذكر مدينة المريّة فنقول : ان الطريق من مدينة المريّة الى اغرناطة البيرة ، فمن أراد ذلك خرج من المريّة إلى « بجانة » ^(٣) ستة أميال ، ومدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المريّة ، فانتقل أهلها إلى المريّة ، فعمرت وخربت بجانة ، فلم يبق منها الآن إلا آثار بنيانها ، ومسجد جامعها قائم بذاته ، وحول بجانة Pechina جنات وبساتين ، ومتنزّهات وكروم ، وأموال كثيرة لأهل المريّة وعلى يمين بجانة ، وعلى ستة أميال منها « حصن الحمة » ^(٤) والحمة في رأس جبل ويذكر المتجولون في أقطار الأرض أن مامثل هذه الحمة في المعمور من الأرض وأتقن منها بناء ولا أسخن منها ماء ، والمرضى والمعلّون يقصدون إليها من كل الجهات فيلزمون المقام بها إلى أن تستقلّ عليهم ، ويشفوا من أمراضهم وكان أهل المدينة في أيام الربيع يدخلون إليها مع نسائهم وأولادهم باحتفال من المطاعم والمشارب والتوسع في الانفاق وربما بلغ المسكن بها في الشهر ثلاثة دنانير مرابطية ، وأكثر وأقل . وجبال هذه الجهة كلها حصّ يحتفر ويحرق ، وينقل إلى المريّة ، وبه جميع عقد بنيانهم وتخصيصهم ، وهو بها وعندهم كثير ، رخيص لكثرتهم . ومن مدينة بجانة إلى قرية « بني عبدوس » ^(٥) ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « مندوجر » ^(٦) ٦ أميال ، وبه المنزل

(١) ربض فنتانة في مالقة يقول له الاسبازول Fontanella

(٢) ربض التبانين أي أصحاب التبن

(٣) Bachana أو Bechina

(٤) الحمة التي هي هنا هي Al Hamma

(٥) بني عبدوس يكتبها الأسبانيول Benabdoux (٦) Monto - jar

لمن خرج من الرية ، وهى مرحلة خفيفة . وحصن مندوجر على جبل تراب أحمر ،
والجبل على ضفة نهر ، والمنزل فى القرية منها ، ويبيع بها للمسافرين الخبز والسلك ،
وجميع الفواكه ، كل شىء منها فى إبانها . ثم إلى حمة « غشر »^(١) ثم إلى الحمة
المنسوبة إلى « وشتن »^(٢) ، ومنها إلى « مرشانة »^(٣) ، وهو على مجتمع النهرين ،
وهو من أمنع الحصون مكاناً ، وأوثقها بنياناً ، وأكثرها عمارة ، ومنها إلى قرية
« بلذوذ »^(٤) ، ثم إلى « حصن القصير »^(٥) ، وهو حصن منيع جداً ، على قم
مضيق فى الوادى ، وليس لأحد جواز إلا بأسفل هذا الحصن ، ومنه إلى خندق
« فير »^(٦) ، ثم إلى « الرتبة »^(٧) ، ثم إلى قرية « عبله »^(٨) ، وبها المنزل .
ومن قرية عبله إلى حصن « فنيانة »^(٩) ، ثم إلى قرية « حنصل »^(١٠) ، ثم إلى
أول فخص عبله ، وطول هذا الفحص ١٢ ميلاً ، وليس به عوج ولا أمت ، وعن
شمال المارّ جبل شلير الثلج ، وفى حضيض هذا الجبل حصون كثيرة ، منها حصن
« فريرة »^(١١) ينسب إليها الجوز ، وذلك أن بها من الجوز شيئاً ينفرط فى غير رضى
ولا يعدله فى طعمه شىء من الجوز من غيرها من الأقطار

ومن حصن هذا الجبل حصن « دِلر »^(١٢) ، وبه من الكثرى كل عجيبه ،
وذلك أن الكثرى به يكون منها فى وزن الحبة الواحدة رطل أندلسى ، وأما الأعم

(١) هذه الحمة عرفها دوزى بأنها حمة أوجيجر Hamma Ujjar

(٢) أما حمة « وشتن » فلم يعرفها ورجع تصحيف الاسم

(٣) Merchena قال فى دليل بديكر : مرشانة مدينة قديمة جداً أهلها اليوم ١٢ ألف
اسمة مبنية فى مكان مرتفع حولها أسوار مشعنة فيها قصور أدواق أركوس « اركش »
وهى ملتقى خطى الحديد بين غرناطة واشيلية

(٤) هى بالأسباني Bolud (٥) Al - Kosaïr

(٦) خندق فير هو Fabair

(٧) Arrataba (٨) Abla (٩) Finana

(١٠) Conçol (١١) Ferreira (١٢) Dilar

منها فكثرتان في رطل واحد ، ولها مذاق عجيب . ومن آخر فحص عبلة إلى خندق آس ، ثم إلى مدينة وادي آس ^(١) وهي مدينة متوسطة المقدار ، ولها أسوار محدقة ، ومكاسب مؤتقة ، ومياه متدفقة ، ولها نهر صغير دائم الجرى ، ومنها إلى قرية « دشمة » ^(٢) وبها المنزل . ومنها إلى « الرتبة » ثم إلى قرية « أفرافيدة » ^(٣) ثم إلى قرية « ود » ^(٤) وهي قرى متصلة . ومنها إلى مدينة أغرناطة ٨ أميال . ومدينة وادي آس رصيف يجتمع به طرق كثيرة ، فمن أراد منها مدينة بسطة خرج منها إلى جبل عاصم ^(٥) ثم إلى قرية . . . ^(٦) إلى مدينة بسطة ^(٧) وبينهما ٣٠ ميلا . ومدينة بسطة متوسطة المقدار ، حسنة الموضع ، عامرة أهلة ، لها أسوار حصينة ، وسوق نظيفة وديار حسنة البناء ، رائحة المعنى ، وبها تجارات وفصلة لضروب من الصناعات ، وعلى

(١) Guadix وهي من مشهورات مدن الاندلس قال عنها لسان الدين : هي مدينة الوطن ومناخ من عبر أو قطن للناس ماطهر والله ما بطن وضع شديد وبأس شديد ومعدن حديد ومحل عدة وعديد وبلد لا يعتل فيه إلا النسيم ومرأى يخجل منه الصباح الوسيم كثيرة الجداول والمذانب مخضرة الجوانب إلى الفواكه الكثيرة والكروم الاثيرة والسقي الذي يسد الخلة ويضعف الغلة وسندها (مكان من جبلها وسند الجبل هو مادنا منه) معدن الحديد والحريز ومقلها أهل للتاج والسرير وهي دار حساب وارث واكتساب وماؤها مجاج الجليد وهوؤها يذكي طبع البليد إلا أن ضعيفا يضيق عليه المعاش وناقها يتعذر عليه الاتعاش وشيخها يخطو على قصة الارتعاش فهي ذات برد وعكس وطرده الخ وسنفي إن شاء الله بوصفها

(٢) هي دجمة أو دشمة لا فرق كما يقال أرجدونة وارشدونة والأسبان

يكتبونها Déchima (٣) Afraferida

(٤) هي بالأسبانيولي Wod

(٥) لم يعرفه دوزي ولا نحن عرفنا عنه إلا أنه جبل عاصم .

(٦) يورا : يروا : فروا : بروه غير محقق هذا الاسم

(٧) الاسبانيول يقولون بازه Baza وهي مدينة قديمة وقد ازدهرت كثيرا في

أيام العرب وسكانها الآن ١٤ ألف نسمة قال لسان الدين عن هذه البلدة : « بسطة بلد

مقربة منها حصن « طشكر »^(١) الذي فاق جميع حصون الأندلس منعة ، وعلوآ ورفعة ، وطيب تربة وهواء . وليس لأحد موضع يصعد منه الى هذا الحصن إلا موضعان ، وبين الموضع والموضع ١٢ ميلا ، على طرق مثل شرك النعل ، ومدارج النمل ، وبأعلاه الزرع والزرع والحصاد والمياه ، واليه الانتهاء في الخصب وجودة الحصانه . وكذلك من وادى آش إلى جيان ثلاث مراحل خفاف

ومدينه جيان^(٢) حسنة كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، كثيرة اللجوم والعسل ، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير ، وهى مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ، ولها قصبة من أمنع القصاب وأحصنها يرتقى إليها على طريق مثل مدرج النمل ، ويتصل بها جبل « كور »^(٣) . وبمدينة جيان

خصيب ومدينة لها من اسمها نصيب (أى بسطة) دوحها متدللد وطيب هوائها غير متبدل وناهيك من بلد اختص أهله بالمران فى معالجة الزعفران وامتازوا به عن غيرهم من الجيران يتخلل مدينتها الجدول المتدافع الزافع للغال النافع، ثياب أهلها بالعير تتأرجح وحوورها تتجلى وتبرج وولدانها فى شط أنهارها المتعددة تتفرج ولها الفحص الذى يسافر فيه الطرف سعيا ولا تعدم السائمة به ريا ولا رعا ولله در القائل :

فى بلدة عودت نفسى بها إذ فى اسمها طه وباسين

الجأنى الدهر إلى عالم يؤخذ منه العلم والدين

إلا أن تربتها تفضح البناء ، وإن صحبه الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الإقامة ، وخذقتها لا كسارها تلقامة ، ورياحها عاصفة ، وعودها قاصفة ، والعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكاة ، وحدها قليل ، وعزيزها لتوقع المكروه ذليل أه قال هذه الجمل الاخيرة لأنها يوم وصفها ابن الخطيب كانت ثغر آمن تغور غرناطه . وقتها فرديتاندا وازابلا سنة ١٤٨٩ قبل فتحها غرناطة باربع سنوات ولا تزال المدافع التى فتحها بها معروضة وكنيستها صان مكسيمو هى فى مكان المسجد الجامع ولا تزال آثار القصر العربى دار الحكومة ماثلة والخط الحديدى يمر منها إلى وادى آش بين شارات بسطة وجبلكون ويدور حتى لا ينزل إلى الوادى العميق المسمى بالنور Gor

(١) يقول له الاسبانيول Tixcar (٢) سيرد ذكرها والاسبانيول يقولون

جيان خيان على عادتهم فى قلب الجيم خاه (٣) Cour

بساتين وجنات ، ومزارع وغللات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب ، وعلى ميل منها نهر « بلون » ^(١) وهو نهر كبير ، وعليه أرحاء كثيرة جداً ، وبها مسجد جامع وجلة وعلماء . ومن مدينة جيان إلى مدينة « يياسة » ^(٢) ٢٠ ميلاً ، ويياسة تظهر من جيان ، وجيان تظهر من يياسة ، ويياسة على كدية ^(٣) تراب مطلة على على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر ، وحوها زراعات ، ومستغلات الزعفران بها كثيرة . ومنها إلى « أبدة » ^(٤) في جهة الشرق ٧ أميال وهي مدينة صغيرة ، وعلى مقربة من النهر الكبير ، لها مزارع وغللات قمح وشعير كثيرة جداً ، وفيما بين جيان وبسطة ووادي آش حصون كثيرة ، عامرة بمدنة أهلة ، لها خصب وغلالات نافعة كثيرة ، فمن ذلك أن بشرقي جيان وقبالة يياسة حصناً عظيماً يسمى شوذرى (Joder) وإليه ينسب الخلاط الشوذرى ^(٥) ومنه في الشرق إلى حصن « طوية » ^(٦) ١٢ ميلاً ، ومنه إلى حصن « قيشاطة » ^(٧) وهو حصن كالمدينة له أسواق ووربض عامر ، وحمم وفنادق ، وعليه جبل يقطع به من الخشب التي تخرط منه القصاع والخباني والأطباق وغير ذلك ، مما يعم بلاد الاندلس وأكثر بلاد المغرب أيضاً . وهذا الجبل يتصل ببسطة ، وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان ، ومنه إلى وادي آش مرحلتان ، ومنه إلى أغرناطة . مرحلتان ومن وادي آش المتقدم ذكرها إلى أغرناطة ٤٠ ميلاً

(٤) Guadabellon

(٢) والاسبانيول يكتبونها Baeza وسيأتي ذكر هذه المدن كلها

(٣) العرب يقولون كدية للتراب الغليظ الصلب

(٤) Ubeda بلدة قديمة من زمن الايبيريين لكنها الآن ساقطة

(٥) لم يعرف دوزى ماهو الخلاط الشوذرى ؟ ولا نحن عرفناه إلا أن يكون

محرفاً عن الخليط وهو شراب من تمر وزبيب ويكون أهل هذا البلد يتقنونه فاشتهر بهم

(٦) Toyo بالاسبانيولى « كيساده » Quesada والخط الحديدي

يمتد من يياسة إلى ابدة إلى شوذرى إلى قيشاطة

ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة (Vera) ، فخلت وانتقل أهلها إلى اغرناطة ، ومدتها وحصن أسوارها وبنى قصبتها حيوس الصنهاجي ^(١) ، ثم خلفه ابنه بادس بن حيوس ، فكلت في أيامه وعمرت إلى الآن . وهي مدينة يشقها نهر يسمى « حدرو » ^(٢) وعلى جنوبها نهر الثلج المسمى « شنيل » ^(٣) ومبده من جبل شلير ، وهو جبل الثلج ، وذلك أن هذا الجبل طوله يومان وعلوه في غاية الارتفاع ، والثلج به دائماً في الشتاء والصيف : ووادي آش واغرناطة في شمالي الجبل ، ووجه الجبل الجنوبي مطل على البحر ، يرى من البحر على مجرى (... بياض بالأصل) ونحوه وفي أسفله من ناحية البحر برجة ودلاية ، وقد ذكرناها في ما سبق . ومن اغرناطة إلى مدينة المنكب على البحر ٤٠ ميلا ، ومن اغرناطة إلى مدينة « لوشة » ^(٤) مع جرية النهر ٢٥ ميلا . ومن المنكب إلى مدينة المرية ١٠٠ ميل في البحر ، ومن المنكب إلى مدينة مالقة ٨٠ ميلا .

ومدينة مالقة مدينة حسنة حصينة ويملوها جبل يسمى جبل « فأره » ^(٥) ، ولها قسبة منيعة ورضان ، لا أسوار لها ، وبها فنادق وحمامات ، وبها من شجر التين ما ليس بأرض ^(٦) ، وهو التين المنسوب إلى رية . ومالقة قاعدة رية ، ومن مالقة

(١) سيأتي خبره في باب التاريخ .

(٢) الاسبانيول يقولون له « درو » Darro ، (٣) Xenil

(٤) الاسبانيول يقولون : لوجه ويسمونها بسان فرنسيسكو وموقعها جميل في سفح جبل على الضفة الجنوبية من نهر شنيل وكانت أعمر مما هي الآن في أيام العرب وكان يقال أن لوشة والحمة هما مفتاحا غرناطة . وقد استولى فرديناند وايزابله على لوشة بمساعدة جيش من الانكايير وذلك سنة ١٤٨٨ ولا تزال في لوشة بقايا آثار العرب

(٥) الاسبانيول يقولون للاكمة التي عليها حصن مالقة Gibril - Faro وليس بينه وبين البحر إلا مسافة أمتار معدودة وقد صعدت إلى هذا الحصن ورأيته لا يزال على ما كان أيام العرب . (٦) قال الشاعر :

مالقة حيث يا تينها السفن من أجلك يا تينها

إلى قرطبة في جهة الشمال أربعة أيام ، ومن مالقة أيضاً إلى غرناطة ٨٠ ميلا . ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ، ومن مالقة إلى اشبيلية خمسة مراحل ، ومن مالقة إلى « مَرْبَلَّة » ^(١) في طريق الجزيرة الخضراء ٤٠ ميلا ، ومَرْبَلَّة مدينة صغيرة متحصّرة ، ولها عمارات وأشجار تين كثيرة ، وفي الشمال منها قلعة « بُبَشْتَر » ^(٢) ، وهي قلعة في نهاية الامتناع والتحصين ، والصعود إليها على طريق صعب .

وأما ما بين مالقة وقرطبة من الحصون المانعة التي هي حواضر في تلك النواحي فمنها مدينة « ارشدونه » ^(٣) و « انتقيرة » ^(٤) ، وبينها وبين مالقة ٣٥ ميلا . وكانت ارشدونة هذه وانتقيرة مدينتين أخلتھما الفتن في زمان الثوار بالأندلس . بعد دولة ابن أبي عامر القائم لدولة بنى أمية . ومن ارشدونة إلى حصن « اشير » ^(٥) ٢٠ ميلا وهو حصن حسن حصين ، كثير العمارة أهل ، وله سوق مشهورة ، ومنه إلى باغُه ^(٦) ١٨ ميلا ، وباغُه مدينة صغيرة القدر ، لكنّها في غاية الحسن ، لكثرة مياهها ،

نهی لطیبي عنہ فی علّتی ما لطیبي عن حیاتی نہی !

(١) هي Marbella على الطريق بين مالقة والجزيرة الخضراء وقد قطعنا هذه الطريق بالسيارة الكهربية والذى أتذكره أننا بقينامت ساعات من مالقة إلى الجزيرة

(٢) يقول لها الاسبانيول Barbaxter أو Bobastro .

(٣) وقد يكتبها العرب بالجيم أى أرجدونة وهكذا جاءت في « معيار الاختبار » لابن الخطيب الذى هجاها هجواً مرأ فقال : شردار ، وطلل لم يقم منه الاجدار ، وقومها ذوو بطر وأشر ، وشيوخها تيوس في مسالخ البشر ... الخ

(٤) Ontquera بلدة في سفح شارات توركالس بديعة الموقع وهي بلدة زراعية فيها من السكان ٢٣ ألفاً وفي رأسها حصن عربي قديم وفيها برج يسمى اليوم بلوطة وبقر هذه البلدة كانت الواقعة التي هزم فيها أبو عبد الله الزغل سلطان غرناطة جيشا اسبانيولياً بقيادة سيفونتس وأغيلار وذلك سنة ١٤٨٣ .

(٥) الاسبانيول يكتبون هذا الاسم هكذا : Isnajar

(٦) اسم هذه البلدة في القديم ايباغنوم Epagnumm والعرب كانوا يقولون لها باغُه والاسبانيول اليوم يقولون لها Priego

والماء يشق بلدها ، وعليه الارحاء داخل المدينة ، ولها من الكروم والأشجار ما لا مزيد عليه ، وهي في نهاية الخصب والرخاء . ويلبها في جهة المشرق الحصن المسمى « بالقبداق » ^(١) وبينهما مرحلة خفيفة ، وحصن القبداق كبير عامر ، وهو في سفح جبل ينظر إلى جهة الغرب ، و به سوق مشهورة ، ومنه إلى حصن « بيانة » ^(٢) مرحلة صغيرة ، وبيانة حصن كبير في أعلى كدية تراب ، قد حفت بها أشجار الزيتون الكثيرة ، ولها مزارع الخنطة والشعير . ومن حصن بيانة إلى « قبرة » ^(٣) مرحلة خفيفة . وحصن قبرة كبير كالمدينة حصين المكان ، وثيق البنيان ، وهو على متصل أرض وطيئة وعمارات ومزارع . ومنه إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، ويتصل به بين جنوب وغرب مدينة « اليسانة » ^(٤) وهي مدينة اليهود ، ولها روض يسكنه المسلمون وبعض اليهود ، و به المسجد الجامع ، وليس على الروض سور ، والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين ، ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب ،

(١) بالاسبانولي Alcabdzac ويقولون أيضا Alkaudette

(٢) إذا جاء المسافر من جيان إلى غرناطة بالسيارة مر بوادي « غواردية » الذي هو إلى الجنوب الشرقي ثم أنه يمر بشارت « اليسانة » ثم بشارت الأنوار حيث هناك منظر جميل من جهة جبل الثلج شلير ثم يمر بشارت البيرة حتى ينتهي إلى مرج غرناطة وأما الخط الحديدي فيمر بغياض الزيتون الخاصة بجيان وينتهي إلى بلدة يقال لها الدون جيمينو ثم يصل إلى « مرتوس » ثم إلى بلدة يقال لها « الكوديت » (ويقال لها القبداق) ثم يمر بالناحية التي يسقيها وادي الحوز Guadajoz ثم يصل إلى « لك » وديانة ، Luque - Baena فلك هي Luque قرية إلى الشمال وأما بيانة Baena فهي إلى الجنوب وهي بلدة سكانها ١٥ ألفاً . ومن هناك يمر الخط ببلدة « قبرة » Cabra وأصل اسمها في القديم « ايغابروم » Igabrum وسكانها ١١ ألف نسمة موقعها جميل وهي على الصبب الشمالي من شارت قبرة . ثم يقطع الخط نهر قبرة وشاراتها فيصل إلى اليسانة Lucena وهي اليوم بلدة سكانها ٢١ ألفاً

(٣) تقدم ذكره قبده ، مع بيانه واليسانة .

(٤) تقدم ذكرها في هذه الصفحة نفسها

وفائض مياهها قد ملأ الحفير ، واليهود يسكنون بجوف المدينة ، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير ، أكثر غنى من اليهود الذين بسائر بلاد المسلمين ، ولليهود بها تحذّر وتحصن من مضدّهم . ومن اليسانة إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، وبلى هذه الحصون حصن « بُلاى » ^(١) Aguilar De La Frontera وحصن « مُنْترَك » ^(٢) وهى فى ذاتها حصون يسكنها البربر من أيام الأمويين ، ومن حصن بُلاى إلى مدينة قرطبة ٢٠ ميلا ، وبالقرب من بُلاى حصن « شنت » ^(٣) ياله « وهو حصن على مدرّة ، والماء منه بعيد . ومنه إلى استجة ^(٤) فى الغرب ١٥ ميلا . ومن حصن شنت ياله

(١) وهو Aguilar De La Frontera

(٢) يقول الأسبانيول لهذا الحصن Monturque

(٣) Santa Ella

(٤) الاسبانيول يقولون اسيجه Eciga والخط الحديدى يخرج من قرطبة إلى وادى الجوز Guadajoz ثم إلى « وادى القصر » ثم إلى « كرلوته » ثم إلى استجة التى هى على ٥٦ كيلو متراً من قرطبة وكان الرومان يقولون لها استيجى Astigi وكان لها عظمة فى زمان الرومانيين وأما الآن فهى بلدة صناعية سكانها ٢٢ ألف نسمة وشوارعها لا تزال ضيقة كشوارع المدن العربية وحرها شديد فى الصيف وهذا هو السبب فى ضيق شوارعها . وأما ضواحيها فعلى خصب عظيم وعلى مقربة منها بلدة يقال لها « لوزيانة » ثم إن الخط الحديدى على مائة كيلو متر من قرطبة يصل إلى مدينة « مرشانة » Marchena وهى بلدة قديمة جداً مبنية على محل عال وحوها أسوار وعلى ١٠٨ كيلومترات بلدة يقال لها « بردى » Paradas وبعدها بلدة يقال لها الرحل Arahال وعلى مسافة ١٢٨ كيلومتراً يصل الخط إلى « مورور » وهى على « وادى ياره » ويوجد بقرب شارات مورور حصن عربى ومقاطع للرمم . ثم يصل الخط إلى أتريرة Utrera ثم إنه من أشيلية إلى أتريرة يقطع وادى ياره Guadaira بازاء الوادى الكبير فيمر بمكان يقال له حصن الفرح Aznalfarache ثم ببلدة « كورية » ، وأما أتريرة فبلدة فيها ١٥ ألف نسمة أهلها زراعى ورعاة أغنام . ومن أتريرة يذهب الخط فى سهول الوادى الكبير فيمر ببلدة يقال لها « قنطرلة » ثم ببلدة يقال لها عند الاسبانيول « لبريجه » وكان العرب يقولون لها « نبريشة » وأهلها ١١ ألف

إلى قرطبة ٢٣ ميلا . ومدينة استجة على نهر أغرناطه المسمى شنيل وهي مدينة حسنة ولها قنطرة عجيبة البناء من الصخر المنحور ، وبها أسواق عامرة ، ومتاجر قائمة ، ولها بساتين وجنات ملتفة ، وحدائق زاهية . ومن استجة إلى قرطبة ٣٥ ميلا ومن استجة في جهة الجنوب إلى حصن اشونة ^(١) نصف يوم . وحصن اشونة حصن عمدن كثير الساكن ومنه إلى « بلشانة » Belicena ومدينة بلشانه Belicena حصن كبير عامر ، له حصانة ووثاقة . يحيط به شجر الزيتون . ومن استجة إلى مدينة قرمونه Carmona ٤٥ ميلا ، وهي مدينة كبيرة يضاهى سورها سور اشبيلية وكانت فيما سلف بأيدي البرابر ، ولم يزل أهلها أبدأ أهل نفاق ، وهي حصينة على رأس جبل حصين منيع ، وهي على فخص ممتد ، جيد الزراعات ، كثير الاصابة في الخنطة والشعير ومنه في الغرب إلى اشبيلية ١٨ ميلا ، وقد ذكرنا اشبيلية فيما سبق . ومن مدينة قرمونه إلى شريش Jerez من كورة شذونه Sidonia ٣ مراحل . وكذلك من مدينة اشبيلية إلى شريش مرحلتان كبيرتان جداً

نسمة ولها كنيسة أصلها جامع . ومنها يمر المسافر بمكان يقال له الكرثو Elcurvo فيرى آثار حصن عربي قديم يقول له الاسبانيول « ملغاريجو » Melgarejo ومن هناك يصل إلى « شريش » والاسبانيول يسمونها خريس Jerez وذلك لأنهم يقبلون الجيم والشين خاء وسباق الكلام على شريش في مكانه

(١) عند الاسبانيول أوسينا Ossuna يخرج المسافر من قرطبة بالقطار الحديدي القاصد إلى مالقة فيمر على جسر فوق الوادي الكبير طوله ٢٠٠ متر ويخترق ناحية « كامينا » Campina التي يسقيها وادي الجوز وبعد مسافة ٥٠ كيلو مترا يمر ببلدة « ممثلة » Montilla ثم ببلدة « منت ميور » Montemayor ثم يتقدم إلى مدينة « اغيلار » Agiler وفيها حصن عربي هو حصن بلاى ثم يمر على بحيرتين اسم إحداهما « زونار » ، والأخرى « رينكون » ، وبالقرب منهما حصن عربي قديم وعلى مسافة ٧٦ كيلو متراً بلدة « بنت شنيل » ، وعلى مسافة ١٠٠ كيلو متر بلدة الروضة Roda وفيها ملتقى الخطين الحديديين خط غرناطة - مالقة وخط اشبيلية - قادس . وكل هذه النواحي ملأى بشجر الزيتون ومن الروضة يذهب الخط الحديدي إلى مرشانة ثم إلى اشونة وهي بلدة رومانية قديمة أعطاها قيصر حقوق المدن الرومانية

ومدينة شريش متوسطة حصينة مسورة الجنات ، حسنة الجهات ، وقد أطافت بها الكروم الكثيرة ، وشجر الزيتون والتين ، والحنطة بها ممكنة ، وأسمارها موافقة ومن شريش إلى جزيرة قادس Cadix ١٢ ميلا فن شريش إلى القناطر ٦ أميال ، ومن القناطر إلى جزيرة قادس ٦ أميال ، ومن اشبيلية المتقدم ذكرها إلى قرطبة ٣ مراحل ولها ٣ طرق طريق « الزنجبار » Az - Zanbadjar وطريق « لورة » Lora وطريق الوادي ، فأما طريق الزنجبار فقد ذكرناها ، وهي من اشبيلية إلى قرمونة مرحلة . ومن قرمونة إلى استجة مرحلة . ومن استجة إلى قرطبة مرحلة . وأما طريق لورة فن اشبيلية إلى منزل « أبان » Aban ثم إلى « مرلش » Marlich ثم إلى حصن « القليعة » Coléa وبه المنزل ، وعند مسيرك من مرلش إلى القليعة تبصر حصن قطنيانه Cantillanna على الشمال والمنزل القليعة وهي ضفة النهر الكبير ، يجاز إليها في المركب ، ومن حصن القليعة إلى الغيران^(١) إلى حصن لورة ، وهو يبعد عن الطريق نحو رمية سهم ، وعلى يمين المار حصن كبير عامر ، على ضفة النهر الكبير ، ومن لورة إلى قرية « صدف »^(٢) ويقابلها على يسار السالك على جبل عال حصن منيع ، وقلعة متحصنة تسمى « شت فيكة »^(٣) وهي معقل للبربر من قديم الزمان .

(١) هذه التي يقول لها ابن حوقل « غرغرة »

(٢) الصدف ككتف بطن من كندة قال الزبيدي في تاج العروس في شرح القاموس : ينسبون اليوم إلى حضرموت وإذا نسبت إليهم قلت هو صدفى محركة كراهة الكسرة قبل ياء النسب قاله ابن دريد وأشد :

يوم لهمدان ويوم للصدف وتيمم مثله أو تعترف

وقال غيره : هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير ابن سبأ . وينسب إليه خاق من الصحابة وغيرهم وقد نزلوا بمصر واختطوا بها ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفى وغيره اه . وهذه القرية في الأندلس نزلها أناس من الصدف وعمرت بهم فقل لها الصدف

(٣) الاسبانول يقولون لها : Siete Filla

ومن صدف إلى قلعة « ملبال » ^(١) وهى على نهر ملبال وهو نهر مدينة « فرنجلوش » ^(٢) ومن هذه القنطرة إلى مدينة فرنجلوش ١٢ ميلا . ومن القنطرة إلى قرية « شوشيل » ^(٣) وهى قرية كبيرة على نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير ، ومنها إلى « حصن مُراد » ^(٤) وبه المنزل ، ومن حصن مراد إلى الخنادق إلى حصن المدور ، ثم إلى السوانى ^(٥) ثم إلى قرطبة ، وهى المنزل . وبين أشبيلية وقرطبة ٨٠ ميلا على هذا الطريق ، ومن حصن المدور الذى ذكرناه إلى فرنجلوش ١٢ ميلا ، وهى مدينة حصينة منيعة ، كثيرة الكروم والأشجار ، ولها على مقربة منها معادن الفضة ، بموضع يعرف بالمرج ، ومنها إلى حصن « قسنطينة » ^(٦) الحديد ١٦ ميلا ، وهذا الحصن حصن جليل ، عامر أهل ، وبجباله معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته ، ومنه يتجهز إلى جميع أقطار الأندلس ، وبقرب منه حصن « فريش » ^(٧) وبه مقطع للرخام الرفيع الجليل الخطير ، المنسوب إليه ، والرخام الفريشى أجل الرخام بياضاً وأحسنه ديباجا ، وأشدّه صلابة ، ومن هذا الحصن إلى « جبل العيون » ^(٨) ٣ مراحل خفاف ، ومن شاء السير إلى قرطبة أيضاً من إشبيلية ركب المراكب ، وسار صاعداً فى النهر إلى أرحاء « الذرّادة » ، إلى عطف منزل « ابان » ، إلى « قطنيانة » ، إلى « لورة » ، إلى حصن « الجرف » ، إلى « شوشيل » ، إلى

(١) لم يعرفها دوزى ولا عرفناها نحن

(٢) الاسبانيول يقولون لفرنجلوش Hornachuelos

(٣) Chouchabil

(٤) هذا الحصن اسمه عند الاسبان Mratalla

(٥) الاسبانيول أخذوا لفظة السانية فيما أخذوه من لغة العرب وهى الآلة الرافعة للماء وأصلها الغرب مع أدواته والسانية أيضا الناقة يستقى عليها من البئر من فعل سنا ارتفع ويقال أيضا سنوت الباب فتحته . والاسبانيول يكتبون السانية : Acéna

(٦) قسنطينة الحديد Constantine De Fer

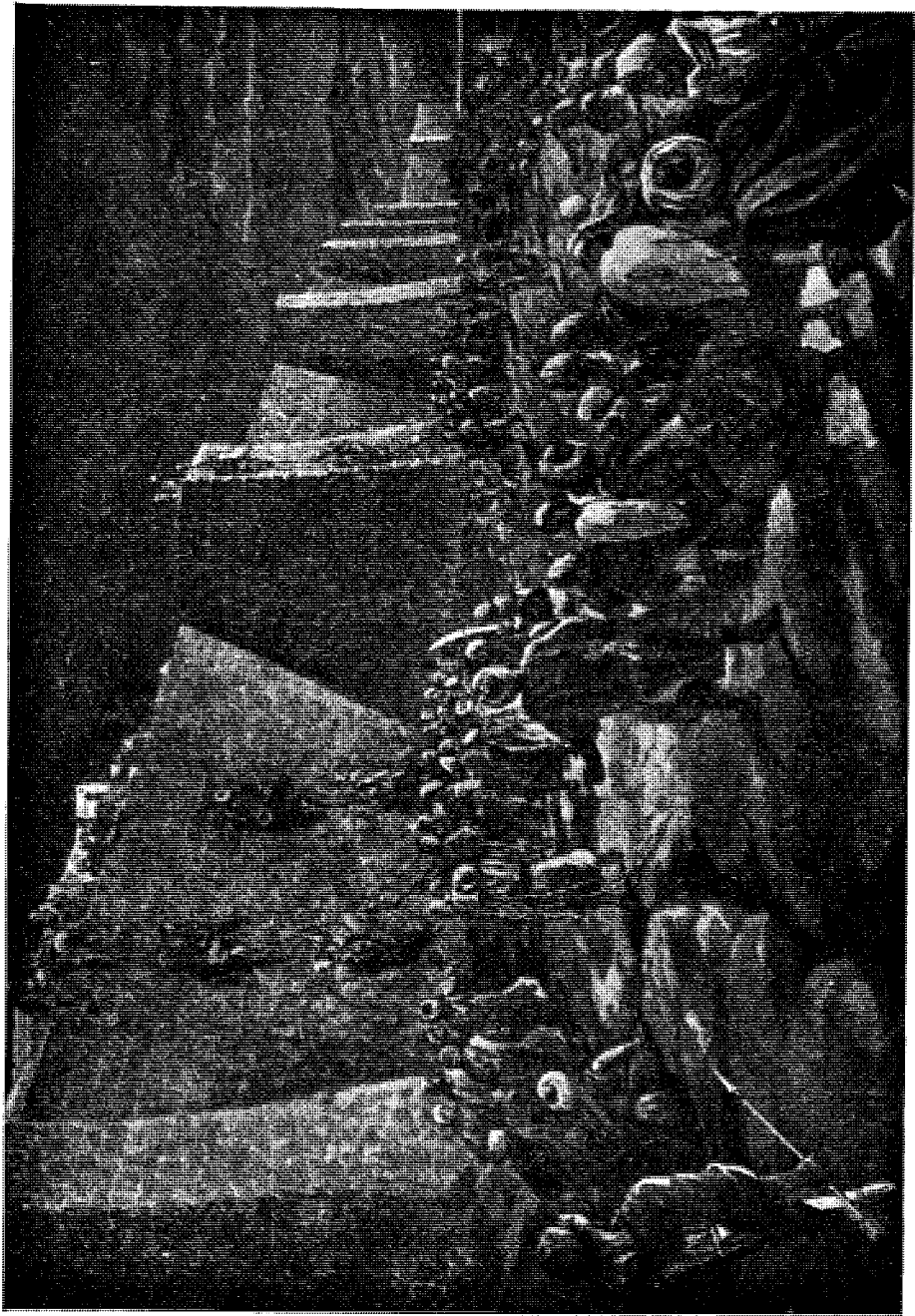
(٧) Firriche (٨) Gibraléone

موقع نهر « ملبال » ، إلى حصن « المدور » ، إلى « وادي الرمان » ، إلى أرحاء « ناصح »^(١) إلى قرطبة ، ومدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ، وأم مدنها ، ودار الخلافة الاسلامية .

وفضائل أهل قرطبة أكثر وأشهر من أن تذكر ، ومناقبهم أظهر من أن تستر ، وإيهم الانتهاء ، في السناء والبهاء ، بل هم أعلام البلاد ، وأعيان العباد ، ذُكروا بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزي في الملابس والمرائب ، وعلو الهمة في المجالس والمراتب ، وجميل التخصص في المطاعم والمشارب ، مع جميل الخلائق ، وحميد الطرائق ، ولم تخلُ قرطبة قط من أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، وتجارها مياسير ، لهم أموال كثيرة ، وأحوال واسعة ، ولهم مراكب سنوية ، وهم عليّة ، وهي في ذاتها مدن خمس ، يتلو بعضها بعضاً ، بين المدينة والمدينة ، سور حاجز ، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات ، وفي طولها من غربتها إلى شريقها ٣ أميال ، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد . وهي في سفح جبل مطلق عليها يسمّى جبل العروس ، ومدنيتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة .

وفيه المسجد الجامع ، الذي ليس بمسجد المسلمين مثله ، بنية وتنميكا ، وطولا وعرضا ، وطول هذا الجامع مائة باع مرسلّة ، وعرضه ٨٠ باعا^(٢) ، ونصفه مسقف

(١) Nacih (٢) يقول دوزي نقلا عن لا بورد Laborde في كتابه « وصف أسبانية ، Description De L'Espagne : إن طول مسجد قرطبة في حالته الحاضرة هو ٦٢٠ قدماً وعرضه ٤٤٠ قدماً وهكذا قرر ماندوس Mandoz في كلامه عن هذا المسجد . وكان فيه أيام العرب ١٤٠٠ سارية أما الآن فهي ٨٥٠ سارية لا غير كما قال البارون شك Schack قلت : أخبرني المهندس هرناندز الذي كان دليلي في قرطبة وهو من الموكلين بالجامع الأعظم أن طول المسجد هو ١٧٥ متراً وأن عرضه ١٢٥ متراً وأخذ القلم وحسب ذلك بالتربيع فوجد أن المسقف والصحن يتسعان لثمانين ألف مصل أما لافي بروفنسال المستشرق الافرنسي صاحب « أسبانية المسئلة



عساكر العرب في حصار قرطبة وهم يتسلقون جدرانها سنة ٧١٢ ب. م.

ونصفه صحن للهواء ، وعدد قسيّ مُسَقَّه ١٩ قوساً ، وفيه من السوارى ، أغنى سوارى مُسَقَّه ، بين أعمدته ، وسوارى قِبَلْتَه ، صفاراً وكباراً ، مع سوارى القبة الكبرى وما فيها : ألف سارية . وفيه ١١٣ ثُرِيّاً للوقيد ، أكبرها واحدة منها تحمل ألف مصباح ، وأقلها تحمل ١٢ مصباحاً . وسقفه كله سماوات خشب مسمّرة في جوائز سقفه ، وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشى ^(١)

في القرن العاشر ، فقال إن : طول المسجد هو ١٨٠ متراً وعرضه ١٣٠ وسنذكر فيما سيأتى أثناء الكلام على قرطبة كل ما يتعلق بهذا المسجد

(١) الصنوبر الطرطوشى مضرب الأمثال في الصلابة والثبات هذا وقد نقل المقرئ في النسخ كلام الادريسي هنا ملخصاً فقال : وقال بعض المؤرخين حين ذكر قرطبة ما ملخصه : هي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية ، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة البلاد في حسن المآكل والمشارب والملابس والمرآكب وعلو الهمم وبها أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، واجلاد الغزاة وأنجاد الحروب ، وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً ، وبين المدينة والمدينة سور عظيم حاجز ، وكل مدينة مستقلة بنفسها ، وفيها ما يكفي لأهلها من الحمامات والأسواق والصناعات ، وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد ، وهي سفح جبل مطل عليها ، وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله ، وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين ، وفيه من السوارى الكبرى ألف سارية ، وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود ، أكبرها تحمل ألف مصباح . وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه ، وبقبلته صناعات تدهش العقول ، وعلى فرجة المحراب سبع قسيّ قائمة على عمد ، طول كل قوس فوق القامة ، قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها ، وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنتان أخضران ، واثنتان لازورديان . ليس لها قيمة ، لنفاستهما ، وبه منبر ليس على معمور الأرض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعه ، وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قاقلي ، ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية صناع ، لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدى ، فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالاً . وفي الجامع حاصل كبير ملان

ارتفاع حد الجائزة منه شبر وافر ، في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع ، في طول كل

من آية الذهب والفضة لأجل وقوده ، وبهذا الجامع مصحف يقال إنه عثمانى ، وللجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي ، مخزومة تخريماً عجيباً بديعاً ، يعجز البشر ويهرهم ، وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة ، وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي ، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته . وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح ، والجميع خلقة ربانية .

وأما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة ، عجيبة المرأى ، فاقت قناطر الدنيا حسناً . وعدة قسيها سبعة عشر قوساً سعة كل قوس منها خمسون شبراً ، وبين كل قوسين خمسون شبراً . وبالجملة فمحاسن قرطبة أفضل المحاسن ، وأعظم من أن نحيط بها وصفاً انتهى ملخصاً وهو وإن تكرر بعضه مع ما قدمته فلا يخلو من فائدة زائدة والله الموفق وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ، ويمكن الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك ، كما أشار إليه هو في أمر الصومعة ، وكذلك ذكره في عدد السواري ، إلا أن يقال : ما تقدم باعتبار الصغار والكبار ، وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار فقط كما صرح به والله تعالى أعلم . وأما الثريات فقد خالف في عدها ما تقدم ، مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الأندلس ، ونحن جلبنا النقل من مواضعه وإن اختلفت طرقه ومضموناته انتهى . قلت : أي من قرأ هذا التلخيص ، وكان طالع جغرافية الشريف الإدريسي ، يعلم أن هذا النقل الذي نقله المقرئ ، إنما نقله عنه ولكن ملخصاً كما صرح هو بذلك . ولم نعلم سبب تحامى المقرئ نسبة هذا النقل والتصريح باسم الكتاب الذي نقل عنه . وعلى كل حال فظاهر للعيان أن الكلام ملخص عن « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » غير أنه لا بد هنا من بعض ملاحظات : الأولى أن هناك غلطا في النسخ ، إما في كتاب الإدريسي أو في كتاب نفح الطيب نفسه ، مثل أن الجامع الأعظم طوله مائة ذراع في عرض ثمانين ، والحال أن الإدريسي كما في نسخة باريز ونسخة أو كسفورد لم يقل مائة ذراع ، وإنما قال مائة باع مرسله في ثمانين باعاً . والفرق بين الباع والذراع غير خاف على أحد . وأنه يستحيل قول الإدريسي إن الجامع هو مائة ذراع في ثمانين ، لأن الإدريسي عرف قرطبة بنفسه ، ووصف المسجد

جائزة منها ٣٧ شبراً ، وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة . والسموات التي ذكرناها
الأعظم وصف من رأى لامن سمع ، فلا يمكن أن يقع في خطأ فظيح كهذا . ولقد
أشار المقرئ بأنه يمكن أن يكون هذا الذراع الذي ذكره الادريسي أكبر من الذراع
الذي حسب بموجه غيره من المؤرخين ، ممن ذكروا أن طول الجامع من القبلة إلى
الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه من الغرب إلى الشرق مائتان وخمسون
ذراعاً ، فمهما كان هذا الذراع يزيد على ذلك الذراع فيبقى البون شاسعاً ، والصحيح
أن الادريسي إنما قال مائة باع في ثمانين ، لا مائة ذراع في ثمانين . والملاحظة الثانية
هي في اختلاف عدد الثريات ، فالادريسي يقول مائة وثلاث عشرة ثريا ، وهو مخالف
لما قاله غيره ، مثل ابن الفرضي مثلا الذي قال أنها مائتان وثمانون ثريا ، ومثل ابن
سعيد الذي نقل عن ابن بشكوال فقال أنها مائتان وأربع وعشرون ثريا . وليس
الاختلاف هنا بشيء ، فإن الثريات هي مما يزيد وينقص بحسب الوقت ، لأنها آنية منقولة
وليست من قبيل المساحة التي هي شيء ثابت محسوس . وتأويل هذا الفرق هو أنه يوم
عرف الادريسي مدينة قرطبة لم يكن في الجامع الأعظم أكثر من ١١٣ ثريا ، فان
الادريسي نفسه ذكر كون قرطبة لعهد قدا تنقصت منها الحوادث بتوالي الفتن ، ونزح
أهلها إلا اليسير ، فلا جرم أن النقص الذي لحق بأهلها وبكل شيء يخصها قد وصل
إلى ثريات جامعها ، فسقط عددها إلى النصف مما كانت كما سقط عدد الخدمة في الجامع
وقد ورد في كلام ابن الفرضي أنه كان يتصرف في المسجد بين أئمة ومقرئين وأمناء
وهوذين وسدنة وموقدين مائة وتسعة وخمسون شخصاً . وروى غيره أنهم كانوا
ثلاثمائة ، والحال أن الادريسي لا يذكر غير ستين شخصاً فيظهر أن هذا العدد
هو الذي كان في زمانه ، أي بعد تقلص العمران في قرطبة .

والملاحظة الثالثة هي من جهة سقوط كلمات في النسخ أو اختلافها ، ففي
نسخة نفع الطيب يقول نقلا عن الادريسي إنه كان يعمل في المنبر ثمانية صناع ، وفي
نسختي باريز وأوكسفورد يقول ستة ، وفي نسخة نفع الطيب يقول : وفي الجامع حاصل
كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده . وفي نسختي باريز وأوكسفورد
يزيد على الذهب والفضة لفظة المسك . وفي نسخة نفع الطيب يذكر أن الصومعة
ارتفاعها مائة ذراع بالمسكى المعروف بالرشاشي . والحال أنه في النسختين المذكورتين
يذكر الرشاشي بدون المسكى . والملاحظة الرابعة هي أنه في نسخة نفع الطيب يقول

هى كلها مسطّحة ، فيها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المسدّمة والمورّبي ! وهى صنع الفصّ وصنع الدوائر والمداهن ، لا يشبه بعضها بعضاً ، بل كل سماء منها مُكتفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها بأنواع الحجر الزنجفريّة ، والبياض الاسفيداجى ، والزرقة اللازوردية ، والزرقون الباروقى ، والحضرة الزنجارية ، والتكحيل النقسى ، تروق العيون ، وتستميل النفوس ، باتقان ترسيمها ، ومختلفات ألوانها وتقسيمها . وسعة كل بلاطة منها ، اعنى من بلاطات مسقّفه ٣٣ شبراً ، وبين العمود والعمود ١٥ شبراً ، ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة رخام . وقد عقد بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسىّ غريبة ، فوقها قسىّ آخر ، على عمد من الحجر المنجور متقنة . وقد حصّص الكل منها بالجصّ والجيار ، وركبت عليها منحور مستديرة ناتئة ، بينها ضروب صناعات الفسفس بالغرّة . وتحت كل سماء منها إزار خشب فيه مكتوب آيات القرآن .

ولهذا المسجد الجامع قبلة يُعجز الواصفين وصفها ، وفيها إتقان يبهر العقول تنميقها وكل ذلك من الفسيفساء المذهب والملون ، مما بعث صاحب القسطنطينية العظمى إلى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الأموى . وعلى هذا الوجه ، أعنى وجه المحراب ، سبع قسى قائمة على عمد ، وطول كل قوس منها أشف من قائمة ، وكل هذه القسى مزجّجة صنعة القرط وقد أعيت المسلمين والروم بغريب أعمالها ، ودقيق تكوينها ووضعها . وعلى أعلى الكل كتابان مسجونان بين بحرّين من الفسيفساء

إن فى الجامع ثلاثة أعمدة حمر ، على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح . وهذا لا يوجد فى النسخة التى نقلنا عنها المطبوعة فى ليدن وفقاً لنسختى باريز وأوكسفورد ، والخبر كله غريب ، لأن التصوير مكروه ، ولا سيما فى المساجد . وقد أوردنا هذه الملاحظات لأجل الاستدلال على ما بين النسخ من الاختلافات فليكن الراوى من النسخ على حذر ، ولا يجوز له أن يحزم بخبر إلا بعد أن ينخل رواياته نخلاً دقيقاً ، ويقابل بينها بأجمعها فيغتمد على المتواتر الذى أجمع عليه الرواة أو الذى ترجح بالاقول لدى الجمهور وبالاخص على ما طبق المحسوس

المذهب ، في أرض الزجاج اللازوردى وتحت هذه القسي التي ذكرناها كتابان مثل الأولين مسجونان بالنسيفساء المذهب في أرض اللازورد ، وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقش ، وفي عضادتي المحراب ٤ أعمدة اثنان أخضران ، واثنان لازورديان لاتقوم بمال . وعلى رأس المحراب خصّة رخام قطعة واحدة مشبوكة محفورة منمقة بأبداع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الألوان وعلى وجه المحراب مما استدار به حظيرة خشب بها من أنواع النقش كل غريبة .

ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعة خشب آبنوس وبقس وعود الحجر ، ويحكي في كتب تواريخ بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه ٧ سنين ، وكان عدد صناعه ستة رجال ، غير من يخدمهم تصرفاً ، ولكل صانع منهم في اليوم نصف متقال محمدي . وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطشوت ذهب وفضة ومسك لوقيد الشمع في ليلة ٢٧ من شهر رمضان المعظم . ومع ذلك ففي هذا الخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله ، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، وهو المصحف الذي خطه يمينه رضى الله عنه ، وفيه نقط من دمه ، وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم جمعة ، ويتولى اخراجه رجلان من قوامة المسجد . وأمامهم رجل ثالث بشمعة ، وللمصحف غشاء بديع الصنعة ، منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه ، وله بموضع المصلى كرسى يوضع عليه ويتولى الامام قراءة نصف حزب منه ثم يرد إلى موضعه .

وعن يمين المحراب والمنبر باب يفضى إلى القصر بين حائطي الجامع في ساباط متصل ، وفي هذا الساباط ٨ أبواب منها ٤ تتغلق من جهة القصر ، و ٤ تتغلق من جهة الجامع . ولهذا الجامع عشرون باباً مصفحة بصفايح النحاس وكواكب النحاس ، وفي كل باب منها حلقتان في نهاية من الأتقان ، وعلى وجه كل باب منها في الحائط ضروب من النص المتخذ من الأجر الأحمر المحكوك ، أنواعاً شتى ، وأجناساً مختلفة من الصناعات والتريش وصدور البُرّة . وفيما استدار بالجامع في أعلاه لتمدد الضوء

ودخوله إلى المسقف متكآت رخام ، طول كل متكأ منها قدر قامة ، في سعة ٤ أشبار في غلظ ٤ أصابع . وكلها صنُّع مسدسة ومثمنة ، مخرمة منفوذة لا يشبه بعضها بعضاً .

وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصنعة الجليلة الأعمال الراقية الأشكال التي ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي^(١) منها ٨٠ ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك إلى أعلاها ٢٠ ذراعاً ويصعد إلى أعلى هذه المنارة بدرجين أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي إذا اقترق الصاعدان أسفل الصومعة لا يجتمعان إلا اذا وصلا أعلاها . ووجه هذه الصومعة كله مبطن بالكذآن اللسكى ، منقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة صنع مثمنة تحتوى على أنواع من الصنع والتزيق والكتابة والملون ، وبالأوجه الأربعة الدائرة من الصومعة صفان من قسي دائرة على عمد الرخام الحسن . والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ٣٠٠ عمود بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة بيت له أربعة أبواب مغلقة ، يبيت فيه كل ليلة مؤذنان . وللصومعة ١٦ مؤذناً ، ويؤذنون فيها بالدولة لكل يوم مؤذنان على توال . وفي أعلى الصومعة على القبة التي على البيت ثلاث تفاحات ذهب ، وتفاحتان من فضة ، وأوراق سوسنية ، تسع الكبيرة من التفاحات ٦٠ رطلا من الزيت . ويخدم الجامع كله ٦٠ رجلاً وعليهم قائم ينظر في أمورهم ، وهذا الجامع متى سها أمامه لا يسجد لسووه قبل السلام ، بل يسجد بعد السلام .

ومدينة قرطبة في حين تأليفنا هذا الكتاب طحنتها رحي الفتنة ، وغيرها حلول المصائب والأحداث ، مع اتصال الشدائد على أهلها ، فلم يبق بها منهم الآن إلا الخلق اليسير ، ولا بلد أكبر اسماً منها في بلاد الأندلس .

(١) الذراع الرشاشي يقال أنه الذراع المسكى وهو ثلاثة أشبار

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها واتقانها ، وعدد قسيها ١٧ قوساً بين القوس والقوس ٥٠ شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك ٥٠ شبراً ، وسعة ظهرها المعبور عليه ٣٠ شبراً . ولها ستائر من كل جهة تستر القامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشى إلى وجه الماء في أيام جفوف الماء ٣٠ ذراعاً ، وإذا كان السيل يصل الماء منها إلى نحو حلوها . وتحت القنطرة يعترض الوادى رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الجاشية^(١) من الرخام . وعلى هذا السد ثلاثة بيوت أجراء ، في كل بيت منها أربع مطاحن^(٢) .

ومحاسن هذه المدينة وشماختها أكثر من أن يحاط بها خبراً

ومن مدينة قرطبة إلى مدينة الزهراء ٥ أميال ، وهي قائمة النوات بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهلهم وذرائعهم ، وهم قليلون ، وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة ، سطح الثلث الأعلى يوازي على الجزء الأوسط ، وسطح الثلث الأوسط يوازي على الجزء الأسفل ، وكل ثلث منها له سور . فكان الجزء الأعلى منها قصوراً يقصر الوصف عن صفاتها . والجزء الأوسط

(١) قد ترجم دوزى « الاحجار القبطية » بالاحجار المصرية وقال عن « العمدة الجاشية » ، لعلها مصحفة وأصلها « الجاشنة » ، ونحن نقول : لم يرد استعمال « الجاشنة » وإنما يقولون « الحشنة » ، ونرى الأقرب أن تكون هذه اللفظة بالسین المهملة لبالشين المعجمة وأنها « الجاشية » ، أى الصلبة

(٢) لا تزال جدران المطاحن قائمة إلى الآن وإليها أشرت بقولى فى القصيدة التى نظمتها يوم زرت قرطبة

وتلك الطواحين الشهيرة لم تزل كأن تركوها أمس لم تتغير

ومنها :

ولما رأيت المسجد الجامع الذى بقرطبة من فوق فوق التصور

عضضت على كفى بكل نواجذى وقلت لعيني اليوم دورك فاهمرى

وسند كرها كلها فى محلها

بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجامع . وهي الآن خراب في حال الذهاب .

ومن مدينة قرطبة إلى المريّة ٨ أيام . ومن قرطبة إلى اشبيلية ٨٠ ميلا . ومن قرطبة إلى مالقة ١٠٠ ميل . ومن قرطبة إلى طليطلة ٩ مراحل ، فن أرادها سار من قرطبة في جهة الشمال إلى عقبة « أرلش »^(١) ١١ ميلا . ومنها إلى دار البقر^(٢) ٦ أميال « ثم إلى بطروش »^(٣) ٤٠ ميلا . وحصن « بطروش » حسن كثير العارة ، شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكائحه أعدائهم ، ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض ، وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم غلة وغيث في سنى الشدة والجحاعة . ومن حصن

Arlech (١)

(٢) يقول الاسبان لدار البقر Castillo Del Bacar

(٣) Bedroches جاء في دليل بديكر أن الخط الحديدي من مجريط إلى بطلبوس يمر بقرية « غيتاف » Getafe وتكون وراه جبال وادى الرمل Guadarrama ثم يصل الخط إلى بلدة « القدور » Algodor ومنها ينشعب خط كستيليجو - طليطلة . ثم يجتاز الخط شعاب جبال طليطلة الفاصلة بين وادى تاجة ووادى يانة ثم يمر ببلدة « الموناسيد » Almonacid وفيها حصن عربي ثم ببلدة « ماسكاراك » Mascaraque ثم ببلدة « مورة » Mara وفيها بقايا حصن وهي على ٩١ كيلو متراً من مجريط ثم ببلدة « أورغاز » Orgaz وفيها أيضاً حصن كبير ثم ببلدة « منسنيق » Manzanéque ثم « ايبانش » Ybenes وعن يمينه وادى الأرزة ، Guadalerza ثم ببلدة « أورده » ، Urda ثم يصل إلى بلدة ريال Ciudad Real التي بقرها بلدة « الأرك » Alarcos وهذه الشهيرة بالوقعة التي انتصر فيها الموحدون على الأذنفش الثامن صاحب قشتالة سنة ١١٩٥ ثم يمر بأرض قلعة رباح ثم ببلدة « برتلانو » Puertellano ثم ببلدة اسمها « المدور » (غير حصن المدور الذي هو من عمل قرطبة) ثم ببلدة « صان كنتين » San Quintin ثم « بيلد نياش » Valdepénas بقرب مشتى يقال له وادى الكدية ثم يصل بعدد ٢٧١ كيلو متراً من مجريط إلى « المعدن » Almaden وفيها حصن عربي (١٠ - ج أول)

بطروش إلى حصن « غافق » ^(١) ٧ أميال ، وحصن غافق حصن حصين ، ومعقل جليل ، وفي أهله نجدة وحزم ، وجلادة وعزم ، وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم ، واقتاذ غنائمهم منهم ، والروم يعلمون بأسمهم وبسالهم فيناحرون ^(٢) أرضهم ويتحامون عنهم . ومن قلعة غافق إلى جبل « عافور » ^(٣) مرحلة ، ثم إلى دار البقر مرحلة ، ثم إلى قلعة « رباح » ^(٤) ، وهي قلعة حسنة ، وقد سبق ذكرها . وكذلك الطريق من قرطبة إلى بطليوس . . من قرطبة إلى دار البقر المتقدم ذكرها مرحلة ، ومنها إلى حصن « بندر » ^(٥) مرحلة ، ثم إلى « زواغة » مرحلة ، وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كدية تراب ، ومنه إلى نهر « اثنه » ^(٦) مرحلة ، ومنه إلى حصن « الخنش » ^(٧) مرحلة ، وحصن

وفيه معدن من أغني معادن الزئبق في العالم ومن هناك يمر الخط بين « شيلون ، Chillon و « بطروس » Pedroches بواد اسمه « وادي الميس » Guadalmez ويدخل في عمل قرطبة فيمر ببلدة « بلال قصر » Belalcazar ثم ببلدة « المورشون » Almorchon حيث ينشعب من الخط شعبة إلى قرطبة . وعلى مسافة ٤٠٨ كيلو مترات يصل إلى « مدلين » Medellin وعلى ٤٥١ كيلو متراً يصل إلى ماردا اه محصلا . ثم قال دوزي : إن البلوط الذي نسبه الادريسي إلى بطروس يترجم أنه الكستنا لا البلوط المعهود واستدل على ذلك بأن بطره القلعي يسمى الكستنا بطروش

(١) يقول الأسبان لغافق Ghafic

(٢) في النسخة التي ترجم عنها دوزي يقول : « ينافرون أرضهم ويتحامون عنهم » ولا معنى هنا لجملة « ينافرون أرضهم » ، والأقرب أن تكون « يناحرون أرضهم » أي هم ساكنون في نحر أرضهم ولكنهم لشدة بأسهم تراهم يتجنبون التعرض لهم

(٣) جبل عافور لم يعرفه دوزي ولا نحن اهتدينا له وإنما نعلم أن العرب تقول : وقع في عافور أي في شر وعفار ومثله وقع في عاثور

(٤) Calatrava

(٥) يظن دوزي أن « بندر » مصحف عن « بنيدر » ، إذ هناك نهر بهذا الاسم Benbezar

(٦) لم نعلمه ولا عرفنا حقيقة الاسم

(٧) هو الذي يقول له الأسبان Alenje

الخنش منيع شامخ الذروة ، مطلق الغلوة شاهق البنية ، حامي الأفنية . ومنه إلى مدينة ماردة مرحلة لطيفة ، ثم إلى بطليوس مرحلة خفيفة . فذلك من قرطبة إلى بطليوس ، ٧ مراحل . وبشمال قرطبة إلى حصن « ابال » مرحلة ، وهو الحصن الذي به معدن الزبيق ، ومنه يتجهز بالزبيق والزنجفر إلى جميع أقطار الأرض ، وذلك أن هذا المعدن يخدمه أزيد من ألف رجل ، يقوم للنزول فيه وقطع الحجر ، وقوم لقطع الحطب لحرق المعدن ، وقوم لعمل أواني لسبك الزبيق وتصعيده ، وقوم لشأن الأفران والحرق . قال المؤلف : وقد رأيت هذا المعدن فأخبرت أن من وجه الأرض إلى أسفل نحو من مائتي قامة وخسين قامة^(١) . ومن قرطبة إلى اغرناطة ٤ مراحل وهي مائة ميل . وبين اغرناطة وجيان ٥٠ ميلا وهي مرحلتان .

وأما بحر الشام الذي عليه جنوب بلاد الأندلس ، فبدأه من الغرب ، وآخره حيث انطاكية ، ومسافة ما بينهما ٣٦ مجرى . فأما عروضه فمختلفة ، وذلك أن مدينة مالقة يقابلها من الضفة الأخرى « الزمة » و « قاس » و بينهما عرض البحر مجرى يوم واحد بالريح الطيبة المعتدلة . وكذلك « المرية » يوازيها في الضفة الأخرى « هنين » وعرض البحر بينهما مجريان . وكذلك أيضاً مدينة « دانية » يقابلها من الضفة الأخرى « تنس » و بينهما ٣ مجار . وكذلك مدينة برشلونة تقابلها من عدوة الغرب الأوسط « بجانة » و بينهما ٤ مجار في عرض البحر ، والمجرى مائة ميل . وأما جزيرة « يابسة » فإنها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعنان ، وبها مدينة حسنة صغيرة متحصرة ، وأقرب بر إليها مدينة دانية ، و بينهما مجرى . وفي شرق جزيرة يابسة جزيرة ميورقة^(٢) ، و بينهما مجرى ، وبها مدينة كبيرة ، لها

(١) نقل لافي بروفسال كلام الادريسي هذا إلى كتابه عن أسبانية

(٢) أقمت بجزيرة ميورقة عشرين يوماً وجولت فيها ، ولشدة ما استلطفتها أخذت عنها معلومات كثيرة ، واقتنيت كتباً من تاريخها بالأسبانيولي ، وجمعت أسماء العلماء والادباء الذين نبغوا من أهلها من عرب وأسبانيول ، وعزمت أن أفردتها بتاريخ هي

مالك وحارس ذورجال وعدد وأسلحة وأموال ، وبالشرق منها أيضاً جزيرة مينورقة
تقابل مدينة برشلونة ، وبينهما مجرى ، ومن مينورقة إلى جزيرة سرديانية ٤ مجار . فهذا
ما أردنا ذكره .

مقاله عن إقليم الأندلس

أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني

في كتابه « صفة جزيرة العرب »

ذكر الأقاليم السبعة التي كان الجغرافيون الأولون يقولون بها ، فذكر الأندلس
في الاقليم الثالث فقال : الاقليم الثالث حده منتهى أرض الحبشة ، مما يلي أرض
الحجاز ، إلى نصيبين ، إلى أقصى الشام ، إلى البحر الذي بين أرض مصر وبين الشام
إلى وسط البحر الذي يلي الأندلس مما يلي المغرب .

ثم ذكر معرفة قسمة الأقاليم لبطلميوس فقال : فأما بطلميوس وقدماء اليونانيين
فانهم رأوا أن طباع الأقاليم وجبلتها لا تكون إلا طرائق من المشرق إلى المغرب ،
متجاورة بعضها إلى بعض ، من خط الاستواء إلى حيث يقع القطب الشمالي ، خمسين
درجة ، وهو ضعف الميل وزيادة جزءين وكسر ، وقد حد في قانونه عرض كل إقليم
منها وساعات نهاره الأطول ، على وسطه دون طرفيه ، بقول من نقل عنه ، فجعل
وسط الاقليم الأول مدينة سبا بأرب من أرض اليمن ، وجعل العرض ستة عشر
جزءاً وربما وخمساً ، وساعات نهاره الأطول ثلاثة عشر سواء ، وعرض الاقليم
الثاني منتهى الميل ، وهو ثلاثة وعشرون جزءاً وخمسة أسداس ، وساعات
نهاره الأطول ثلاث عشرة ونصف ، والثالث إقليم اسكندرية ، وعرضه ثلاثون

وشقيقتها مينورقة وبابسة واسميه « الاصول المعركة والغصون المورقة في محاسن جزيرة
ميورقة ، ولعله يكون جزءاً من هذه الموسوعة إن شاء الله

جزءاً وسدس وخمس جزء ، وساعاته أربع عشرة ، والرابع إقليم بابل ، وعرضه ستة وثلاثون جزءاً وعشر ، وساعات نهاره الأطول أربع عشرة ونصف . والإقليم الخامس عرضه أربعون جزءاً ، وتسعة أعشار ، وثلاث عشر ساعة ، وساعاته خمس عشرة ساعة والإقليم السادس عرضه خمسة وأربعون جزءاً ونصف وسدس عشر ، وساعات نهاره الأطول خمس عشرة ساعة ونصف ، والإقليم السابع عرضه ثمانية وأربعون جزءاً ونصف وثلاث عشر ، ونهاره الأطول ست عشرة ساعة . وقد حدّ أقاصيها وأدانيها وبعض ما تشتمل عليه من البلاد المشهورة فقال : إن الإقليم الأول يمر على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما ذكرناه وابتدأؤه حيث يكون نهاره الأطول اثنتي عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه اثنا عشر جزءاً ونصف . وانتهأؤه حيث يكون نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة وربعاً وعرضه عشرين جزءاً وربعاً ، ووسط هذا الإقليم مدينة سبأ ، وما كان في مثل عرضها من مواضع الأرض ، وابتدأؤه من المشرق من أقاصي بلاد الصين الخ .

ولما وصل إلى الإقليم الرابع قال : ويمر الإقليم الرابع على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قد ذكرناه ، وابتدأؤه من الموضع الذي انتهت إليه ساعات الإقليم الثالث ، وعرضه إلى حين يكون نهاره الأطول أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه ثمانيةاً وثلاثين درجة . ووسط هذا الإقليم بالتقريب مدينة أصبهان من مواضع ، وابتدأؤه من المشرق آخر أرض الصين وتبتّ وبلخ وخراسان والجبال وأرض الموصل وشمال الشام ، وبعض الثغور ، وبحر الشام وجزيرة قبرص ، وبلاد طنجة ، إلى أن ينتهي إلى حد المغرب من دون البحر المظلم . ويمر الإقليم الخامس على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قدمنا ذكره . وابتدأؤه من الموضع الذي انتهى إليه عرض الإقليم الرابع ، ساعاته إلى حيث يكون نهاره الأطول خمس عشرة ساعة وربعاً وعرضه ثلاث وأربعون درجة ، ووسط هذا الإقليم بالتقريب مدينة مرو ، وما

كان في مثل عرضها من مواضع الأرض . فابتدأه من المشرق داخل بلاد الترك وشمال خراسان وأذربيجان وكورأرمينية وبلاد الروم وسواحل بحر الشام الشمالية والأندلس إلى أن ينتهي إلى حد المغرب من دون البحر المظلم .

ثم نقل عن بطليموس قوله : لما انقسمت دائرة البروج بأربعة أقسام ، وهي الثلثات ، لأن كل قسم منها ثلاثة أبراج ، على طبيعة من الطبائع الأربع ، التي هي النار والأرض والهواء والماء ، انقسم عامر الأرض بأربعة أقسام ، كل قسم منها منسوب إلى قسم من الثلثات في الطباع ، لأن كل محيط بطبع ما أحاط به على قدر طبيعته (إلى أن يقول) فلما كانت هذه الأشياء كذلك ، كان موضع سكانها ينقسم إلى أربعة أرباع متساوية في العدد للثلثات ، ثم أتى على ذكر الربع المنسوب إلى « أوروبا » - يريد بها أوربة - فقال : ان الأمم الكلية التي تسكن في هذه الأجزاء هي أهل بلاد الصقالبة وبلاد برطانية وغالاطية وجرمانية وباسترانية وإيطالية وغالية وأبولية وطورينية وقلطيقية وسبانية (إلى أن قال) عن طبائع أهل هذه البلدان : يجب أن يكون أهل هذه البلدان ، في أكثر الأمر ، بسبب رئاسة هذا الثلث ، وبسبب الكواكب التي تشترك في تديره ، غير خاضعين ، محبين للحرية والسلاح والتعب ، محاربين ، أصحاب سياسة ونظافة ، كبار الهمم ، ولما كان المشتري والمريخ مشتركين فيهم ، إذا كانا في الحال المنسوبة إلى العشيّات ، وكانت الأجزاء المتقدمة من هذا الثلث مذكرة ، والمتأخرة مؤنثة ، عرض لهذه الأمم ألا يكون لهم غيره في أمر النساء (إلى أن يقول) : وأما بلاد إيطاليا منها وبلاد أبولية - يريد نابولي - وبلاد غالية - جنوبي فرنسا ووسطها - وبلاد صقلية ، فانها تشاكل الأسد والشمس ولذلك صار سكانها أصحاب سياسة ، وأصحاب اصطناع المعروف ، وأصحاب مؤساة . وأما بلاد طورينية منها وبلاد قالتقى - يريد بها بلاد السلتيين Celtes وهم أمة كانت تجاور الغالين والايبيريين - وبلاد سبانية ، فانها تشاكل الرامي والمشتري ولذلك صار سكانها سلمي القلوب محبي النظافة انتهى .

هذا ما جاء في كتاب الهمداني من جغرافي العرب وحكامهم عن اسبانية ، وأما قضية تأثير الكواكب في طباع سكان الأرض ، وما نقله الهمداني عن بطليموس القلودي من هذا الباب فهو معدود اليوم من النظريات البالية ، التي عدل الناس عنها ، لا سيما أننا لا نراها مطردة ولا غالبية حتى نحكم بصحتها .

ما ذكره أبو العباس أحمد المقرئ

صاحب كتاب نفع الطيب عن بلاد الأندلس

من الجهة الجغرافية

اعلم أعزك الله أنه لا يزال نفع الطيب من أعظم المراجع التي يعول عليها المحققون في أخبار الأندلس ، برغم كل ما عليه من ما أخذ ومغامر ، وما فاتته من مباحث ومسائل ، وذلك لأن صاحبه اتصل بكتب كثيرة لم يتيسر لغيره الاطلاع عليها ، وشافه في الشرق والغرب عدداً كبيراً من الجلة وحاضرهم ، وكان المقرئ نفسه مولماً بأخبار الأندلس ، متخصصاً فيها حافظاً من أنبائها ، وكلام علمائها ، ونظم شعرائها ، ولا سيما من أقوال لسان الدين بن الخطيب ، وزير بني الأحمر الشهير بما يكاد يكون من المعجزات ، ولما كان قد رحل إلى المشرق ، كأكثر علماء المغرب ، وحج البيت الحرام خمس مرات ، وزار المدينة المنورة ، والبيت المقدس ، انتهى في طوافه إلى دمشق الشام التي أخذت بمجامع فؤاده ، فالتقى بها عصا التسيار ، وتعرف بكثير من علماء الشام وأدبائها وسراتها ، فكان ذكر الأندلس أمامهم ملهج لسانه اللثام ، وغرام قلبه الملازم ، فأرادوه أولاً على تأليف كتاب يتضمن مرويَّاته عن لسان الدين بن الخطيب ، فصحت عزيمته على ذلك ، وبدأ بكتابة هذا الكتاب سنة تسع وثلاثين وألف للهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . إلا أنه بعد ما بدأ به بدا له أن يتوسع في الموضوع ، ولا يقتصر على أخبار لسان الدين وحده فكان عند ما شرع بهذا التأليف سماه « عَرَفَ الطيب في التعريف بالوزير ابن

الخطيب « ثم لما أجمع التوسع في الموضوع عاد فسمى كتابه « بنفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » وهو لعمري اسم لائق بمسماه ، ولفظ موافق لمعناه ، ولا أظنه يوجد اسم الذّ للقارىء من اسم « نفح الطيب » كما أن الملابس ظاهرة بين قوله « غصن الأندلس الرطيب » ومزايا الأندلس الطبيعية في كثرة جناتها وبساتينها ووفرة فواكهها ورياحينها ، وما انصفت به من الخصب والنماء ، وجمعه من زكاء الأرض إلى خير السماء ، ولما كان لسان الدين بن الخطيب في هذا الكتاب الحصاة الكبرى في الآثار المروية ، والأصوات المحكية ، لم يكن من العجب أن يجعل اسمه فيه وقد كان في الأصل هو المقصود بالتأليف . هذا وقد كان تأليف المقرئ للنفح حينما كان مقميا بالشام ، ولذلك قال عنه في المقدمة ما يلي :

« وله بالشام تعلق من وجوه عديدة ، هادية لتأمله إلى الطريق السديدة ، أولها أن الداعي لتأليفه أهل الشام ، أبقى الله ما أثرهم ، وجعلها على مرّ الزمان مديدة ، ثانيها أن الفاتحين للأندلس هم أهل الشام ، ذوو الشوكة والنجدة الحديدية ، ثالثها أن غالب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالأندلس وطناً مستأنفاً وحضرة جديدة . واربعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق ، وسموها باسمها ، لشبهها بها في القصر والنهر ، والدوح والزهر ، والغوطة الفيحاء ، وهذه مناسبة قوية العرى شديدة »

قد يكون كلام المقرئ هذا مما لا يعجب بعض التأثيرين على السجع في أخريات هذه الأيام ولكنه ذو معنى كبير ، وفيه تصريح خطير ، ولذلك فإن ثورة هذه الفئة على السجع ، والفاصلة ، ليس من شأنها أن تفل من حد رغبتنا في نقل كلام يعود على وطننا الشامي بشقص كهذا من الفخر لم يوفره لغيره ثقة كبير ، كأبي العباس أحمد المقرئ المغربي ، إن لم يكن هو حجة في أخبار الأندلس فياليث شعري من يكون هو الحجة ؟ ! فنحن رواة عنه ، وثقله من نصوصه بأسجاعها وفواصلها وحروفها وحركاتها

نعم إن « نفتح الطيب » هو كتاب أدب ، أكثر منه كتاب تاريخ ، وقد قيل فيه ، وكاد يلحق بالأمثال السائرة : إنه « نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الذي لم يقرأه فليس بأديب » ولكنه إلى هذا الوقت لا يزال عمدة المنقبين عن آثار الأندلس سواء في التاريخ أوفى الجغرافية أوفى الأدب أو في المحاضرة برغم كل ما فاته منها ، ولا أزال أنا أستقي من منابعه برغم ما نعمت عليه في كتابي « مختصر تاريخ الأندلس » الذي حررته ذيلًا على « آخر بني سراج » Dernier Des Abencerrage الرواية التي من قلم شاتوبريان الكاتب الأفرنسي الشهير ، وقد ترجمتها إلى العربية وادرفتها بتاريخ للأندلس ونشرتهما سنة ١٣١٥ .

فيناسب أن أعيد هنا ما كنت قلت من ٤٠ سنة ، وهو منقول بالحرف عن صفحة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ من ذلك الكتاب ، طبعته الثانية بمطبعة المنار وهو هذا (تحت عنوان) « تمهيد »

إنما حداني إلى تذييل هذه الرواية أمران : الأول إعانة القارىء على فهم الحوادث ومعرفة المواقع ، بما تُفقد بدونه لذة المطالعة . والثاني ما رأيته من اختصار جرم الرواية ، فأثرت اردافها بذيل يطيل من قدها ، ويزيد في حجمها ، ويكون فيه من حقائق الوقائع التاريخية ما لا يقصر فكاهة عن موهوم الرواية الغرامية ، فجاءت روايتنا ذيلًا ، وإن لم نرج أن تكون طاووسًا ، وليست هذه أول مرة جرّت فيها الروايات أذيالًا ، واتخذت القصص أذنانا طولًا .

وما أقصد بهذا الذيل استقصاء تاريخ الأندلس الاجمالي إلا ما اضطر اليه مساق الكلام . فقد كنت منذ نشأتى ممن لا يحبون التأليف فيما كثر فيه التأليف ، وطال فيه المقال كأنما أعده تكرر السابق ، أو إعادة لصدى ، وأراه خلوا من كل براعة . وأخبار الأندلس مستفيضة في التواريخ شرقًا وغربًا ، ومعروفة عند الأدباء بما لا يكون التأليف فيه سوى زيادة في عدد الكتب . وإنما يستحب الانشاء في ماندر

فيه الكلام وعز البحث ، وطمست الأعلام ، فإذا قرأته العامة ، بل الخاصة ، سقطت منه على جديد ذى طلاوة ، ولم تسأمة النفوس ، لعدم تداولها مطالعته المرة بعد الأخرى مدارسة كتب القواعد التي لا تتغير .

فأشد الأقسام عوزاً إلى البحث من تاريخ هذه البلاد - التي لا تزال نحسبها عربية لسكون أحسن أيامها ما كان من أيام العرب فيها - إنما هو القسم الأخير ، وأحوج طائفة من أخبارها إلى التدوين ما تعلق بدور الجلاء ، وعصر الخروج من بلاد كانت مدة الضيافة فيها ثمانمائة سنة ، وذلك لأن هذا الحادث الكبير الذي هو من أضخم الحوادث في الإسلام وقع على حين خمول من القرائح العربية ، وبعد مرور زمن العلم والفلسفة عند معشر الناطقين بالضاد ، ولدى إقحاط البلاد بالأدمغة المتوقدة ، وعقم الأمة عن الرؤوس المولدة ، بحيث فاته من التأليف والكتابة فيه ما لم يكن ليفوته لو وقع قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة ، فانه لا عطر بعد عروس .

نعم لا أنكر أن (كتاب فنج الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للعلامة المقرئ هو من أوفى الكتب بأخبار الأندلس وآدابها : حقيبة أبناء ، وقمطر حوادث وخزانه آداب ، وكشكول لطائف ، وديوان أشعار ، وقد كان عهد تصنيفه على أثر النازلة الكبرى بباقي الأندلس ، وامتصاص سؤر الكاس ، وعفاء الأثر الأخير من سلطان المسلمين فيها ، بحيث أمكن صاحبه ذكر سقوط مملكة غرناطة ، واستيلاء الاسبانيول على الجميع ، وختم الدولة الاسلامية في تلك الديار ، ولكنه ككثير من مؤرخينا أو مؤلفينا الذين لا يرعون النسبة بين الأشياء ولا ينتبهون إلى قاعدة أن الحسن إنما هو تناسب الأعضاء ، فقد بحث في هذا الخطب الجلل ، والحادث العمم ، بحثاً هو دون حقه بدركات ، وأنى عليه كما يأتي على واقعة متوسطة البال ، من الوقائع التي أشار إليها في بطن كتابه واستوعبه في أوراق يسيرة ، كانت لطافتها تكون في كتابتها ، فان التناسب يقضى باعطاء كل مقام من المقال ما يكافيه ، ويقوم بحقه ويحییء على قدره . ولو فسح الفاضل المقرئ رحمه الله لواقعة سقوط مملكة غرناطة ،

وحدث انقراض أمر الاسلام بالأندلس ، ما فسحه في تاريخه للنثر الكثير ، الذى يعنى عن كله بعضه من الخطابات التى صدرت عن لسان الدين بن الخطيب ، أو وجهت إليه ، أو إلى غيره ، أو الشعر الغزير الذى كثير منه حقيق بالاسقاط من ذلك المجموع ، والقصص التى يرويها عن بعض المشايخ مع طول أناة غريب فى الاستقصاء ، مع أنه ليس فيها ما يرفع أقدارهم إلى السماء ، لكان ذلك أجزل فائدة وأسنى موقعاً ، وكانت الناس قد شفت غليلها من خبر هذه الطامة التى لكل الحوادث سلوان يسهلها ، وليس لها سلوان ، كما قال أبو البقاء الرندى ، ولكفينا مؤونة النقل عن كتب الافرنج فيما يختص بالعرب ، وحسبك أنه ذكر جميع وقائع السلطان أبى عبد الله بن الأحمر ، وعمه الزغل ، وذهاب تلك المملكة ، وما جرى فى ضمنه من الحروب وما حصر من المدن ، فى مسافة من التاريخ ، استوعبت أطول منها رسالة ، واحدة صادرة عن ذلك السلطان إلى الشيخ الوطاسى صاحب فاس فى موضوع أبرد ما فيه ، مع طوله ، أنه اعتذار عن سقوط آخر ممالك المساهين بالأندلس على يده ، بأن الخطب غير نادر المثال ، وأن بغداد ، دار خلافة بنى العباس ، قد أصابها ما أصاب غرناطة ! فانظروا هل هذا مما يؤثر على طوله ، أو مما ترتاح الأنفس إلى قبوله ، على فرض صحة تمثيله ؟ وإن كان العذر فى ذلك ما يقال من أن صاحب النفتح قد ألفه وهو نضو أسفار ، خال من الأسفار ، ليس لديه من العدة ما يستعين به على الاطالة ، والأخذ بالأطراف ، فسبحان الله ! كم يتلهى بعض علمائنا بحفظ ما لا ينفع عن تعليق ما ينفع ؟ ! وهذا الفاضل المقرئ قد أملى عن ظهر قلبه أربعة مجلدات كبار ، أودعها من التاريخ والجغرافية والقصص والنسكات ، وحشاها من الشعر والنثر والتراجم والتصوف . غثاً ومميناً ، ما لا أظن حافظة تتمكن من اختزانه بين صدغين ، وتركنا فى التاريخ المهم من تفصيل الوقائع الشداد ، والمعارك التى سالت فيها أنهر الدماء ، فى دور النزاع الأخير ، عيالا على الافرنج ، مضطرين إلى الأخذ من مصنفاتهم ،

فكنا وإياهم في أخذ تاريخنا عنهم كما كنا في أخذ لغتنا عن صحاح الجوهري^(١) ولا لشك أن في ديار المغرب من التواريخ عن كارثة الأندلس الأخيرة ما يستوفى شرحها^(٢) ولكنه لم يشتهر عندنا في المشرق غير نفع الطيب من متأخر التأليف ، وهذه هي الحال معه ، فلا عجب أن ساقنا حب الاستقصاء ، واقتفاء أثر أبناء الجلدة ، إلى أخذ أخبارنا عن الأجانب وتلونا : (هذه بضاعتنا ردت إلينا) اه هذا ما كتبتة عن نفع الطيب يوم كنت في السابعة والعشرين من العمر ، واست من بعد مضي تسع وثلاثين سنة على ذلك القول براجع عنه اليوم من حيث الجوهري ، وإن كنت أراي الآن أقل قسوة ، وأكثر عطفاً على المقرئ وأعظم تقديراً لما أملاه في كتابه ، ولا عجب فالذي عند الشيخ من سعة الطبع ، وقبول العذر ، ليس عند الشاب .

(١) إن الجوهري كان فارسياً فلما ألف كتابه الصحاح في لغة العرب قيل إنه قال لهم : خذوا لغتكم عن هذا الرجل الأعجمي . فجعلت أنا هذه الجملة من قبيل المثال . ولما طبعت كتابي هذا طبعته الثانية بمطبعة المنار وكان الأستاذ الأكبر فقيده الاسلام في هذا العام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله هو المتولى تصحيح الطبع أخذته الغيرة من جملي هذه فعلق عليها في الحاشية ما يلي : يعني أخذ العرب لغتهم عن الجوهري وهو أعجمي النسب . ولكته صار من العرب لغة وأدباً وديناً وكتاباً الصحاح أحد معاجم اللغة وقد ألف العرب قبله وبعده معاجم تغني عنه وليس فيه شيء لا يوجد في غيره اه . قلت وهذا لا يمنع من أن تكون تلك الجملة قد قلت وأن يكون المثال مطابقاً للحال .

(٢) كنت يومئذ أظن ذلك ولكني لم أجد هذه الضالة بعد البحث والاستقراء إلا ما كان من وجداني « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر ، وكتاب محمد بن عبد الرفيح الأندلسي المتوفى عام اثنين وخمسين وألف أي بعد الجلاء الأخير بخمس وثلاثين سنة اطلعت منه على فصل نقله عنه الشيخ أبو عبد الله محمد أبو جندار في كتابه « تاريخ رباط الفتح ، وشياً من « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، وعلى كل حال فقول المستشرق « لافي بروفسال ، Lévi - Provençal في الانسيكلو بيديه الاسلامية L' Encyclopédie De Lislam إن نفع الطيب هو الوثيقة الوحيدة التي في أيدينا عن حادثه خروج العرب النهائي من أسبانية ليس بصحيح

ولنبداً الآن وقد أردنا أن ننقل ما جاء في النسخ من المعلومات الجغرافية عن الأندلس لنقارن بينها وبين معلومات سائر مؤلفي العرب كابن حوقل والأدريسي وياقوت وغيرهم . قال في الجزء الأول في صفحة ٦٣ من الطبعة الأولى المنسوبة إلى المطبعة الأزهرية المصرية ما يلي :

الباب الأول

في وصف جزيرة الأندلس ، وحسن هوائها ، واعتدال مزاجها ، ووفور خيراتها واستوائها ، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها ، وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بأنوائها ، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور ، وتعداد كثير مما لها من البلدان والسكر ، المستمدة من أضوائها ، فأقول :

محاسن الأندلس لا تستوفي بعبارة ، ومجاري فضلها لا يشق غباره ، وأننى تجارى وهي حائزة قصب السبق ، في أقطار الغرب والشرق ؟ ! قال ابن سعيد : إنما سميت بالأندلس ابن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدو المقابلة لها واليه تنسب سبته ^(١) . قال : وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لأنهم إما عرب أو متعربون ^(٢) انتهى . وقال الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية ، أعادها الله تعالى للإسلام ، ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ما نصه : خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ، ولذاذة الأوقات وفرهاة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، واييضاض ^(٣) ألوان الانسان ، ونبل

(١) هذه من الروايات التي هي أشبه بالأساطير

(٢) هذا القول ليس كالذي قبله بل هو في غاية الصحة

(٣) عند ما كنت في غرناطة نازلاً في فندق الحمراء أحسن فنادقها كنت أسأل عن الاماكن والبقاع دليل ذلك الفندق وكان من الأدباء فقلت له ذات يوم : جئت

الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفوذ الادراك ، واحكام المدن ، والاعتماد بما حرمه الكثير من الأقطار ، مما سواها . انتهى .

وقال أبو عامر السلمي في كتابه المسمى « در القلائد و غرر الفوائد » : الاندلس من الأقليم الشامي^(١) وهو خير الأقاليم وأعدلها هواء وترباً ، وأعذبها ماء ، وأحسنها حيواناً ونباتاً ، وهو أوسط الأقاليم ، وخير الأمور أوسطها

قال أبو عبيد البكري : الأندلس شامية في طبيها وهوائها ، يمنية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جباياتها ، صينية في معادن جواهرها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة اليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة ،^(٢) ، وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس ، وله

إلى أسبانية من جهة فرنسا فكنت أظن أن سكان الصقع الشمالى منها أوضأ وجوهاً وأشرق جمالا من سكان الجنوب فأريت الأمر بالعكس إذ أنى كنت كلما تقدمت إلى الجنوب أرى الوجوه أحسن والقود أرشق والنعمة أظهر . فأجابنى فوراً : هذا صحيح يعمله كل احد وذلك لأننا نحن في الجنوب عرب

(١) يريد أنها موازية للشام وأنها على خط واحد ومن المعلوم أن القطر الشامى هو في الجغرافية مثال الاعتدال

(٢) لليونانيين في أسبانية آثار لا تنكر ، لكنها لا تذكر بالقياس إلى آثار الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان والذى يلوح لنا أن أبا عبيد البكري حمل أكثر ما في أسبانية القديمة من الآثار على تأثير اليونانيين ، وهذا خطأ ، أو أنه خلط بينهم وبين الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان . والحقيقة أن اليونانيين جاءوا إلى السواحل الأسبانية من جهة البحر المتوسط ، ويظن أن اتجاعهم لهذه السواحل وقع بين سنة ٦٣٠ وسنة ٥٧٠ قبل ميلاد المسيح ، ولم ينحصر تبسطهم في سواحل البحر المتوسط ، بل اخترقوا بحر الرقاق ، وامتدوا على سواحل غاليسية وقتنبرية ، ومع هذا فأكثر ما كانت لهم مستعمرات مو فى السواحل الشرقية التى هى اليوم سواحل كتلونية إلى بلنسية ودانية . وكانوا يسمون مستعمراتهم هذه أمبورياس Ampurias وتوابعها ، ومنها كانوا يتقدمون إلى الداخل لاجل التجارة مع الايبيريين ، وأكثر ما بقى عنهم من الآثار إنما

الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جيليقية، والأثر في مدينة طر كونة^(١) الذي لا نظير له .

قال المسعودي : بلاد الأندلس تكون مسيرة عمارها ومدنها نحو شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . انتهى باختصار . ونحوه لابن اليسع إذ قال : طولها من أربونة إلى أشبونة ، وهو قطع ستين يوماً للفارس المجد . وانتقد بأميرين : أحدهما أنه يقتضى أن أربونة داخلة في جزيرة الأندلس ، والصحيح أنها خارجة عنها ، والثاني أن قوله ستين يوماً للفارس المجد اعفاء وافراط ، وقد قال جماعة أنها شهر ونصف . قال ابن سعيد : وهذا يقرب إذا لم يكن للفارس المجد . والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر . وكذا قال الحجارى . وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حساباً بالمراحل الجيدة أفضى إلى نحو شهر بنيف قليل . قال الحجارى في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجز إلى أشبونة ألف ميل وبنيف ٥ هـ . وبالجملة فالمراد القريب من غير مشاححة ، كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ، ثم قال بعد كلام : ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط بأربون

وجد في خرابات أمبورياس وروزاس ، وهى من آنية الزجاج ، ومن الفخار الملون ، ومن الحلى ، ومن بعض التماثيل ، مثل تمثال اسكولاب المحفوظ في متحف رشلونة ، ووجدت أيضاً بعض قطع من الفسيفساء ، ووجدت مسكوكات مضروبة في أمبورياس وروزاس اللتين يظهر أنهما أول المدن الأسبانية التى وقع فيها ضرب السكة ، وكان لليونانيين في أمبورياس وروزاس ودانية معابد للالهة ديانة Diane التى هى من معبودات آسية فى الأصل

(١) إن الذى أثار الآثار العظيمة فى طر كونة الباقية إلى يومنا هذا تدهش الناظر وتذهل خاطر ، إنما هو أغسطس الرومانى الذى أقام بها سنة ٢٦ قبل المسيح ، فبنى فيها الهيكل العظيم لعبادة الآلهة رومة ، وكانت فيها هياكل أخرى وأبنية بقصر عنها الوصف . وأما قادس فقد كان استولى عليها الفينيقيون ، ثم آلت إلى الرومانيين ، وسكن بها أناس من اليونانيين ، وترك الجميع فيها آثاراً مذكورة . وهيكل قادس المشهور عند العرب بصنم قادس هو من آثار الفينيقين

ميلا ، وهذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق ، ولقلته ، سُميت جزيرة ، وإلا فليست بجزيرة على الحقيقة ، لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة ، وعرض جزيرة الأندلس في موسطها عند طليطلة ستة عشر يوماً .

واتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في حيز أربونة ، فمن قال إنه في أربونة . وإن هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التي في الركن الشرقى الشمالى أحمد بن محمد الرازى ، وابن حيان . وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة ، وحقق الأمر الشريف ، وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار براً وبحراً إليها ، وتفرغ له لهذا الفن . قال ابن سعيد : وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح ما ذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة ^(١) غير داخلتين في أرض الأندلس ، وأن الركن الموفى على بحر الزقاق بالشرق بين برشلونة وطركونة ^(٢) في موضع يعرف بوادى « زنقطو » ، وهنالك الحاجز الذى يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ذات الألسن الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت ، الفاصل في الحاجز المذكور ، وفيه الأبواب التى فتحها ملك اليونان بالحديد والنار والخل ، ولم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة قبل ذلك فى البر . وذكر الشريف أن هذه الأبواب فى مقابلتها فى بحر الزقاق البحر الذى بين جزيرتى ميورقة ومنورقة ، وقد أخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية . ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبى والركن الشمالى أربعون ميلا قال : وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل ، وهى من مدن الأفرنجية ، مطلة على البحر المحيط ، فى شمال الأندلس . قال ويتقهر البر بعد تميز هذا الركن إلى

(١) أما أربونة Narbonne فغير داخلة فى الجزيرة الايبيرية وأما برشلونة فهى داخلة فيها لأن كل ما هو جنوبى جبال البرانس هو داخل فى الجزيرة
 (٢) كلا جبال البرتات ليست بين طركونه وبرشلونة بل هى إلى الشمال منهما وهى الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة

الشمال في بلاد الفرنجة ، ولهم به جزائر كثيرة ، وذكروا من الركن الشمالى عند « شنت ^(١) ياقوه » من ساحل الجلالة في شمال الاندلس ، حيث تبتدىء جزيرة « برطانية ^(٢) الكبيرة » فيتصور هنالك بحر داخل بين ارضين ، من الناس من يجعله بحراً منفرداً خارجاً من البحر المحيط ، لطوله الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل ^(٣) . وذكر الشريف : ان عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور ، على جبل بمجمع البحرين ، صنما مطلاً مشهباً بصنم قلدس .

(١) Santiago (٢) Grande - Bretagne

(٣) إن سكان أسبانيا الاصلين لم يتركوا كتابات تاريخية ولا جغرافية عن بلادهم ، كما يصرح به الاستاذ رافائيل بالستر Ballester أحد علماء التاريخ في اسبانية الذى ألف أحسن تاريخ لتلك المملكة ، ونشر كتابه سنة ١٩١٧ ، ثم أعيد طبعه مراراً ، لاقبال الناس عليه ، بما فيه من تحقيق وتمحيص ، واختصار لا يفوت معه معنى مهم ، واجتناب للخوض في مالم يثبت بطريقة علمية . فهو الذى يقول : إن جميع ماورد من المعلومات القديمة عن أسبانية إنما جاء في كتب الرومان واليونان ، وهى أيضاً معلومات ناقصة ، ومنها ما ليس مستنداً إلى وثائق يركن إليها . ثم قال إن أقدم كتاب ورد فيه ذكر أسبانية هو كتاب الاوديسه Odyssee المنسوب إلى هوميروس ، وهو ديوان شعر شهير ، وقد جاء فيه ذكر أسبانية تحت اسم « سيكانيه » Sicania وأنها بقعة خصيبة في أقصى المغرب . وفي المائة الخامسة قبل المسيح كان اليونان يعرفون جنوب أسبانية ، ويسمرون ذلك القطر ببلاد تارتسيد Tarteside ويعرفون أيضاً القسم الشرقى من أسبانية ، ويقولون له « ايبيرية » ، نسبة إلى نهر ابره ، وقد شمل هذا الاسم فيما بعد سائر شبه الجزيرة الايبيرية . أما اسم « اسبيرية » Hesperia فيظهر أنه كان اسماً شعرياً أطلقه اليونان على جميع الاقاليم الغربية . ولم يكن جغرافيو اليونان بادية ذى بدىء يعرفون خليج غشقونية Gascogne ، وكانوا يظنون أن أسبانية إنما هى على مساواة عالية ، أى جنوبى فرنسا . وبقى الامر كذلك إلى القرن الرابع قبل المسيح ، فجاء سائح اسمه بيتياس Pythéas فاطلع على أن في شمالى اسبانية إلى الغرب بحرا يجعل أسبانية عبارة عن شبه جزيرة

ومن ذلك الوقت صار يقال لأسبانية شبه الجزيرة الايبيرية . وأول ما عرف الاقدمون من أسبانية هو السواحل الجنوبية والشرقية ، أى من جبال البيرانس إلى

والركن الثالث بمقربة من جبل الأغن ؟ حيث صنم قادس . والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط ، ماراً مع ساحل البحر الجنوبي الى جبل البرت المذكور . انتهى .

والكلام في مثل هذا طويل الذيل . قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي : بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب ، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة ، طيب التربة ، خصب الجناب ، منبجس الانهار العزار ، والعيون العذاب ، قليل الهوام ذوات السموم ، معتدل الهواء والجو والنسيم ، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال ، وسطة من الحال ، لا يتولد في احدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص ، تتصل فواكه اكثر الأزمنة ، وتدوم متلاحقة غير مفقودة . أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بياكوره . واما الثغر وجهاته ، والجبال المخصوصة ببرد الهواء ، فيتأخر بالكثير من ثمره ، فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل الاحيان ، وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان . وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره ، منها ان الحلب وهو المقدم في الافاوية ، والمفضل في أنواع الأشنان^(١) لا ينبت بشيء من الأرض الا بالهند والاندلس ، والاندلس المدن الحصينة ، والمعقل المنيعة ، والقلاع الحريزة ، والمصانع

أعمدة هرقل التي هي بوغاز جبل طارق ، وأما السواحل الجنوبية فكانت عندهم تنتهي برأس سان فنسان Saint - Vincent كما أن الساحل الشمالي كان ينتهي برأس اورتغال Ortegal فكان الاولون يتصورون سواحل أسبانية من جهة الجنوب تصوراً صحيحاً ، أما من جهة الغرب فكانت في تخيلهم أقصر مما هي في الواقع . فاما أواسط أسبانية فلم تعرف إلا في المائة الثانية قبل المسيح . قال المؤرخ رافائيل بالستر : إن بين أسبانية وأفريقيه تشابهاً عظيماً من الجهة الجغرافية ، وقال أيضاً إن أحسن وصف لاسبانية مما تركه الاقدمون هو ما جاء في كتاب سترابون الجغرافي اليوناني الذي وجد قبل المسيح بقرن واحد .

(١) بضم أوله هو الحمض الذي يغسل به الأيدي وقد يكسر أوله

الجليلة ، ولها البر والبحر ، والسهل والوعر ، وشكلها مثلث ، وهي معتمدة على ثلاثة أركان ، الأول هو الموضع الذى فيه صنم قانس المشهور بالأندلس ، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامى ، الآخذ بقبلى الأندلس . والركن الثانى هو بشرقى الأندلس ، بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل ، مما يابدى الفرنجة اليوم ، بازاء جزيرتى ميورقه ومنورقه ، بمجاورة من البحرين ، البحر المحيط والبحر المتوسط ، وبينهما البر الذى يعرف بالابواب ، مسيرة يومين . ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط .^(١) والركن الثالث منها هو ما بين الجوف^(٢) والغرب من حيز جليقية ، حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيها الصنم العالمى المشبه بصنم قانس ، وهو الطالع على بلد برطانية . قال : والأندلس اندلسان فى اختلاف هبوب رياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان انهارها : اندلس غربى ، واندلس شرقى . فالغربى منها ما جرت اوديته الى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف ، الى بلد شنتمرية ، طالعا الى حوز « اغريطة »^(٣) المجاورة لطليطلة ، مائلا الى الغرب ، ومجاورا للبحر المتوسط ، الموازى لقرطاجنة الخلفاء ، التى من بلد لورقة ، وللحوز الشرقى المعروف بالأندلس الأقصى . وتجرى اوديته الى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حد جبل البشكنس ، هابطاً مع وادى « ابره »^(٤) الى بلد « شت »^(٥) مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفى القبلة منه البحر الغربى ، الذى منه يجرى البحر المتوسط ، الخارج الى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر « تيران »^(٦) ومعناه الذى يشق دائرة الارض ، ويسمى البحر الكبير . انتهى .

(١) سهو من الناسخ فان نربونة تقابل البحر المتوسط

(٢) المغاربة والاندلسيون يقولون للشمال الجوف كما تقدم الكلام عليه وسعود اليه

(٣) أظن أنه المكان الذى يقول له الاسبانيول Agredas

(٤) Ebro (٥) Santa Maria

(٦) يكتب بالافرنسية هكذا Tyrhenienne وهو البحر الذى يفصل بين

إيطالية وقورسقة وسردانية وصقلية

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام : بلد الاندلس عند علماء أهله اندلسان : فالاندلس الشرقى منه ما صبّت أوديته الى البحر الرومى المتوسط المتصاعد من أسفل أرض الأندلس الى المشرق ، وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة . والاندلس الغربى ما صبّت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالحيط ، أسفل من ذلك الحدّ ، الى ساحل المغرب . فالشرقى منهما يطر بالريح الشرقية ، ويصلح عليها ؛ والغربى يطر بالريح الغربية ، وبها صلاحه ، وجباله هابطة الى الغرب ، جبلا بعد جبل . وانما قسمته الاوائل جزئين لاختلافهما فى حال امطارهما ، وذلك انه مهما استحكمت الريح الغربية ، كثر مطر الاندلس الغربى ، وقحط الأندلس الشرقى ، ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الأندلس الشرقى ، وقحط الغربى . وأودية هذا القسم تجرى من الشرق الى الغرب ، بين هذه الجبال . وجبال الاندلس الغربى تمتد الى الشرق ، جبلا بعد جبل ، تقطع من الجوف الى القبلة ، والودية التى تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلة ، وبعضها الى الشرق ، وتنصب كلها الى البحر المحيط ، بالاندلس القاطع الى الشام ، وهو البحر الرومى . وما كان من بلاد جوف الأندلس من بلاد جليقية وما يليها ، فان أوديتها تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف^(١) (وصفة الأندلس) شكل مركان على مثال الشكل

(١) تقدم لنا أن اخواننا المغاربة اصطالحوا على تسمية الشمال بالجوف ، وأنا بحثنا كثيرا حتى نعلم وجه هذه التسمية ، لانه ليس فى كتب اللغة ما يدل على أن الجوف يعنى به الشمال ، بل الجوف فى اللغة هو المظمتن من الارض ، وهو داخل الشيء : فن الانسان بطنه ، ومن البيت داخله . ولا مناسبة بين الشمال والجوف فى شيء . ومع هذا فلا تكاد فى جميع كتب الأندلس تجد معنى الشمال معبرا عنه بغير الجوف ، مما حدانا أن نسأل اخواننا المعروفين بسعة الاطلاع فى اللغة ، واصالة الرأى فى توجيه معانى الالفاظ ، عما يرونه من وجه هذا الاصطلاح ، فالسيد علال الفاسى من رؤوس أدباء المغرب ، رأى كما تقدم الكلام عليه ، أن الجوف بلاد واقعة فى شمالى مكة فكما أن الجنوب يسمى بالقبلة فى بلاد الشام ، أصبح الجوف علما على الشمال بالنسبة الى أهل الحجاز ، ومن هنا غلب هذا الاستعمال فى المغرب والاندلس . وقد استحسن

المثلث، ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب، حيث اجتماع البحرين عند ضمن

هذا الرأي الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق .
وأما الأستاذ الأب انسطاس الكرملي فقال إلى القول بأن الذين أطلقوا الجوف على
على الشمال لا بد أن يكونوا أهالي شمالي أفريقية لأن الريح الشمالية تهب عليهم من
جوف البحر المتوسط فصار كل شمالي عندهم جوفاً . ثم أنه جاءني جواب في هذا
الموضوع من الأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي يقول فيه : إن أهل تونس كما
يسمون الجنوب بالقبلة ، يسمون الشمال بالجوف . وتجدهم هذا الاستعمال فاشياً في
تحديد الأرضين ، ويظهر أنه جاء إلى تونس من الأندلس ، وكنت أخبرت الأستاذ
الخضر عما ظهر للأستاذ علال الفاسي من جهة هذا الاستعمال فني جوابه قال لي أنه قد
خطر ذلك على باله ، ولكن لم يطمئن إليه لأن هذه الكلمة بهذا المعنى لم تستعمل
إلا بالمغرب والأندلس . ويظهر أن أصل استعمالها هو في الأندلس ، فربما كان السبب
فيه أن العرب دخلوا الأندلس من جهة الجنوب ، فكان الجوف عندهم هو داخل البلاد ،
وهو في الشمال كما لا يخفى ، فصار الشمال عندهم مرادفاً للجوف

وأما كاتب هذه السطور فقد كنت من أول الأمر أظن أن العرب لما كانوا قد
دخلوا الأندلس من الجنوب ، وتوغلوا فيها إلى الشمال ، وصلوا إلى ما يسمونه بالأرض
الكبيرة ، شمالي البرانس ، وهي وسط القارة الأوروبية ، لا طرفها كما هي أسبانية فصاروا
يقولون للأرض الكبيرة جوفاً ، ولما كانت الأرض الكبيرة هي في الشمال نحراً ،
صار الشمال والجوف عندهم مترادفين . وقد جاءني من السيد علال الفاسي مؤخراً
كتاب يقول فيه : « وأما رأيكم فقد وجدت ما يستأنس له به في كلام ابن خلدون
فقد جاء عنده في صفحة ٣٠٣ مالفظة : « وقال هوروشوش أن نيرون قيصر انتقض
عليه أهل مملكته ، فخرج عن طاعته أهل بريطانيا من أهل الجوف ، ورجع أهل
أرمينية والشام إلى طاعة الفرس اه .

وخلاصة القول أن الاستاذين عبد القادر المغربي وعلال الفاسي يميلان إلى القول
بأن الجوف استعمل للشمال لوقوع بلاد الجوف في شمالي مكة ، كما استعملت القبلة
لمعنى الجنوب لوقوعها في شمالي الشام ، وأن العلامة الكرملي يرى التسمية المذكورة
بدأت عند أهل شمالي أفريقية ، لكون الرياح الشمالية تهب على بلادهم من « جوف ،
البحر المتوسط ، وأن العلامة خضر حسين التونسي يذهب إلى رأي قريب من رأي

قادس . وركنها الثاني في بلد جليقية ، حيث الضم المشبه ضم قادس ، مقابل جزيرة بريطانية . وركنها الثالث بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل من بلد الفرنجة ، بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة ، لولا أنه يبق بينهما برزخ برية صحراء وعماراة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل إلى الأرض الكبيرة . التي يقال لها الأبواب ، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ، ذات الألسن المختلفة .

قال : وأول من سكن بالاندلس على قديم الأيام ، فيما نقلته الاخبار يون ، من بعد عهد الطوفان ، على ما يذكره علماء عجمها ، قوم يعرفون بالاندلس ، معجزة الشين بهم سمى المسكان ، فترّب فيما بعد بالسين غير المعجمة ، كانوا الذين عمروها ، وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرآ ، على دين التجسس والإهمال والإفساد في الأرض ، ثم أخذهم الله بذنوبهم ، فحبس المطر عنهم ، ووالى القحط عليهم ، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها ، وغارت عيونها ، ويبست أنهارها ، وبادت أشجارها ، فهلك كثيرهم ، وفرّ من قدر على الفرار منهم ، فافقرت الأندلس منهم وبقيت خالية ، فيما يزعمون ، مائة سنة و بضع عشر سنة ، وذلك من حد بلاد الفرنجة إلى حد بحر الغرب الأخضر

هذا العاجز ، وهو أن العرب جاؤا الأندلس من الجنوب ، فكان داخلها أو جوفها هو الشمال في نظرهم ، وفي الواقع ، فأطلقوا كلمة الجوف على كل ما هو شمالي . وإنما الفرق هو في أني أنا أظن أن الجوف عند العرب لم يكن جوف الاندلس نفسها ، ولكن جوف القارة الاوربية كلها ، لأن الاندلس في ذاتها هي طرف بالنسبة إلى القارة المذكورة ، فالاندلس وجزر البحر المتوسط وإطالية هي بالنسبة إلى أوربة معدودة من الاطراف ، والجوف هو وسط القارة . ولما كان هذا الوسط هو في الشمال بالنسبة إلى أهل المغرب وعرب الاندلس ، فقد أطلق هؤلاء اسم الجوف على الشمال وكلام ابن خلدون فيه ما يدل على هذا ، لانه يذكر انتقاض أهل بريطانيا ، وهم أهل شمالي فرنسة وجزيرة انكلترة ، ويعدهم أهل وسط أوربة فهذه هي الآراء المختلفة في هذا التوجيه وللقاريء أن يختار منها ما يشاء

وكان عدّة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة . ثم ابتعث الله لعمارها الافارقة ^(١) ، فدخل اليها بعد افقارها تلك المدة الطويلة ، قوم منهم ، أجلهم

(١) أى أهل أفريقية . وهذا الرأى الذى قاله ابن النظام معروف فى أوربة . قال رافائيل بالاستر فى تاريخ أسبانية ما خلاصته : إن الذين عمروا أسبانية قبل الجميع هم الليقوريون Ligures والايبيرون Ibères والسلتيون Celtes فأما أصل الليقوريين فجهول ، ولا يعرف وجودهم إلا من بعض أسماء البقاع ، وكل ما يقال عن أصلهم فهو رجم بالغيب : وأما الايبيرون فقد ذهب قوم إلى أن أصلهم هو من آسية ، وقيل إنهم من أصل سامى أفريقي ، وذلك لشدة التشابه بين الايبيين وبين قبائل الاطلس ، والبرابر والطوارق ، سواء فى الملامح ، أو فى المنازع والأخلاق ومن المؤرخين من يرى أن الايبيين هم أجداد الباشكنس الحاليين ، ويستدلون على هذا ببعض أدلة لغوية . أما السلتيون فهم شعب طراً من آسية على غربى أوربة والوسط منها وقد اتجعوا أسبانية فى القرن السادس قبل المسيح ، وأقاموا بغربها وموسطها ، وتلاقوا مع الايبيين ، ولم يطرد أحد الفريقين الآخر . وكانت نتيجة تساكن هذين العنصرين تولد اسم « السلتيبير » Celtibères أى السلتى الايبرى وهو اسم أطلق على الايبيين الذين فى أواسط أسبانية وقد عرف هذا الاسم منذ سنة ٢١٨ قبل المسيح وبالاختصار كانت اسبانية لذلك العهد منقسمة إلى ما يلى :

القسم الشمالى للشرقى الذى يقطنه الباشكنس ، مثل يسقاية ونبارة ، ووشقة ، والفاردول Vardules فى « قيوسقوا » Guipuzcoa . والايلاجيت Illergetes فى لاردة . والكوزيتان Cosétanes فى طركونة ، واللاسيتان Lacétanes فى برشلونة والاوسيتان Ausétanes ، والانديجيت Indigètes فى جرنده Géronne ، والايديتان Edetans فى بلنسية ، والباستيتان Bastitans فى لفتن ومرسية ، والترديتان Turdetans والتردول Turdules والتارتيز Tarteses فى الجنوب من بورغاز جبل طارق إلى وادى يانه Guadiana . ثم القسم المتوسط ، وسكانه الاوريثان Oréans فى جهات المانش . والكاريتان Carpétans فى طليطلة . والاريتاك Arévaques فى شوربه Soria ونومانسيه Numancia مع المقاطعات السلتيرية الممتدة من الوادى الجوفى Dourv إلى أرض بالنسية Palencia (هى غير بلنسية Valencia) حيث يسكن القاسيون Vacéens

ملك أفريقية تخفيفاً منهم ، لإحمال توألى على أهل مملكته ، وتردد عليهم ، حتى كاد يفنيهم ، فحمل منهم خلقاً فى السفن مع قائد من قبله يدعى أبتر يقس ، فأرسوا برىف الأندلس الغربى ، واحتلوا بجزيرة قادس ، فاصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت فجرت أمهارها ، وانفجرت عيونها ، وحييت أشجارها ، فنزلوا الأندلس مغتبتين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها ، فكثروا ، واستوسعوا فى عمارة الارض ، ما بين الساحل الذى أرسوا فيه بغير بها ، إلى بلد الأفرنجية من شرقها ، ونصبوا من أنفسهم ملوكا عليهم ، ضبطوا أمرهم ، وتوالوا على إقامة دولتهم ، وهم مع ذلك على ديانة من قبلهم من الجاهلية ، وكانت دار مملكتهم « طالقة » ؟ الخراب اليوم ، من أرض أشبيلية ، اخترعها ملوكهم وسكنوها ، فاتسق ملكهم بالأندلس مائة وسبعة وخمسين عاماً ، إلى أن أهلكهم الله تعالى ونسخهم بعجم رومة ، بعد أن ملك من هؤلاء الأفرانقة فى مدتهم تلك أحد عشر ملكا .

ثم صار ملك الأندلس إلى عجم رومة ، وملكهم أشبان بن طيطش ؟ وباسمه سميت الأندلس اشبانية . وذكر بعضهم أن اسمه أصهبان ، فاحيل بلسان العجم ، وقيل بل كان مولده باصهبان ، فغلب اسمها عليه ^(١) ؟ وهو الذى نى إشبيلية ، وكان اشبانية اسماً خالصاً لبلد اشبيلية ، الذى كان ينزله اشبان هذا ثم غلب الاسم بعده على الأندلس كله . فالعجم الآن يسمونه اشبانية ، لأنار اشبان هذا فيه ، وكان أحد الملوك الذين

ثم القسم الثالث الذى يقطنه القنتبريون Cantabres أهل سنت اندر (أوشنت ادرم) والاستوريون Astures (أو الاشتوريون) والغاليسيون Galaiques أهل غاليسيا Galicia وقبائل سلتية ساكنة بين البحر المحيط والوادي الجوفى والأمة التى يقال لها اللوزيتانيون Lusitains وهم أقوى أمة ايبيرية بين الوادى الجوفى ووادى يانه أى البرتغال وشمالى الاسترامادور . وإلى الشرق من لوزيتانية كان يسكن الفتونيون Vettons وكان فى جزيرتى ميورقة ومينورقة قوم يقال لهم « الجيمناز ، Gimnèses وفى جزيرة يابسة قوم يقال لهم « البتيوز ، Pytieuses

(١) لم نعثر على شىء من هذا فى كلام المحققين

ملكوا أقطار الدنيا ، فيأزعموها ، وكان غزا الافارقة ، عند ما ساطه الله عليهم في جموعه
 ففض عسا كرمهم ، وأثخن فيهم ، ونزل عليهم بقاعدتهم « طالقة »^(١) وقد تحصنوا فيها
 منه ، فابتى عليهم مدينة اشبيلية اليوم . واتصل حصره وقتاله لهم ، حتى فتحها الله عليه
 وغلبهم ، واستوت له مملكة الاندلس باسرها ، ودان له من فيها ، فهدم مدينة طالقة
 ونقل رخامها وآلاتها إلى مدينة أشبيلية ، فاستتم بناءها . واتخذها دار مملكته واستغلاظ
 سلطانه في الارض ، وكثرت جموعه ، فعلا ، وعظم عتوه . ثم غزا إيليا ، وهى القدس
 الشريف ، من أشبيلية ، بعد سنتين من ملكه ، خرج اليها فى السفن فغنمها وهدمها
 وقتل فيها من اليهود مائة الف واسترق مائة الف ، ونقل رخام إيليا وآلاتها إلى الاندلس
 وقهر الاعداء ، واشتد سلطانه . إنتهى .

وذكر بعض المؤرخين : أن الغرائب التى أصيبت فى مغامرات الأندلس أيام فتحها
 كقائدة سليمان عليه الصلاة والسلام ، التى ألغها طارق بن زياد بكنيسته طليطلة ،
 وقليلة^(٢) الدر التى ألغها موسى بن نصير بكنيسته ماردة ، وغيرها من ظرائف
 الذخائر ، إنما كانت مما صار لصاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس إذ حضر
 فتحها مع بختنصر^(٣) ، وكان اسم ذلك الملك بريان ؟ وفى سهمه وقع ذلك ومثله ،
 مما كانت الجن تأتي به نبي الله سليمان^(٤) ، على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة
 والسلام ، انتهى .

(١) جاء ذكر طالقة هذه فى معجم البلدان لياقوت قال : طالقة ناحية من أعمال

اشبيلية بالأندلس . وقرأت أسماء علماء من العرب منسوبين إلى طالقة

(٢) تصغير قلة بمعنى جرة

(٣) المعروف أن الذى فتح بيت المقدس من ملوك بابل هو نوكدنصر الثانى

ابن نابوبولصر وكان قد خلف أباه سنة ٦٠٤ قبل المسيح وهو الذى حصر بيت

المقدس مرتين سنة ٥٩٧ ثم سنة ٥٨٦ وسبى بنى اسرائيل السبى الشهير المعروف

بسبى بابل .

(٤) هذه كلها من أساطير الاولين

وقال غير واحد من المؤرخين ، كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الأندلس لاتصال الأرض ، ويلتقون منهم الجهد الجهيد في كل وقت ، إلى أن اجتاز بهم الاسكندر^(١) ، فشكوا حالهم اليه ، فأحضر المهندسين ، وحضر إلى الزقاق ، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامى ، فوجدوا المحيط يملو البحر الشامى بشىء يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامى ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ، ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الأندلس من الأرض ، فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجيار بناء محكماً ، وجعل طوله اثني عشر ميلاً ، وهى المسافة التي كانت بين البحرين ، وبنى رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة ، وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال ، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ، فدخل في البحر الشامى ، ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة ، وأهلك أمماً عظيمة ، كانت على الشطين^(٢) ، وطفا الماء على الرصيفين إحدى عشر قامة . فأما الرصيف الذى يلي بلاد الأندلس فانه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماء ، ظهوراً بيناً مستقيماً ، على خط واحد ، وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة . وأما الرصيف الذى من جهة العدو ، فان الماء حمله في صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلاً . وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز ، وسبته ، وطنجة . وعلى طرفه من الناحية الأخرى جبل طارق بن زياد ، وجزيرة طريف ، وغيرها وجزيرة الخضراء ، وبين سبته والجزيرة الخضراء ، عرض البحر انتهى مائخصاً . وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه ، والمذريين ، لارتباط الكلام بعضه ببعض .

وقال ابن سعيد . ذكر الشريف^(٣) أن لاحظ لأرض الأندلس في الاقليم

(١) ومتى اجتاز بهم الاسكندر ؟

(٢) بمقتضى هذه الأساطير يكون الاسكندر اتقى الضرر الاخف بالضرر الأشد

(٣) يعنون بالشريف الشريف الادريسي

الثالث قال : ويمر بجزيرة الأندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي ، وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية ، ثم يمر على جزيرة صقلية ، وعلى ما في سمتها من الجزائر ، والشمس مدبرة له . والاقليم الخامس يمر على طليطلة ، وسرقسطة ، وما في سمتها إلى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلوة ، ثم يمر على رومية وبلادها ، ويشق بحر البنادقة ، ثم يمر على القسطنطينية ، ومدبرته الزهرة . والسادس على ساحل الأندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه ، وبعض البلاد الداخلة في قشتالة وبرتقال وما في سمتها . وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ، ومدبره عطار ، ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط ، الذي في شمال الاندلس ، إلى جزيرة انقلطرة ، وغيرها من الجزائر ، وما في سمتها من بلاد الصقالبة و برجان ^(١) . قال البيهقي : وفيه تقع جزيرة تولى ، وجزيرتا أجبال والنساء . وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر . اهـ

وقال بعض العلماء ما معناه إن النصراني أعطوا عن الآخرة بستاناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية وعندهم عموم الشاه بلوط ، والبندق ، والجوز ، والفتق ، وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الاقليم الباردة ، والتمر عندهم معدوم ، وكذا الموز وقصب السكر ، وربما يكون شيء من ذلك في الساحل ، لان هواء البحر يندف . . اهـ

قال ابن حيان في المقتبس : ذكر رواية المعجم أن الخضر عليه السلام وقف على أشبان المذكور وهو يحرق الأرض بفرن له أيام حرارته : فقال له : يا أشبان إنك

(١) برجان بالجيم بلد من نواحي الخزر ، قاله ياقوت في معجم البلدان ، قال المنجمون هو في الأقليم السادس ، وطوله أربعون درجة ، وعرضه خمس وأربعون درجة ، وكان المسلمون غزوه في أيام عثمان رضى الله عنه ، فقال أبو نعيم التيمي :

بدأنا بجيلان فزلزل عرشهم كتائب ترحى في الملاحم فرسانا
وعدنا لاشيان مثل عداتهم فعادوا جوال بين روم وبرجانا

لندو شان ، وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان . فاذا أنت غلبت على ايليا ، فافرق بذرية الانبياء . فقال له اشبان : أساخر بي رحمك الله ؟ أنى يكون هذا منى وأنا ضعيف ممتين حقير فقير ؟ ليس مثلى ينال السلطان ! فقال له : قد قدر ذلك فيك من قدر في عصاك اليايسة ما تراه فنظر اشبان إلى عصاه فاذا بها قد أورقت فريع لما رأى من الآيه ، وذهب الخضر عنه ، وقد وقع الكلام بخلده ، ووفرت في نفسه الثقة بكونه ، قترك الامتهان من وقته ، وداخل الناس ، وصحب أهل البأس منهم ، وسما به جدّه ، فارتقى في طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما ، وكان منه ما كان ، ثم أتى عليه ما أتى على القرون قبله . وكان ملكه كله عشرين سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده إلى أن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومة أمة يدعون البشتولقات وملكهم طلويس بن بيطه ، وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، أتوا الاندلس من قبل رومة ، وكانوا يملكون أفرنجة معها ، ويبعثون عاملهم اليها ، فاتخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة ^(١) ، واستولوا على مملكة الاندلس ، واتصل

(١) المعروف أن الذين بنوا ماردة هم الرومانيون ، وذلك قبل المسيح بخمس وعشرين سنة لاغير ، وسموها « أوغستا أميريتا » Augusta Emérita وكانت قاعدة ولاية « لوزيتانيا » ثم عظمت ونمت حتى صار يقال لها « رومة الاسبانيولية » ودخل عليها القوط وهى بهذه الحالة ، وأما « الشتولقات » فلم نعرف من يعنى بهم مؤرخونا ؟ وهم معذرون في عدم تمحيص التاريخ في القرون الوسطى التى كان التاريخ القديم فيها لا يزال في مهد الطفولية سواء في الشرق أو في الغرب والمظنون أنهم يريدون بهم الفيزيقوط Visigots أما « أشبان » هذا فلم نعرفه ، ولا عرفنا عنه شيئا ، ولا سمعنا بغزوه بيت المقدس ولا باخضرار العصا في يده . وجل ما عرفنا عن الذين كانوا يلون اسبانية قبل القوط أنهم من أمة « السويف » Suèves وهى أمة جرمانية زحفت من الشمال إلى الجنوب نظير القوط . ويقال أنها من نفس الجنس الجرمانى الذى يقال له اليوم « سقاب » Swab وأن القوط نزعوا من أيديهم القسم الشمالى الغربى من اسبانية

ملكهم بها مدة ، إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ، ثم دخل على هؤلاء

سنة ٥٨٥ قبل المسيح ومن ذلك الوقت كانت الدولة للقوط الملقبين « بالفيزيقوط » وربما كان العرب رأوا فيهم جنساً آخر غير الجنس القوطي ، على حين أنهم هم قوط الغرب ، كما أن « الأوستروقوط » هم قوط الشرق . وكلا الفريقين استولى على إيطاليا وتقدم إلى جنوبي فرنسا ، ثم فتح القوط الغربيون إسبانية ، كما ذكرنا ، وتولى أول ملك منهم عليها سنة ٥٣١ ب م واسمه « طوديش » Theudis ثم « طيوديجيزل » Théodigisèle سنة ٥٤٨ ثم « اجيلا » Agila سنة ٥٤٩ ثم « أتاجيلد » Atanagild سنة ٥٥٤ ثم « ليوبا » الأول Libua سنة ٥٦٧ ثم « ليوفيجيلد » Léowigild سنة ٥٧٢ ثم « هرمينيجلد » Herménigild سنة ٥٨٥ ثم « ريكاريد » Récarède سنة ٥٨٦ ثم « ليوبا » الثاني سنة ٦٠١ ثم « فيريك » Vitceic سنة ٦٠٣ ثم « غندمار » Gondemar سنة ٦١٠ ثم « سيزبوط » Sisebut سنة ٦١٢ ثم « ريكاريد » الثاني سنة ٦٢١ ثم « سوتتिला » Suintila سنة ٦٢١ ثم « ريسيمر » Ricimer سنة ٦٢٥ ثم سيزيناند Sisenand سنة ٦٣١ ثم « شنيتلا » Chintila سنة ٦٣٦ ثم « طولغا » Tulga سنة ٦٤٠ ثم « شنداسنت » Chindasuinte سنة ٦٤٢ ثم « ريسيزوينت » سنة ٦٥٢ ثم « فامبا » Vamba سنة ٦٧٢ ثم « أرفيج » Ervige سنة ٦٨٠ ثم « أجيذا » Egiza سنة ٦٨٧ ثم « فيتيزا » Witiza سنة ٧٠٠ ثم « رودريك » أو « لدريق » Rodrique سنة ٧١٠

والذي يلوح لنا من المقابلة بين هذه الروايات التي في بعض كتب العرب وبين تواريخ الافرنج المعول عليها أن الذين يعينهم ابن حيان بقولهم « البشتولقات » هم « الفيزيقوط » أو « الفيزيقوط » أنفسهم والمشابهة بين اللفظتين ظاهرة فالفاء هي الباء والزاي هي الشين لأن من عادة العرب قلب السين والزاي شيئاً بل يقال أن أوائل الاسبان أيضاً كانوا يقبلونها شيئاً فتصير اللفظة هي « البيشيقيوت » ، وأما اللام فطالما ادخلوها على الاعلام التي فيها « واو » مثل « بودوين » Baudwin جعلوها « بلدوين » ومثل « بيوغراد » Beaugrade التي صارت « بلغراد » وعليه فتصير اللفظة « البشيقولت » ثم جمعوها على « بيشقولتات » ، ثم تعاورها التصحيف الذي لا يوجد أكثر منه في نسخ العرب للألفاظ الافرنجية فان الاسم الافرنجي يجتاز عند العرب عقبتين الأولى هي اللفظ لأن العرب لا تقدر ان تتلفظ ببعض الحروف الافرنجية ولو قطعت رؤوسها

البشتولقات أمة القوط ، مع ملك لهم ، فجابوا على الاندلس ، واقتطعوها من يومئذ

والثانية هي التحريف والتصحيح في النسخ فبعد ان يمر الاسم الافرنجي بهاتين العقيبتين
يعد جداً عن أصله حتى يصعب رده الى الأصل . وانا أرى ان « طوليش بن ييطه »
الذى ذكره ابن حيان انه أول من ملك من «البشقولتات» انما هو «طوديش» Theudis
الذى ذكر مؤرخو الافرنجة انه أول من ملك من «الفيزيقوط ، أو «البيزيقوط ،
في أسبانية . وكذلك «خشنديش» ، الذى قال ابن حيان انه هو أول من تنصر من ملوك
القوط انما هو «شنداسنت» الذى ملك عام ٦٤٢ وان الاسم تحرف أو لالا الى «خنداشنت»
ثم تصحف وتحرف فصار «خشنديش» ، على ان مؤرخى الافرنج يذكرون ان أول
ملك تنصر من ملوك القوط هو ريكاريد الأول اى قبل عهد الذى سموه «خشنديش»
أو تصحف اسمه الى خشنديش ، بخمسين سنة وشئ . واما «فيتزا» الذى يسميه العرب
في كتبهم «غيطشه» ، فاني معتقد ان الغين هنا هي تصحيف الفاء وان العرب من البداية
قالوا «فيطشه» ، لا «غيطشه» ، وذلك لأنهم لفظوا الزاى شيئاً على عادتهم فصار «فيتزه»
هو «فيتشه» ، ثم فخموا التاء فصار «فيطشه» . واما عدد ملوك «الفيزيقوط» ، فهو
بحسب ما ذكر الافرنج ٢٥ ملكاً كما ترى ورواية ابن حيان عن عدد ملوك «البشقولتات»
الذين اعتقد انهم هم هم هي انهم ٢٧ ملكاً فالروايتان متقاربتان . وهناك ملاحظة ،
وهي ان المقرئ يروى فيما بعد قائلاً : وقال جماعة : ان القوط غير البشقولتات الخ
وهذا دليل على وجود روايات أخرى بان البشقولتات هم من القوط انفسهم لا سيما
انه يروى عن هؤلاء ان عددهم ٢٧ ملكاً

وفي كتابنا «غزوات العرب في اوربة» ، نذكر مدينة طلوزة Toulouse ونقول
انها كانت قاعدة مملكة التكتوزاجين Valces Tectosages وقلت في الحاشية ان
هؤلاء هم جيل من الغولوا ولا نعلم هل هم الذين أرادهم صاحب نفع الطيب عند
ذكر الأمم التي عمرت الاندلس وسماهم البشتلقات أم لا ؟ وقد تكون اللفظة مصحفة
عن تشتلقات وفي صبح الاعشى يذكر الشبقات ويقول انهم ملكوا الاندلس وبلاد
الاندلس معاً وان القوط خرجوا عليهم . انتهى . الا ان العلامات كثيرة على كون المراد
بالبشتلقات أو البشتقات هم امة الفيزيقوط . هذا ويظهر ان المؤرخين من أسبانيين
وغيرهم مختلفون في عدد ملوك القوط وفي اسمائهم وفي سنى ملكهم وذلك كما ترى من
سلسلة ملوك القوط التي نشرها هنا مع صورة كل واحد منهم فانك تراها مختلفة عن

من صاحب رومة ، وتفردوا بسطانهم ، واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم ، فبقى باشبيلية علم الاشباينيين ، ورياسة أوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين في الارض بدعون الخلق إلى ديانته ، فاختلف الناس عليهم ، وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم . وكان من أسرهم إجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشن دس ملك القوط ، فتنصر ، ودعا قومه إلى النصرانية وكان من صميم أعظمهم ، وخير من تنصر من ملوكهم ، وأجمعوا على أنه لم يكن فيهم أعدل منه حكماً ، ولا أرشد رأياً ، ولا أحسن سيرة ، ولا أجود تديراً ، فكان الذي أصل النصرانية في مملكته ، ومضى أهلها على سنته إلى اليوم ، وحكوا بها ، والانجيليات في المصاحف الأربعة التي يختلفون فيها من انتساخه ، وجمعه ، وثقيفه . فتناست ملوك القوط بالأندلس بعده ، إلى أن غلبتهم العرب عليها ، وأظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الأديان .

فوقع في تواريخ العجم القديمة ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالأندلس ، من عهد « انا وبنوس » ^(١) الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة « فلبش » ^(٢)

السلسلة الأولى التي نقلناها عن تواريخ محصاة افرنجية الا ان السلسلة المصوّرة مبدوء فيها بملوك القوط وهم لا يزالون في غالبية وهي منقولة عن مجموعة عظيمة مطبوعة في برشلونة بمطبعة « بونا فيستا ، Buenavista كانت قد أهديت الى الوطني الكبير فقيده المغرب الحاج عبد السلام بنونه من عيون أعيان تطاون رحمه الله وقد أهدانا اياها أخوه الفاضل الحاج محمد العربي بنونه حفظه الله وما نشرناه في هذا الكتاب من التصاوير والرسوم منه ما أخذناه عن هذه المجموعة ومنه ما اقتنيه في أثناء سياحتنا الى الاندلس ومنه ما أرسلنا واستجلبناه منها فيما بعد

(١) أظن هذا الاسم محرفاً وأصله « انا جيلدوس » وهو من ملوك القوط ، وقد مر بك

(٢) فيلبس القيصر الروماني ملك من سنة ٢٤٤ للمسيح إلى سنة ٢٤٩ وكان عربي الأصل .

القيصري « لمضى اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر^(١) المشهور عند العجم ، إلى عهد

(١) كان أشهر تاريخ هو التاريخ المسمى باليولياني Julien وذلك أنهم قسموا السنة إلى ١٢ شهراً تبلغ عدة أيامها جميعاً ٣٥٥ يوماً فلزم حينئذ إضافة شهر جديد تكون أيامه ٢٢ أو ٢٣ يوماً ، حتى تم المطابقة مع السنة الشمسية ، فكان هذا الشهر المضاف يأتي كل سنتين ، ويكون دوره في آخر السنة بين ٢٣ و ٢٤ فبراير وكانوا يسمونه « مرسدونيوس ، Mercedonius فكان دور أربع سنوات يزيد باثني عشر يوماً على عدد الأيام التي في السنوات الأربع الشمسية وأخيراً صار يأتي ١ يناير في ١٥ اكتوبر ، فاضطر يوليوس قيصر إلى اصلاح الحساب ، وأضاف إلى السنة شهرين ، أحدهما ٣٣ يوماً ، والآخر ٣٤ يوماً . ثم جاء الفلكي الاسكندري سوزستان Sosisthène فقرر للسنة ٣٦٥ يوماً ، وبقيت ست ساعات لأجل تمتة الوقت الذي يقتضيه دوران الشمس حول الأرض ، فأنلف من هذه الساعات يوم واحد كل أربع سنوات ، فوضعوا هذا اليوم بعد ٢٣ فبراير

وهكذا جرى اصلاح الحساب الأول ، إلا أن سنة سوزستان نفسها بقيت ناقصة باحدى عشرة دقيقة واثنتي عشرة ثانية عن السنة الشمسية ، وبقيت الحال هكذا من سنة ٤٧ للمسيح إلى سنة ١٥٨٢ فتنبه لاصلاح هذا الخلل البابا غريغوريوس الثالث عشر ، فأصلح الحساب اليولياني ، وسمى الحساب الجديد بالحساب الغريغوري ، ولكنه لم يسلم من الخلل أيضاً ، بحيث لا يزال علماء الفلك والتقويم يفكرون في حساب آخر ينتهي إليه الضبط ، ولكن صعوبة ترك التقليد تحول دون هذا المشروع في اوروبا ، وسنة ١٩١٧ إذ كنت من أعضاء مجلس النواب العثماني في استانبول ، تقرر عندنا في المجلس العمل بالتاريخ الغريغوري بكونه أصبح من التاريخ العربي ، فتم هذا القرار في مجلس النواب أو المبعوثين ، وتقدم إلى مجلس الأعيان ، فجاء الفلكي الشهير أحمد مختار باشا الغازي ، واعترض على هذا التغيير ، وقال : إن الحساب الغريغوري هو أيضاً غير سالم من الخطأ ، فما الفائدة في العدول عن خطأ إلى خطأ آخر؟ وبين براهين علمية صحيحة نظره . وبذلك عدلت الدولة العثمانية يومئذ عن اتخاذ الحساب الغريغوري ، وبقيت على الحساب الذي يقال له المارتي ، وهو حساب عربي قد رفع منه الفرق بين الشمسي والقمرى ، ولكن تركيا بعد الحرب العامة عادت فأتخذت الحساب الغريغوري . أما في زمن أغسطس قيصر فقد وضع الرومان حسابين لمواسم الزراعة أحدهما يسمى

سلسله ملوك القوط في اسبانيا

	ليو جيولده ٦٧٥-٦٨٥		ليو جيولده ٦٧٥-٦٨٥		ليو جيولده ٦٧٥-٦٨٥		ليو جيولده ٦٧٥-٦٨٥
	اورليقتو ٦٨٣-٦٩٣		ليوفا در اول ٦٨٥-٦٩٥		سويولا ٦٨٦-٦٩٦		شيشا ٧٠٩-٧٠٩
	تيرودريقتو ٦٩٣-٦٩٣		ليوفا در اول ٦٩٥-٦٩٥		ريكاردو ٢ ٦٩٦		ايفيكا ٦٨٧-٧٠١
	توريسموندو ٦٩٣-٦٩٣		اجيا ٦٩٥-٦٩٥		سيبرو ٦٩٦-٦٩٦		ايرفينيو ٦٩٥-٦٩٥
	تيرودريقتو ٦٩٣-٦٩٣		توريسموندو ٦٩٥-٦٩٥		غوندارو ٦٩٦-٦٩٦		فامبا ٦٩٥-٦٩٥
	فاليه ٦٩٣-٦٩٣		توريسموندو ٦٩٥-٦٩٥		رايسفونو ٦٩٦-٦٩٦		رايسفونو ٦٩٦-٦٩٦
	سيجريكو ٦٩٣		توريسموندو ٦٩٥-٦٩٥		فيستيريقتو ٦٩٦-٦٩٦		شينا شيفينو ٦٩٦-٦٩٦
	اوتلفو ٦٩٣-٦٩٣		غيزا اليعتو ٦٩٥-٦٩٥		يوفا ٢ ٦٩٦-٦٩٦		تولفا ٦٩٦-٦٩٦
	سوتيليا ٦٩٦-٦٩٦		ريكاردو ١ ٦٩٦-٦٩٦		ريكاردو ١ ٦٩٦-٦٩٦		سوتيليا ٦٩٦-٦٩٦

لنريق آخرهم ، الذى ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعائة من تاريخ الصفر ، وهو الذى دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط ، ستة وثلاثون ملكا ، وأن مدة أيام ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنان وأربعون سنة ٥١ .

وقال جماعة : إن القوط غير البشتولقات ، وإن البشتولقات من عجم رومة ، وإنهم جعلوا دار ملكهم ماردة ، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ثم دخل عليهم القوط ، واتخذوا طليطلة دار مملكة ، ثم ذكر تنصر ملكهم خشنديش مثل ما تقدم ، ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون ملكا وذكر الرازي أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح ، وقيل غير ذلك ٥١ وذكر الرازي في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه :

إن الاندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التى تقدم ذكرها التى هي ربع معمور الدنيا ، فهى موسطة من البلدان ، كريمة البقعة ، بطبع الخلق ، طيبة التربة ، مخصبة القاع ، منبسجة العميون الثرارة ، منفجرة الانهار الغزار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة الهواء أكثر الايمان ، لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان ، وكذا فصولها فى أعم سنيها تأتى على قدر من الاعتدال ، وتوسط من الحال ، وفواكهها تتصل طول الزمان ، فلا تكاد تعدم ، لان الساحل ونواحيه ، يبادر بياكوره ، كما أن الثغر وجهاته ، والجبال التى يخصصها برد الهواء ، وكثافة الجو ، تستأخر بما فيها من ذلك ، حتى يكاد طرفاها كبتها يلتقيان ، فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان .

كولوتيانوم Colotianum ، والآخر فالنس Vallense ووجدا مكتوبين على الحجارة وأما تاريخ الصفر فيقال إنه اصطلاح أسباني كان مبدأه أول يناير سنة ٣٨ قبل الميلاد ، أى فى زمن فتح أغسطس الرومانى لاسبانية ، وبقى مستعملا فيها إلى أواخر القرن الخامس عشر

ومن بحرها بجمه الغرب يخرج العنبر الجيد ، المقدم على أجناسه في الطيب ،
والصبر على النار ، وبها شجر الحلب ، الممدود في الأفوية ، المقدم في أنواع الأشنان
كثير واسع . وقد زعموا أنه لا يكون إلا بالهند ، وبها فقط . وبها خواص نباتية
يكثرتعدادها . انتهى ^(١)

وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال : يوجد في ناحية « دلالية » ^(٢) من
إقليم « البشرية » ^(٣) عود الاننجوج ، لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحة
وقد سيق منه إلى خيران ^(٤) الصقلي صاحب المرية ، وأن أصل منبته كان بين أحجار
هناك « وبأ كشيونية » ^(٥) جبل كثيرا ما يتضوع ريحه ريح العود الذكي ، إذا
أرسلت فيه النار ، ويبحر « شدونة » ^(٦) وجد العنبر الطيب الغربي ، وفي جبل
« منت ليون » الحلب ^(٧) ، ويوجد بالأندلس القسط ^(٨) الطيب ، والسنبل ^(٩)
الطيب ، والجنطيانة ^(١٠) تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق وهو عقار ^(١١) رفيع

(١) هذه الجملة من كلام الرازي قد تقدمت ، لكن باختلاف قليل عما هي في
هذا الموضوع ، ونحن أحببنا أن نحافظ بقدر الامكان على نصوص المؤلفين الذين نقلنا عنهم

(٢) برجة ودلاية هما من عمل المرية

(٣) الألبان يقولون للبشرة أو البشرات Albuxara وهي جبال عالية مشرفة
على البحر المتوسط (٤) سياتي خبره

(٥) قال ياقوت : ا كشيونية بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة
وسكون الواو وكسر النون وياه خفيفة مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل أشبونة .
وهي غربي قرطبة ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، برية بحرية ، قد يلقى بحرها على ساحلها

العنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي (٦) Sidonia

(٧) ضبطه بفتح أوله وهو شجر له حب يجعل في الطيب

(٨) بضم أوله فسكون وهو عود يتداوى به

(٩) السنبل هنا هو نبات طيب الرائحة يتداوى به ويسمى سنبل العصافير

(١٠) الجنطيانة هو من العقاقير المعروفة في المغرب واطباء المغرب يطلقونه على جذر

النبات المعروف عند الصيادلة « بأوضنى » هكذا كتب الينا من فاس

(١١) بفتح أوله وتشديد ثانيه والجمع عقاقير

والمرّ الطيب بقلعة أيوب ، وأطيب كهرباء الأرض بشدونة ، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة . وأطيب القرمز قرمز الاندلس ، وأكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ، ولبلبة ^(١) ، وشدونة ، وبلنسية ، ومن الاندلس يحمل إلى الآفاق .

وبناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد ، وقد يوجد في غيرها وعلى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور ، وقد يوجد بجبل «شحيران» وهو شرقي «بيرة» وحجر النجادي يوجد بناحية مدينة اشبلونة ، في جبل هنالك يتلأ فيه ليلاً كالسراج ، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن «منت ميور» ^(٢) من كورة مالقة ، إلا أنه دقيق جداً لا يصلح للاستعمال لصغره ، ويوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية «بجانة» ^(٣) في خندق يعرف بقرية «ناشرة» أشكالاً مختلفة كأنه مصبوغ ، حسن اللون ، صبور على النار ، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير . وحجر الشادنة يوجد بجبال قرطبة ، كثير ، ويستعمل ذلك في التذهيب . وحجر اليهودي في ناحية حصن «البونت» ^(٤) أنفع شيء للحصاة وحجر المرقشينا الذهبية في جبال «ابده» ^(٥) لا نظير لها في الدنيا ، ومن الأندلس

(١) Niebla قد كررنا تعريف هذه الأسماء بالعربي وبالاسبانيولي لأن القاريء لا يقدر ان يحفظها الا بالتكرار ، وان لم ترسخ في ذهنه فلا يستطيع ان يفهم تاريخ الاندلس وجغرافيتها على وجهها . فالتكرار لازم الا في التعريف بالاسماء المشهورة

(٢) Montmayor (٣) Bechina

(٤) قال ياقوت : حصن «البونت» بالضم والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان حصن بالاندلس ، وربما قالوا البنت ، وقد ذكر . ينسب اليه ابو طاهر اسماعيل ابن عمران بن اسماعيل الفهرى البتي ، قدم الاسكندرية حاجاً ، ذكره السلفي ، وكان ادبياً أريباً قارئاً ، وعبد الله بن فتوح بن موسى بن ابي الفتح بن عبد الله الفهرى البتي أبو محمد ، كان من أهل العلم والمعرفة ، وله كتاب في الوثائق والاحكام ، وله أيضاً رواية توفى في جمادى الآخرة سنة ٦٢٢ هـ

(٥) Ubeda من أعمال جيان

تحمل إلى جميع الآفاق بفضلها . والمنغيسيا بالأندلس كثير . وكذلك حجر « الطلّقي »^(١) ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، إلا أنه جامد اللون . ويوجد المرجان بساحل ييرة ، من عمل المرية ، ما لقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين رباعاً . ومعادن الذهب بنهر لاردة ، يجمع منه كثير ، ويجمع أيضاً في ساحل الاشبونة ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة ، في كورة تدمير ، وجبال جمّة^(٢) « بيجانة ، وياقلم « كرتش » من عمل قرطبة معدن فضة جليل . و « باشكونية »^(٣) معدن القصدير لا نظير له ، يشبه الفضة ، وله معادن بناحية أفرنجة وليون . ومعادن الزئبق في جبل البرانس ، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق . ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة . ومعادن التوتية الطيبة بساحل « البيرة »^(٤) بقرية تسمى « بطرنة »^(٥) وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس . وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية . ومعادن الكحل أشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طرطوشة ، يحمل منها إلى جميع البلاد . ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى .

وما ذكرت هنا ، وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي ، فهو لجمع النظائر وما لم نذكره أكثر ، والله تعالى أعلم .

ومن خواص طليطلة أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها

(١) بكسر فسكون وزان مثل هو حجر براق ينشظى إذا دق صحائف وشظايا يتخذ

منه مضوى للحامات بدلا عن الزجاج واجوده اليماني ثم الهندي ثم الاندلسي

(٢) لا أعلم هل هذه اللفظة هي دجة ام جمّة فان كانت دجة وقد سقطت الدال

منها في النسخ فهي عند الاسبانيول هكذا Diegma وان كانت جمّة كما هي مكتوبة في

النسخ فلا يبعد أن تكون اسما عربياً من أصله لا سيما انه يوجد جبال كثيرة عند العرب

باسم جمّاء بالمذ والهمز مؤنث اجم الذي لا قرن له ويقال بيت أجم أى لا شرفة له

(٣) في غربي الأندلس كانت مقاطعة يقال لها اشكونية قاعدتها مدينة شلب

(٤) Baterna (٥) Vera

الخلف عن السلف . وزعفران طايطلة هو الذى يعم البلاد ، ويتجهز به الرفاق إلى الأفاق . وكذلك الصبغ السماوى . اهـ

وقال المسعودى فى مروج الذهب بمد كلام ما نصه : والعنبر كثير ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له « شترين » ^(١) و « شدونة » ^(٢) تبلغ الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيل ذهباً ، والأوقية بالبغدادى ، وتباع بمصر أوقيته بعشرين ديناراً ، وهو عنبر جيد ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ، ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء . وبالأندلس معدن عظيم للفضة ومعدن الزئبق ^(٣) ليس

(١) Santarem فى البرتغال (٢) Sidonia

(٣) جاء فى كتاب « أسبانية المسئلة فى القرن العاشر للاوى . بروفسال ما محصله : كانت المعادن من قديم الزمان معروفة فى أسبانية ، وكان الرومان يستخرجون منها جانباً كبيراً ، وذلك كالحديد والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، وكان الحديد مبذولاً . ولما دخل المسلمون إلى الأندلس لم يهملوا المعادن ، بل وفروا لها أعظم جانب من العناية وكانوا يستخرجون الذهب من رمال نهر لاردة ونهر شقر ونهر التاجه . وكانت الفضة فى نواحي مرسية والحمة وقرطبة بمكان يقال له المرج حسبما روى الادريسي وفى « تطالقة » من عمل باجة كما قال ياقوت فى المعجم ويوجد الحديد فى شمالى الوادى الكبير بين قرطبة واشيلية ، وروى الادريسي انه كان منه فى قسطنطينية . وروى ياقوت انه كان منه فى فرآيش وكان على مسافة ١٢٥ كيلو متراً إلى الشمال من قرطبة معدن زئبق مشهور ، وكان هذا المعدن معروفاً عند الرومانين ، وتنبه له المسلمون واستغلوه ، وجغرافيو العرب يقولون انه فى جبل البرانس ومنه فى المحل الذى يقال له اليوم سيودادريال Ciudadreal فقد كان يوجد زئبق أيضاً هناك ، وأيضاً فى أبال بقرب قرطبة . وقال الادريسي انه رأى فى هذا المعدن الاخير ألف عامل ، منهم من كان مشغولاً باستخراج المادة من آبارها ، ومنهم من كان ينقل الحطب لأجل التحمية ، ومنهم من كان يصنع الآنية التى يستودع فيها المعدن بعد ذوبه ، ومنهم من كانوا يبنون المواقد

وكان عمق الآبار نحواً من مائة ذراع

بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الاسلام والكفر، وكذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل . وأصول الطيب خمسة أصناف المسك، والكافور، والعود، والعنبر، والزعفران، وكلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والعنبر هـ .

وهو وإن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى أعلم . وذكر البعض أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن الثيرات السبعة الرصاص من زحل، والقصدير الأبيض من المشتري، والحديد من قسم المريخ، والذهب من قسم الشمس، والنحاس من الزهرة، والزئبق من عطارد، والفضة من القمر .

وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بالريق بلد الأندلس فقال : أهله أصحاب جهاد متصل، يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يدعون

وكان يوجد زئبق وتوتية بقرب شلّوبين على ساحل البحر المتوسط، وكذلك ذكر المقرئ وجودهما في بطرنة . ويظهر أن المسلمين لم يعتنوا بمعادن التنك التي في « ريونتو » الى الشمال الشرقى من «أنه» ولكن كانوا يأخذون النحاس من «أشكونية» في الغرب وهي تابعة البرتغال اليوم . وكان عندهم الرصاص في «قبره» وعندهم الملح في سرقسطة، وكان عندهم الطفال بقرب طليطلة والكحل في نواحي طرطوشة وبسطة وكانت الأندلس موصوفة بالحجارة الثمينة، فكان الياَسنت من مالقه وحجر الكهراء في مرسية . وأما المرمر فلم يكن يكفي البلاد بل كانوا يستوردون من الخارج وكان معدن المرمر في جبال مورينا وفي مكابيل ومن هذه قطعت أعمدة المرمر التي كانت في المرية وقد نقلت الآن إلى مجريط . وكان يوجد من الحديد في جزيرة شلطش بازاء أنه وهناك دار صناعة حسماء قال الادريسي . وفي شلطش أيضا مصايد للاسماك كان يحمل منها إلى أشبيلية، ويقول الادريسي إنه كان من هذه المصايد في بزليانه بقرب مالقه وكان صيادو السمك في سواحل الاتلاتيك كما روى ياقوت في المعجم يبحثون عن العنبر الرمادى ولا سيما في سيتوبال وكان يقال لها الجون العنبرى عند العرب وكان أيضاً يوجد في شدونة وكانوا يجدون المرجان بقرب المرية

الجلالقة ، يتاخون حوزهم ، ما بين غرب إلى شرق ، قوم لهم شدة ، ولهم جمال وحسن وجوه ، فأكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال منهم ، ليس بينهم وبينهم درب ^(١) فالحرب متصلة بينهم ما لم تقع هدنة . ويحاربون بالأفق الشرقى أمة يقال لهم الفرنجة ، هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوتهم ، إذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كثيرة واسعة جليلة ، متصلة العمارة ، آهله ، تدعى الأرض الكبيرة ، هم أكثر عدداً من الجليقيين ، وأشد بأساً ، وأحد شوكة ، وأعظم امداداً . وهذه الأمة يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم . لمخالفتهم إياهم في الديانة ، فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بأرض الأندلس ، فلهم هنالك كثرة ، وتخصيهم للفرنجة يهود ^(٢) ذمتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خصيانهم من هنالك إلى سائر البلاد ، وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخلصون ويستحلون المثلة .

قال ابن سعيد : ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام ، هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ، ما بين طنجة من أرض المغرب ، وبين الأندلس فيكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ، ثمانية عشر ميلاً . وهذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبتة . وهناك كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الأندلس إلى بر العدو ، ويعرف هذا الموضع الزقاق ، وهو صعب المجاز ، لأنه مجمع البحرين ، لا تزال الامواج تتناول فيه ، والماء دور ، وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلاً ، مضاعفه ذلك إلى ميناء

(١) الدرب كل مدخل إلى بلاد الروم قال امرؤ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٢) تقدم الكلام في إحدى الحواشي أن تجار اليهود كانوا يخلصون سبي الصقالبة ، لأنه كان بحسب تعبير دوزي معمل للخصاء في فردون Verdun وقد نقل ذلك عنه لافيروفنسالي في كتابه «أسبانية المسلمة في القرن العاشر» L'Espagne Musulmane

سبته ، ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد ، ومنتهاه مدينة صور من الشام ، وفيه عدد عظيم من الجزائر ، قال بعضهم : إنها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرها اه . وبعضه بالمعنى . وقال بعضهم عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبته ما صورته : ثم يتسع كما امتدّ حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية .

وقال بعضهم : وكان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدي إلى ملوك بني أمية ، قديماً ثلاثمائة ألف دينار ، دراهم أندلسية كل سنة قوانين . وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار ، وينفقون في أمورهم ونوائبهم ومؤن أهليها مائة ألف دينار ويدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار اه .

وذكر غيره : أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، ألف ألف دينار في السنة ، وكانت قبل ذلك لاتزيد على ستمائة ألف^(١) . حكاه ابن سعيد وقال : أن الأندلس مسيرة شهر مدن وعمائر^(٢)

(١) سيأتي ذكر دخول الدولة الأندلسية في أيام الناصر والمستنصر ، وذلك تفصيلاً عند ما نصل إن شاء الله إلى قرطبة

(٢) قال المؤرخ الأسبانيولى رافائيل بالستر في تاريخه المترجم إلى الافرنسية المطبوع سنة ١٩٢٨ ، وذلك في الصفحة ٥٢ مايلي : وكانت أسبانية الاسلامية من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكانا في عصر الخلفاء ، وكان فيها ست حواضر كبرى ، وثمانون مدينة معمورة جد العمران ، وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية ، هذا عدا القرى التي لا تحصى والمزارع . وكان الذهب والمرمر مبدولين في القصور والجوامع ، وكذلك العاج والحجارة الكريمة . وكانت مراسم الاحتفالات في قصور الخلفاء على غاية من الأبهة الشرقية ، وقد كانت هذه الثروة ، وهذه الأبهة هما ثمرة النمو الاقتصادي وتلك السعة التي كانت أسبانية تتمتع بها أو اتذهي بفضل رقي الزراعة والصناعة والتجارة اه .

وقال قاضي القضاة ابن خلدون الخضرى فى تاريخه الكبير ما صورته : كان هذا القطر الأندلسى من العدو الشمالى من عدوتى البحر الرومى ، وبالجانب الغربى منها ، يسمى عند العجم الأندلوس ، وتسكنه أمم من افرنجة المغرب ، أشدهم وأكثهم الجلائقة . وكان القوط قد تملكوه ، وغلبوا على أهله لمئين من السنين قبل الاسلام ، بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين ، حاصروا فيها رومة ، ثم عقدوا معهم السلم ، على أن ينصرف القوط إلى الأندلس ، فصاروا إليها ، وملكوها ^(١) ، ولما أخذ الروم والاطينيون بملة

قلنا أن الحواضر الست الكبرى لا بد من أن يعنى بها قرطبة ، واشيلية ، وغرناطة ، وبلنسية ، وطليلة ، وسرقسطة . وأما الثمانون مدينة المعمورة جداً فيعنى بها المدن التى من درجة مالقة ، والمرية ، ومرسية ، وجيان ، وشاطبة ، ودانية ، وميورقة ، وطرطوشة ، وماردة ، وبطليوس ، وشتيرين ، وبرشلونة ، واشبونة وما فى ضربها . وأما الثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية فهى من قبيل قبرة ، وبيانة ، وبياسة ، والمدور ، وقرمونة ، وشلب ، وليلة ، وشريش ، ورنده ، والجزيرة الخضراء ، وبسطة ، وبرجة ، ودلاية ، والش ، وأوريواله ، والقنت ، وقرطاجنة ، وشقورة ، وشنشالة ، واقليش ، وطليرة ، وقلعة رباح ، ومجريط ، ووادى الحجارة ، ومدينة سالم ، وشتيمرية ابن رزين ، وقلعة أيوب ، ودروقة ، وبطيلة ، ولاردة ، وطركونة ، ووشقة ، وبربشتر ، وخص البلوط ، ويابره ، وشنتره ، وقنطرة السيف ، وجزيرة شقر ، وقونكة ، ومريطر ولوشة ، ووادى آش ، وقرية سلامة ، وقادس ، ولبليش ، وابذة ، وبجانه ، وطشانه ، وشتيمرية الغرب ، واشونة ، وقلعة يحصب ، وأسيجة . واسترقة ، وبلش ، وقلعة حماد ، ومورور ، واندوجر ، والمنكب ، واندرش ، واندده ، ولورقة ، واوينة ، ومرتلة ، ومدينة الزهراء ، وما فى ضربها . وكيفما اقتصد الخمن فى تخمين عدد سكان الأندلس الاسلامية لعهد بنى أمية ، فلا يقدر أن ينزل ذلك عن ١٥ مليون نسمة ، وقد يكون مناهزاً العشرين

(١) مقاله ابن خلدون هنا هو الصحيح فان أمة اسمها « الفيزيقوط » هى أحد أقسام القوط ، ويقال إنها من أصل جرمانى ، هاجمت الرومان واقتلت معهم فى القرن الثالث للسبيح ، فقهرهم الروم أولاً ، ثم أذنوا لهم فى الإقامة على ضفاف الدانوب ومن ذلك الوقت صاروا أشبه بجيش رومانى ، وفى أوائل القرن الخامس ثار زعيم الفيزيقوط

النصرانية ، حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الفرنجة والقوط عليها ، فدانوا بها . وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة ، وكانت دار ملكهم ، وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة ، واشبيلية ، وماردة ، وأقاموا كذلك نحواً من أربعائة سنة إلى أن جاء الله

« الأريك » Alaric طالبا من رومة أن توليه القيادة العليا لجيوشها ، فلما أبوا إجابة طلبه هذا نهب رومة وعاث ، ومات سنة ٤١٠ م خلفه « آتولف » Ataulf ودخل إلى بلاد الغال ، وانتصر فيها لهونوريوس الروماني على نظرائه ، فكافأه باقطاعه البلاد التي تغلب عليها ، وكان السوفييون والفاندالس والألانيون خارجين في أسبانية عن طاعة رومة ، فزحف إليهم « فاليا » زعيم القوط ، وأدخلهم في الطاعة ، ولكن بعد أن استتب الأمر للقوط في أسبانية خرجوا هم أنفسهم عن طاعة رومه في أيام زعيمهم المسمى أوريك سنة ٤٦٧ م ، ولم يكن القوط في أسبانية أمة ذات عرق واحد ، وإنما كانوا جيشا من أصول شتى يخضعون لرئيس ، وفي سنة ٤٧٦ م انحلت السلطنة الرومانية فبسط القوط سلطانهم على أكثر أسبانية ، ولكنهم فقدوا مقاطعاتهم في غالبية ، لأن الفرنج Les Francs غابوهم عليها ، وكان الفرنج كاثوليكين ، وكان القوط قد تنصروا لكن على مذهب آريوس ، أي كانوا لا يقولون بألوهية عيسى عليه السلام ، فوقعت العداوة بين الفريقين من أجل اختلاف الدين ، وانهمز القوط في واقعة عند بواتية ، Poitiers وقتل فيها أميرهم الأريك الثاني ، ولم يبق لهم في بلاد الغال سوى مقاطعة سبتيمانيا Septimanie التي قاعدتها أربونة . وفي القرن السادس للمسيح اشتدت الفتنة في أسبانية بين القوط بعضهم مع بعض ، وقتل كثير من ملوكهم غيلة ، فجاء تيودوريك ملك الأوستروقوط ، أي القوط الشرقيين ، من ايطالية ، ووضع على عرش أسبانية أحد أولاده ، ثم في سنة ٥٥٤ م ثار رجل اسمه أتاناجيلد ، وتغلب على المملكة ، وجاءت عساكر أمبراطور الروم من القسطنطينية فأنجذته ، ولما كانت سنة ٥٦٨ م ثار الملك ليوفيجيلد ، وتغلب على السوفييين ، وجعل أسبانية كلها في حكم القوط ، إلا أنه كان آريوسى المذهب ، وكان أكثر أهل أسبانية كاثوليكين ، فنارت الأكترية عليه ؛ وأثاروا عليه ابنه هرميذجيلد ، فساق عسكراً وتغلب على ابنه وقتله ، ولكن بعد موت ليوفيجيلد خلفه ابنه ريكارد فترك هذا الآريوسية ، مذهب أبيه ، وتحول كاثوليكيا في سنة ٥٨٧ م وصارت في ذلك الوقت الكتلركة هي دين الدولة الأسبانية

بالاسلام والفتح ، وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق ، وهو سمة للموكم ، كما أن جرجير سمة للموك صقلية اه .

ومن أشهر بلاد الأندلس غرناطة ^(١) وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز ، ومعناه بلغتهم الرمانه ، وكفاها شرفاً ولادة لسان الدين بها وقال « الشقندى » : أما غرناطة فانها دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأَبصار ، ومطبخ الأَنفس ، ولم تخل من أشرف أمائل ، وعلماء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن لها إلا ما خصه الله تعالى به من المرج الطويل العريض ، ونهر سنيل ، لكفاها .

وفي بعض كلام لسان الدين ما صورته : وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه في سنيلها ؟ ! يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها الف ، فقولنا سنيل إذا اعتبرنا عدد شينه كان الف نيل ^(٢) . وفيها قيل :

غرناطةٌ ما لها نظير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق
ما هي إلا العروس تُجلى وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة « البيرة » التي منها غرناطة دمشق ، لأن جند دمشق نزلوها عند الفتح ، وقيل إنها سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأشجار ، وكثرة الأشجار ، حكاه صاحب « منهاج الفكر » قال : ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت المصير المقصود ، والمعقل الذي تنضوي إليه العساكر والجنود ^(٣) ، ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها . وفي قبليها جبل شلير ،

(١) سند كرها في مكانها إن شاء الله مطولا

(٢) إن المبالغة ولو جازت في الشعر فلا يجوز أن تصل إلى هذا الحد ولا سيما أن لسان الدين قال ذلك في النثر لا في النظم

(٣) كنت ذكرت في كتابي تاريخ الأندلس الذي جعلته ذبلا على رواية « آخر بني سراج » ، في صفحة ٢٣٧ من الطبعة الثانية مايلي :

« قال بعض المؤرخين إن مملكة غرناطة لعهد السلطان أبي الحسن علي (والد أبي

وهو جبل لا يفارقه الثلج ، صيفاً ولا شتاء ، وفيه سائر النبات الهندي ، لكن ليس فيه خصائصه اه .

ومن أعمال غرناطة قطر « لوشة » ^(١) وبها معدن للفضة جيد ، ومنها ، أعنى لوشة ، أصل لسان الدين بن الخطيب . وهذا القطر ضخم ، يضاف إليه من الحصون والقرى كثير ، وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة ، وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة الشهير بشنيل .

ومن أعمال غرناطة الكبار عمل « باغة » ^(٢) والعامّة يقولون « بيغة » وإذا نسبوا إليه قالوا بيغى ، وقاعدته باغة ، طيبة الزرع ، كثيرة الثمار ، عزيزة المياه ، ويجود فيها الزعفران .

ومن أعمال غرناطة « وادى آش » ^(٣) ويقال وادى الأشات ، وهي مدينة جميلة ، قد أهدت بها البساتين والأنهار ، وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر وفيها يقول أبو الحسن بن نزار :

وادى الأشات يهيجُ وجدى كُلِّما أذكرت ما أفضت بك النعماء
لله ظلك والهجيرُ مسلطٌ قد برَدَتْ لَفَحَاتِهِ الاندَاءُ
والشمس ترغب أن تفوز باحظة منه فتَطْرَفُ طَرْفَهَا الأفياءُ
والنهر يبسم بالحباب كأنه سلخ نَصْتَهُ حِيَّةٌ رَقْشَاءُ

عبد الله آخر السلاطين المسلمين في الأندلس) كانت مشتملة على أربع عشرة مدينة عظيمة وسبع وتسعين قلعة عدا الأبراج والحصون والقرى العامرة . وورد في التاريخ العام للعلامة كتبتو الشهير أن سلطنة غرناطة في تلك الأيام كانت تحتوى ثلاثين مصرا ، وثمانين مدينة صغيرة ، وعددًا لا يحصى من الأبراج والحصون والديساكر . وقد قدر بعض المؤرخين عدد بقية المسمين في الأندلس بأربعة ملايين نسمة .

(١) Loja وسماها الأاسبانيول صان فرانسيكو لوشة

(٢) أصلها « باغو » ثم سماها الأاسبانيول « بريغو » Priego

(٣) تقدم عنها كلام والأاسبانيول يقولون Guadis وسيرد ذكرها أيضا

فلذلك تحذَرُهُ الغصون فيها أبدأ على جنّباته إيماناً
(ومن أعمال وادي آش) حصن « جليانة »^(١) وهو كبير يضاهى المدن ، وبه
التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع ، يجمع عظم الحجم ، وكرم الجوهر ،
وحلاوة الطعم ، وذكاء الرائحة ، والنقاء ، وبين الحصن المذكور ووادي آش
اثنا عشر ميلاً .

ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيمتان جداً ،
إحداهما بسند^(٢) وادي آش ، والأخرى ببشرة^(٣) غرناطة ، في جوف كل واحدة
منهما حائك ينسج الثياب ، وهذا أمر مشهور ، قال أبو عبد الله بن جزي وغيره .
وكانت البيرة^(٤) هي المدينة قبل غرناطة ، فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة
وقصبتها وأسوارها ، انتقل الناس إليها ، ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده .

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : جليانة بالكسر ثم السكون وياء وألف
ونون حصن بالأندلس من أعمال وادي ياش حصين كثير الفواكه ويقال لها جليانة
التفاح لجلالة تفتحها وطيبه وريحه ، قيل إذا أكل وجد فيه طعم السكر والمسك ، منها
عبد المنعم بن عمر بن حسان الشاعر الأديب الطيب ، كان عجبياً في عمل الأشعار التي
تقرأ القطعة الواحدة بعدة قواف ، ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكيم مكتوباً
في خلال الشعر ، وكان يعمل من ذلك دوائر وأشجاراً ، وصوراً ، سكن دمشق ،
وكانت معيشته الطب ، يجلس باللبادين ، على دكان بعض العطارين ، كذلك لقيته ،
ووقفني على أشياء مما ذكرته ، وأنشدني لنفسه مالم أضبّطه عنه . ومات بدمشق سنة ٦٠٣ .

(٢) السند محرّكة : ما قالك من الجبل ، وعلا عن السنف ، وفي وطني من جبل
لبنان مكان بين عين عنوب وعيناب يقال له السند ، يعلو عن الأولى وينخفض
عن الثانية .

(٣) تقدم لنا أن الجبال التي في مملكة غرناطة كانوا يقولون لها البشرات
(٤) قال ياقوت في المعجم : الألف فيه ألف قطع ، وليس بألف وصل ، فهو
بوزن إخریطة ، وإن شئت بوزن كبريته ، وبعضهم يقول ابليرة ، وربما قالوا البيرة ،
وهي كورة كبيرة من الأندلس ، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة ، بين القبرة

وذكر غير واحد أن في كورة سرقسطة الملح الاندراى الأبيض الصافى الأملس الخالص ، وليس في الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح . قال : وسرقسطة^(١) بناها قيصر ملك رومة التى تؤرخ في مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ، وتفسير اسمها : قصر السيد . لأنه اختار ذلك المكان بالأندلس وقيل إن موسى بن نصير شرب من ماء نهر « جلق »^(٢) بسرقسطة فاستمذبه ، وحكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه ، وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر إلى ما عليه من البساتين فشبهها بقطرة جلق الشام ، وقيل إنها من من بناء الاسكندر والله أعلم . وبمدينة برجة ، وهي من أعمال المرية ، معدن الرصاص وهي على واد مبهج ، يعرف بوادى « عذراء »^(٣) وهو محقق بالأزهار والأشجار ، وتسمى برجة^(٤) بهجة ، لهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى :

والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، وأرضها كثيرة الانهار والأشجار ، وفيها عدة مدن منها : قسطلية ، وغرناطة ، وغيرها تذكر في مواضعها . وفي أرضها معدن ذهب وفضة وحديد ونحاس ، ومعدن حجر التوتيا في حصن منها يقال له شلوينية ، وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحزير الفاوق . انتهى . ثم ذكر ياقوت بعض العلماء الذين نبغوا من أهل إلبيرة ، وسند ذكر أسماءهم في متن هذا الكتاب ، عند ما نصل نحن إلى ذكر إلبيرة وسنقل هناك ما ذكره لسان الدين بن الخطيب عن إلبيرة نقلا عن الاحاطة في أخبار غرناطة ، وكذلك سند كر ما قاله غيره

(١) ناهأ أوغسطس قيصر ، ومنها اشتق اسمه ، وكان يقال لها قبل أن مصرها أوغسطس قيصر سلدوبة Salduba ويظهر أن العرب قالوا « السيدلابة » ،

(٢) سرقسطة واقعة على نهر « ابره » يشتق منه نهر جلق Gallégo جاريا إلى الشمال ، بينها نهرا شالون Jalon وهرفا Huerva يسيلان إلى الجنوب

(٣) سبق ذكرها وفي مرج دمشق قرية يقال لها عذرا

(٤) وفي جبل لبنان قرية يقال لها برجة من إقليم الخروب . وفي إقليم سرقسطة قصبة اسمها برجة بضم أولها ، وينسب إليها أناس من أهل العلم

رياض تعشَّها سندسٌ توشتَ معاطفها بالزهرَ
 مدامعها فوق خدي رُباً لها نظرةٌ فتنت من نظرَ
 وكلُّ مكان بها جنةٌ وكلُّ طريق إليها سقرَ
 وفيها أيضاً قوله :

حُطَّ الرحال بِرَجِهْ وارتد لنفسك بهجة
 في قلعة كسلاح ودوحة مثل لجة
 فحضنها لك أمن وروضها لك فرجة
 كل البلاد سواها كعمرة وهي حجة

وبالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ، ويجلب حتى للهند والصين ، وقيل
 إنه ليس في الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوى الماتقي حسبا
 أنسده غير واحد ، منهم ابن سعيد :

مالقة حيتَ ياتينها الفلّكُ من أجلك يا تينها (١)
 نهي طيبي عنه في عتي ما لطبيبي عن حياتي نهي
 وذيل عليه الامام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المشي بقوله :

وخص لا تنس لها تينها واذكر مع التين زياتينها

وفي بعض النسخ :

لا تنس لاشبيلية تينها واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الأول لأن حمص هي اشبيلية لنزول أهل حمص من المشرق بها حسبا

(١) الفلك : السفينة ، تذكر وتؤنث وتقال للفردي وللجمع ، فن المفرد المذكور قوله
 تعالى (في الفلك المشحون) ومن المفرد المؤنث قوله تعالى (والفلك التي تجري في
 البحر) ومن الجمع قوله تعالى (وترى الفلك فيه مواخر) وقوله تعالى (حتى إذا
 كنتم في الفلك وجرين بهم) وكان سيديويه يقول : الفلك هي جمع تكسير للفلك التي
 هي واحد

سند كره . ونسب ابن جزى في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الأولى وللخطيب أبي محمد عبد الوهاب المالتي ، والتذييل لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد الملك فأنه أعلم وقال ابن بطوطة : وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ، ويجلب منها إلى أقاصى البلاد ، ومسجدها ^(١) كبير الساحة ، كثير البركة ، شهرها ، وصحنه لا نظير له في الحسن ، وفيه أشجار النارج البديمة . انتهى . وقال قبله : إن مالقة إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرتال بدرهم صغير ، ورماتها المرسي الياقوتى لا نظير له في الدنيا . وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب اه .

وبكورة اشبونة المتصلة بشنترين معدن التبر ، وفيها عسل يجعل في كيس كتان . فلا يكون له رطوبة كأنه سكر . ويوجد في ريفها العنبر الذى لا يشبه إلا الشحري .

ومن أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة ، أعادها الله تعالى للإسلام ، وبها الجامع المشهور ، والتمنطرة المعروفة بالجسر ، وقد ذكر ابن حيان أنه نبى على أمر عمر بن عبد العزيز ^(٢) رضى الله عنه ، ونصه : وقام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتهما

(١) وهو الكنيسة الكاتدرائية الآن

(٢) جاء في كتاب « أخبار مجموعة » في فتح الأندلس وذكر أمراتها والحروب الواقعة بها بينهم . وهو أقدم تاريخ لعرب الأندلس — ولم يعرف اسم مؤلفه — أن عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة ولى الأندلس السمح بن مالك ، فكتب إلى عمر يعلمه أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها ، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ووصفه بحمله وامتتاعه من الخوض فيه الشتاء عامة (قال) فان أمرنى أمير المؤمنين بينان سور المدينة فعلت فان قبلى قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ، ونفقات الجهاد وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسره . فيقال والله أعلم أن عمر

(١٣ - ج أول)

قرطبة الجسر الأكبر الذى ما يعرف فى الدنيا مثله . انتهى . وفيها يقول بعض علماء الأندلس .

بأربعٍ فآقت الأمصارَ قرطبةً منهن قنطرةُ الوادى وجامعُها
هاتان ثنتان والزهراءُ ثالثة والعلمُ أعظمُ شىءٍ وهو رابعُها

وقال الحجارى فى السهب : كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ، ومجتمع أعلام الأنام ، بها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية والليمانية ، وإليها كانت الرحلة فى الرواية ، إذ كانت مركز الكرماء ، ومعدن العلماء وهى من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ، ومهرها من أحسن الأنهار ، مكتنف بديباج المروج ، مطرز بالأزهار ، تصدح فى جنباته الأطيوار ، وتنعر النواعير ، ويبسم النوّار ، وقرطها الزاهرة والزهراء ، حاضرتا الملك ، وأفقاء النعماء والسمرء ، وإن كان قد أخنى عليها الزمان ، وغير مهجة أوجهها الحسان ، فثلك عادته ! وسل الخورنق والسدير وغمدان ، وقد أعذر بانذاره ، إذ لم يزل ينادى بصروفه : لا أمان ! لا أمان ! وقد قال الشاعر :

وما زلتُ أسمعُ أنّ الملو ك تبنى على قَدَرِ أخطارِها

انتهى .

وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المؤمن بن على لأحد رؤساء أجنادها : ما تقول فى قرطبة ؟ فخطبه على ما يقتضيه كلام عامة الأندلس بقوله : جوفها ^(١) شام ^(٢) ، وغر بيها قام ^(٣) ، وقبلتها مدام ، والجنة هى

رحم الله أمر ببناء القنطرة بصخر السور ، وأن يبى السور باللبن ، إذ لا يجد له صخرأ فوضع يدأ فبنى القنطرة فى سنة إحدى ومائة

(١) أى شمالها

(٢) لم يرد شام مصدرأ لفعل شم ، وإنما هو الشميم والشم والشميمى وعليه لا يصح شام إلا إن كان مصدرأ لفعل شام ، من باب المفاعلة ، أو كان بالشديد وأما كلام العامة فلا حاجة لتطبيقه على قواعد العربية

(٣) قم الرجل : أكل ما على الخوان ، ومثله اقم ، والمصدر هو القم والاقتمام ،

السلام . يعنى بالشام جبال الورد ، ويعنى بالقمام ما يؤكل ، إشارة إلى محرث « الكنبانية »^(١) . ويعنى بالمدام النهر .

ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لأبى عمران موسى بن سعيد العنسى : ما عندك فى قرطبة ؟ قال له : ما كان لى أن أنكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها . فقال السلطان : إن ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعل بصيرة : الديار المنفسحة الكبيرة ، والشوارع المتسعة ، والمباني الضخمة المشيدة ، والنهر الجارى ، والهواء المعتدل ، والخارج الناضر ، والمحراث العظيم ، والشعراء الكفايه والتوسط بين شرق الأندلس وغربها . قال فقلت : ما أبقى لى أمير المؤمنين ما أقول ! قال ابن سعيد : ولأهلها رياسة ووقار ، لا تزال سمة العلم والملاك متوارثة فيهم ، إلا أن عامتها أ أكثر الناس فضولا ، وأشدهم تشغيباً ، ويضرب بهم المثل ، ما بين أهل الأندلس ، فى القيام على الملوك ، والتشجيع على الولاة ، وقلة الرضا بأموهم ، حتى أن السيدأبا يحيى أخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال مثل الجمل ، إن خففت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح ، ماندرى أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنجتنبه ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة ، حتى كان عامتها شرراً من عامة العراق^(٢) وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندى ولاية ، وإنى ، إن كانت العود إليها ، لقائل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! انتهى .

فأما القمام فلم يرد بمعنى الأكل بل بمعنى الكناسة . فهذا أصاب صاحب النفع بقوله إن هذا من كلام عامة الأندلس

(١) Campaina قال ياقوت : ناحية بالأندلس قرب قرطبة ينسب إليها محمد ابن

قاسم بن محمد الأموى الجالطى الكنبانى ، ذكر فى جالطة بأتم من هذا

(٢) وهم كانوا السبب فى سقوط الأندلس لأن الفتنة التى أثاروها هى التى آلت

إلى سقوط هبة الخلافة وسقوط هبة الخلافة آل إلى ظهور ملوك الطوائف وهؤلاء

هم كانوا مبدأ اضمحلال الاسلام فى الأندلس

وقال أبو الفضل التيفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد بن رشد ، والرئيس أبي بكر بن زهر . فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ؟ غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مُطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية . قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً ^(١) انتهى .

وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ أبي بكر بن سعادة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه علي الشيخ الأستاذ أبي بكر الخزومي . قال : فسألنا : من أين ؟ قتلنا : من قرطبة . فقال : متى عهدكما بها ؟ قتلنا : الآن وصلنا منها . فقال : أقربا إلى أشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم رأسي وقبله وقال لي أكتب :

أقرطبة الفراء هل لي أوبةٌ إليك وهل يدنو لنا ذلك العهدُ
سقى الجانب الغربيّ منك غمامةٌ وقعق في ساحات دوحاتك الرعدُ
لياليك أسحارٌ وأرضك روضة وتربك في استنشاقها عنبر وردُ
وكتب الرئيس الكاتب أبو بكر بن القبطرنة لأمالم أبي الحسين بن سراج بقوله :

ياسيدي وأبي ، هوّمي وجلالةٌ ورسول وُدّي إن طلبتُ رسولا
عرّج بقرطبة إذا بلّغتها بأبي الحسين وناديه تأميلا
وإذا سعدت بنظرة من وجهه أهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوق وشكري مُجمِلا ولو استطعت شرّحته تفصيلا
بتحية تهدي إليه كأنما جرّت على زهر الرياض ذيولا

(١) نقل صاحب نفع الطيب عن أبي محمد بن حزم مايلي : أخبرني تليد الخصى وكان على خزانه العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء النواوين لاغير اه قلنا وكان عدا خزانه كتب دار الخلافة خزائن لا تحصى في قرطبة

وفي باب اليهود بقرطبة يقول أبو عامر بن شهيد :

لقد أطلعوا عند باب اليهود دبدراً أبا الحسن أن يكسفا
تراه اليهود على بابها أميراً فتحسبه يوسف

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا : باب الهدى . وسند كقرطبة والزهره
والزاهرة ومسجدها في الباب المنفرد بها ، إن شاء الله تعالى ، وكذلك القنطرة ^(١)
ومن أعظم مدن الأندلس اشبيلية ، قال الشقندي : من محاسنها اعتدال الهواء ،
وحسن المبانى ، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر ،
وفيه يقول ابن سفر :

شقّ النسيم عليه جيب قبضه فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزها فضم من الحياء إزاره

وقيل لأحد من رأى مصر والشام : أيهما رأيت أحسن ، أهدان أم اشبيلية ؟
فقال بعد تفضيل اشبيلية : شرفها ^(٢) غابة بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح اه
ويقال إن الذي بنى اشبيلية اسمه « يوليس » ^(٣) وأنه أول من سُمي « قيصر »

(١) وسند كرها نحن أيضاً عند الوصول إلى مبحث قرطبة

(٢) يعنى غابة الزيتون العظيمة المسماة بالشرف

(٣) هو يوليوس قيصر وكان قد فتح اشبيلية سنة ٤٥ ق م واتخذها حاضرة لاسبانية
كما كان « بومي » اتخذ قرطبة . وليس يوليوس قيصر هو الذي بناها ، بل هى بلدة
عظيمة من قبل ، واقعة على طريق التجارة الأعظم ، من قانس إلى ماردة إلى طليطلة ،
وإنما ازداد قيصر اعتناءً بها ، ثم صارت سنة ٤١١ ب م عاصمة للوندال ، وفي سنة
٤٤١ عاصمة للقوط ، وفي سنة ٥٥٧ انتقل « اتانا جيلد ملك القوط » منها إلى طليطلة ،
نظراً لتوسطها في المملكة ، ولكن بقي يقيم بها في الأحياء نائب الملك . واستولى
العرب على اشبيلية تحت قيادة موسى بن نصير سنة ٧١٢ ب م وسلبوا قيادها في بداية
الامر إلى غيطشة أو فيطشة Vitiza وأعقابها لأنهم ذكروا لغيطشة ولاءه لهم عند الفتح

وأنة لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها ، وطيب أرضها ، وجبلها المعروف بالشرف ، فقدم على النهر الأعظم مكاناً ، وأقام فيه المدينة ، وأحرق عليها بأسوار من صخر صلد وبنى في وسط المدينة قصبين بديعتي الشأن ، تعرفان بأخوين ، وجعلها أم قواعد الأندلس ، واشتق لها اسمها من « رومية يوليس »^(١) انتهى . وقد تقدم شئ من هذا .

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكنائهم أربعة بلاد من بلاد الأندلس : اشبيلية ، وقرطبة ، وقرمونة ، وطليلة ، ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها . وأما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة فرسخ في فرسخ ، طولا وعرضاً ، لا تكاد تشمس فيه بقعة ، لالتفاف زيتونه .

واعلم أن اشبيلية لها كور جليلية ، ومدن كثيرة ، وحصون شريفة ، وهى من الكور الجندة ، نزلها جند حمص ، ولواؤهم في الميمنة ، بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية أيام الحكم بن هشام إلى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار . وفي اقليم « طالقة »^(٢) من اقليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر ، معها صبي ، وكان حية تريده ، لم يسمع في الأخبار ، ولا رؤى في الآثار ، صورة أبدع منها ، جعلت في بعض الحمامات ، وتعشقها جماعة من العوام . وفي كورة ماردة حصن « شنت أفرج »^(٣) في غاية الارتفاع ، لا يملوه طائر البتة ، لا نمرو ولا غيره

ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع « اقايش »^(٤) فان

(١) سماها قيصر Colonia Julia Romula

(٢) قال ياقوت : طالقة من أعمال اشبيلية بالأندلس

(٣) الأسبانيول يقولون لشتنت أفرج Santa Cruz أى الصليب المقدس

(٤) عند الأسبانيول Uelès وأكثر سينات الأسبانيول يقبلها العرب شينا مثل برسلونة التي هى عندهم رسلونة ، وسيفيله التي يقولون لها اشبيلية ، وسنتره التي يقولون لها شنترة ، وواديس التي هى عندهم وادى آش . إلى ما لا يحصى من الأعلام إلا أن ذلك غير مطرد ، فبعض الأعلام لا تزال سينها عندهم سيناً ، وذلك مثل بلنسية

طول كل جائزة منه مائة شهر واحد عشر شهراً ، وهي مرتبة منحوتة ، مستوية الأطراف وقال بعض من وصف اشبيلية إنها مدينة عامرة ، على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة ، وعليه جسر مربوط بالسفن ، وبها أسواق قائمة ، وتجارات رابحة ، وأهلها ذوو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف . وإقليم الشرف على تل عال ، من تراب أحمر ، مسافته أربعمائة ميلاً في مثلها ، يمشى به السائر في ظل الزيتون والتين . ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة ، وكل قرية عامرة بالأسواق ، والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق .

وقال صاحب « منهاج الفكر » عند ذكر اشبيلية : وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا ، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة ، وانهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة . ويعينهم على ذلك واديها الفرج ، وناديتها البهج ، وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ، ويجز في كل يوم . ولها جبل الشرف^(١) ، وهو تراب أحمر ، طوله من الشمال إلى الجنوب أربعمائة ميلاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل على مائتين وعشرين قرية ، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت . انتهى .

ومرسية وسرقسطة وقادس وغيرها . ولقد أخبرني والدنا الفاضل البجائي المدقق السيد محمد القاسي من آل الجدة الفهريين أن الأسبان القدماء كانوا أيضاً ينطقون بالسين شينا في ألفاظ كثيرة مثل Burgos برغش Vargas بركاش اسم آل بركاش الوجهاء في رباط الفتح ، ولذلك كان الأسبان في الماضي يكتبون السين المنطوق بها شينا بحرف X فكانوا يكتبون مثلاً اشبيلية هكذا Xévilla وارشيدونة Arxidona وشليير Xolair وهلم جرا . قلت : وربما كان القوط أتوا بهذا النطق من الشمال لانهم هم جرمانيون في الاصل ، وكل حرف S في اللغة الجرمانية ينطق به شينا ، وهو عندهم اصطلاح قديم إلا في مقاطعة هنوفر ، فهناك حرف S ينطق به سينا

(١) لا يصح أن يسمى الشرف جبلاً ، ولقد مررت به في ذهابي من اشبيلية إلى رندة ، فهو نشز ناهض قليلاً عن الأرض

ولكورة « باجة » (١) من السكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام
بنى عباد خاصة في دباغة الأديم وصناعة الكتان . وفيها معدن فضة . وبها ولد
المعتمد بن عباد ، وهي متصلة بكورة ماردة .

ولجبل طارق حوز قصب سبق بنسبته إلى طارق مولى موسى بن نصير إذ
كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح ، ولذا شهر بجبل
الفتح ، وهو مقابل الجزيرة الخضراء ، وقد تجون البحر هناك مستديراً ، حتى صار
مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء ، وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة :

وَأَقْوَدَ قَدِ أَلْتِي عَلَى الْبَحْرِ مَتْنَهُ فَاصْبَحَ عَنْ قُودِ الْجِبَالِ بِمَعْرَلِ
يُعْرَضُ نَحْوِ الْأَفْقِ وَجَهًا كَأَنَّمَا تَرَأَى عَيْنَاهُ كَوَاكِبَ مَنَزِلِ

وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر ، بان كأنه سرج . قال
أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد : أقيمت عليه مرة مع والدي فنظرنا إليه على تلك
الصفة فقال والدي : أجز :

أَنْظُرْ إِلَى جِبَلِ الْفَتْحِ رَاكِبًا مَتْنِ لُجْ

وقد تفتح مثل الأفنان في شكل سرج : فقلت :

وأما جزيرة طريف فليست بجزيرة ، وإنما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها
في البحر مثل الجزيرة الخضراء ، وطريف المنسوبة إليه بربرى من موالى موسى بن
نصير . ويقال إن موسى بعثه قبل طارق في أربعمائة رجل ، فنزل بهذه الجزيرة في
رمضان سنة إحدى وتسعين ، وبعده دخل طارق . والله أعلم .

ومن أعظم كور الأندلس كورة طليطلة ، وهي من متوسط الأندلس ، وكانت
دار مملكة بنى ذى النون ، من ملوك الطوائف ، وكان ابتداء ملكهم صدر المائة
الخامسة . وسماها قيصر بلسانه « بزليطلة » وتأويل ذلك : انت فارح . فعربت بها

العرب ، وقالت « طليطلة » ^(١) . وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة نبي أمية بالثغر الأدنى ، ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الأعلى . وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لأنه فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ، ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام ، وعيسى بن مريم ، وذو القرنين ^(٢) ، وفيها وجد طارق مائدة سليمان ، وكانت من ذخائر أشبان ملك الروم الذي بنى أشبيلية ، أخذها من بيت المقدس ، كما مر ^(٣) . وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار . وقيل إنها كانت من زمرد أخضر ، ويقال إنها الآن برومة . والله أعلم بذلك . ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة ^(٤) منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتليء من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه . وقد قيل أن أواني المائدة من الذهب ، وصحافها من اليشم والجزع . وذكروا فيها غير هذا ، مما لا يكاد يصدق الناظر فيه . وبطليطلة بساتين محدقة ، وأنهار مختزقة ، ورياض وجنان ، وفواكه حسان ، مختلفه الطعوم والألوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، ورساتيق مريعة ، وضياع بديعة ، وقلاع منيعة ، وبالجملة فمحاسنها كثيرة ، ولعلنا نلم ببعض متزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، وهي مطلة على نهر تاجة ، وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها ، وكانت على قوس واحد ، تكنفه فرجتان من كل جانب ، وطول القنطرة ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعاً ، وخربت أيام الأمير محمد ،

(١) قال المؤرخ الروماني « تيت ليف » : طوليتوم Toletum مدينة صغيرة لكنها

ذات موقع حصين

(٢) هذا من أساطير الأولين

(٣) لم نقرأ هذا في تاريخ يوثق به

(٤) أما هذا فصحيح وإن تطرقت إليه المبالغة ؛ كما هو المعتاد في مثل هذه الحوادث

لما عصى عليه أهلها ، ففزاهم واحتال في هدمها . وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس :
 أضحت طليطلةً معطلةً من أهلها في قبضة الصقر
 تُرِكَت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالقبر
 ما كان يُبقي الله قنطرةً نُصبت لحمل كتاب الكفر
 وسيأتي بعض أخبار طليطلة ^(١) .

ومن مشهور مدن الأندلس المرية ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة المنصور ابن أبي عامر ، وولى عليها خيران ، فنسبت القلعة إليه . وبها من صنعة الديباج ما تفوق به سائر البلاد . وفيها دار الصناعة ^(٢) . وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام . ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر ، قديم عجيب المنظر وقال بمضمون : كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول ، وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول ، وللإسقاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، وللإصفاينية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة ، والستور المكللة . ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف ^(٣) . وفا كهة المرية

(١) سيأتي خبر طليطلة في الجزء الأول هذا

(٢) المرية كانت مرسى الأسطول الإسلامي الأندلسي الذي بلغ أوج عظيمته في أيام عبد الرحمن الناصر ، وبقيت كذلك مدة من الزمن بعد ذهاب الناصر رحمه الله ، وفي أيام مجاهد العامري وولده علي كانت دانية مرفأً عظيماً للأسطول الإسلامي وكانت فيها دار صناعة وكانت دور صناعة في مدن بحرية أخرى مثل الجزيرة الخضراء وشلب والفتن وقستلون في كتلونية والمنكب ومالقه وقصر أبي دانيس في الجهة الغربية وجزيرة يابسة ، وفي زمن الناصر أشئت دار صناعة عظيمة في طرطوشة ، وذلك لأن الصنوبر الطرطوشي مشهور بالصلاية

(٣) نقل لاوي بروفنسال عن مؤلفي العرب ما ذكره عن عظمة تجارة المرية ، وأنها كانت أعظم ميناء في الأندلس ، كما قال الشقندي ، وذكر أنه كان فيها ألف إلا

يقصر عنها الوصف حسناً ، وساحلها أفضل السواحل ^(١) ، وبها قصور الملوك القديمة الغربية العجيبة . وقد أُلّف فيها أبو جعفر بن خاتمة تاريخاً حافلاً ، سماه « بمزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية » في مجلد ضخّم ، تركته من جملة كُتبي بالغرب . والله سبحانه المسئول في جمع الشمل ، فله الأمر من بعد ومن قبل .

ووادى المرية طوله أربعون ميلاً في مثلها ، كلها بساتين بهجة ، وجنات نضرة وأنهار مطردة ، وطيور مفردة . قال بعضهم : ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية ، ولا أعظم متاجر وذخائر ، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف ، وهي بين الجبلين ، بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد ، قصبتها المشهورة بالحصانة ، وعلى الآخر ربضها . والسور يحيط بالمدينة والربض . وغربها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ، ذو فنادق وحمامات ، وخنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أوليّة . وكانما غربلت أرضها من التراب . ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار . انتهى .

وقال ابن اليسع عند ذكر مدينة « شنترة » ^(٢) : إن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوماً من زراعته ، وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر . قال لى أبو عبد الله الباكورى ، وكان ثقة : أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلاً من أهل شنترة ، أهدى إليه أربعاً من التفاح ، ما يُقِلُّ الحامل على رأسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة أشبار . وذكر الرجل بحضرة ابن عباد أن المعتاد عندهم أقل من هذا ، فاذا أرادوا أن يجي ، بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرًا أو أقل ، وجعلوا تحتها دعامات من الخشب . انتهى .

ثلاثين فندقاً مقيدة في ديوان الخراج ، وأنها كانت مدينة صناعية من الدرجة الأولى ، وفيها المناسج الحريية وغيرها ، ومعامل الحديد والنحاس والزجاج

(١) إلى يومنا هذا فواكه المرية مشهورة ، ومنها يجلب إلى أوربة أفضل العنب

(٢) Cintra من مدن البرتغال

وبحصن « شنش »^(١) على مرحلة من المرىة التوت الكثير ، وفيها الحرير والقرمز ، ويعرف واديها بوادي « طبرنش »^(٢) و بفرجى مالقة عمل « سهيل »^(٣) وهو عمل عظيم كثير الضياع ، وفيه جبل سهيل ، لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه ومن كور الأندلس الشرقية تدمير^(٤) وتسمى مصر أيضاً ، لكثرة شبهها بها ، لأن لها أرضاً يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ، ثم ينضب عنها ، فتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبه بعد تدمير مرسية ، وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، ولها نهر يصب في قبليها .

واعلم أن جزيرة الأندلس ، أعادها الله للإسلام ، مشتملة على موسطة وشرق وغرب . فالموسطة فيها من القواعد المصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة ،

(١) لانعلم أمى في الأصل شنشين Chinchin وقد حرفها النساخ إلى شنشش ، أم هى من الأصل شنش

(٢) يقول لها الاسبانيول Tabarnax قال عنها لسان الدين بن الخطيب في « معيار الاختبار ، حاضرة البلاد المشرقية ، وثنية البارقة الأقفية ، ماشئت من تنجيد بيت ، وعصر زيت ، واحياء أنس ميت ، وحمام طيب ، وشعر تنثر فيه دنانير أبى الطيب ، إلا أنها محيلة الغيوث ، عادية اللبوث ، ولوشكر الغيث شعيرها ، أخصبت البلاد وغيرها (٣) هو اسم عربى من أصله والاسبانيول يقولون لهذا المكان « فوانججولا ،

Fuengirola قال لسان الدين في « معيار الاختبار ، : حصن حصين ، يضيّق عن مثله هند وصين ، ويقضى بفضله كل ذى عقل رصين ، سبب عزه متين ، ومادة قوته شعير وتين ، قد علم أهله مشربهم ، وأمنوا مهربهم ، وأسهمت بين يديه قراه ، مائلة بحيث تراه ، وجاد بالسملك واديه ، وبالحب ثراه ، وعرف شأنه بأرض النوب ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . إلا أن سواحله بلء الغارة البحرية ، ومهبط السرية غير السرية ، ومسرح السائمة الاميرية ، وخدامها كما علمت أولئك هم شر البرية اه . قلت : قوله البلب بكسر أوله معناه مباح يقال هو « حل وبل ، أى سواحل سهيل مباحة للغارات البحرية لكثرتها عليها

(٤) هى البلدة التي يقال لها أوربولة وهى من عمل مرسية

لها أعمال ضنخام ، وأقطار متسعة : قرطبة ، وطليطلة ، وجيان ، وغرناطة ، والمرية ، ومالقة : فن أعمال قرطبة « استجة » و « بلكونة » و « قبرة » و « رندة » و « غافق » و « المدور » و « اسطبة » و « بيانة » و « اليسانة » و « القصير »^(١) وغيرها . ومن أعمال طليطلة « وادي الحجارة » ، و « قلعة رباح » ، و « طلمنكة »^(٢) وغيرها . ومن أعمال جيان ، « ابذة » ، و « يياسة » ، و « قسطلة »^(٣) وغيرها ، ومن أعمال غرناطة « وادي آش » ، و « المنكب » و « لوشة »^(٤) وغيرها . ومن أعمال المرية « اندرش »^(٥) وغيرها . ومن أعمال

(١) الأسبانيول يقولون لاستجة Eciga ولبلكونه Balcona ولقبره Cabra ولرندة Ronda ولغافق Gafic وللدرر Almodovar ولأسطبة Estepa وليبانه Baessa ولايسانة Lucana وللقصير Alkosair
(٢) الأسبانيول يقولون لوادي الحجارة Guadalajara ولقلعة رباح Calatrava ولطلمنكة Salamanqua

(٣) الأسبانيول يقولون لجيان خيان بالخاء وبدون تشديد ، ويقول دوزى إن القشتاليين كانوا يقولون في القرون الوسطى جيان مخففة ، وأن أصل هذا الاسم روماني ، وهو أوسيانس Uciense فالعرب حذفوا آخر الاسم ، فبقى أوسيان ، فقلبوا السين شيئا ، ثم غلبت الجيم الشين ، وحذفوا الأول ، فانتهى الأمر بأن صارت جيان ، والله أعلم . ويقول الأسبانيول لأبذه Ubeda وليياسه Baeza ولقسطة Castella وكل هذه الأسماء قد تقدم ذكرنا لها بالعربي وبالاسبانيولي وإنما نكررها لترسخ في ذهن القارىء

(٤) لا يخفى أن غرناطة هي عند الأسبانيول Granada ووادي آش Geiadix والمنكب Almunécar ، ولا نعلم لماذا الاسبانيول قلبوا الباء راه ، ولوشة هي عندهم Loja

(٥) لا يخفى أن المرية هي من فعل رأى بحسب رأى دوزى ، فقد قال إن هذا الاسم في أصله لم يكن علماً وأنه صفة لبرج يكون مشرفاً على البحر ، ترى منه مراكب البحر ، وتراه المراكب من البحر . وهذا الرأي ليس بعيد عن الصواب ، لأنه في

مالقة « بلش و « الحامه »^(١) ، وغيرهما . وبلش من الفواكه ما بمالقة ، وبالحمارة العين الحارة على ضفة واديها .

وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد « مرسية » و « بلنسية » و « دانية » و « السهلة » و « الثغر الأعلى »^(٢) . فمن أعمال مرسية « أور يولة » و « القنت » و « لورقة »^(٣) وغير ذلك ومن أعمال بلنسية « شاطبة » التي يضرب بحسنها المثل ، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له ، و « جزيرة شقر » وغير ذلك وأما « دانية » فهي شهيرة ، ولها أعمال ، وأما « السهلة » فإنها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ، ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الأعلى ، ولها مدن وحصون . ومن أعمال الثغر الأعلى سرقسطة . وهي أم ذلك الثغر . وكورة « لاردة » والقلعة ، وتسمى بالبيضاء^(٤)

العربي يوجد فعل أراه إياه يريه إراءة وإراء ، أي جعله ينظر فيه فهو مر وهي مرية . فهذا في الارجح أصل هذه اللفظة ، وفيما بعد أدخلوا عليها التشديد بتحريف العوام . ومع هذا فالألسبانيول لا يلفظونها بالتشديد بل يلفظونها بفتح الاول وكسر الثاني فسكون فياء فألف هكذا Almeria وأما اندرش فيكتبونها Andarax وهي البلدة التي عينها فرديناند لآنى عبد الله بن الاحمر . بعد أن أخرجه من غرناطة ، حتى يقيم بها قبل أن تحيل عليه وأخرجه إلى المغرب ، وقد ذكرها لسان الدين في « معيار الاختبار » فقال عنها : عنصر جباية ، وكمن به أولو إباية ، حريرها ذهب ، وتربها تبر ملتب ، وماؤها سلسل ، وهوؤها لا يلقى معه كسل إلا أنها ضيقة الأحواز والجهات ، كثيرة المقابر والقهوات ، عديمة الفرج والمتزهات ، ثقيلة المغارم ، مستباحة المحارم ، أعراها أولو استطالة ، فلا يعدم الزرع عدوانا ، ولا يفقد غير الشر نروانا ، وطريقها غير سوى وساكنها ضعيف يشكو من قوى اه .

(١) الاسبانيول يقولون لبلش مالقة Velez Malaga ويقولون للحمارة Alahama

(٢) مرسية هي Murcia وبلنسية Valencia ودانية Denia والسهلة Azaila

والثغر الاعلى هي سرقسطة Zaragoza

(٣) كلها قد تقدم ذكرها وبعض وصفها

(٤) أي سرقسطة

وكورة « تطيلة » ومدينتها « طرسونة » ^(١) وكورة « وشقة » ومدينتها ترميط ^(٢) ، وكورة مدينة سالم ، وكورة قلعة أيوب ، ومدينتها بليانة ، وكورة « برطانية » ^(٣) وكورة « باروشة » ^(٤)

وأما غرب الأندلس ففيه « اشبيلية » و « ماردة » و « اشبونة » و « شلب » ^(٥) فمن أعمال اشبيلية « شريش » و « الخضراء » و « لبله » ^(٦) وغيرها . ومن أعمال ماردة « بطليوس » و « يابرة » ^(٧) وغيرها . ومن أعمال اشبونة « شترين » ^(٨) وغيرها . ومن أعمال شلب « شنت ريه » ^(٩) وغيرها .

وأما الجزر البحرية بالأندلس فمنها جزيرة « قادس » ^(١٠) وهي من أعمال اشبيلية . وقال ابن سعيد : إنها من كورة شريش ولا منافاة ، لأن شريش من أعمال اشبيلية كما مر . قال : ويبد ضم قادس مفتاح . ولما ناز بقادس ابن أخت القائد أبي عبد الله بن ميمون ، وهو علي بن عيسى قائد البحر بها ، ظن أن تحت الضم مالا فهدمه فلم يجد شيئاً اه .

وهي أعنى جزيرة قادس في البحر المحيط . وفي المحيط الجزائر الخالدات ^(١١)

(١) قد تقدم ذكر هذه المدن وسيأتي الخبر عنها كلها

(٢) Tamarite - Altorricon

(٣) إن هذه الكورة هي المسماة ببلطانية عند الأسيان وهي شمالي وشقة

(٤) قال ياقوت : باروشة مدينة من غربي سرقسطة بقرب من أرض الفرنج

(٥) هذه الاسماء هي Sévillla و Merida و Lisboa و Silves

(٦) Xeres و Algezira و Niebla

(٧) Evora و Badajoz

(٨) Santarem (٩) Santamaria

(١٠) Cadix وليست بجزيرة تامة ، وذلك لأنها ترتبط بالبر بخيط دقيق من التراب

قليل العرض لا يزيد على أمتار معدودات ، وهو أيضاً غير مستطيل

(١١) Canaries

السيح ، وهى غربى مدينة سلا ، تلوح للناظر فى اليوم الصاحى الصافى الجو من الأبحرة الغليظة ، وفيها سبعة أصنام على أمثال الآدميين ، تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها . وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات ^(١) ، وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم الجوس ، على دين النصرى ، أولها جزيرة برطانية ^(٢) وهى بوسط البحر المحيط ، بأقصى شمال الاندلس ، ولا جبال فيها ولا عيون ، وإنما يشربون من ماء المطر ، ويزرعون عليه ، وقال ابن سعيد : وفيه جزيرة « شاطيش » ^(٣) وهى آهلة ، وفيها مدينة ، وبحرها كثير السمك ، ومنها يحمل مملحا إلى اشبيلية ، وهى من كورة « لبله » مضافة إلى عمل « أونبة » ^(٤) اه .

وقال بعضهم لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس : إن الزرع فى بعض أقطارها يكتبى بمطرة واحدة ، وبها أقواس من الحجارة المقربصة ، وفيها من النساوير والتمايل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة . ومن أعجب بنائها « السواميس » ^(٥) وهى أربعة وعشرون ، على صف واحد ، من حجارة مقربصة ، طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة ، فى عرض ستين خطوة ، وارتفاع كل واحد أكثر من مائتى ذراع ، بين كل داموسين انقاب محكمة ، تتصل فيها المياه من بعضها إلى بعض ، فى العلو الشاهق ، بهندسة عجيبة ، وإحكام بديع . انتهى « قلت » : أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التى بهذه الصفة قرطاجنة أفريقية لا قرطاجنة الأندلس . والله أعلم .

(١) Açores

(٢) برطانية العظمى

(٣) Saltes وهى جزيرة فى غربى الاندلس ينسب إليها أبو محمد الشلطيشى وغيره

من أهل العلم وسياق ذكرها

(٤) Huelva

(٥) الداموس هو القفرة أو ما يستتر به

وقال صاحب « مناهج الفكر » عند ما ذكر قرطاجنة : وهى على البحر الرومى ، مدينة قديمة بقى منها آثار ، ولها فخص طولها ستة أيام ، وعرضه يومان ، معمور بالقرى انتهى . وذكّر قبل ذلك فى « لورقة »^(١) أنه بناحيتهما يوجد حجر اللازورد ، وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتا ميورقة ومنورقة ، وبينهما خمسون ميلا ، وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة^(٢) وتدخلها ساقية جارية على الدوام ، وفيها يقول ابن البانّة :

بلدٌ أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووسُ
فكانتْما الأنهارُ فيه مُدامةً وكأنّ ساحاتِ الديارِ كؤوسُ

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت :

وَعَمَّرَتْ بِالاحسانِ أرضَ مَيورقةٍ وبنيت ما لم يبنه الإسكندرُ

وجزيرة يابسة^(٣) . واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ، ولوتُدبِع لكان

تأليفاً مستقلا ، وما أحسن قول ابن خفاجة :

إن للجنة بالأندلسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ ورِيَا نفسِ
فَسَنا صَبَحْتها من شَنبٍ ودُحَى ليلتها من لَعَسِ
وإذا ما هبّت الرّيحُ صَباً صِحتُ: واشوقى إلى الأندلسِ!

وقال بعضهم فى طليطلة :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نصرة ونعيمُ

(١) Lorca

(٢) الاسبانيول يقولون لهذه المدينة ، بالما ، Palma ، وأما العرب فكانوا يقولون للجزيرة ميورقة وللبلدية أيضا ميورقة . وقد أقيمت بهذه البلدة عشرين يوماً فى أثناء سياحتى إلى الأندلس سنة ١٩٣٠ فرأيتها من أجمل بلاد الله وأخصبها

(٣) Ibiza

الله زينهُ فوشح خصره نهر الحجره والغصون نجوم
ولا حرج إن أوردنا هنا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن
إدريس الأمير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فانه مناسب
ونصه :

« مولاي أمتع الله ببقائك الزمان وأبناءه ، كما ضمّ على حبك أحناءهم وأحناءه ،
وأوصل لك ماشئت من المن والأمان ، كأنظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان ،
فانك الملك الهمام ، والقمر التمام ، أيامك غرر وحجول ، وفرند بهائها في صفحات الدهر
يجول ، ألبست الرعية برود التامين ، فتناسقت فيك من نفيس ثمين ، وتلقت دعوات
خلك لها باليمن ، فكم للناس من أمن بك وإيناس ، وللأيام من لوعة فيك وهيام
وللاقطار من لباتان لديك وأوطار ، وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد !!
يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ، ويقتبون في رياض ذكرك
العاطر بمدام حبك ويصطبجون ، كل حزب بما لديهم فرحون ، محبة من الله ألقاها
لك ، حتى على الجداد ، ونصراً مؤزرأ تنطق به أسنة السيوف على افواه الاغداد ،
ومن أسرّ سريرة ألبسه الله رداها ، ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجميل إعادتها
وإبداءها ، ومن قدّم صالحاً فلا بد من أن يوازيه ، ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه
ولما تخاصمت فيك من الأندلس الأمصار ، وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار ،
كلها يفصح قولاً ، ويقول أنا أحق وأولى ، ويصيح إلى إجابة دعوته ويصغى ،
ويتلو إذا بشر بك : ذلك ما كنا نبغى . تنمرّت حمص غيظاً ، وكادت تفيض فيظاً
وقالت : ما لهم يزيدون وينقصون ، ويطمعون ويحرصون ؟ إن يتبعون إلا الظن
وإن هم إلا يحرصون ! ألهم السهم الأسد ، والساعد الأشد ، والنهر الذي يتعاقب عليه
الجزر والمد ؟ أنا مصر الأندلس والنيل نهري ، وسفلى التانس والنجوم زهري ، إن
تجاريتم في ذلك الشرف^(١) ، فحسبي أن أفيض في ذلك الشرف ، وإن تبجحتم بأشرف

(١) هو غابة الزيتون التي تقدم ذكرها

اللبوس ، فأى إزار اشتملتبوه « كشتبوس » ^(١) ؟ إلى ما شئت من أبنية رحاب ، وروضى يستغنى بنضرته عن السحاب ، وقد ملأت زهراقي وهادا ونجادا ، وتوشح سيف نهري بجدائقي نجادا ، فأنا أولا كم بسيدنا الهمام وأحق ، الآن حصحص الحق ! فنظرتها قرطبة شذرا ، وقالت : لقد كثرت نذرا ، وبذرت في الصخر الأضم بذرا ، كلام العدي ضرب من الهديان ، واني للإيضاح والبيان متى استحجال المستقبح مستحسنا ، ومن أودع أجفان المهجور وسنا ، أمض زين له سوء عمله فرآه حسنا ؟ ! يا عجباً للعرا كز تقدم على الأسنه ، وللأنغار ^(٢) تفضل على الأعنة ! إن ادعيتم سبقاً فما عند الله خير وأبقى ، لى البيت المطهر الشريف ، والاسم الذى ضرب عليه رواقه التعريف ، فى بقيعى محل الرجال الأفاضل ، فليرغم أنف المناضل ، وفى جامعى مشاهد ليلة القدر ، فحسبى من نباهة القدر ، فما لأحد أن يستأثر على بهذا السيد الأعلى ، ولا أرضى له أن يوطىء غير ترابى نعلا ، فأقرؤا لى بالابوة ، وانقادوا لى على حكم النبوة ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ، وكفوه عن تباريكم ذلكم خير لكم عند بارئكم .

فقال غرناطة : لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ، ولا تجرى إلا تحته جياذ الغيث السجوم ، فلا يلحقنى من معاند ضرر ولا حيف ، ولا يهتدى إلى خيال طارق ولا طيف ، فاستسلموا قولاً وفعلاً ، فقد أفلح اليوم من استعلى ، لى بطاح تقلدت من جداولها أسلاكاً ، وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكاً ، ومياه تسيل على أعطافى كأدمع العشاق ، وبرد نسيم يردد ماء المستجير بالانتشاق ، فحسبى لا يطمع فيه ولا يحتال ، فدعوفى فكل ذات ذيل تخمтал ، فأنا أولى بهذا السيد الأعدل ، وما لى به من عوض ولا بدل ، ولم لا يعطف على عنان مجده ويثنى ، وإن أنشديوماً فايابى يعنى :

(١) Santiponce من قرى اشبيلية

(٢) الثغر محرّكة وقد تسكن السير : الذى فى مؤخر السرج

بلاد بها عَقَّ الشباب تمانى وأول أرض مَسَّ جلدى تُرابها
فما لكم تعززون لفخرى وتنمون ، وتتاخرون في ميدانى وتقدمون ؟ تبرأوا
إلى مما تزعمون ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .

قالت مالقة : أتتركونى بينكم هملاً ، ولم تعطونى في سيدنا أملاً ؟ ولِمَ ولى البحر
العجاج ، والسبل الفجاج ، والجنات الأثيرة ، والفواكه الكثيرة ؟ ! لدى من البهجة
ما تستغنى به الحمام عن الهديل ، ولا تجنح الأنفس الرقاق الحواشى الى تعويض عنه
ولا تبديل ، فما لى لا أعطى في ناديكُم كلاماً ، ولا أنشر في جيش فخاركُم أعلاماً ؟ !
فكان الأمصار نضرتها ازدياء ، فلم تر لحديثها في ميدان الذكر اجراء ، لأنها
موطن لا يحظى منه بطائل ، ونظن البلاد تأولت فيها قول القائل :

إذا نطقَ السفيةُ فلا تُجبهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ

فقلت مرسية : أمانى تتعاطون الفخر ، وبحضرة الدر تنفقون الصخر ، إن عدت
المفاخر ، فلى منها الأول والآخر ، أين أو شالكُم من بحرى ، وخرزكُم من لؤلؤ بحرى ؟
وجمععتكم من نشات سحرى ؟ فلى الروض النضير ، والرأى الذى ماله نظير ،
ورتقانى التى سار مثلها فى الآفاق ، وتبرقع وجه جماله بفرغ الاصفاق ، فمن دوحات ، كم
لها من بكور وروحات ، ومن أرجاء ، اليها تمد أيدى الرجاء . فابنائى فى الجنة الدنيوية
مودعون ، يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ، ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم فيها
ما يدعون ، فاقادوا لأمرى ، وحاذروا اصطلاء جبرى ، وخالوا بينى وبين سيدنا
أبى زيد ، وإلا ضربتكم ضرب زيد ، فأنا أولاً كم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم ،
وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

فقلت بلنسية : فيم الجدال والقراع ، وعلام الاستهام والاقتراع ، وإلام
التعريض والتصريح ، وتحت الرغوة اللبن الصريح ؟ ! أنا أحوزه من دونكم ،
فأخذوا نار تحرككم وهدونكم ، فلى المحاسن الشائخة الأعلام . والجنات التى
تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام ، وبرصافى وجسمى أعارض مدينة السلام ، فأجمعوا

على الانتقاد لى والسلام ، وإلا فعضوا بناً ، واقرعوا أسناناً . فأننا حيث لا تدركون
وأنى؟ ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا !

فعند ذلك ارتمت جرة تدمير بالشرار ، واستدّت اسهمها لنحور الشرار ،
وقالت : عش رجياً ، ترعجياً ! أبعَدَ العصيان والعقوق ، تهياناً لرتب ذوى الحقوق ؟ !
هذه سماء الفخر ، فمن ضمنك أن تعرجى ؟ ليس بعشك فادرجى ، لك الوصف
والخبل . آآن ؟ وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة ، من أدراك أن تضربى
وما أنت فاعلة ، ما الذى يجديك الروض والزهر ؟ أم يفيدك الجدول والنهر ؟ وهل
يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ هل أنت إلا محط رحل النفاق ، ومنزل ما لسوق
الخصب فيه من نفاق ، ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع ، وقراك لا يسمن ولا
يعنى من جوع ، فالأم تبرز الاماء فى منصة العقائل ؟ ولكن اذكرى قول القائل :

بلنسية ، بنى عن القاب سلوةً فانك روض لا أحين لزهرك
وكيف يحب المرء داراً تقسمت على صارمى جوع وفتنة مشرك ؟

بيد أنى أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما حمد ، ويسيل من تسديك
ما حمد ، ولا يطيل عليك فى الجهالة الأمد ، وإياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا
ومولانا إلى أفضل عوائده ، ويجعل مصائب أعدائه من فوائده ، ويمكن حسامه
من رقاب المشغبين ، ويبقيه وجيباً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويصل له
تأييداً وتأييداً ، ويمهد له الأيام حتى تكون الأحرار لعبيده عبيداً ، ويمد على
الدنيا بساط سعده ، ويهبه ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده .

آمين ! آمين ! لا أرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا
ثم السلام الذى يتعانق عباقاً ونشراً ، ويتألق رونقاً وبشراً ، على حضرتهم
العلية ، ومطالع أنوارهم السنوية الجليلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته ^(١) (انتهى)

(١) يرى القارىء أن صاحب النصح يأتى بالجغرافية والتاريخ والمحاضرات والمسامرات
والنظم والنثر ، كل ذلك فى نسق ، وأن الترتيب ليس هو الصفة الغالبة على تأليفه ، بل هوفى

ولما أتم الرحالة ابن بطوطة في رحلته بدخوله بلاد الأندلس ، أعادها الله تعالى للإسلام قال : فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للسكان ، والثواب مذخور للمقيم والظاعن . . . إلى أن قال عند ذكره غرناطة مانصه : قاعدة بلاد الأندلس ، وعروس مدنها ، وخارجها لا نظير له في الدنيا ، وهو مسيرة أربعين ميلا ، يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة ، والبساتين الجليلة ، والجنات ، والرياضات ، والقصور ، والكروم ، محذقة بها من كل جهة ، ومن عجيب مواضعها « عين الدمع » ^(١) وهو جبل فيه الرياضات والبساتين ، لا مثل له بسواها . انتهى

وقال الشقندي : غرناطة : دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبرار ، ومطمح الأنفس ، ولم تخل من اشرف أمائل ، وعلماء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن بها إلا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر ، كنهون القلبعية ، والركونية ، وغيرها ، وناهيك بهما في الظرف والأدب . انتهى

ولبعضهم ، يتشوق إلى غرناطة ، فيما ذكره بعض المؤرخين ، والصواب أن الأبيات قيلت في قرطبه كما مر والله أعلم .

أغرناطة الغراء ، هل لي أوبة اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجباب الفربي منك غامة وقعق في ساحات روضتك الرعد
لياليك أسحار ، وأرضك جنة وتربك في استنشاقها عنبر وورد

وقال ابن مالك الرعيني :

رعى الله بالحراء عيشاً قطعتهُ ذهبت به للأنس والليل قد ذهب

هذا سائر على قاعدة : إن الحديث شجون ، ولقد رأينا الأولى أن نبقى نسقه على علته ، وأن لا تصرف إلا ما ندر في ترتيبه وتبويبه

(١) الاسبانيول يقولون لهذه العين Fuente del Avellano

ترى الأرض منها فضةً فاذا اكدتتُ
بشمس الضحى عادت سيكتها ذهبٌ
وهو القائل :

لا تظنوا أن شوقى حمداً بعدكم ، أو أن دمعى حمداً
كيف أسلو عن أناس مثلهم قلّ أن تبصيرَ عينى أحداً

وغرناطة من أحسن بلاد الأندلس ، وتسمى بدمشق الأندلس ، لأنها أشبه
شئ بها ، ويشقها نهر « حدره » ^(١) ويطل عليها الجبل المسمى بشاير ، الذى
لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفاً ^(٢) ويجمد عليه ، حتى يصير كالحجر الصلب ،
وفى أعلاه الأزاهر الكثيرة ، وأجناس الأفاوية الرفيعة . ونزل بها أهل دمشق ،
لما جاءوا إلى الأندلس ، لأجل الشبه المذكور . وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخرين
مائتان وسبعون قرية ^(٣) وقال ابن جزى مرتب رحلة ابن بطوطة ، بعد ذكر كلامه
ما نصه : قال ابن جزى : لولا خشيت أن أنسب إلى العصبية ، لأطلت القول فى
وصف غرناطة ، فقد وجدت مكانه ، ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لإطالة
القول فيه . والله در شيخنا أبى بكر ابن محمد بن شيرين السبتي ، نزيل غرناطة
حيث يقول :

رمى الله من غرناطة متبواً يسر حزيناً أو يجير طريداً
تبرم منها صاجى عند مارأى مسارحها بالثلج عدن جليداً
هو الثغر ، صان الله من أهلت به وما خير ثغر لا يكون بروداً؟

وقال ابن سعيد ، عند ما أجرى ذكر قرية نارجة ، وهى قرية كبيرة تضاهى

(١) الاسبانيول يقولون Darro

(٢) سياتى ذكر غرناطة وقراها فى محله

(٣) هذا هو الجبل الذى قال فيه القائل وقد حل باحدى قراه :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضهم وشرب الحميا وهو شئ محرم
فراراً إلى نار الجحيم فانها أخف علينا من شاير وأرحم

المدن قد أحدثت بها البساتين ، ولها نهر يفتن الناظرين ، وهى من أعمال مالقة :
انه اجتاز مرة عليها مع والده أبى عمران موسى ، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم
وقد ضربوا فى بطن الوادى بين مقطعاته خيما ، وبعضهم يشرب ، وبعضهم يغنى
ويطرب ، وسألوا : بمَ يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا الطراز ، فقال والذى اسم طابق
مسماه ، ولفظ وافق معناه .

وقد وجدت مكان القولِ ذا سَعَةٍ فان وَجَدْتَ لساناً قائلاً قُلِ
ثم قال أجز :

بنارِجَةٍ حَيْثُ الطَّرَازُ المُنَمَّمُ
أَقِمِ فَوْقَ نَهْرٍ تُغْرُهُ يَتَبَسَّمُ : فقلت :
وسمعتُ نَحْوَ المَهَائِفِ فَانْهَأِ : فقال :
لِما أَبْصَرْتُ مِنْ بَهْجَةٍ تَتَرَنَّمُ : فقلت :
أَيَا جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لَسْتُ بِأَدِيمِ : فقال :
فَلَا يَكُ حَظِّي مِنْ جَنَّاكَ التَّنَدُّمُ : فقلت :
يَعزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَزُورَكَ مِثْلَ ما : فقال :
يَزُورُ خِيالُ مَنْ سَلِمَ مِىَّ : فقلت :
فَلَوْ أَنى أُعْطِيَ الخِيارَ لَمَّا عَدْتُ : فقال :
مَحَلِّكَ لى عَيْنِ بَمَرَّكَ تَنْعَمُ : فقلت :
بِحَيْثُ الصَّبَا وَالطَّلُّ مِنْ نَفْثانِها : فقال :
وَقَتِ لَسَعِ رَوْضِ فِيهِ لِلنَّهْرِ أَرْقَمُ : فقلت :
فَوَا أَسْفى ! إِنْ لَمْ تَسْكُنْ لى عودَةُ : فقال :
فَكُنْ ما لِكأِ إِنْى عَلِيكَ مُتَمَّمُ (١) : فقلت :

(١) متمم كعظام هو نويرة بن حمزة التميمي اليربوعي الشاعر الصحابي
أخو مالك بن نويرة الصحابي أيضا رضي الله عنهما

فقال : فأحسب هذا آخر العهد بيننا
فقلت : وقد يَلْحَظُ الرحمنُ شوقِي فيرحمُ
فقال : سلام ! سلام ! لا يزال مُرَدِّدًا
فقلت : عليك ! ولا زالت بك السُّحُبُ تَسْجُمُ ! انتهى .

وقال ابن سعيد : إن كورة بلنسية ، من شرق الأندلس ، ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب ، وبها كُمُثْرَى تسمى الأرزة ، في قدر حبة العنب ، قد جمع مع حلاوة الطعم ، ذكاء الرائحة ، إذا دخل دارا عرف بريحه ، ويقال إن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وبها منارة ومسارح ، ومن أبداعها وأشهرها الرصافة ، ومُثَيَّة ابن ابى عامر .

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الفرناطى من أبيات فيها :

هي الفردوس في الدنيا جمالا لسا كنها وكارها البعوض
وقال بعضهم فيها :

ضاقَتْ بَلَنْسِيَّةٌ بِي وَذادَ عَنِّي غُمُوضِي
رَقصُ الْبِراغِيثِ فِيها صَلَّى غِناءُ الْبَعُوضِ

وفيهما لابن الزقاق البلنسى :

بلنسيةٌ إذا فَكَّرْتَ فِيها وفي آياتها أسنى البلادِ
وأعظمُ شاهدي منها عليها وأن جَهاها للعين بآدي
كسأها رُبُّها دِيابِجَ حُسنِ لها عَلمانِ مِنْ بَحْرِ وِوادي

وقال ابن سعيد أيضاً : أنشدني والذي قال : أنشدني مروان بن عبد الله بن

عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمرا كش قوله :

كَأَنَّ بَلَنْسِيَّةً كاعِبٌ ومَلَبَسها سُنْدُسٌ أخضَرَ
إذا جِئَها سَتَرَتْ نَفْسَها بأَكامِها فهِى لا تَظْهَرُ

وأما قول أبي عبد الله بن عياش : « بلنسية بيني » البيتين وقد سبقا ، فقال ابن سعيد : إن ذلك حيث صارت ثغرا يصابها العدو ويماسها ^(١) اهـ .

وقال أبو الحسن بن حريق يجابوب ابن عياش :
 بَلَنْسِيَّةٌ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
 فَان قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سَعَرٍ وَمَسْفَطُ دَيْمِي طَعْنٍ وَضَرْبٍ
 فَقَلْ هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهِينَ مِنْ جَوْعٍ وَحَرْبٍ
 وقال الرصافي في رصافتها :

ولا كالرُصَافَةِ مِنْ مَنزِلِ سَقَمَتِهِ السَّحَابُ صَوَّبَ الْوَالِي
 أَحِنَّ إِلَيْهَا وَمَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّرِيُّ مِنَ الْمَوْصِلِي
 وقال ابن سعيد : وبرصافة ^(٢) بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم في
 الأندلس ما يسمّى بهذا الاسم إلا هذه ، ورصافة قرطبة . انتهى . ومن أعمال بلنسية
 قرية « المنصف » التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسبته يزار
 رحمه الله . ومن نظمه :

قالت لى النفسُ : أتاك الرَدَى وانت في بَحْرٍ الخَطَايَا مُقِيمٍ
 فَمَا ادَّخَرْتَ الزَّادَ ، قلت اقصرى ! هل يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمِ ؟
 ومن عمل بلنسية قرية « بطرنة » ^(٣) وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى
 على المسلمين . وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسونى : ^(٤)

(١) هذا كان بعد انصداع الوحدة الأندلسية وانقسام البلاد بين ملوك الطوائف واستئساد طواغيت الاسبانيول .

(٢) الاسبان يقولون Ruzafa وهى إلى الجنوب الشرقى من البلدة .

(٣) هى مقلوبة عن طبرنة Tabernes

(٤) نسبة إلى طرسونة من عمل سرقسطة .

لبسوا الحديدَ الى الوغَى ولبستُمُ حُللَ الحريرِ عليكمُ ألوانا
ما كانَ اقبحهمُ وأحسنكمُ بها! لو لم يكنُ بيظرونه ما كانا

ومن عمل بلنسية « مينطة »^(١) التي نسب اليها جماعة من العلماء والأدباء .
ومن عمل بلنسية مدينة « أندة »^(٢) التي في جبلها معدن الحديد . واما « رندة »^(٣)
بالراء فهي في متوسط الأندلس ، ولها حصن يعرف بأندة أيضاً . وفي اشبيلية ، اعادها
الله ، من المتفرجات والمتنزهات كثير ، ومن ذلك مدينة « طريانة »^(٤) فانها من
مدن اشبيلية ومتنزهاتها ، وكذلك « تيطل » فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل
في المتفرجات . وقال ابو عمران موسى بن سعيد في جوابه لأبي يحيى صاحب سبته ،
لما استوزره مستنصر بنى عبد المؤمن ، وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الأندلس

(١) Mogente وهي بلدة صغيرة قديمة واقعة في بقعة طيبة . جاء في دليل بديكر
انها من بناء العرب .

(٢) Onda قال ياقوت : بالضم فسكون ، مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس ،
كثيرة المياه والرساتيق والشجر ، وعلى الخصوص التين ، فانه يكثر بها . وقد نسب
إليها كثير من أهل العلم اه وذر ياقوت بعضهم وسنذكرهم ونذكر كل من انتسب
إلى أندة ، وكانت أندة دار القضاة .

(٣) إن كانت رندة هي الشهيرة التي نعرفها فليست من متوسط الأندلس ، بل
هي من الجبال الجنوبية فيها ، تارة كانت تعد من عمل قرطبة ، وطورا من عمل اشبيلية ،
وأخيرا آلت إلى مملكة غرناطة ، وهي التي منها أبو البقاء صالح بن شريف الرندي
الشاعر الشهير صاحب مرثية الأندلس : لكل شيء إذا ماتم نقصان .

(٤) قال ياقوت : طريانة حاضر من حواضر اشبيلية ، ينسب إليها الفقيه عبد العزيز
الطرياني ، كان نحوياً بارعاً ، قرأ على أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود ، قرأ عليه
صديقنا الفتح بن عيسى القصرى مدرس رأس عين اه قلت : وهي تكتب بالأسبانولية
هكذا : Triana جاء في دليل بديكر أنها مسكن الطبقة الدنيا من الشعب ، وإليها ينسب
الفخار الطرياني المشهور ، وكان يصنع بها أحسن الزليج الاشبيلي وقد أحييت هذه
الصناعة من جديد .

إلى مراکش ، ما نص محل الحاجة منه : وأما ما ذكر سيدى من التخيير بين ترك
الاندلس ، وبين الوصول الى حضرة مراکش ، فكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل :

والعِزُّ محمودٌ ومُلْتَمَسٌ وَالذُّهُ ما كان فى الوطن

فاذا نلت بك السماء فى تلك الحضرة ، فعلى من أسود فيها ؟ ومن ذا أضاهى بها ؟

لَارَقَّتْ بِي هَمَّةٌ إِنْ لَمْ أَكُنْ فَيْكَ قَدْ أَمَلْتُ كُلَّ الْأَمَلِ

وبعدها فكيف أفارق الأندلس ، وقد علم سيدى أنها جنة الدنيا ، بما حباها

الله به من اعتدال الهواء ، وعذوبة الماء ، وكثافة الأفياء ، وأن الانسان لا يبرح

فيها بين قررة عين وقرار نفس ؟

هِيَ الْأَرْضُ لَا وِرْدٌ لَدَيْهَا مُكَدَّرٌ وَلَا طَلٌّ مَقْصُورٌ وَلَا رَوْضٌ مُجْدَبٌ

أفوق صقيل ، وبساط مدبج ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل ، وكيف يعدل

الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فياسموعل الوفاء ، وياحاتم السماح ، وياجذيمة

الصفاء ، كمل لمن أملاك النعمة ، بتركه فى موطنه ، غير مكدر لخاطره بالتحرك من

معدنه ، متلفئاً إلى قول القائل :

وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَفَارِقَهَا وَالْمَاءُ فِي الْمُزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِي الْعُدْرِ

فان أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد ، وبلغه دون أن يشدّ قتباً ولا أن ينضى

عيساً غاية المراد ، أنشد ناجح المرغوب ، بالغ المطلوب :

وَلَيْسَ الَّذِي يَسْتَتَبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ

ورب قائل إذا سمع هذا التبسط على الأمانى : ماله تشطط ، وعدل عن

سبيل التأدب وتبسط ؟ ! ولا جواب عندى إلا قول القائل :

فَهَذِهِ خِطَّةٌ مَازَلْتُ أَرْقُبُهَا فَالْيَوْمَ أَبْطَأُ أَمَالِي وَأَحْتَكِمُ

ومالى لا أنشد ما قاله المتنبي فى سيف الدولة :

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَاعْلَى لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كَبَارًا

انتهى المقصود منه .

وقال الحجارى : إن مدينة «شريس»^(١) بنت اشبيلية ، وواديها ابن واديها ، ما أشبه سعدى بسعيد ! ! وهى مدينة جليلة ، ضخمة الأسواق ، لأهلها هم وظرف فى اللباس وإظهار الرفاهية ، وتخلق بالآداب . ولا تكاد ترى بها إلا عاشقاً أو معشوقاً . ولها من الفواكه ما يعم ويفضل ، ومما اقتصت به احسان الصنعة فى المجينات ، وطيب جنبها يمين على ذلك . ويقول أهل الأندلس : من دخل شريس ولم يأكل بها المجينات فهو محروم اه .

والمجينات نوع من القطائف يضاف إليها الجبن فى عجينها وتقلى بالزيت الطيب . وفى شلب يقول الفاضل الكاتب أبو عمرو بن مالك بن سيدمير

أشجأك النسيم حين يهب؟	أم سنى البرق إذ يخب ويخبو؟
أم هتوف على الأراكة تشدو	أم هتون من الغامة سكب؟
كل هذاك للصبابة داع	أى صب دموعه لا تصب؟
أنا لولا النسيم والبرق والور	ق و صوب الغمام ما كنت أصبو
ذكرتني شلباً، وهيئات مني	بعد ما استحكم التباعد شلب!

(١) Xeres أو Jerez وقد كانوا يقولون لها Xeres de la Frontera ومعناه شريس النغر، لأنها بقيت هذه طويلة فى أواخر مقام العرب بالأندلس هى الثغر بين المسلمين الذين كانوا فى مملكة غرناطة والاسبانيول الذين كانوا غلبوا على اشبيلية وهى اليوم ثالث بلدة فى اسبانية من جهة الثروة، ومن أشهر مدن أوربة فى صنعة الخمر . وخمرها هو الذى يقال له «شرى» Sherry عند الانكليز والبلدة نظيفة خفيفة على الروح، والبيوت فيها لاتزال على طراز البناء العربى . ذهبت إليها صباحا بسكة الحديد من اشبيلية، ورجعت منها بعد الغداء إلى اشبيلية . وكان استرداد الاسبان لشريس سنة ١٢٥١ على يد الملك فرديناند الا أن العرب استرجعوها أول مرة . ثم عاد الاسبان فغلبوا عليها . ثم عاد العرب فأخذوها ثانى مرة بعد وقائع شداد . ثم عاد الأذفنش الملقب بالحكيم فاستولى عليها سنة ١٢٦٤ وبقيت فى أيدي الاسبانيول من ذلك الحين . وسيأتى ذكرها مفصلاً متى وصلنا إلى كورة اشبيلية

وتسمى أعمال شلب كورة « اشكونية » وهى متصلة بكورة أشبونة ، وهى ،
أعنى أشكونية ، قاعدة جليلة ، لها مدن ومعامل ، ودار ملكها قاعدة « شلب » (١)
وبينها وبين قرطبة سبعة أيام . ولما صارت لبني عبد المؤمن ملوك مراكش أضافوها
إلى كورة أشبيلية . وتفتخر شلب بكون ذى الوزارتين ابن عمار منها ، سماحه الله .
ومنها القائد أبو مروان عبد الملك بن بدران ، وربما قيل ابن بدرون ، الأديب
المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التى أولها :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ !؟

(١) Silves قال ياقوت الحموى فى معجمه : شلب بكسر أوله وسكون ثانيه ، وآخره
بام موحدة ، هكذا سمعت جماعة من أهل الاندلس يتلفظون بها ، وقد وجدت بخط بعض
أدبائها : شلب يفتح الشين . وهى مدينة بغربى الاندلس ، وبينها وبين باجه ثلاثة أيام ،
وهى غربى قرطبة ، وهى قاعدة ولاية اشكونية ، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس
المجد . بلغنى انه ليس بالاندلس بعد اشبيلية مثلها ، وبينها وبين شنترين خمسة أيام .
وسمعت ممن لا احصى انه قل ان ترى من أهلها من لا يقول شعراً ، ولا يعانى الأدب ،
ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه ،
وأى معنى طلبت منه . وينسب إليها جماعة منهم محمد بن ابراهيم بن غالب بن عبد الغافر
ابن سعيد العامرى من عامر بن لوى الشلبى ، وأصله من باجه يكنى أبا بكر روى عن
على بن الحجاج الاعلم كثيراً ، وسمع من عبد الله بن منظور صحیح البخارى ، وكان
واسع الأدب ، تولى الخطابة ببلده مدة طويلة ، ومات لخمس خلون من جمادى الاولى
سنة ٥٣٢ هـ ومولده سنة ٤٤٦ هـ وامر أن يكتب على قبره :

لئن نفذ القدر السابق بموتى كما حكم الخالق
فقد مات والدنا آدم ومات محمد الصادق
ومات الملوك وأشياهم ولم يبق من جمعهم ناطق
فقل للذى سره مصرعى تأهب فانك بى لاحق

اتهى . قلنا وينسب الى شلب من العلماء جم غفير سنأتى بتراجمهم عند الوصول الى

ذكر هذه المدينة

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد الشرقية . ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله
 العشقُ لذتهُ التَّعْنِيقُ والقَبْلُ كما مُنْعَصُهُ التَّثْرِيبُ والعَدْلُ
 ياليتَ شِعْرِي ! هل يقضى وصالكمُ لولا العُنَى لم يكنْ ذا العُمُرُ يتصلُ
 ومنها نحوى زَمَانِهِ وعَلامَتُهُ ، أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسى ، فان
 شلبيا بيضتهُ ، ومنها كانت حركته ونهضته ، كما فى الذخيرة . وهو القائل :

إذا سألوني عَن حالى وحاولتُ عُدْرًا فلم يُمكنِ
 أقول : بخير ، ولكنَّهُ ككَلَامٍ يَدور على الألسِنِ
 وربك يعلم ما فى الصدور ويعلم خائنةَ الأعينِ

وقال الوزير أبو عمرو بن الفلاس يمدح بطليوس بقوله :

بطليوس^(١) لأنساك ما اتصل البعدُ فله غورٌ فى جنابك أو نجدُ
 والله دوحاتٌ تحفك ينمًا تفجر واديهما كما شقق البردُ

وبنو الفلاس من أعيان حضرة بطليوس ، وأبو عمرو المذكور أشهرهم ، وهو
 من رجال الذخيرة والسهب ، رحمه الله تعالى . وفى شاطبة^(٢) يقول بعضهم :

نعم ملقى الرُّحْلِ شاطبة لفتى طالت به الرُّحْلُ
 بلدةٌ أوقاتها سحرٌ وصباٌ فى ذيله بللُ
 ونسيمٌ عرفه أريجٌ ورياضٌ غصنها نملُ
 ووجوهٌ كلها غررٌ وكلامٌ كله مثلُ

وفى برجة يقول بعضهم :

إذا جئت برجةً مستوفراً فخذ فى المقامِ واخلِّ السفرَ
 فكلُّ مكانٍ بها جنةٌ وكلُّ طريقٍ إليها سقرٌ

(١) سياتى ذكرها مفصلاً عند ذكر مدائن الغرب من الأندلس

(٢) سياتى ذكرها مفصلاً عند ذكر مدائن الشرق من الأندلس

واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد ،
لكان كافياً ، ويرحم الله لسان الدين بن الخطيب ، حيث كتب على لسان سلطانه
إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك ما نصه : من أمير المسلمين
فلان إلى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادة تجذبه ، وعناية اليه تقربه
وقبولاً منه يدعوه إلى خير ما عند الله ويزدبه ، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .
أما بعد حمد الله المرشد المثيب ، السميع الحبيب ، معود اللطف الخفي ، والصنع العجيب
المتكفل بإنجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب ، والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد رسوله ذى القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب ، الذى به نرجو
ظهور عبدة الله على عبدة الصليب ، ونستظهر منه على العدو بالحبيب ، ونعدّه عدتنا
لليوم العصيب ، والرضا عن آله وصحبه الذين فازوا بمشاهدته بأوفى النصيب ، ورموا إلى
هدف مرضاته بالسهم المصيب ، فانا كتبناه اليكم ، كتب الله تعالى لكم عملاً صالحاً
يختم الجهاد صحائف بره ، وتمحض لأن تكون كلمة الله هى العليا جوامع أمره ،
وجعلكم ممن تهنى فى الأرض التى فتح فيها أبواب الجنة مدة عمره ، من حراء
غرناطة ، حرسها الله تعالى ، واطف الله هامى السحاب ، وصنعه رائق الجناب ، والله
يصل لنا ولكم ما عودّه من صلة لطفه ، عند انبئات الأسباب ، وإلى هذا أيها المولى
الذى هو بركة المغرب المشار اليه بالبنان ، وواحد فى رفعة الشأن المؤثر ما عند الله
على الزخرف الفتان ، المتقلل من المتاع الفان ، المستشرف إلى مقام العرفان ، من درج
الإسلام والايمان والاحسان ، فإنا لما نؤثره من برکم الذى نعدّه من الأمر الأکید
ونضمره من ودمكم الذى نحله محل الكنز العتيد ، ونلتسمه من دعائكم التماس العدة
والعديد ، لا نزال نسأل عن أحوالكم التى ترقّت فى أطوار السعادة ، ووصلت جناب
الحق بهجر العادة ، وألقت إلى يد التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة ، فنسرّ بما هيا الله
تعالى لكم من القبول وبلغكم من المأمول ، وألهمكم من الكلف بالقرب اليه والوصول ،
والفوز بما لديه والحصول ، وعند ما ردّ الله تعالى علينا الرد الجميل ، وأنالنا فضله

الجزيل ، وكان لعارنا المقييل ، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا ، ومحلكم من حسن اعتقادنا ، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا ، والله ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين ، وتعرفنا الآن بمن له بانائكم اعتناء ، وعلى جلالكم حمد وثناء ، ولجناب ودمك اعتزاء وانتهاء ، بتجاوز عزمكم بين حجب مبرور ترغبون من أجره في ازدياد ، وتجدون العهد منه بأليف اعتياد وبين رباط في سبيل الله وجهاد ، وتؤثر مهاده ، بين ربا أثيرة عندالله ووهاده ، يحشر يوم القيامة شهادوها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، والله أصدق القائلين الصادقين ، حيث لاغارة لغير عدو الاسلام تُتَقَى ، الا لابتغاء مالى الله يرتقى ، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها ، وهور الجنان قد زينت أترابها ، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح ، وفازوا بجزيل المنح ، وخلدوا الآثار ، وأرغوا الكفار ، وأقالوا العثار ، وأخذوا الثار ، وأمنوا من لفتح جهنم ، بما علا على وجوههم من ذلك الغبار ، فكتبنا اليكم هذا تقوى بصيرتكم ، على جهة الجهاد من العزمين ، ونهب بكم إلى إحدى الحسينين ، والصبح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين ، فانكم إن حججتم أعدمتم فرضاً أديتموه ، وفضلا ارتديتموه ، فآذته عليكم مقصورة ، وقضيته فيكم محصورة . وإذا أقمتم الجهاد ، جلبتم إلى حسناتكم عملا غريباً ، واستأنقتم سعيًا من الله قريباً ، وتعدت المنفعة إلى أوف من النفوس ، المستشعرة لبأس البوس ، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأظننا ، وأعنة الاستدلال أرسلنا . هذا لو قدمتم على هذا الوطن ، وفضلكم غفل من الاشتهار ، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار ، فكيف وفضلكم أشهر من نحيبها النهار ، ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الأوطار ؟! فان قوى عزمكم ، والله يقويه ، ويعيننا من بركم على ما ننويه ، فالبلاد بلادكم ، وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها إخوانكم ، وأحداثها أولادكم ، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله فى رباها حلوة

زائدة ، ولا تعدموا من روح الله فائدة ، وتتكيف نفسك فيها بكيفيات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك ، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم ، وتروا أثر رحمته فيكم ، وتحلفوا فخر هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبنيتكم ، وتحتموا العمل الطيب بالجهاد الذي يملككم ، ومن الله تعالى يدنيكم ، فبنيتكم العربي ، صلوات الله عليه وسلامه ، نبي الرحمة والملاحم ، ومعمل الصوارم ، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده ، والأعمال بالحواتم ، هذا على بعد بلادهم من بلاده ، وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده ، والاستباق إلى آماده .

هذا ما عندنا حدثناكم عليه ، وندبناكم اليه ، وأنتم في إثارة هذا الجوار ، ومقارضة ما عندنا بقدمكم على بلادنا من الاستبشار ، بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار ، وتصريف الليل والنهار ، وتقليب القلوب وإجالة الأفكار ، وإذ تعارضت الحظوظ فاعند الله خير للأبرار ، والدار الآخرة دار القرار ، وخير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة وبعاد من النار ، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والاطلاع ، بهذه الأرجاء والاصقاع ، قد اتفقت أخبارها ، واتحدت أسرارها ، على البشارة بفتح قُرب أوانه ، وأظل زمانه ، فخرجوا الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه ، ويكرم فيه مسعاه ، ويساف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه ، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته . انتهى

ولما دخل الأندلس أمير المسلمين عليّ ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الغموني ، ملك المغرب والأندلس ، وامعن النظر فيها ، وتأمل وصفها وحالها ، قال : إنها تشبه عقاباً مخالفة طليظة ، وصدرة قلعة رباح ، ورأسه جيان ، ومنقاره غرناطة وجناحه الأيمن باسط إلى المغرب ، وجناحه الأيسر باسط إلى المشرق . . . في خبر طويل لم يحضرنى الآن ، إذ تركته مع كتبي بالمغرب ، جمعني الله بها على أحسن الأحوال .

ومع كون أهل الأندلس سُبَّاق حَلْبَةِ الجهاد ، مهطعين إلى داعيه من الجبال

والوهاد، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون، ومداراة الشعراء، خوف الهجاء، محل وثير المهاد. وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشق ويكفي، ولكن سنح لي أن أذكر هنا حكاية أبي بكر الخزومي الهجاء المشهور، الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة: إنه كان أعمى شديد الشر، معروفاً بالهجاء، مسلطاً على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن، فطنا للمعاريض سابقاً في ميدان الهجاء، فاذا مدح ضعف شعره.

والحكاية هي ما حكاها أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد إذ قال، حكاية عن أبيه فيما أظن: قدم المذكور، يعني الخزومي، على غرناطة أيام ولاية أبي بكر ابن سعيد، ونزل قريباً مني، وكنت أسمع به: نار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده، ثم رأيت أن أبدأه بالتأنيس والاحسان، فاستدعيته بهذه الآيات:

ياثانياً للمعري في حُسنِ نظمٍ ونثرٍ
وفرط ظرفٍ ونبلٍ وغوصٍ فهمٍ وفكرٍ
صِلْ ثم واصل حفيّاً بكلِّ برٍّ وشكرٍ
وليسَ إلاّ حديثٌ كما زها عقْدُ دُرٍّ
وشادنٍ يتغنى على ربابٍ وزمرٍ
وما يسامحُ فيه الففـورُ منْ كأسِ خمرٍ
وبيننا عهدٌ حلفَ لياسِرِ حلفِ كفرٍ
نعم فجدده عهدا بطيبِ سكرٍ ويسرٍ
والكأسُ مثلُ رَضاعٍ ومنْ كمثلِكَ يدري؟

وجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبداً صغيراً قاده. فلما استقرَّ به المجلس، وأفغمته روائح الندِّ والعود والأزهار، وهزت عطفه الأوتار، قال:

دارُ السَّعِيدِ ذِي؟ أم دارُ رَضْوَانِ؟ ما تَشْتَهِي النَّفْسُ فِيهَا حَاضِرٌ دَانَ!

سَقَتْ أباريقها للندِّ سَحْبَ نَدَى تحدى برَعْدٍ لأوتارِ وعِيدانِ
والبرقُ من كلِّ دَنِّ ساكبٍ مطرًا يُخَيِّ به مَيِّتَ أفكارٍ وأشجانِ
هذا النعيمُ الذي كُنَّا نَحْدِثُهُ ولا سبيلَ له إلاَّ بأَذانِ
فقال أبو بكر بن سعيد : وإلى الآن لا سبيلَ له إلاَّ بأَذانِ ؟ فقال : حتى يبعث
الله ولدَ زنا كما أنشدت هذه الأبيات قال إنها لأعمى . فقال : أما أنا فلا أنطق
بحرف . فقال : من صمت نجا .

وكانت زهون بنت القلاعى حاضرة فقالت : وتراك يا أستاذ ، قديم النعمة
بمجرد ندِّ وغناء وشراب ، فتمعَّجَب من تأتبه ، وتشبهه بنعيم الجنة ، ويقول ما كان
يعلم إلاَّ بالسَّماع ، ولا يبلغ إليه بالعيان ! ولكن من يحىء من حصن المدور ، وينشأ
بين تيوس و بقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ ! فلما استوفت كلامها تنحنح
الأعمى ، فقالت له : ذبحة ! فقال : من هذه الفاضلة ؟ فقالت عجوز مقام أمك !
فقال : كذبت ! ما هذا صوت عجوز . . . الخ . ثم قال :

على وجه زهونَ من الحسنِ مَسْحَةٌ وإن كان قد أعمى من الضوء عارياً
قواصِدُ زهونٍ تواركُ غيرها ومن قصَدَ البحرَ استقلَّ السواقيا
(وطوبينا هنا بعض محاضرات لاصلة لها بموضوعنا من جغرافية البلاد إلى أن
يقول) :

والذى رأيتُه لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية إلا
ماتت من ساعتها ، ويؤتى بالحيات والمقارب إليها حية ، فبنفس ما تدخل إلى جوف
البلد تموت . قال ولا يتسوس فيها شيء من الطعام ، ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح
من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك^(١)
والتفاح والأجاص اليابسة من أربعة أعوام ، والفول والحمص من عشرين سنة ،

(١) هذا الذى يقال له الكرز فى الشرق وبالفرنسية Cerise

ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب ، كان صوفاً أو حريراً أو كتّاناً . وليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها ، ولا أطيب طعماً ، ولا أكبر جرماً . والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال ، ولها أعمال كثيرة ، مدن وحصون وقرى ، مسافة أربعين ميلاً ، وهي تضاهي مدن العراق في كثرة الأشجار والأنهار ، وبالجملة فأمرها عظيم . وقد أسلفنا ذكرها .

واعلم أن بأرض الأندلس من الخصب والنضرة ومعجائب الصنائع وغرائب الدنيا مالا يوجد مجموعته غالباً في غيرها . فمن ذلك ما ذكره الحجاري في المسهب أن السمور الذي يعمل من وبره الفراء الرفيعة ، يوجد في البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة برطانية ، ويجب إلى سرقسطة ويصنع بها . ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذي يصنع بقرطبة قال : هذا السمور المذكور هنا لم أتحقق ماهو ، ولا ماغنى به ، إن كان هو نباتا عندهم ، أو وبر الدابة المعروفة ، فان كانت الدابة المعروفة فهي دابة تكون في البحر وتخرج إلى البر ، وعندها قوة ميز . وقال حامد بن سمجون الطبيب ، صاحب كتاب الأدوية المفردة : هو حيوان يكون في بحر الروم ، ولا يحتاج منه إلا خصاه ، فيخرج الحيوان من البحر في البر ، فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق ، فرما عرض للقناصين مرة أخرى ، فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم ، استلقى على ظهره وقرج بين فخذه ، ليرى موضع خصيه خاليا ، فاذا رآه القناصون كذلك تركوه . قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضاً « الجند بادستر » والدواء الذي يصنع من خصيه من الأدوية الرفيعة ، ومنافعه كثيرة ، وخاصيته في العال الباردة ، وهو حار يابس في الدرجة الرابعة

« والقنلية » ؟ حيوان أدق من الأرنب ، وأطيب في الطعم ، وأحسن وبراً ، وكثيراً ما يلبس فراؤها ، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، ولا يوجد في بر البربر ، إلا ماجاب منها إلى سبته ، فنشأ في جوانبها . قال ابن سعيد : وقد جلبت في هذه المدة إلى تونس حضرة أفريقية .

ويكون بالأندلس من الغزال والأثيل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد في غيرها كثيرا . وأما الأسد فلا يوجد فيها البتة ، ولا الفيل ، ولا الزرافة وغير ذلك ، مما يكون في أقاليم الحرارة . ولها سمع يعرف « باللب »^(١) أكبر بقليل من الذئب ، في نهاية من القحمة ، وقد يفترس الرجل ، إذا كان جائعاً . وبغال الأندلس فارهة ، وخيلها ضخمة الأجسام ، حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو في خيل البرّ الجنوبي . ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول ، وكذلك حيوان البحر . ودوابّ بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد : عاينت من ذلك العجب ، والمسافرون في البحر يخافون منها ، لثلا تقلب المراكب ، فيقطعون الكلام ، ولها نفخ بالماء من فيها يقوم في الجو ، ذا ارتفاع مفرط .

وقال ابن سعيد : قال المسعودي في مروج الذهب : في الأندلس من أنواع الأفاوية خمسة وعشرون صنفاً : منها السنبلي ، والقرنفل ، والصندل والقرفة ، وقصب النريرة ، وغير ذلك . وذكر ابن غالب أن المسعودي قال : أصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران . وكلها من أرض الهند إلا الزعفران والعنبر ، فإنهما موجودان في أرض الأندلس ، ويوجد العنبر في أرض الشحر : قال ابن سعيد : وقد تكلموا في أصل العنبر : فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر ، يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه . قال الحجاري : ومنهم من قال إنه نبات في قعر البحر ، وقد تقدم قول الرازي : إن الحلب ، وهو المقدم في الأفاوية ، والمفضل في أنواع الأشنان ، لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس . قال ابن سعيد : وفي الأندلس مواضع ذكروا أن النار إذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود ، وما أشبهه . وفي جبل شلير أفاوية هندية . قال : وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد في سواحلها قصب السكر ،

والموز ، و يوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يعدم منها إلا التمر . ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفرى بأشبيلية . قال ابن سعيد : وهذان صنفان لم تر عيني ، ولم أذق لهما ، منذ خرجت من الأندلس ، ما يفضاهما . وكذلك التين المسالقي والزبيب المنكبي^(١) والزبيب العسلي والرمان السفرى^(٢) والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره .

وقد ذكر ابن سعيد أيضاً : أن الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة ،

(١) قال لسان الدين بن الخطيب في « معيار الاختبار » عن المنكب : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومخبطها بلدة معقلها منيع وبردها صقيع ، القصر مفتوح الطيقان ، والمسجد المشرف المسكان ، والاثر المنبئ عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود في يد مثاقف ، قد أخذ من الدهر الأمان ، وتشبه بصرح هامان ، وأرهقت جوانبه بالصخر المنحوت ، وكاد أن يصل ما بين الحوت والحوت ، (يريد باحد الحوتين برج الحوت الذي بالسماء وبالثاني سمك البحر ، كناية عن الارتفاع ، أو كما يقولون : من السماء إلى السمك) غصت بقصب السكر أرضها واستوعب به طولها وعرضها ، زبيها فاتق ، وجنابها رائق ، وقد مت إليها جبل الشوار بنسب الجوار منشأ الاسطول ، فوعده غير مطول ، وأمدته لا يحتاج إلى الطول (إلى أن يقول) هو أوها فاسد ، ووباؤها مستاسد ، انتهت فيها السماء وتغيرت بالسائم المسميات والاسماء فأهلها من أجدات بيوتهم يخرجون ، إلى جبالها يعرجون ، والودك إليها مجلوب ، والقمح بين أهلها مقلوب ، والحرباء بعرائها مصلوب

(٢) قالوا انه لما اتسق الأمر لعبد الرحمن الداخل في الأندلس أرسل القاضي معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه باخته أم الاصبع فأبت عن الانتقال وقالت : كبرت سني وأشرفت على انقضاء أجلي ولا طاقة بي على شق القفار والبحار وحسبي أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله . ولما صار معاوية بن صالح إلى عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفرى فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان فيهم رجل يسمى سفر فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به وغرسه حتى علق وتم وأثمر ، فهو اليوم الرمان السفرى . نسب إليه

وأنها في الأندلس التي هي بعض تلك الأرض . وأعظم معدن للذهب بالأندلس ، في جهة « شنت ياقور »^(١) قاعدة الجلالة على البحر المحيط . وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس في شمال الأندلس كثير ، والصُّفْر الذي يكاد يشبه الذهب ، وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها ، والعين التي يخرج منها الزجاج في لبلة مشهورة ، وهو كثير مفضل في البلاد ، منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل^(٢) الذي يجهمز إلى البلاد ، ويفضل على كل طفل بالشرق والمغرب .

وبالأندلس عدة مقاطع للرخام . وذكر الرازي : أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والحجري وفي « ناشرة » مقطع عجيب للعمد و « بياغة » من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة ، موشاة في حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالأندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المرية يحمل إلى البلاد فانه كالدر في رونقه ، وله ألوان عجيبة . ومن عاداتهم أن يضعوه في كيزان الماء وفي الأندلس من الأمان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس من الشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الأحمر ، الذي لا تفوقه حمرة .

قال ابن سعيد : وإلى مصنوعات الأندلس ينتهي التفضيل ، وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير ، فقد اختلفت المرية ومالقة ومرسية بالموشى المذهب الذي يتعجب من صنعته أهل المشرق اذا رأوا منه شيئاً وفي « نيشالة »^(٣) من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق ، ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس الحررة ، الصنف الذي يعرف بالملبد الختم ، ذو الألوان العجيبة . ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الضنعة ، وآلات الصفْر والحديد من

(١) Santiago وهي شنت ياقب أقدس مكان عند نصارى الأندلس

(٢) الفصيح هو الطفل بالضم وبالكسر وهو الطين اليابس

(٣) Jenechtéla

السكاكين ، والمقاصد المذهبة ، وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يهر العقل ، ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ، ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب ، وفخار مزجج مذهب ، ويصنع بالأندلس نوع من المفضض المعروف بالمشرق بالفيسفاء ، ونوع ييسط به في قاعات ديارهم ، يعرف بالزليجي ، يشبه المفضض . وهو ذو ألوان عجيبة ، يقيمونه مقام الرخام الملون ، الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم ، كالشاذروان وما يجري مجراه .

وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر ، فأكثرهم أهل الأندلس ، فيما حكى ابن سعيد ، كانت مصروفة الى هذا الشأن ، ويصنع فيها في بلاد الكفر ما يهر العقول . قال : والسيوف البرديات مشهورة بالجودة ، وبرديل^(١) آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والمشرق . والفولاذ الذي بأشبيلية اليه النهاية . وفي اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره . وقد أفرد ابن غالب في « فرحة الانس » للآثار الاولية التي بالأندلس من كتابه مكانا فقال : منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الأرحى^(٢) التي « بطركونة » على ورن لطيف ، وتديير محكم ، حتى طحنت به ، وذلك من أعجب ما صنع . ومن ذلك ما صنعه الاولون أيضا من جاب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس ، من العين

(١) برديل هي التي يقال لها اليوم بوردو Bordeaux التابعة لفرنسة كان اسمها الأصلي ايام الرومان بورديغاله Burdigala وكان لها شأن عظيم في أيام الرومانيين وصارت الحاضرة العلمية لبلاد الغال . ثم عند ما زحف البرابرة من الشمال مثل الأليدين Alains والسوفييين Suèves والفندال أخذ عمرانها يرجع الى الورا و سنة ٤١٣ للمسيح استولى عليها القوط ثم أخذها منهم الفرنج لعهده كلوفيس سنة ٧٢٩ شن العرب عليها الغارة وذهب دوق اkitانية التي كانت برديل تابعة له مستصرخا شارل مارتل الى ان جرت واقعة بلاط الشهداء التي محص فيها العرب وانقطع املهم من التوغل في أوربة

(٢) تجمع الرحي على أرح ورُحى وارحاء ونادراً على ارحية

التي في اقليم الاصنام ، جلبوه في جوف البحر في الصخر الجوف ، ذكرأ في اثى ، وشقوا به الجبال ، فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور ، فاذا صادف مسبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى أن انتهى به الى البحر ، ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس ، والبنيان الذى دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين . قال ابن سعيد : الى وقتنا هذا .

ومنها الرصيف المشهور بالاندلس ، قال في بعض أخبار رومية : انه لما ولى يوليس المعروف بجاشر ، وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها ، كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية ، الى المشرق منها والى المغرب ، والى الشمال والى الجنوب ، ثم بدأ بفرش المبلة ، وأقبل بها على وسط دائرة ، الى أن بلغ بها أرض الاندلس ، وركزها شرقى قرطبة ، ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلى قرطبة ، الى شقندة ، الى استجة ، الى قرمونة ، الى البحر ، وأقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه ، من مدينة رومية ، وذكر انه أراد تسقيفها في بعض الاماكن ، راحة للخاطرين ^(١) من وهج الصيف ، وهول الشتاء ، ثم توقع أن يكون ذلك فساداً في الارض ، وتغيراً للطرق ، عند انتشار اللصوص ، وأهل الشر فيها في المواضع المنقطعة النائبة عن العمران ، فتركها على ما هي عليه .

وذكر في هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير إلا الصنم الذى بطرف جايقية . وذكر قطره طابطة ، وقنطرة السيف ، وقطرة ماردة ، وملعب مريبتر ^(٢)

(١) لم يرد في فصيح اللغة « الخاطر » بمعنى المسافر وإنما هو من استعمال العوام وقد تابعهم فيه بعض المؤلفين

(٢) كان يقال لبلدة مريبتر في الماضى ساقنتو Saginto وهى مدينة ايبيرية استولى عليها القرطاجنيون في زمن انيبال الذى جاء بعد سدروبال ونازعهم عليها الرومانيون فحرت وقائع هائلة فاستولى القرطاجنيون على ساقنتو في أول الأمر الا أنها سنة ٢١٤ قبل المسيح آلت الى الرومانيين . والملعب العظيم الذى فيها هو من آثار هؤلاء

قال ابن سعيد: وفي الأندلس عجائب. منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر العمامة لها بالأندلس ما ذكرتها، فإن خبرها عندهم شائع متواتر، وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها، وهم جم غفير، وهي شجرة زيتون، تصنع الورق والنور والتمر من يوم واحد معلوم عندهم، من أيام السنة الشمسية (١).

ومن العجائب: السارية التي بغرب الأندلس، يزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان إذا أحبوا المطر أقاموها، فطر الله جهنم؟ ومنها صنم قانس، طول ما كان قائماً، كان يمنع الرياح أن تهب في البحر المحيط، فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه، فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن، صارت السفن تجرى فيه؟ وبكورة «قبرة» مغارة ذكرها الرازي، وحكي أنه يقال إنها باب من أبواب الرياح، لا يدرك لها قعر؟ وذكر الرازي أن في جهة قلعة «ورد» جبلا فيه شق في صخرة، داخل كهف، فيه فأس حديد متعلق من الشق الذي في الصخرة، تراه العيون وتلمسه اليد، ومن رام إخراجه لم يطق ذلك، وإذا رفعت اليد ارتفع وغاب في شق الصخرة، ثم يعود إلى حالته (٢). وأما ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب، فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب، ولم أذكرها أنا. والله أعلم بحقيقة أمرها.

وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس قال: وذكره سيف بن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، والله أعلم بضحة ذلك. ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم. قال سيف: وذلك أن عثمان ندب جيشا من القيروان إلى الأندلس، وكتب لهم: أما بعد، فإن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس، فانكم إن فتحتموها، كنتم الشركاء في الأجر والسلام اه. قلت عهدة هذه الأمور على ناقلها، وأنا برى، من

(١) لم نسمع بذكر شجرة كهذه في عصرنا الحاضر

(٢) وهذا الفأس أيضاً لم نسمع بخبره في هذا الزمن

عهدتها^(١) ، وإن ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد ، فإنها عندي

(١) قلت : ان هذا الخبر أقرب جدا إلى العقل من خبر الزيتونة التي تورق وتثمر في يوم واحد ، وكذلك من خبر الفأس الذي لا يقدر أحد أن يرفعه من المغارة . . . بل الخبر المروي عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه عدا قربه للعقل له آثار ترجع إليه . وفي آخر كتابي « غزوات العرب في أوربة » ، الذي طبع سنة ١٣٥٢ فصل بقلم الأستاذ السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي يتعلق بهذا الموضوع قال في أوله ان أول واضع لخطة الفتوحات الاسلامية في أوربة هو الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فإنه حين ندب أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح بلاد شمالى افريقية وواقته البشائر بفوز جيوشه على جيوش جيجير والى جيطلة من قبل البيزنطيين ندب القائدين البحرين الجليلين عبد الله بن عبد القيس وعبد الله ابن نافع بن الحصين الفهريين وكانا على الأسطول فأمرهما بالمسير إلى الأندلس وكتب لهما وصية سياسية في ذلك تلك الوصية الخالدة التي يقول فيها : إن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن فتحتم ما أتم بسبيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر . وقد اتخذ ولاية شمالى افريقية وقواد أجنادها هذه الوصية نبراساً لسياستهم الاسلامية التي يسرون عليها . وأول أمير شرع في إعداد الوسائل والمعدات لتنفيذ تلك الوصية الامير حسان بن النعمان شيخ وزراء الدولة الاموية بعد أن دان له شمالى افريقية بالطاعة فقد أنشأ ببناء قرطاجنة دار الضاعة لبناء السفن والاساطيل وصنع الاسلحة وجلب لها الصناع من قبط مصر وسار على منهاجه في ذلك مولاه طارق بن زياد بعد أن ولى المغرب فجاز بجميوشه أرض العدو وناجز الأندلسيين سنة ٩٢ ثم تلاهما في ذلك اسماعيل بن أبي المهاجر الذي تقلد إمارة شمالى افريقية في عهد عمر بن عبد العزيز فأغزى أساطيله جنوبي أوربة سنة ١٠٥ وكانت قيادتها لعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ولم يعد الا بعد أن أئخن في ايطالية . وهذه الغزوة تعتبر كبشير لانقاذ الايطاليين من حكم البيزنطيين الطغاة . وفي ولاية عبيد الله بن الحبحاب لافريقية جهز أسطولا كبيرا جعل إمارته لقائد جيوشه الموفق حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهرى فغزاها سنة ١٢٣ ونسكل فيها بالبيزنطيين أشد تنكيل . ولولم تحصل ثورة البربر ضد الحكم العربي بسبب تخميس أعشارهم لتلك شطوط ايطالية وطهرها من حكم البيزنطيين كما فعل ذلك من قبل حسان بن النعمان في شمالى افريقية . وفي سنة ٢٠٧

لا أصل لها ، وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس ؟ مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد ! وإنما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير . والله أعلم .

قال ابن سعيد : وميزان وصف الأندلس ؛ أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار ،

بعد استقرار الدولة الأغلبية جهز زيادة الله الأكبر أسطولا بامارة قائده محمد بن عبد الله التميمي لمنازلة سردينية ثم أعاد عليها الكرة سنة ٢١٢ وكانت إمارة الجيوش في هذه المرة لقاضي القضاة الامام أسد بن الفرات فملك «مازره» وحاصر «سركوسة» وحول أسوارها وأدركت الامام الشهادة رضى الله عنه سنة ٢١٣ فتولى القيادة العامة صاحب اسطول الأندلس القائد أصبغ المعروف بفرغلوسن . وبعد أن استقرت الأمور في البلاد المفتوحة قلد زيادة الله إمارة إيطالية لابن أخيه ابراهيم بن عبدالله بن الأغلب وما زال متوالياً للجهاد حتى فتح بليرم ونابولي . له ومن شاء الاطلاع على تنمة البحث فليراجعه في كتابنا «غزوات العرب في أوربة» ، ولقد قابلت روايات الشيخ الثعالبي بالكتب المعتمدة في التاريخ فلم أجد إلا ما يؤيدها قال أبو الفداء : في أيام عثمان فتحت أفريقية وكان المتولى لذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولما فتحت أفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع إلى افريقية ، سنة ثمان وعشرين استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فسير معاوية إلى قبرص جيشا وسار إليها أيضا عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها وقتلوا أهلها ثم صولحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة . وجاء في تاريخ «البيان المغرب» في أخبار المغرب ، لابن عذارى المراكشي خبر غزو معاوية ابن حديج لجزيرة صقلية في مائتي مركب . ولم أجد شيئا فيه نظر من كلام الاستاذ الثعالبي إلا إهماله ذكر موسى بن نصير في فتح الأندلس ، وجعله طارق بن زياد مولى لحسان بن النعمان ، والحال أن طارق كان مولى موسى بن نصير وهو الذى أغزاه الأندلس وأما قول المقرئ في النفتح : وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد . فليس بشيء لأن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمرهم بأن يغزوا الأندلس وكانوا في ذلك الوقت يحسبون جزائر غربي البحر المتوسط كلها من الأندلس فغزوها وأرادوا أن يعملوا بفكرة عثمان بغزو نفس الأندلس الكبيرة عند أول فرصة تلوح لهم فبقيت هذه الفكرة تتخمر في رؤوس عمال الخلافة على أفريقية إلى زمن موسى بن نصير عامل الوليد الاموى فخرجت من القوة إلى الفعل

فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، فمضى سافرت من مدينة إلى مدينة لاتكاد تنقطع من العمارة ، ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحارى فيها معدومة ^(١) .
ومما اختلفت به أن قراها في نهاية من الجمال ، لتصنع أهلها في أصناعتها وتبييضها ،
لثلاثين العيون عنها ، فمضى كما قال الوزير بن الحجازة فيها :

لَا حَتَّ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةِ أَيُّكِيهَا كَالدُّرِّ بَيْنَ زَبْرَجِدٍ مَكْنُونِ

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين بسوادها ، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها . وفي الأندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة للمصرة من مثلها . والمثال في ذلك أنك إذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر ، مدينة شريش ، وهي في نهاية من الحضارة والنضارة ، ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ، ثم مالقة . وهذا كثير في الأندلس . ولهذا كثرت مدنها ، وأكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو ، فحصل لها بذلك التشييد والتزين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة ، لامتناع معاقبتها ، ودربة أهلها على الحرب ، واعتيادهم لمجاورة العدو بالطمع والضرب ، وكثرة ما تتخزن الغلة في مطاميرها ، فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة .

قال ابن سعيد : ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن ، وان كان العدو قد نقصها من أطرافها ، وشارك في أوساطها ، ففي البقية منعة عظيمة ، فأرض بقي فيها مثل اشبيلية ، وغرناطة ، ومالقة ، والمرية ، وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المصرة ، الرجاء قوى فيها بحول الله وقوته . انتهى . قلت قد خاب ذلك الرجاء ^(٢) ، وصارت تلك الأجزاء للكفر معرجا ، ونسأل الله تعالى ، الذي جعل

(١) يريد بقوله إن الصحارى فيها معدومة ، الأندلس القديمة ، أى الولايات الجنوبية من أسبانية . فاما شمال أسبانية ففيه صحراء شاسعة واسعة جاء في دليل بديكر أن هذا البسيط المتوسط كان من جملة الصحارى لو لم يكن العرب أنشأوا له نظام رى جرّوا به المياه إليه لحياته ولا تزال بقايا آثارهم في ذلك مدهشة للناظرين
(٢) نعم خاب ذلك الرجاء كما قال المقرئ وبعد ان كان في الأندلس خمسة عشر

لهم فرجا ، وللضيق مخرجا ، أن يعيد اليها كلمة الاسلام ، حتى يستنشق أهله منه فيها
أرجا . آمين !

(ومن غرائب الاندلس) البيلتان ^(١) اللتان بطليطلة ، صنعهما عبد الرحمن ،
لما سمع بخبر الطلمس الذي بمدينة أرين من أرض الهند . وقد ذكره المسعودي ، وانه
يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فصنع هو هاتين البيلتين خارج
طليطلة ، في بيت مجوف ، في جوف النهر الاعظم ، في الموضع المعروف بباب الدباغين
ومن عجبهما انهما يمثلان وينحسران مع زيادة القمر وتقصانه ، وذلك ان أول
انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء ، فاذا أصبح ، كان فيهما سبعهما من الماء ، فاذا
كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع
حتى يكمل في الشهر سبعة أيام وسبع ليال ، فيكون فيهما نصفهما ، ولا تزال كذلك
الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة ، حتى يكمل امتلاؤها بكامل القمر ، فاذا كان في
ليلة خمسة عشر ، وأخذ القمر في التقصان ، نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف
سبع . فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء . واذا تكلف
أحد حين ينقصان أن يملأهما ، وجلب لها الماء ، ابتلعتا ذلك من حينها حتى لا يبقى
فيهما إلا ما كان فيهما في تلك الساعة . وكذا لو تكلف عند امتلائهما أفراغهما ، ولم
يبق منهما شيئا ، ثم رفع يده عنهما ، خرج فيهما من الماء ما يملأهما في الحين . وهما
أعجب من طلمس الهند ، لأن ذلك في نقطة الاعتدال ، حيث لا يزيد الليل على

مليون مسلم لم يبق منهم فيها الا خمسة عشر مغرباً في جبل طارق يتعاطون البيع والشراء
وبعد ان كان فيها خمسة عشر الف مسجد احدها مسجد قرطبة الذي يسع ثمانين الف
مصل لم يبق فيها الا مسجد يسع ثلاثين مصلياً داخل دار بجبل طارق تخص حكومة
المغرب صليت فيه يوم زرت الجبل المذكور (وتلك الايام نداؤها بين الناس)

(١) البيلة هي صهريج منحوت من رخام او حجر وكثيراً ما يذكر في تواريخ
المغرب ان فلانا صنع في المسجد أو القصر بيلة أو بيلتين . وفي فاس بالمدرسة العنانية
بدار الوضوء بيلة جلبها ابو عنان المريني

النهار . وأما هاتان فليستا في مكان الاعتدال ، ولم تزالا في بيت واحد ، حتى ملك النصارى ، دمرهم الله ! طليطلة ، فأراد الفنش ^(١) أن يعلم حركاتهما ، فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليهما الماء ، وكيف الحركة فيهما ، فقلعت ، فبطلت حركتهما ، وذلك سنة ٥٢٨ .

وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودى الذى جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد ، وذلك سنة ٥٢٧ ، وهو الذى أعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها ، فأراد أن يكشف حركة البيلتين ، فقال له : أيها الملك ، أنا أقلمهما وأردهما أحسن مما كانتا ، وذلك انى اجعلهما تمثلتان بالنهار وتحسبران فى الليل . فلما قلعت لم يقدر على ردها ، وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ، ولم تنزل الاخرى تعطي حركتها . والله أعلم بحقيقة الحال .

وقال بعضهم فى أشبيلية : إنها قاعدة بلاد الاندلس ، وحاضرتها ، ومدينة الادب واللاهو والطرب ، وعلى ضفة النهر الكبير ، عظيمة الشان ، طيبة المكان ، لها البر المديد والبحر الساكن ، والوادى العظيم ، وهى قريية من البحر المحيط ، إلى أن قال : ولو لم يكن لها من الشرف الاموضع الشرف المقابل لها ، المطل عليها ، المشهور بالزيتون الكثير ، الممتد فراسخ فى فراسخ ، لكفى ، وبها منارة ^(٢) فى جامعها ، بناها يعقوب

(١) Alphonse وقد يقول له العرب الاذفنش

(٢) يقال لهذه المنارة عند الاسبانول الخيرالده La Giralda وهى أعجوبة أشبيلية جاء فى دليل بديكر أن هذه المنارة كانت منارة الجامع الأعظم بناها المهندس العربى جابر يعقوب بن يوسف سلطان الموحدين بين سنة ١١٨٤ للمسيح وسنة ١١٩٦ وقد وضع فيها بقايا أبنية قديمة لوجود كتابات رومانية لا تزال فى حيطانها وهى مبنية من الطوب كلما ازداد ارتفاعها تزداد ضيقا وهى فى الغاية والنهائة من تناسب الخطوط وقاعدتها مربع يبلغ ١٣ متراً و ٥٥ من جهة إلى جهة وسمك الحائط من مترين وثمانية إلى مترين وثلاثين ومن جهتها الشمالية يوجد تجويفان فيهما تصاوير محوطة من رسم لويس بركاش Vargas . وعند ما يبلغ العلو ٢٥ متراً يصير السطح الاعلى

المنصور ، ليس في بلاد الاسلام اعظم بناء منها . وعسل الشرف يبقى حيناً لا يتراكم ولا يتبدل ، وكذلك الزيت والتين . وقال ابن مفلح : ان أشبيلية عروس بلاد الأندلس لان تاجها الشرف ، وفي عنقها سمط النهر الاعظم ، وليس في الارض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهاى دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الاطيار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السرح من جانبه عشرة فراسخ ، في عمارة متصلة ، ومنارات مرتفعة ، وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى ، وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر ، والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس ، وقصب السكر . ويجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يعصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى . انتهى ملخصاً .

للجدران بجانب النوافذ مغطى بشبكات من الطوب ومزينا بمحاريب . وقد أفسد المنظر البديع الذى كان لهذه المنارة ماتوجوها به في أيام العهد المسيحى فان قسيس الكنيسة العظمى قد أزال القمه المحرمة التى كانت تنتهى بها المنارة وجعل مكانها أبنية مربعة تنهى بقبة عليها كتابة وصورة امرأة تمثل « الايمان » وكان هذا البناء الذى شوهاوا به هذه المنارة سنة ١٥٦٨ وعلو « الخيرالده » عن الارض ٩٣ متراً . ٥١ .

هذا وقد صعدت إليها يوم زرت اشبيلية وهى من أبداع آثار العرب فى أسبانية وإلها يقصد السياح من أقطار الأرض ويسرح النظر من أعلاها فيما لا نهاية له . ولكننى لم أعلم من أين جاء اسمها هذا « الخيرالده » ، إلا إن كان محرفاً عن « الخالده » ويعقوب المنصور سلطان الموحدين كان من أعظم ملوك الاسلام وأفخمهم آثاراً وله فى الرباط من العدو جامع حسان الشهير كان قائماً على ٤٠٠ سارية محيط كل منها ١٤ شبراً وطولها يزيد من ٢٠ شبراً ومساحة الجامع ٢٦٥٩ متراً مربعاً وكانت له منارة علوها يزيد على ٦٠ متراً ومحيطها ٢٤٠ شبراً وكانت هذه المنارة أعجوبة من الأعاجيب وكانت أشبه شئ بمنار الاسكندرية ولا تزال ماثلة تشهد بعلو همة المنصور فليست منارة اشبيلية هى الفذة من آثاره الخالدة

ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال : لا يتزود فيها أحد ما حيث سلك ، لكثرة أنهارها وعيونها ، وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن المعقل والقرى ما لا يحصى ، وهى بطاح خضر ، وقصور بيض . قال ابن سعيد : وانا أقول كلاماً فيه كفاية : منذ خرجت من جزيرة الاندلس ، وطففت في بر العدو ، ورأيت مدنها العظيمة كمرآة كاش وفاس وسلا وسبتة ، ثم طففت في أفريقية ، وما جاورها من المغرب الاوسط ، فرأيت بجاية وتونس ، ثم دخلت الديار المصرية ، فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط . ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس في مياهها وأشجارها ، إلا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام . وفي حماة مسحة اندلسية . ولم أر ما يشبهها من حسن المباني والتشييد والتصنيع إلا ما شيد بمراكش في دولة بنى عبد المؤمن^(١) ، وبعض أماكن في تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ، ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ، ومباني حلب داخلية فيما يستحسن لأنها من حجارة صلبة ، وفي وضعها وترتيبها اتقان ، انتهى . ومن أحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سفر المريني والاحسان له عادة :

في أرض اندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراً

(١) من أحسن ما كتب عن آثار البناء الباهرة في المغرب كتاب اسمه « مرا كش ومدن الصناعة الفنية التى منها طنجة وفاس ومكناس والرباط و مرا كش فيه ٢٢٧ صورة لتلك الآثار الباهرة والمعالن الزاهرة مؤلفه - بيار شامبيون Peirre Champion

Le Maroc et ses villes d' Art

والقارىء يجد فى هذا الكتاب من المناير التى أنشأها يعقوب المنصور فى المغرب ما لا يقل حسناً وبداعاً وفخامة عن منارة اشبيلية ويرى من آثار المرينيين والسعديين والعائلة المالكة اليوم ما لا تفى العبارات بأوصافه مهما ملك الكاتب من ناصية البيان . وقد قال الأخوان السكتان جيروم وجان تارو من مشاهير كتاب فرنسا : إن من لم يشاهد فى حياته مقبرة الملوك السعديين فى مرا كش لم يدرك إلى أية درجة من الارتقاء بلغت المدنية الاسلامية .

وليس في غيرها بالعَيْش مُنتَفَعٌ
 وأين يُعدّلُ عن أرضٍ تحضُّ بها
 وكيف لا يُبهِجُ الابصارَ رؤيتها
 أنهارها فِضَّةٌ ، والمِسْكُ تُربتها
 وللهواء بها لطفٌ يَرِقُّ به
 ليس النسيم الذي يهفو بها سحرًا
 وإنما أَرَجُ النَّدِّ استنارَ بها
 وأين يبلغُ منها ما أُصنِّفُهُ ؟
 قد ميّزت من جهات الأرض حين بدت
 دارت عليها نطاقًا أُجْرُ خَفَقَتْ
 لذلك يَبْسُمُ فيها الزهرُ من طَرَبٍ
 فيها خَلَعَتْ عِذارِي ما بها عِوضٌ
 والله درابن خفاجة حيث يقول :

مُجْتَلِي مَرَأَى وريا نفس
 ودُجَى ظَلَمَتِهَا مِنْ لَمَسِ
 صِحَّتْ : وَأَشَوْقِي إِلَى الأندلس !
 إن للجنة بالأندلس
 فسَى صُبِحَتِهَا مِنْ شَبَبِ
 فاذا ما هبَّت الرِّيحُ صَبًّا

وقد تقدمت هذه الأبيات . قال ابن سعيد . قال ابن خفاجة هذه الأبيات وهو بالمغرب الأقصى ، في بر العدو ، ومنزله في شرق الأندلس بجزيرة شقر . وقال ابن سعيد في المغرب مانصه : قواعد من كتاب الشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشاركة والمغاربة ، أول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالأندلس فنقول : إنها مع ما بأيدي عباد الصليب منها ، أعظم سلطنة ، كثرت ممالكها ، وتشعبت في

وجوه الاستظهار للسلطان إعاتها ، وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه ، لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها ، في المائة الرابعة ، وذلك أنه لما وصفها قال : وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة ، طولها دون الشهر ، في عرض تيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية ، والشجر والثر ، والرخص والسعة في الأحوال ، من الرقيق الفاخر ، والخصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية فيها ، ولما هي به من أسباب رغد العيش ، وسعته وكثرته ، يملك ذلك منهم مهاتهم ، وأرباب صنائعهم ، لقلة مؤنتهم ، وصلاح معاشهم وبلادهم . ثم أخذ في عظم سلطانها ، ووصف وفور جباياتها ، وعظم مراقفه ، وقال في أثناء ذلك : وما يدل بالقليل منه على كثيره ، أن سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير ، دخلها في كل سنة ، مائتا ألف دينار ، وصرف الدينار سبعة عشر درهماً ، هذا إلى صدقات البلد وجباياتها ، وخراجاته وأعشاره ، وضماناته ، والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة ، وغير ذلك ^(١) .

وذكر ابن بشكوال أن جباية الأندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفاً من السوق ، والمستخلص ^(٢) سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ^(٣) ثم قال ابن حوقل : ومن أعجب ما في هذه

(١) نقلنا فيما تقدم جميع ما ذكره ابن حوقل عن الاندلس

(٢) هو ما يقال له اليوم « الخزينة الخاصة » وكان لسان الدين بن الخطيب يقول « مستخلص السلطان »

(٣) قال لاوى بروفنسال في كتابه « اسبانية المسئلة في القرن العاشر » ما يلي : « أما من جهة مجموع دخل الخزانة في أيام خلافة بني أمية بالاندلس لعهد الناصر فقد وردت بشأنه شهادة يزيد قيمتها صدورها عن رجل هو اميل إلى التنزيل من قدر الامويين منه إلى التعظيم من امرهم وهو ابن حوقل الذي أقام مدة بقرطبة وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر فهو يقول إن دخل خزانة الخلافة من أول تولى الناصر إلى سنة ٣٤٠ (٩٥١) بلغ عشرين مليون دينار ذهب وثلثمائة وأربعين مليون درهم

الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، وتقص عقولهم ، وبعدهم من البأس والشجاعة ، والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الانجاد والأبطال ، مع علم أمير المؤمنين بمحطها في نفسها ، ومقدار جباياتها ، ومواقع نعمها ولذاتها . قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب : لم أر بدءاً من إثبات هذا الفصل ، وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء ، والهمم والشجاعة ، فمن الذين دبروها بأرائهم وعقولهم ، مع مرصدة أعدائها لجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حموها ببساتهم من الأمم المتصلة بهم ، في داخلها وخارجها ، نحو ثلاثة أشهر ، على كلمة واحدة ، في نصرة الصليب وإني لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلفت فيه عبّاد الصليب إلى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبة العظمى ، حتى إنهم دخلوا مدينة حلب ، وما أدراك ! وفعلوا فيها ما فعلوا ، وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ

ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم ، فيسبون ويأسرون ، فلا تجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض ، فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب .

وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره ، وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره . وإنما كانت الفتنة بعد ذلك .

من الفضة وهو مبلغ عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر . ولقد كان هذا الدخل مضاعفاً في أيام الحكم المستنصر فبلغ إذ ذاك أربعين مليون دينار . اهـ وسنعود إلى هذا البحث عند الكلام على التاريخ

الاعلام بينة ، والطريق واضح ^(١) . فلنرجع إلى ما نحن بسبيله .
كانت سلطنة الأندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها
من سلاطين أفريقية ، واختلاف الولاة داع إلى الاضطراب ، وعدم تأثر الأحوال
وتربية الضخامة في الدولة ^(٢) : ولما صارت الأندلس لبني أمية ، وتوارثوا ممالكها ،
وانقاد اليهم كل أبي فيها ، وأطاعهم كل عصي ، عظمت الدولة بالأندلس ، وكبرت
الهمم ، واستتبت الأحوال ، وترتبت القواعد . وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون
لأنفسهم بأبناء الخلائف . ثم خطبوا لأنفسهم بالخلافة ، وملكوا من بر العدة

(١) هذا البحث قد تقدم عند نقلنا عن ابن حوقل وهو عبارة عن مناقشة بين
مسلى الشرق والغرب كل فريق منهما يعير الآخر ويتهمه بخذلان قومه وقد أوردنا
حكمتنا في ذلك وقلنا إن الجميع في هذا المرض سواء وانهم بعضهم ببعض أشبه من الماء
بالماء ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) أصاب الكاتب هنا المحز ، وما لاجدال فيه ان تعاقب الولاة المستمر على القيروان
وبالتالى تعاقب امراء الاندلس الذين كانوا يتولونها من قبلهم لا يكاد الواحد منهم يصل
إلى قرطبة حتى يأتي الخبر بعزله قد كان الاصل الاصيل في اضطراب حبل الادارة وفي
وقوف الفتوحات العربية في أوربة لأن الثبات والاطراد هما من اهم شروط النجاح .
فلما صار الحكم إلى بني أمية في قرطبة واستقر بها ملكهم وتوطد سلطانهم عظمت الدولة
في الاندلس ورسخت العزائم وسمت الهمم واستتبت القواعد كما قال . غير أن هناك
ملاحظة لا بد منها وهي أن الجهاد العربي في أوربة أيام وحدة الخلافة كان وراءه الجيوش
الجرارة تزحف من أقاصى خراسان إلى فارس إلى العراق إلى الشام إلى مصر إلى المغرب
فلا ينقطع مددها ولا يكاد يحصى عددها . فلما انفصلت الأندلس عن الخلافة العباسية
انفردت الأندلس بنفسها ولم يبق لها معول في الجهاد الا على مسلى الأندلس وحدهم
وهؤلاء دائرتهم محدودة ومادتهم منحصرة وليسوا أكفاء بأنفسهم لاهم النصرانية
التي هي أمامهم كالجحج البحر الاخضر . فن بعد افتراق الأندلس عن الخلافة العباسية
انقطع ما بينها وبين سائر بلاد الاسلام وأصبحت يتيمة غريبة مقطوعة الظاهر الا ما كان
يرد عليها في الاحياء من مجاهدين ومهاجرين من المغرب الاقصى دون سواء وشتان
بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذى كان ينظم ما بين الشرق والغرب

ما ضخمت به دولتهم ، وكانت قواعدهم إظهار الهيبة ، وتمكن الناموس من قلوب العالم ، ومراعاة أحوال الشرع في كل الأمور ، وتعظيم العلماء ، والعمل بأقوالهم ، وإحضارهم في مجالسهم ، واستشارتهم ، ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان ، منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفهم ، أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وأنهم كانوا في نهاية من الانقياد إلى الحق ، لهم أو عليهم ، بذلك أنضبط لهم أمر الجزيرة .

ولما خر قوا هذا الناموس ، كان أول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل (١)
وكانت ألقاب الأول منهم الأمراء أبناء الخلائف ، ثم الخلفاء أمراء المؤمنين .

(١) أمراء بني أمية في قرطبة كانوا على وجه الاجمال على استقامة في أمورهم ولم يخرج منهم من يجاهر بالفسق كما خرج من أمراء بني أمية في دمشق . وكانوا في الاندلس مذعنين للحق مهتمين لشعائر الاسلام متحلين بحلي التقوى ومجاهدين في سبيل الله ولم يتهتك أمرهم بسبب فسق أو ظلم أو أهمال للحكم ، ولكن اراد الله أن يكون هشام بن الحكم المستنصر فسلا ضعيفاً لا يقدر على ادارة أمور المملكة بنفسه فاستبد بالامر الحاجب المنصور بن أبي عامر وحجر على الخليفة ولم يبق له شيئاً فاحفظ ذلك بني أمية وأعوانهم وكثيراً من ابناء البيوتات العربية الذين غصوا بمكان العامريين ولم تتحمل نفوسهم هذا الاستئثار من هؤلاء بالدولة فصاروا قاعدين لهم كل مرصد حتى يثبوا عليهم ويعيدوا الامر كما بدأ . وكان المنصور وابنه المظفر يعلمان ما يجيش في صدور الاموية وبيوتات العرب من الحقد عليهم فأخذوا باستعمال البربر وعولا عليهم وواقعا العداوة والبغضاء بين العرب والبربر وكان كل منهما من الحزم والتدبير بحيث استوسق له الامر فلما جاءت دولة شنجول ابن المنصور وكان فسلا فاسد التدبير تمكن الامويون من اسقاطه واشتعلت الفتنة التي أسالت الدماء جداول في قرطبة ووقع بين العرب والبربر ما كان السبب في صدع وحدة الدولة وظهور ملوك الطوائف واستئساد طواغيت لاسبانيول واسترجاعهم كثيراً من الحصون والمدن وباختصار رجعت النصرارى في الاندلس فكروا على المسلمين وكانوا أو شكوا أن يقلعوه من الاندلس تماماً لولا نصره الدول المغربية كالمرابطين ثم الموحدين ثم بني مرين الذين نسأوا في اجل إسلام الاندلس نحواً من ثلاثمائة سنة بالاقبل

إلى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض ، وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتبت عليه ^(١) . فاستبدت ملوك المالك الأندلسية ببلادها ، وسُمّوا بملوك الطوائف . وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين ، وإن لم يبق لهم خلافة . ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على إمامتهم ^(٢) ، وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك حتى في الألقاب ، فأل أمرهم إلى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء ، وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى ، وذلك بما في جزيرتهم من أسباب الترفه والضحامة ، التي تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم ، وتهض بهم للباهاة

ولأجل توثيقهم على النعوت العباسية قال ابن رشيقي القيرواني :

مما يزهدني في أرض أندلس تلقيب المعتضد فيها ومُعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وكان عباد بن محمد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد ، واقتفى سيرة المعتضد العباسي أمير المؤمنين . وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمُعتمد . وكانت لبني عباد مملكة اشبيلية ، ثم انضاف إليها غيرها . وكان خلفاء بني أمية يظهرون للناس في الأحيان على أبهة الخلافة ، ولهم قانون في ذلك معروف إلى أن كانت الفتنة ، فأذرت العيون ذلك الناموس ، واستخفت به . وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوي ، الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالأندلس ، يتعاطمون ، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس ، وكانوا إذا حضرهم منشد لمُدح ، أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم ، يتكلم من وراء حجاب ، والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة . ولما حضر ابن مقانا الاشبوني أمام حاجب إدريس بن يحيى

(١) يشير إلى استئثار العامريين بالأمر وغلبيتهم على الخلافة وما آل إليه ذلك من الفتنة التي بددت شمل الأمة وأظهرت ملوك الطوائف

(٢) مثل ابن مردنيش وغيره

الحمودي ، الذي خطب له بالخلافة في مالقة ، وأنشده قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله :

وَكأنَّ الشَّمسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ فأنثنت عنها عيون الناظرين
وَجَهْ إدريس بن يحيى بن عليّ بن حمود أمير المؤمنين
وبلغ فيها إلى قوله :

انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين
رفع الخليفة الستر بنفسه وقال : انظر كيف شئت . وانبسط مع الشاعر وأحسن إليه . ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة ، وكثير من العامة ، ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد ، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ، ويجب أن يشهر عنه ذلك . عند مباديه في الرياسة . ومذ وقعت الفتنة بالأندلس ، اعتاد أهل الممالك المنفردة الاستبداد على إمام الجماعة ، وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة ، كما يتوارث ملوكها الملك ، ومرنوا على ذلك ، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد ، وتمكن العدو منهم بالتفرق ، وعداوة بعضهم لبعض ، بقبيح المنافسة والطمع إلى أن انقادوا إلى عبد المؤمن وبنية ، وتلك القواعد في رؤوسهم كامنة ، والثوار في المعامل ثور ، وتروم الكربة ، إلى أن نار ابن هود ، وتلقب بالمتوكل ، ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدو^(١) ، مهيأة للاستبداد . فلما كان في محاولة ، مع الجهل المفرط ، وضمف الرأي . وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشى في الأسواق ، ويضحك في وجوههم ، ويباردهم بالسؤال ، وجاء للناس منه مالم يعتادوه من سلطان ،

(١) عند ما ظهرت ملوك الطوائف وأخذ بعضهم يغزو بعضاً والعدو يستفيد من الغازي والمغزو ويهتبل كل غرة ، خاف المرابطون ومن بعدهم الموحدون أن يسقط الإسلام كله في الأندلس ، فخفوا لنجدته وأجازوا إلى الجزيرة بالجيوش الجرارة واستولوا على أكثر ما كان بأيدي ملوك الطوائف . ولكن بعض هؤلاء كانوا يجاذبونهم الجبل مثل ابن هود مثلاً وطالما استظهروا بالأسبانيول على دول بر العدو .

فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء ، وكان كما قيل :

أُمُورٌ يَضْحَكُ السَّفَهَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا الْحَلِيمُ

فآل ذلك إلى تلف القواعد العظيمة ، وتملك الأمصار الجلييلة ، وخروجها من يد الاسلام ، والضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في السلطان ، أنهم إذا وجدوا فارساً يبرع الفرسان ، أو جواداً يبرع الأجواد ، تهافتوا في نصرته ، ونصبوه ملكاً من غير تدبير في عاقبة الأمر ، الام يؤل ؟ وبعد أن يكون الملك في مملكة قد توورت وتداولت ، ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها ، قد شهرت عنه وقائع في العدو ، وظهر منه كرم نفس للأجناد ، ومراعاة ، قدموه ملكاً في حصن من الحصون ، ورفضوا عيالهم وأولادهم إن كان لهم ذلك بكرسي الملك ، ولم يزالوا في جهاد وتلاف أنفس ، حتى يظفر صاحبهم بطلبته . وأهل المشرق أصوب رأياً منهم في مراعاة نظام الملك ، والمحافظة على نصابه ، لثلا يدخل الخلل الذي يقضى باختلال القواعد ، وفساد التربية ، وحل الأوضاع ، ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه .

لما كانت هذه الفتنة الأخيرة بالأندلس ، تمخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ، ويعرف الرجل بابن الأحمر ، كان يكثر مغاورة العدو من حصنه ، وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة ، إلى أن طار اسمه في الأندلس ، وآل ذلك إلى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ، ثم نهض فملك قرطبة العظمى ، وملك اشبيلية ، وقتل ملكها الباجي ، وملك جيان ، أحصن بلد بالأندلس ، وأجله قدرأ في الامتناع ، وملك غرناطة ومالقة ، وسموه بأمير المسلمين . فهو الآن المشار إليه بالأندلس والمعتمد عليه

وأما قاعدة الوزارة بالأندلس فانها كانت في مدة بنى أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير ، فيسميه بالحاجب ، وكانت هذه المراتب لضبطها

عندهم كالتوارثة في البيوت المعلومة^(١) لذلك ، إلى أن كانت ملوك الطوائف ، فكان الملك منهم ، لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية ، وأنه كان نائباً عن خليفهم يسمّى بالحاجب^(٢) . ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به ، وهى موجودة في أمداح شعرائهم وتواريخهم ، وصار اسم الوزارة عامّاً لكل من يجالس الملوك ، ويختص بهم ، وصار الوزير الذى ينوب عن الملك ، يعرف بذى الوزارتين^(٣) ، وأكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك ، بل عالماً بأمور الملك خاصة .

وأما الكتابة فهى على ضربين ، أعلاهما كاتب الرسائل ، وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسمائه الكتاب . وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة . وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فان كان ناقصاً عن درجات الكمال ، لم ينفعه جاهه ، ولا مكانه من سلطانه ، من تسلط الألسن ، والظعن عليه وعلى صاحبه .

والكتاب الآخر كاتب الزمام^(٤) ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ، ولا يكون

(١) مثل بنى أبي عبده وبنى حدير وبنى شهيد وبنى جهور وغيرهم مما سياتى ذكره في محله .

(٢) الحاجب في زمن الحكم المستنصر كان في يده جميع أمور المملكة . ولذلك عند ما مات ووراه ولد صغير هشام الثانى غلب الحاجب على الأمر ، وحجب الخليفة وأدى ذلك فيما بعد إلى الفتنة وسقوط الخلافة ، ولقد كان الناصر أبصر بالعواقب فأبقى المملكة بدون حجابة مدة ثلاثين سنة ووزع الأعمال بين وزرائه فراراً من حصر السلطة في الحاجب

(٣) كان هذا اللقب من أوضاع بنى العباس ومعناه وزارة القلم ووزارة السيف وأول من لقب به في الأندلس عبد الملك بن شهيد سنة ٣٢٧ في دولة عبد الرحمن الناصر

(٤) ويقال له : صاحب الأشغال الخراجية ، وكانوا يقولون أحياناً لديوان المالية « ديوان الأزيمة »

بالأندلس وبرّ العدوّة ، لانصرانياً ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل نبيه ، يحتاج إلى صاحبه عطاء الناس ووجوههم . وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير ، وأكثر اتباعاً وأصحاباً ، وأجدى منفعة ، فاليه تميل الأعناق ، ونحوه تمدّ الأُكفّ ، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار .

ومع هذا إن تأملت حالته ، واعتدّ بكثرة البناء والاكتساب ، نكب وصور . وهذا راجع إلى تقلب الأحوال ، وكيفية السلطان

وأما خطة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأموال الدين ، وكوت السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي ، هذا وصفها في زمان بنى أمية ومن سلك مسلكهم ، ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة إلا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليلة ، وإن كانت صغيرة ، فلا يطلق على حاكمها إلا مسدّد خاصة ، وقاضي القضاة يقال له قاضي القضاة وقاضي الجماعة .

وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن ، معروفة بهذه السمة ، ويعرف صاحبها في السُنّ العامة بصاحب المدينة ، وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان ، كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم . وهو الذي يحدّ على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه ، قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي ، وكانت خطة القاضي أوقر وأتقى عندهم من ذلك .

وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن ، وكان صاحبها قاض ، والعادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان ، للربع من الدرهم رغيف ، على وزن معلوم . وكذلك للثمن ، وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المتاع الصبي الصغير ، أو الجارية الرعاء ، فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق ، في معرفة الأوزان .

وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزائر أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب في الورقة ، ولا يكاد تخفى خيانتة ، فإن المحتسب يدس عليه صبيهاً أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الوزن المحتسب ، فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس ، فلا تسأل عما يلقي ! وإن أكثر ذلك منه ، ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الأسواق نقي من البلد . ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تدارس أحكام الفقه ، لأنها عندهم تدخل في جميع المتاع ، وتتفرع إلى ما يطول ذكره . وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب أرباع في المشرق ، فانهم يعرفون في الأندلس بالدرابين ، لأن بلاد الأندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق ، و كلب يسهر ، وسلاح معدّ وذلك لشطارة عامتها ، وكثرة شرهم ، واعيانهم في أمور التلصص ، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة ، ويفتحوا الاغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار ، خوف ان يقرّ عليهم ، أو يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع : دار فلان دُخِلت البارحة ، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه . وهذا يرجع التكثير منه والتقليل إلى شدة الوالى ولينه ، ومع افراطه في الشدة ، وكون سيفه يقطر دما ، فإن ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقة شخص من كرم ، وما أشبه ذلك ولم ينته اللصوص .

وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر إلى السلاطين ، ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة في ذلك وإنكاره ، ان تهاون فيه أصحاب السلطان ، وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره ، فيدخلون عليه قصره المشيد ، ولا يعبتون بخيله ورجله ، حتى يخرجوه من بلدهم . وهذا كثير في أخبارهم .

وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال ، إذا لم يعدلوا ، فكل يوم . وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تسكس عن الكد ، وتخرج الوجوه

للطلب في الاسواق فستقبحة عندهم الى النهاية . واذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلا عن أن يتصدقوا عليه ، فلا تجدد بالاندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر .

وأما حال أهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب انهم احرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً ، عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح . والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار اليه ، ويحال عليه ، ويذنبه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك . ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يقرأون لأن يعلموا ، لا لأن يأخذوا جاريا . فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم يباعث من نفسه ، يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده ، حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم ، فان لها حظاً عظيماً عند خواصهم ، ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة ، أو يشتغل بالتنجيم ، اطلمت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فان زل في شبهة رجوه بالحجارة ، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة . وكثيراً ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت ، وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه ، وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن ، على ما ذكره الحجارى ، والله أعلم .

وقراءة القرآن ^(١) بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة ، وللفقه رونق ووجاهة

(١) ما رأيت في التاريخ بلداً من بلدان الاسلام يعنى أهله بقراءة القرآن بوجوهها أكثر من الأندلس

ولامذهب لهم إلا مذهب مالك^(١)، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم في العلوم . وسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه ، وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه ، لأنها عندهم أرفع السمات^(٢) . وعلم الاصول عندهم متوسط الحال . والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة ، حتى انهم فى هذا العصر فيه منهم كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه ، كذاهب الفقه . وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو ، بحيث لا تخفى عليه

(١) كان أهل الأندلس لأول الفتح على مذهب الامام الأوزاعى إمام أهل الشام الذين كانت لهم اليد الطولى فى فتح الأندلس ، وكانت الدولة الأموية تعول عليهم قبل الجميع ، وبقى الأندلسيون على مذهب الأوزاعى إلى زمن هشام بن عبد الرحمن الداخل فى ذلك الوقت رحل زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون إلى الشرق ، وسمع من مالك كتابه الموطأ ورحل جماعة غير شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار ، وسعيد بن أنى هند ، وغيرهم ممن رحل إلى الحج ، فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا من فضل مالك ، وسعة علمه وجلالة قدره ، ما عظم به صيته بالأندلس وكان رائدهم فى ذلك شبطون ، وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكلا متقنا . وقيل إن الامام مالكا رضى الله عنه سأل بعض الحجاج الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس فوصفوا له سيرة الأمير هشام بن عبد الرحمن وأثنوا له عليه وكان مالك غير راض عن سيرة بنى العباس ولا سيما بعد أن فعل أبو جعفر المنصور بعلوية المدينة الافاعيل من الحبس والاهانة فقال الامام مالك للأندلسيين : نسأل الله أن يزين حرمنا بمثل ملككم . فوصل الخبر إلى الأمير هشام مع ما علم من جلالة مالك وورعه فحمل الناس على مذهبه ، وقد ذكرنا هذه القصة برواياتها فى حواشينا على كتاب محاسن المسابغى فى مناقب الامام أنى عمرو الأوزاعى ، الذى طبعناه من ثلاث سنوات فن شاء فليراجعها فى ذلك الكتاب .

(٢) لم يبرح هذا الاصطلاح فى المغرب إلى اليوم .

الدقائق ، فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء ، مع ان كلام أهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الأخراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت ، وهو يقرىء درسه ، لضحك بملء فيه ، من شدة التحريف الذي في لسانه . والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استنقلوه واستبردوه^(١) ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمحاطبات في الرسائل . وعلم الادب المنشور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ، ومستظرفات الحكايات ، أنبل علم عندهم ، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستنقل . والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ، ولهم عليهم حظ ووظائف ، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم ، إلا أن يختل الوقت ، ويناب الجهل في حين ما ، ولكن هذا الغالب . وإذا كان الشخص بالاندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يعظم في نفسه لا محالة ، ويستخف ويظهر العجب ، عادة قد جبلوا عليها .

وأما زى أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العام ، لاسيما في شرق الأندلس ، فان أهل غربها لا تسكاد ترى فيهم قاضياً ولا ققيباً مشاراً إليه إلا وهو بهامة ، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك . ولقد رأيت عزيز بن خطاب ، أكبر عالم بمدرسة حضرة السلطان في ذلك الأوان ، وإليه الإشارة ، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة ؛ وهو حاسر الرأس ، وشبيهه قد غلب على سواد شعره .

وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمه ، في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا ، رأيت في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده ، وكثيراً

(١) ولا أظن هذا الاستنقال خاصاً بأهل الأندلس

ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزى النصرارى المجاورين لهم^(١)، فسلاحهم كسلاحهم ،

(١) قال ابن خلدون رحمه الله في مقدمته تحت عنوان « إن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده » : ان النفس أبداً تعتقد الكمال فى من غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى ، إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل لها ، حصل اعتقاداً ، فاتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الافتداء . أو لما تراه ، والله اعلم ، من أن غلب الغالب لها ليس بعصية ولا قوة بأس ، وإنما هو بما اتحلته من العوائد والمذاهب ، نغالط أيضاً بذلك عن الغلب ، وهذا راجع للاول . ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه فى اتخاذها وأشكالها ، بل وفى سائر أحواله ، وأظهر ذلك فى الأبناء مع آبائهم ، كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً ؟

وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم . وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان فى الاكثر ، لأنهم الغالبون لهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ، ولها الغلب عليها ، فيسرى إليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير كما هو فى الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلافة فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى فى رسم التائبى فى الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله اه .

قلت وقد نظرنا هذا بأعيننا فى الأعصر الأخيرة عند ما ظهر غلب الغرب على الشرق بأسباب كثيرة ليس هنا موضع ذكرها فتهافت ولاية الأتور فى الشرق على تقليد الأوربيين لافى اتقان العلوم والصناعات وتنظيم أحوال الاجتماع وتسديد أمور الملك فقط ، مما هو واجب حتماً ، بل تهافتوا على تقليدهم فى أزيائهم وملابسهم وما كلهم ومشاربهم

وبدا ذلك فى أيام السلطان محمود العثمانى . ولكن لم يبلغ فى وقت من الأوقات حب هذا الافتداء ما بلغه فى هذا العصر ، لا سيما بعد الحروب العامة ، فما كادت تركية وإيران تسترجعان استقلالهما ، حتى بدأنا بالتشبه بالأوربيين فى الدقيق والجليل (١٧ - ج أول)

وأقيمتهم في الأشكرلاط وغيره كأقيمتهم ، وكذلك أعلامهم وسروجهم . ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للظعن ، ولا يعرفون الدبايس ، ولا قسى العرب ، بل يعدون قسى الافرنج للمحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند المصافاة للحرب ، وكثير ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يؤثرها .

ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان ، إلا أنه لا يرضه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون . وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصفرة مخصوصة باليهود ، ولا سبيل ليهودى أن يتعمم البتة . والنوابة لا يرخيها إلا العالم ، ولا يصرفونها بين الأكتاف ، وإنما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى ، وهذه الأوضاع التي بالمشرق في العام لا يعرفها أهل الأندلس ، وإن رأوا في رأس مشرقى داخل إلى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها ، لأنهم لم يمتادوا ولم يستحسنوا إلا أوضاعهم . وكذلك في تفصيل الثياب .

وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطويه صاعماً ،

والكلى والجزئى وأصدرت الحكومة التركية أوامرها بلبس القبعة حتما . ودقت مئات من الاعتناق على مجرد الاعتراض عليها . وجعلت الأحرف اللاتينية مكان الأحرف العربية برغم ان كتابة التركية بالأحرف اللاتينية قد انحرفت هذه اللغة عن لهجتها الأصلية ، واستبدلت بها لغة غير الأولى ، ولم يكتفوا بهذا حتى أرادوا حمل الأتراك على طمس معالم كل قديم ، وتحذوا بالغاء التاريخ التركي من أصله ، ومنعوا الألحان الشرقية وآلات الطرب الشرقى ، وتبدلوا بها الموسيقى الاوربية ، وكادوا ينتقلون الى منع المآكل الشرقية لولم تكن الاذواق أصعب مراسا من غيرها ، وكل هذا من باب اقتداء المغلوب بالغالب ، مما أشار اليه امام علم الاجتماع ابن خلدون رحمه الله ، وليس في الحقيقة بضرورة من الضرورات ، ولقد ترقى اليابانيون ، وبلغوا مبالغ الاوربيين في كل شيء ، وربما بذوهم ، ولم يزالوا يابانيين في اذواقهم وعاداتهم ، وما أخذهم ومتاركهم ، وكل شيء توارثوه عن آبائهم

ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها . وهم أهل احتياط وتديير في المعاش ، وحفظ لما في أيديهم ، خوف ذل السؤال ، فذلك قد ينسبون للبخل . ولهم مروآت على عادة بلادهم ، لو فظن لها حاتم لفضل دقائقها على عظامه . ولقد اجترت مع والدي على قرية من قراها ، وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل ، فأوينا إليها وكنا على حال ترقب من السلطان ، وخلصنا من الرفاهية ، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا : إن كان عندكم ما اشتري لكم فخماً تسخنون به ، فاني أمضي في حوائجكم ، وأجعل عيالي يقومون بشأنكم ، فأعطيناه ما اشتري به فخماً . فأضرم ناراً ، فجاء ابن له صغير ليصطلي ، فضربه ، فقال له والدي : لم ضربته ؟ فقال : يتعلم استغنام أموال الناس ، والضجر للبرد من الصغر . ثم لما جاء النوم قال لابنه : اعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيداها على ثيابه . فدفع كساءه إليّ . ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهاً ، ويده في الكساء ، فقلت ذلك لوالدي فقال : هذه مروآت أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وفضلك على نفسه ، ثم أفكر في أنك غريب ، لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه ، خوفاً من انفصالك بها وهو نائم . وعلى هذا الشيء الحقيق فقص الشيء الجليل .

انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير . والله درّه ، فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء ، وقسمه إلى أقسام ، منها كتاب وشى الطرس ، في حلى جزيرة الأندلس . وهو ينقسم إلى أربعة كتب : الكتاب الأول : كتاب حلى العرس ، في حلى غرب الأندلس . الكتاب الثاني كتاب الشفاء للعس ، في حلى موسطة . الأندلس . الكتاب الثالث : كتاب الأنس ، في حلى شرق الأندلس . الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب ، في ذكر ما حماه من الأندلس عبّاد الصليب .

والقسم الثاني كتاب الألحان المسلية في حلى جزيرة صقلية . وهو أيضاً ذو أنواع . والقسم الثالث : كتاب الغاية الاخيرة في حلى الارض الكبيرة . وهو

أيضاً ذوا أقسام . وصور رحمه الله تعالى أجزاء الأندلس في كتاب وشى الطرس . وقال أيضاً : إن كلام من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض ، وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة ، وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى . وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس ، في حلى غرب الأندلس ، لكون قرطبة قطب الخلافة الروانية ، واشبيلية التي مافي الأندلس أجمل منها فيه . وقسمه إلى سبعة كتب ، كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الأخرى . الكتاب الأول : كتاب الحلة المذهبة ، في حلى مملكة قرطبة . الكتاب الثاني : كتاب الذهبية الأصيلية ، في حلى المملكة الاشبيلية . الكتاب الثالث : كتاب خدع المرافقة ، في حلى مملكة مالقة . الكتاب الرابع : كتاب الفردوس ، في حلى مملكة بطليوس . الكتاب الخامس : كتاب الحلب ، في حلى مملكة شلب . الكتاب السادس : كتاب الديباجة ، في حلى مملكة باجة . الكتاب السابع : كتاب الرياض المصونة ، في حلى مملكة اشبونة . وقد ذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به ، وصور أجزاءه على ما ينبغي . فآله يجازيه خيراً ، والكلام في الأندلس طويل عريض .

وقال بعض المؤرخين : طول الأندلس ثلاثون يوماً ، وعرضها تسعة أيام ، ويشقها أربعون نهراً كباراً ، وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى ، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، وأزيد من ثلثمائة من المتوسطات ، وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثيرة ، حتى قيل إن عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية . وليس في معمور الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعمائة من يومه إلا بالأندلس .

ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلاً . وحيثما سار في الاقطار يجد الحوانيت في الفلوات والصحارى والأودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والخبز واللحم والحوت وغير ذلك من ضرورب الأطمعة .

وذكر صاحب الجغرافيا أن جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوماً طويلاً ، في ثمانية عشر يوماً عرضاً ، وهو مخالف لما سبق . وقال ابن سيده : أخذت الأندلس في عرض الأقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب ، إلى البحر المحيط في الشمال ، وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلاً هـ . ول بعضهم :

لله أندلسٌ وما جمعت بها من كلِّ ما ضمّت لها الأهواء
فكأنما تلك الديار كواكبٌ وكأنما تلك البقاعُ سماءُ
وبكلِّ قطرٍ جدولٌ في جنّةٍ ولعت به الأفياء والأنداء
وقال آخر :

حبذا أندلسٌ من بلدٍ لم تنزل تُنتج لي كلَّ سرور
طائرٌ شادٍ ، وظلٌّ وارِفٌ ومياهٌ سابحاتٌ في قُصور

وقال آخر :

يا حُسنَ أندلسٍ وما جمعت لنا فيها من الاوطارِ والاطوانِ
تلك الجزيرة لستُ أنسى حُسنها بتعاقبِ الأحيانِ والازمانِ
نَسجَ الربيعِ نَبأها من سُندسٍ موشيةٍ ببدائعِ الالوانِ
وغدا التسمُّمُ بها عليلاً هائماً برُبوعِها ، وتلاطمِ البحرانِ
ياحُسنِها والطلُّ ينثر فوقها دُرراً خِلالَ الوردِ والريحانِ
وسواعدُ الانهارِ قد مُدّت الى نُدَمائها بشقائقِ النعمانِ
وتجاوبتُ فيها شواذِي طيرها والتفتُ الاغصانُ بالاغصانِ
ما زُرْتُها إلا وحياتي بها حدقُ البهارِ وأنملُ السوسانِ
من بعدها ما أعجبتني بلدةٌ مع ما حلّتُ به من البلدانِ

وحكى بعضهم ان بالجامع في مدينة اقلش بلاطا فيه جوائز منشورة مرعبة

مستوية الاطراف ، طول الجائزة منها مائة شبر وأحد عشر شبرا. وفي الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر ، وفيها غير ذلك مما يطول ذكره . والله أعلم . انتهى .

ماقاله المسعودى فى مروج الذهب عن الاندلس

وصاحب الاندلس كان يدعى لذريق ، هذا كان اسم ملوك الاندلس ، وقد قيل انهم كانوا من الاسبان ، وهم أمة من ولد يافث ابن نوح ، واتصلت هنالك ، والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين ان لذريق كان من ملوك الاندلس الجلائقة ، وهم نوع من الافرنجة ، وأخو لذريق الذى كان بالاندلس قتله (١) طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ، ودخل الى مدينة طليطلة ، وكانت قسبة الاندلس ودار مملكتهم ، ويشقها نهر عظيم يدعى تاجه ، يخرج من بلاد الجلائقة « والوسقيد (٢) » وهى أمة عظيمة ، لهم ملوك ، وهم حرب لاهل الاندلس

(١) لا نعلم لماذا قال المسعودى إن أخا لذريق هو الذى قتله طارق بن زياد ، على حين أن الرواية المشهورة هى أن لذريق نفسه هو الذى قتل فى المعركة التى وقعت بين المسلمين والاسبانول ، وبها انهار ملك القوط بالاندلس ، وقد جاء فى كتاب « أخبار مجموعة ، الذى هو أول تاريخ للاندلس بعد أن انهزم لذريق - وفى أخبار مجموعة يقول رذريق ، وهى أقرب إلى الأصل - لم يدراين وقع ، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأبيض ، وكان عليه سرج له من ذهب مكل بالياقوت والزبرجد ، ووجدوا حلة من ذهب مكللة بالدر والياقوت ، وقد ساخ الفرس فى الطين ، وفى السواخ وقع فيه وغرق العليج ، فلما أخرج رجله ثبت الحنف فى الطين ، والله أعلم ما كان من أمره ، لم يسمع له خبر ، ولا وجد حياً ولا ميتاً . انتهى .

وقد جاء فى بعض تواريخ الاسبان أن لذريق لم يقتل فى المعركة ، وأنه فر إلى شمالى اسبانية ، وبقى يقاتل المسلمين إلى أن مات ، ولكن الرواية الغالبة هى أن لذريق قتل فى المعركة .

(٢) هذه اللفظة محرفة بالنسخ ولا شك بأن مراد المسعودى ، بها أمة الباسك أو الباشكونس وكان يقال لهم قديماً Vascongados

كالجلالة والافرنجة . ويصب هذا النهر في البحر الرومي ^(١) وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة ، وهي من بنيان المذكور والموصوف ، أعجب من قنطرة سنجة ^(٢) من الثغر الجزرى ، مما يلي سميساط من بلاد سرحة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الامويين ، فأقامت مدة سنين ممتنعة ، لا سيلل للامويين إليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة ، فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت ، ^(٣) وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثيراً من بنيان هذه

(١) أخطأ المسعودى في قوله أن نهر تاجه ينصب في البحر الرومي ، والحقيقة أن مصبه في المحيط الاطلانطيكي ، ولعله وقع منه سهو فحسب نهر تاجه هو نهر إبره الذي يمر بسرقسطة ، فان هذا ينصب في البحر الرومي .

(٢) لعله أراد سنجار ، لأننا لا نعلم بلداً اسمه سنجة في بلاد الجزيرة : وأما سنجار فهي منها وهي على نهر . ويوجد بلدة يقال لها سنجة ، والعجم تقول لها سنكة واسكنها ليست في الثغر الجزرى ، بل في خراسان ، ويقال لبلادها الغور . وقد كنا نقول لعل في جملة « الثغر الجزرى ، تصحيفاً ، وحقها أن تكون « الثغر الجزرى ، نسبة إلى بحر الخزر واسكن ينفي ذلك قوله « مما يلي سميساط ، والحال أن سميساط هي مدينة من الثغر الجزرى بالعجم . فأما بلاد « سرحة » فلم نجد لها ذكراً في بلاد الجزيرة . وإنما يوجد سرحة في اليمن : فالصحيح أنها سرجة بنقطة وهي بقرب سميساط ، على شاطئ الفرات كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

(٣) أهم شيء في التاريخ ، وهو الذى يقرب الوقائع الى الذهن ، ويجعل القارى كأنه يراها بعينه ، هو أن يكون المؤرخ معاصراً للأشخاص الذين يصفهم ، وللوقائع التى يرويها ، لا سيما إذا كانوا من الرجال المشهورين في التاريخ ، أو كانت الوقائع

المدينة حين افتتاحها . وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت .

ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ، ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام . ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشيلية . وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير أنه يخاطب بأبى المؤمنين^(١)

التي يتحدثون عنها من الحوادث التي اشتهر خبرها : فالمسعودى ، كابن حوقل ، كان معاصرا للخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر وهو يكتب تاريخه هذا سنة ٣٣٢ ، إلى بعد أن خرج ابن حوقل في سياحته ، وبدأ بكتابه ، بسنة واحدة : والواقعة التي محص فيها المسلمون في زمان عبد الرحمن في بلاد الجلالقة عند مدينة سمورة ، وذكر المسعودى وقوعها سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وقتل فيها من المسلمين أربعون ألفاً ، وقيل خمسون ألفاً هذه نفسها جاء خبرها في كتاب أخبار مجموعة ، ولكنه جعلها في عام ستة وعشرين وثلاثمائة ، ولم يذكر عدد شهداء المسلمين فيها ، وإنما قال انهم هزموا أقيح هزيمة واتبعهم العدو أياما بأسروهم ويقتلونهم في كل محلة فلم يكذب ينجو منهم إلا قوم جمعوا أصحابهم على ألويتهم ، وتخلصوا إلى بلدانهم . ثم إن المسعودى يذكر أن الثغر بين المسلمين والأفرنج سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، كان طرطوشة ، على ساحل البحر الرومى ، ثم يذكر غارات الجوس على الأندلس .

ثم هناك نقطة ذات بال وهي أن من ملك الحرمين الشريفين يحق له أن يدعى بالخلافة . وهي من النظريات التي كانت تدور في ذلك العصر ، ولا تزال إلى يوم الناس هذا .

(١) ستعلم أن عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر عاد فنأدى بنفسه خليفة ، وأطلق عليه مسلوب الأندلس هذا اللقب ، وذلك بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية واستبد بهم الأعاجم ، وتصعدت وحدة المملكة العربية . فرأى عبد الرحمن نفسه جديرا بالخلافة ، ولم يكبر ذلك أحد ، لانه كان أعظم ملوك عصره في عالمي الاسلام والنصرانية وسار على خطته ابنه الحكم الملقب بالمستنصر ، ولكن خلف من بعدهما خلف أضاعوا الخلافة ، وكان ذلك مبدأ ضياع الاندلس .

وقد كان عبد الرحمن بن معاوية، أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة، فملكها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر. ثم هلك فملكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين. ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة، وولده ولائها إلى اليوم، على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن ابن محمد. وولى عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم، وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلاً. وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزاة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس، فنزل على دار مملكة الجلائقة، وهي مدينة يقال لها سمورة، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان، قد أحكمتها الملوك السالفة، بين الأسوار فصلان وخنادق، ومياه واسعة، فافتتح منها سورين، ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين، فقتلوا منهم، ممن أدرك الاحصاء، ومن عرف، أربعين ألفاً، وقيل خمسين ألفاً. وكانت للجلائقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي الأفرنجية مدينة أربونة، خرجت عن أيدي المسلمين من مدائن الألس وثغورها سنة ثلاثين وثلاثمائة، مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون. وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت، وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة من شرق الأندلس، طرطوشة، وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة أخذاً في الشمال «أفراغة»^(١) على نهر عظيم، ثم لاردة. ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقى الأفرنجية وهي أضيق مواضع الأندلس. وقد كان قبل الثلاثمائة ورد إلى الأندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم، زعم أهل الأندلس أنهم ناس من الجوس^(٢)، نظراً إليهم في هذا البحر في كل مائتين

(١) Fraguas ومن عادة العرب أن يجعلوا ألفاً قبل الاسم حتى لا يبدأوا بالساكن وقد قيل في طرابلس اطرابلس وفي غرناطة اغرناطة وفي فراغة افراغة ولها نظائر.

(٢) هؤلاء هم النور منديون وكانوا وقتئذ بجوساً

من السنين ، وأن وصولهم إلى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس . وأرى ، والله أعلم ، أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ^(١) ونيطش ، وأن هذه الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكركم في ماسلف من هذا الكتاب ، إذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم

قول القلقشندى فى صبح الأعشى عن الأندلس

قال فى الجزء الخامس تحت عنوان « المملكة السادسة من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس » قال فى تقويم البلدان : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركن جنوبى غربى ، وهناك جزيرة قادس ، وفم بحر الزقاق . وركن شرقى ، بين طرف كونة ، وبين برشلونة ، وهى فى جنوبيه ، وبالقرب من بلنسية وطرطوشة وجزيرة ميورقة . وركن شمالى بميلة إلى البحر المحيط ، حيث الطول عشر درجات ودقائق ، والعرض ثمان وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شنتياقوه ، وهى على البحر المحيط فى شمالى الأندلس وغربها . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبى الغربى - وهو عند جزيرة قادس - إلى الركن الشرقى الذى عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبى الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثانى من الركن الشرقى المذكور إلى الركن الشمالى الذى عند شنتياقوه . وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالى ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت ^(٢) ، الحاجز بين الأندلس وبين أرض تعرف بالأرض الكبيرة . وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل . والضلع الثالث من الركن الشمالى المذكور إلى الركن الجنوبى المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربى الممتد على البحر المحيط .

La Manche (١)

(٢) وربما قال العرب البرتات ، وهى لفظة افرنجية معناها الأبواب وهذا الجبل هو البرانس أو البيرانة .

قال ابن سعيد : قال الحجارى : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى اشبونة ، وهى فى نهاية الأندلس الغربية ، الف ميل . وعرض وسطه ، من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، عند طليطلة وجبل البرت ، ستة عشر يوماً . قال فى تقويم البلدان : وقد قيل : إن طوله غرباً وشرقاً من اشبونة ، وهى فى غرب الأندلس إلى أربونة ، وهى فى شرق الأندلس ، مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

واعلم أن جبل البرت المقدم ذكره متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، وطوله أربعون ميلاً ، وفيه أبواب فتحها الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق فى البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفى وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب ، يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبى ونصف شمالى اه . ثم ذكر القلقشندى أهم حواضر الأندلس وسنأثر عنه مانجده جديراً بالنقل ، وذلك عند وصولنا إليها .

مقاله ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب

فى سنة أربع وثمانين افتتح موسى بن نصير أوربة من المغرب ، وبلغ عدد السبى خمسين ألفاً . اه . سى الأندلس أوربة ، من باب تسمية البعض باسم السكل وذكر فى حوادث سنة ٨٧ فتح سردانية من المغرب . وفى حوادث ٨٩ فتح جزيرتى ميورقة ومنورقة . وقال عن حوادث ٩٢ : فيها افتتح إقليم الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نصير ، وتمم موسى فتحه فى ثلاث سنوات . وذكر فى حوادث سنة ١٧٢ موت صاحب الأندلس أبى المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموى الدمشقى المعروف بالداخل وقال إنه : فرّ إلى المغرب عند زوال دولتهم ، فقامت معه اليمانية ، وحارب يوسف الفهرى ، متولى

الأندلس ، وهزمه ، وملك قرطبة في يوم الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة .
وامتدت أيامه ، وكان عالماً ، حسن السيرة ، وعاش اثنتين وستين سنة . وولى بعده
ابنه هشام ، وبقيت الأندلس لعقبه إلى حدود الأربعمائة الخ .

قول المقدسى في جغرافيته الشهيرة المسماة

« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم »

ذكر المقدسى الأندلس في جملة إقليم المغرب ، بدأ بأفريقية ، أى مملكة تونس
الحاضرة ، وتقدم إلى المغرب الأوسط ، وكان يسمّى في ذلك الوقت إقليم تاهرت
ثم تقدم إلى سجلماسة ، وفاس ، والسوس الأقصى . ثم ذكر جزيرة صقلية ، وبعد
أن عدد مدنها بدأ بالأندلس فقال : وأما الأندلس فنظيرها هيطل من جانب
المشرق ، غير أننا لم نقف على نواحيها فنكورها ، ولم ندخلها فنقسمها . ويقال انها
الف ميل . وقال ابن خرداذبة : الأندلس أربعون مدينة ، يعنى المشهور منها ،
لأن أحداً لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ، ووضع القصبات ، فبعض المدن التى ذكر
هى قصبات ، على قياس مارتبنا .

وسألت بعض العقلاء منهم عن الرساتيق المحيطة بقرطبة ، والمنسوبة اليها والمدن
فقال : انا نسى الرسناق اقليماً ، فالاقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها ، فذكر
« أَرْجُونَة » « قَسْطَلَة » « شَوَذَر » « مَارْتُس » « قَنْبَانَس » « فِجَّ ابْن لَقِيْط »
« بِلَاط مَرَوَان » « حَصْن بُلْكُونَة » « الشنيدة » « وادى عبد الله » « قرسيس »
« المائدة » « جِيَان » - وعلى ما دل اخر الاسم هى ناحية مدنها الجفر - « بِيغُو »
« مَارْتُس » « قانت » « غَرْنَانَة » « مَنَنْشَة » « بِيَّاسَة » وسائر مدن اندلس
المذكورة « طَرْطُوشَة » « بَلَنْسِيَة » « مُرْسِيَة » « بَجَانَة » « مَالِقَة » « جزيرة
جبل طارق » « شَدْنَة » « إشبيلية » « أُخْسَنْبَة » « مَرِيَة » « شَنْتَرِين » « باحة »

« لَبْلَبَة » « قَرْمُونَة » « مَوْزُور » « إِسْتِجَة » .

ثم عاد بعد قليل فذكر الأندلس بشيء من التفصيل فقال : قرطبة هي مصر الأندلس سمعت بمض العثمانية يقول : هي أجلُّ من بغداد . في صحراء يطل عليها جبل ، ولها مدينة جَوَانِيَّة ، وربض الجامع في المدينة وأسواق . وأغلب الأسواق ودار السلطان في الربض . قدامها واد عظيم ، سطوحهم قراميد . الجامع من حجر وجير . وسواريه رخام . حواليه مياض .

وللمدينة خمسة ابواب : باب الحديد ، باب العطارين ، باب القنطرة ، باب اليهود ، عامر . وقد دلت الدلائل ، وانفقت الآراء على انه مصر جليل ، رفق طيب ، وان ثم عدلا ، ونظراً ، وسياسة ، وطيبة ، ونما ظاهرة ، ودينًا ، وان ناحية الأندلس على سجية « هيطل » ^(٢) ابدأ ثم غزاة ، ابدأ في جهاد ونفير ^(١) مع علم كثير ، وسلطان خطير ، وخصائص ، وتجارات ، وفوائد .

وحدثني بعض الأندلسيين انها ثلاثة عشر رستاقا على خمسة عشر ميلا « أَرْجُونَة » مسورة ، ليس لها بساتين وأشجار ، لكنها بلد الحبوب ، ولهم عيون ، ومزارعهم على المطر ، و « قَسْطَلَة » على ثلاثة عشر ميلا من أرجونة ، وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرمات ، ومشاربهم من آبار ، ويسقون البساتين بالسواني . و « شَوْذَر » على ثمانية عشر ميلا من قرطبة ، وهي في سهلة كثيرة الزيتون جداً ، شربهم من أعين ، « مَارْتُس » على خمسة عشر ميلا من قرطبة ، وهي جبلية ، ليس لها غير الكرمات ، ولهم أعين . و « قَنْبَانْس » على خمسة عشر ميلا ، وهي سهلية ، ذات مزارع أكثرها بموضع يقال له « قَنْبَانِيَّة » مشاربهم من آبار . و « فِج ابن لقيط » على خمسة وعشرين ميلا في سهلة كثيرة المزارع ، شربهم من آبار . و « بَلَاط مَرَوَان » على ثلاثين ميلا ، لها واد جرّار ، سهلية ، ذات مزارع . و « بُرْيَانَة » ذات

(١) هذا خلاف ما زعمه ابن حوقل . والصحيح في هذا المقام هو للام المقدسي

(٢) يقال هيطل لبلاد ما وراء النهر : بخارى وسمرقند وما جاورهما

مزارع سهلية، شربهم من آبار، وفيها حصن من حجارة، والر بض حوله، والجامع في الحصن، والأسواق في الر بض. وحصن «بُلكُونَة» كثير الزيتون والاشجار، والعيون، مسورة بحجارة، شربهم من عين واحدة وآبار، على أربعين ميلا من قرطبة، و«الشنيذة» على جبل، كثيرة الكروم والمزارع والعنب، شربهم من أعين وآبار، على يومين من قرطبة، المنزل فج ابن لقيط. و«وادي عبد الله» من نحو القبلة، على أربعين ميلا من قرطبة. المنزل «وادي الرُّمان» سهلية ذات مزارع وأثمار وأشجار. و«قرسيس» على ستين ميلا من قرطبة، سهلية كثيرة التين والأغاب والزيتون الكبير، شربهم من أعين. و«جيان» على خمسين ميلا من قرطبة، اسم الرستاق «أولبة» ومدينة جيان على جبل، كثيرة الأعين، قد خرب حصنها، غير أنها منيعة بالجبل، بها اثنتا عشرة عيناً، ثلاث عليها أرحية، تقوم بالأندلس، ومن ثم ميرة قرطبة وثمارها كثيرة، وصِف ماشئت من طيها ورُحبا، فأنها جنة الأندلس على ما حكى لى. ودل آخر الاسم على أنها ناحية بنيانهم بالحجارة، باردة كثيرة الرياح، وبكورتها حر، هي في عداد النواحي قياساً على مارتينا. ومدنها الجفر^(١)، على الجبل، كثيرة الاودية والارحية، على عشرة أميال من جيان، كلها أشجار وثمار، وزيتون وأغاب، على واد تجمع الفواكه. و«بيغو» وهي جبلية لها أودية تخر منها عيون تدير الأرحية، كثيرة التوت والزيتون والتين. و«مارتش» مسورة على جبل، شربهم من أعين، كثيرة التين والزيتون والكروم. «قانت» مسورة في قنباية، لا بساتين لها زاكية. و«غرناطة» على واد به منية، طوله ثلاثة عشر ميلا للسلطان، فيه من كل الثمار حسن عجيب، سهاية كثيرة المزارع. قلت: وما المنية؟ قال البستان^(٢). «مَنْتَيْشَة» مسورة على واد

(١) كذا ولم يظهر لنا مراد المؤلف هنا إلا أن يكون ثمة تحريف

(٢) تقدم لنا ذكر لفظة المنية وماذا كانوا يعنون بها، وهذا نص يؤيد ما ذكرناه

وهو أن المنية المتزده أو البستان

كثيرة الزيتون والتين سهلية . و « يياسة » مسورة في جبل ، بناؤهم طين ، وشربهم من أعين ، كثيرة التين والسكرات . قلت : هل بقي لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن ؟ قال : لا . قلت : فإشبيلية وبجانة . . . وذكرت عدة من البلدان . قال : هذه نواح لها أقاليم ، كما تقول : القيروان وتاهرت وسجلماسة وهم يسمون الرستاق اقليميا . فعملت أنها كور على قياسنا ، وأنها إن لم تكن أجل من كور هيطل فليست بأقل منها فيحصل القول ، وثبتت الدلائل ، على ان مثل المغرب كمثل المشرق ، كل واحد منهما جانبان : فكما ان المشرق خراسان وهيطل يفصل بينهما جيحون ، فكذلك المغرب والاندلس يفصل بينهما بحر الروم .

غير انا نعجز عن تكوير الأندلس ، فتركناها على الجملة ، ووصفنا كورة قرطبة لما كثر الخبرون عنها ، واتضح عندنا أمرها . وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال : على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثمان عشرة كورة ، فعدت بجانة ، مالقة ، بلنسية ، تدمير ، سرقوسة ^(١) ، يابسة ، وادي الحجارة ، تطيلة ، وشقة ، مدينة سالم ، طليطلة ، إشبيلية ، بطليوس ، باجة ، قرطبة ، شدونة ، الجزيرة الخضراء وسألت آخر فقال : صدق ، وزاد ليرة ، خشنبة . ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي ، قياساً على يلاق وكش والصفانيان . والله أعلم بالصواب .

ثم ذكر المقدسي جملة شؤون هذا الاقليم فقال : هو اقليم جليل كبير طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الاقاليم ، مع الرخص ، كثير النخيل والزيتون ، به مواضع الحر ، ومعادن البرد ، كثير اليهود ، جيد الهواء والماء .

فأما الحر فانك تجده من مصر الى السوس الاقصى ، إلا في مواضع ، فان بها جبلاً وبلداتاً باردة ، والغالب على الأندلس البرد ، كثير الجذمين ، والخصيان ، والثقلاء ، والبخلاء ، قليل القصاص ، رفق ، يحبون العلم وأهله ، ويكثررون التجارات والتغرب .

(١) يعني سرقسطة وهو أقرب إلى لفظ الاسبانيول بها

وأما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام : أما فى الاندلس فذهب مالك وقراءة نافع . وهم يقولون : لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك . فان ظهروا على حنفى أو شافعى نفوه ، وان عثروا على معتزلى أو شيعى ونحوهما ربما قتلوه . وبسائر المغرب الى مصر لا يعرفون مذهب الشافعى (رحه) انما هو ابو حنيفة ومالك (رحهما) . وكنت يوماً اذا كر بعضهم فى مسألة فذكرت قول الشافعى (رحه) فقال : اسكت ! من هو الشافعى ؟ انما كانا بجزيرين : ابو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، افتركما ونشغل بالساقية ؟ ورأيت أصحاب مالك (رحه) يبغضون الشافعى قالوا : أخذ العلم عن مالك ثم خالفه .

وما رأيت فريقين أحسن اتفاقاً وأقل تعصباً منهم ، وسمعتهم يحكون عن قدامهم فى ذلك حكايات عجيبه ، حتى قالوا انه كان الحاكم سنة حنفى ، وسنة مالكى . قلت : وكيف وقع مذهب أبى حنيفة (رحه) اليكم ولم يكن على سابلكم ؟ قالوا : لما قدم وهب بن وهب من عند مالك (رحه) وقد حاز من العلوم والفقه ما حاز استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه ، لجلالته وكبر نفسه ، فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك ، فوجده عليلاً ، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع إلى ابن وهب فقد أودعته علمى وكفيتكم به الرحلة ، فصعب ذلك على أسد ، وسأل : هل يعرف لمالك نظير ؟ فقالوا : ففى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . قالوا : فرحل إليه وأقبل عليه محمد اقبالاً لم يقبله على أحد ، ورأى فهماً وحرصاً ، فزقه الفقه زقاً ، فلما علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه ، سيّبه إلى المغرب ، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان ، ورأوا فروعاً حيرتهم ، ودقائق أعجبتهم ، ومسائل ما طنت على أذن بن وهب وتخرج به الخلق ، وفشا مذهب أبى حنيفة (رحه) بالمغرب قلت : فلم لم يقش بالاندلس ؟ قالوا لم يكن بالاندلس أقل منه ههنا ، ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدى السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . فقال : مالك ؟ قالوا : من المدينة . قال : عالم دار الهجرة بكيفينا ؟ فأمر بإخراج أصحاب أبى حنيفة . وقال : لا أحب أن

يكون في عمل مذهبان . وسمعت هذه الحكايات من عدة من مشايخ الاندلس والقسم الثالث مذاهب الفاطميّ ، وهى على ثلاثة أقسام : أحدها ما قد اختلف فيه الأئمة مثل القنوت في الفجر ، والجهر بالسجدة ، والوتر بركعة ، وما أشبه ذلك . والثانى الرجوع إلى ما كان عليه السلف ، مثل الإقامة مثنى التى ردها بنو أمية الى واحدة ، ومثل لبس البياض الذى رده بنو العباس إلى السواد ، والثالث ما تفرّد به مما لا يخالف الأئمة ، وإن لم يعرف له قدمة ، مثل الحيلة في الآذان ، وجعل أول الشهر يوماً يرى فيه الهلال ، وصلاة الكسوف بخمس ركعات وسجدين في كل ركعة وهذه مذاهب الشيعة ، ولهم تصانيف يدرسونها .

ونظرت في كتاب « الدعائم » فإذا هم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول ويقولون بمذهب الإسماعيلية . ولهم فيه سر لا يعلمونه ولا يأخذونه على كل أحد ، إلا من وثقوا به ، بعد أن يحلفوه ويماهدوه . وإنما سموا باطنية لانهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن ، وتفاسير غريبة ، ومعان دقيقة . وهذه الأصول مذاهب الادريسية وغلبيتهم بكورة السوس الاقصى ، وهى قرية من مذاهب القرامطة .

وأهل المغرب والمشرق في مذاهب الفاطمي على ثلاثة أقسام : منهم من أقرّ بها واعتقدتها . ومنهم من كفر بها وأنكرها . ومنهم من جعلها في اختلاف الأئمة . وأكثر أهل اصقالية حنفيون . وقرأت في كتاب صنّفه بعض مشايخ الكرامية بنيسابور أن بالمغرب سبعة خاتناه لهم ، فقلت لا والله ولا واحدة !

وأما القراءات في جميع الاقليم فقراءة نافع حسب الرسوم ، لا يشهد في هذه الأقاليم الستة إلا معدّل ، وحضرنا يوماً^(١) ملاكا فأمرنى أبو الطيب حمدان أن أكتب شهادتى ، فهنّيت بذلك ، ولا يأخذون الميت إلا من الرأس أو الرجلين ، ويصلون كل ترويحة ويجلسون ، ولا يسلخون الأغنام إذا شووها ، ويدخلون

(١) الملاك : الزواج

الحمامات بلا ما زر إلا القليل ، و بالمغرب رسومهم مصرية ، إلا أنهم قل ما يتطأسون
و كثيراً ما يحملون الرداء بطاقتين ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العبادة ، أصحاب قلانس
مصبغة ، والبربر بهرانس سود ، وأهل الرساتيق بأكسية ، والسوقة بمناديل ، والتجار
يركبون أحمره مصرية وبقالا ، وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق ، وأهل
الاندلس أحذق الناس في الوراقة ، خطوطهم مدورة ، و به تجارات تحمل من برقة
ثياب الصوف والأكسية ، ومن اصقلية الثياب المقصورة الجيدة ، ومن افريقية الزيت
والفستق ، والزعفران ، واللوز ، والبرقوق ، والمزاد ، والانطاع والقرب ، ومن فاس
التمور ، وجميع ما ذكرنا ، ومن الاندلس بز كثير ، وخصائص ومجائب ، ومن
خصائص الاقليم المرجان ، يخرج من جزيرة في البحراسم مدينتها مرسى الحرز ، يدخل
إليها في طريق دقيق كالمهدية ، من بحرها يرتفع القرن ، وهو المرجان ، لا معدن له
غيرها . وهي جبال في البحر ، يخرجون إلى جمعه في قوارب ، ومعهم صلبان من خشب
قد لفوا عليها شيئاً من السكتان المحلول ، و ربطوا في كل صليب حبلين ، يأخذها
رجلان ، فيرميان بالصليب . ويدير النواتي القارب ، فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه ،
فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم . ثم يجلي في أسواق لهم ، ويبيع جزافا
رخيصاً ، ولا اشراق له قبل جليه ولا لون . وبتطيلة سمور كثير ^(١) .

وبالاندلس السفن ^(٢) الذي يتخذ منه مقابض السيوف . ويقع اليهم من البحر
المحيط عنبر كثير في وقت من السنة ، ويرتفع من اصقلية نوحادر كثير ايض .
وسمعت انه قد انقطع معدنه ، واستغنى عنه أهل مصر بدخان الحمامات .

وأما الارطال فكانت بغدادية في الاقليم كله ، إلا الذي يوزن به الفلفل ، فانه
يشف على البغدادى بعشرة دراهم . والآن هو المستعمل في أعمال الفاطمي بالمغرب
كله . والمكايل قفيز القيروان اثنان وثلاثون مثماً ، والثن ستة أمداد بمدّ النبي

(١) المشهور أنه بسرقسطة ولكن تطيلة هي من عملها

(٢) السفن محركة جلد أخش كجلود التماسيح يجعل على قوائم السيوف

صلى الله عليه وسلم . وقفيز الأندلس ستون رطلا ، والرابع ثمانية عشر رطلا . وفتيقة نصف القفيز . ومكاييل الفاطمي الدوّار ، وهي التي تشفّ على وية مصر بشىء يسير قد ألجم رأسها بعارضة من حديد ، وأقيم عمود من قاعها الى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الوية ، فاذا اترعها أدار الحديد ، فسحّت فم الوية ، وصح السكيل . وأرطاله رصاص على كل رطل اسم أمير المؤمنين ، فان اجتمعت أرطال بموضع واحد بسيط صّبها ، وطبع على كل رطل ، ولو كانت عشرة .

وأما نقوده في جميع أعماله الى أقصى دمشق فالدينار ، يزلّ عن المثقال بحجة ، أعنى شعيرة ، والسكّة مدويرة السكتابة . وله ربع صغير يؤخذان بالعدد . والدرهم أيضا زال له نصف يسمونه القيراط ، وربع ، وثمان ، ونصف ثمن ، يسمونه الخرنوبة ، يؤخذ الجميع بالعدد . ولا يرخصون في المعاملة بالقطع ، وسنجهم^(١) من زجاج مطبوع ، كما ذكرنا من الارطال . ورطل مدينة تونس اثنتا عشرة أوقية ، والوقية اثنا عشر درهماً .

والمعجائب بهذا الاقليم كثيرة ، منها ابو قلعون ، وهي دابة تحتك بمجارة على شط البحر فيقع منها وبرها ، وهو في لين الخبز ، لونه لون الذهب ، لا ينادر منه شيئاً ، وهو عزيز الوجود ، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم ألواناً ، ويمنع السلطان من حمل ذلك الى البلدان ، إلا ما يخفى عنهم ، ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار . بأصقلية جبل تغور منه النار أربعة أشهر ، في كل عشر سنين مرة ، وسائر الاوقات يدخن ، وحوله ثلوج متلبدة ، إلا موضع الدخان .

بمدينة « إيكجّا » عيون تخرج أوقات الصلاة ثم تغور . فان قصدها رجل كان قد قتل نفساً بغير حق لم يخرج له شىء .

فان قال قائل : إنك تركت كثيراً من المعجائب في هذا الاقليم لم تذكرها . قيل له : إنما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصانيفهم . ومن مفاخر كتابنا الاعراض

(١) جمع سنجة وهي ما يوزن به كالأوقية والرطل

عما ذكره غيرنا . وأوحش شيء في كتبهم ضد ما ذكرنا . ألا ترى أنك إذا نظرت في كتاب الجبهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خردادبه ، وبناء عليه ، وإذا نظرت في كتاب ابن الفقيه ، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزيج الأعظم ، وإذا نظرت في كتابنا وجدته يسمي وحده يتيم في نظمه . ولو وجدنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به ، ولكن لما بلغنا الله تعالى أقصى الإسلام ، وأرانا أسبابه ، وأهملنا قسمته ، وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين . ألا ترى إلى قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض) (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا) وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر .

مما قاله عن الاندلس لسان الدين بن الخطيب

وقال لسان الدين بن الخطيب السلماني عن مملكة غرناطة ، وقوله هذا في الاحوال الاجتماعية يصدق على جميع الأندلس : أحوال أهل هذا القطر في الدين ، وصلاح العقائد أحوال سنة ، والنحل فيهم معروفة ، فذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية . وطاعتهم الأمراء محكمة . وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة . وصورهم حسنة . وأنوفهم معتدلة غير حادة . وشعورهم سود مرسلات . وقدودهم متوسطة معتدلة ، إلى القصر . وألوانهم زهر مشربة بجمرة . وأسنتهم فصيحة عربية يتخللها أعراب كثير ، وتغلب عليهم الامالة ^(١) وأخلاقهم أئبى في معاني المنازعات . وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير . ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاء ، وتنفاضل أجناس البر بتفاضل الجدة والمقدار والكتان والحريز والقطن والموعر والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشقوقة صيفا ، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة ، تحت

(١) عرب الأندلس كانوا يتكلمون بالامالة ، وسنأتي بأمثال من ذلك عند

الاهوية المعتدلة . أنسابهم حسبما يظهر من الاشتراءات والبياعات السلطانية والاجازات
عربية يكثر فيها القرشي (١) . والفهري (٢) . والأموي (٣) . والانصارى (٤) .
والاوسى (٥) . والخزرجى (٦) . والقحطاني (٧) . والحيمري (٨) . والخزومى (٩) .

(١) قرشه : جمعه من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض . قال الفراء : ومنه قريش القبيلة
وأبوهم النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد
النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه كذا في الصحاح . قال الزبيدى فى تاج
العروس : قلت وعند أئمة النسب كل من لم يلبده فهر فليس بقريشى ، قاله ابن السكبي ،
وهو المرجوع إليه فى هذا الشأن . وقيل سميت قريش بهذا الاسم حين غلب عليها قصى
ابن كلاب ، وكان يقال : تقرش القوم إذا اجتمعوا ، وكان قصى يسمى مجعاً لجمعه
قريش بالرحلتين ، وقيل لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها ، أولان النضر بن كنانة
اجتمع فى ثوبه يوماً فقالوا تقرش . أولانه جاء إلى قومه يوماً فقالوا كأنه حمل قريش
أى شديد . أو سموا قريش بمصغر القرش ، وهى دابة بحرية سيدة دواب البحر
وذلك قريش سادات الناس جاهلية واسلاماً ، وقيل سموا بذلك لأنهم كانوا أهل
تجاره ، لا أصحاب زرع وضرع ، من قولهم فلان يتقرش المال ، والنسبة إلى قريش
قرشى ونادراً يقال قريشى

- (٢) هو فهري مالك بن النضر بن كنانة وقريش كلهم ينسبون إليه
(٣) نسبة إلى بنى أمية ، وهما اميتان الأكبر والأصغر ابنا عبد شمس بن عبد
مناف من قريش ، والنسبة اليهم أوى بضم ففتح وأموى بالتحريك على التخفيف
(٤) نسبة إلى أنصار الرسول عليه السلام
(٥) نسبة إلى الأوس وهو أوس بن قيلة أخو الخزرج
(٦) نسبة إلى الخزرج وكان الخزرج والأوس أخوين ، وهما ابنا قيلة ، وهى
أهمما ، وأبوها حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغظريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من عرب اليمن
(٧) نسبة إلى قحطان أبو عرب اليمن ، وقالوا فى نسبه قحطان بن عابر بن صالح
ابن أرغشذ بن سام بن نوح عليه السلام
(٨) نسبة إلى حمير وهو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
(٩) نسبة إلى مخزوم وهو ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأولاده

والتنوخى (١) . والغسانی (٢) . والازدى (٣) . والقيسى (٤) . والمعافرى (٥) .
والكنانى (٦) . والتميمي (٧) . والمهذلى (٨) . والبكرى (٩) . والسكلابى (١٠) . والنمرى (١١) .

حى من قريش ومخزوم أيضاً قبيلة من عبس وهو بن مالك بن غالب بن قطيعة
ابن عبس

(١) نسبة إلى تنوخ كصبور قبيلة من اليمن ، قيل إنهم عدة قبائل اجتمعوا وتحالفوا
وقيل تنوخ ونمر وكلب ثلاثهم إخوة

(٢) نسبة إلى غسان كشداد وهو ماء نزل عليه قوم من الأزد بين رمع وزيد
من اليمن ، فسموا به وهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث من عرب اليمن

(٣) نسبة إلى الأزد وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ ،
ويقال أزد شنوتة وأزد عمان وأزد السراة واستدرك الزيدى على صاحب القاموس

أزد بن عمران بن عمرو بن عامر ، وقالوا ان الأزد افترقوا على سبع وعشرين قبيلة
(٤) نسبة إلى قيس عيلان وهو أخو الياس الذى هو خندف ، وكلاهما ولد مضر

وقد غلب هذا الاسم على العرب العدنانية ، فالناس يقولون قيس ويمين
(٥) نسبة إلى معافر حى من همدان من عرب اليمن

(٦) نسبة إلى كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر وهم خمس قبائل
بنو عبد مناة بن كنانة ، وبنو عمرو بن كنانة ، وبنو عامر بن كنانة ، وبنو ملكان

ابن كنانة ، وبنو مالك بن كنانة ، ثم بنو كنانة قبيلة أخرى فى تغلب بن وائل ،
وقبيلة من كلب منهم خلف بن حامد الكنانى من قضاة الأندلس

(٧) تميم كأثير ابن مر بن أد بن طابخة أبو قبيلة من مضر مشهورة

(٨) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر حى من مضر

(٩) نسبة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أو إلى بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة
ابن خزيمه أو إلى بكر بن عوف بن النخع أو إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب

أو إلى بكر بطن من عذرة

(١٠) كلاب فى قريش هو ابن مرة وفى هوازن ابن ربيعة بن صعصعة

(١١) النمر ككتف بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعوى بن جديلة بن أسد بن

ربيعة ، والنسبة إليه نمرى بفتح الميم ، والحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
المالكي الأندلسي هو نمرى

واليعمرى (١) . والممازنى (٢) . والثقفى (٣) . والسلى (٤) . والفزارى (٥)
 والباهلى (٦) . والعيسى (٧) . والعنسى (٨) . والعذرى (٩) .

- (١) يعمر بطن من كنانة وربما كان هذا اللفظ هو اليعفرى، لا اليعمرى، وذلك لأننا نقلنا كلام لسان الدين بن الخطيب عن الاحاطة طبعة مصر، وهى طبعة مشحونة غلطا وتصحيفا وتحريفا. وقد رددنا كثيراً من الفاظها إلى الاصل بالقرينة والاستدلال فان كان هذا اللفظ هو اليعمرى، فيوجد فى العرب قبيلة اسمها يعمر جاء ذكرها فى تاج العروس، إلا أنه لم ينسبها ولكن السويدي ذكر أنها من كنانة. وإن كان هو اليعفرى فبنو يعفر هم بطن من حمير ويقال لهم الأوزاع
- (٢) مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وهم حى مشهور منهم أبو عثمان الممازنى النحوى وبنو مازن أيضا من الخزرج، وبنو مازن بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان. وبلادهم الطائف وجبالها
- (٣) ثقيف كأمير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان
- (٤) نسبة إلى سليم كزبير وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهم قبيلة كبيره منتشرة فى الشرق والغرب، ومنهم أكثر عرب بركة
- (٥) فزارة بلالام ابن ذبيان بن غضيب بن ريث بن غطفان، أبو قبيلة من غطفان منهم بنو العشاء وبنو غراب وبنو شمخ
- (٦) نسبة إلى باهلة قبيلة من قيس عيلان، وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها
- (٧) نسبة إلى عبس اسم أصله الصفة وهو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس. وهم رهط الخطيئة الشاعر وعروة بن الورد وإليهم ينسب عنترة بن شداد، وفى بنى هلال أحياء ينسبون إلى عبس
- (٧) العنسى بسكون التون بطن من كهلان وإليهم ينسب الأسود العنسى الذى كان فى اليمامة وارتد هو ومسيبلة الكذاب
- (٩) عذرة بلالام قبيلة فى اليمن وهم بنو عذرة بن سعد هذيم بن سعد بن ليث ابن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة واخوته الحارث ومعاوية ووائل وصعب بنو سعد هذيم بطون كلهم عذرة وأهمهم عائد بنت مر بن أد، وكذلك منهم سلامان

والحجبي (١) والضيبي (٢) والسكوني (٣) . والتيمي (٤) . والعشمي (٥) . والمرى (٦) . والعقبلي (٧)

ابن سعد في عذرة أيضا كذا قاله ابن عبيد وهم مشهورون في العشق والعفة حتى ضرب المثل بالهوى العذري . ومنهم جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بئنة ، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء .

(١) جاء في تاج العروس : والحجبيون محرمة بنو شيبه لتوليمهم حجابة البيت الشريف (٢) ضبة ابن أدم تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وأبناء ضبة ثلاثة سعد ، وسعيد ، مصغرا ، وباسل . فسعيد وباسل لآعقب لهما فانحصر جماع ضبة في سعد بن ضبة وهم ججرة من جمرات العرب

(٣) السكون كصبور حتى من العرب ، وهو ابن أشرس بن ثور بن كندة (٤) في قريش تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، ومن تيم هؤلاء اثنان من العشرة المبشرين بالجنة ، أبو بكر الصديق ، وأبو محمد طلحة بن عبيد الله ، وهما يجتمعان في عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، ويجتمعان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة ابن كعب وفي قريش أيضا تيم بن غالب بن فهر أخو لؤى بن غالب وفي بني بكر بن وائل ، تيم بن قيس بن ثعلبة بن عكابة وفيهم أيضا تيم بن شيبان بن ثعلبة وقبل إن تيم بن شيبان هذا هو من بني شيبان بن ذهل ثم في بني ضبة تيم اللات ابن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد ، وفي الخزرج تيم اللات بن ثعلبة ، قال في تاج العروس . والتيمون كثيرون

(٥) نسبة إلى عبد شمس ، وهم بطن من قريش ، ويوجد في العرب عبشمس ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، والعب هنا قيل ضوء الشمس ، وقيل لعباب الشمس وقيل هو العبي . بالهمز يفتح فيكسر والنسبة أيضا عبشمي قال الشاعر :

وتضحك مني شبيجة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

(٦) نسبة إلى مرو هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر قبيلة مشهورة ، وهناك مر ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة من طيء وإخوته ستة عشر ، ويقال أيضاً مرى نسبة إلى مرة بالتاء . وفي قريش مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ثم إنه يوجد في قيس عيلان قبيلة اسمها بنو مرة ، وهو مرة بن عوف ابن سعد بن قيس عيلان .

(٧) نسبة إلى عقيل كزبير ، وعقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي بني فزارة عقيل بن هلال ، وفي أشجع أيضاً عقيل بن هلال .

والفهمي^(١). والصريحي^(٢) والجزلي^(٣). والقشيري^(٤). والسكبي^(٥). والقضاعي^(٦).

(١) نسبة إلى فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، ردهط تأبط شرا. وفهم أيضاً هم فهم الجرات، بطن من لحم. وفي الأزدي فهم بن غنم بن دوس، منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرش.

(٢) لم نقف حتى الآن على اسم قبيلة يقال لها الصريح، وغاية ما رأينا أنه في تاج العروس يقول: (والصريحان قبيلة) ولم يزد على هذه الكلمة شيئاً - ونظراً لكثرة التحريف والتصحيف في طبعة الاحاطة التي أخذنا عنها فيغلب على ظننا أن (الصريحي) هنا إنما هو الصليحي باللام، فاذا كان كذلك فالصليح نخذ من همدان منهم القاضي محمد بن علي الهمداني الصليحي، وكانوا قائمين بدعوة العبيديين باليمن كما جاء في سبائك الذهب للسويدي وذكر السلطان بن رسول صاحب أنساب العرب منهم أمراء.

(٣) نسبة إلى جزيلة كسفينة بطن من كندة.

(٤) نسبة إلى قشير كزبير وهو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن، وإلى هذه القبيلة ينسب الامام أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة المشهورة.

(٥) نسبة إلى كلب بن وبرة وهو أخو نمر وتونوخ كما في معارف ابن قتيبة وقال العيني: في طيء كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة.

(٦) قضاة قبيلة من حمير من القحطانية، وعليه جرى ابن اسحاق والنكبي وغيرهما وذهب بعض النسابين إلى أن قضاة من العدنانية وأنه بن معد بن عدنان. قال ابن عبد البر وعليه الأكثر: قال السويدي: والأشهر هو الأول. قلنا وهو المعتمد عليه. إلا أن النسابة جمعوا بن حبيب قال: لم تزل قضاة في الجاهلية والاسلام تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم فالت قضاة إلى اليمن وانتمت إلى حمير. وذكر ابن الأثير في الانساب هذا الاختلاف ونقل عن محمد بن سلام المصري وقد سئل انزار أكثر أم اليمن؟ أنه قال: إن تعددت قضاة فنزار أكثر وإلا فاليمن. ومن الغريب أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان كل منهما له طريق أحدهما يفيد أن قضاة من اليمن والآخر أنها من معد بن عدنان. وهذا برهان على كثرة الوضع في الاحاديث، وقد رأيت كلا منهما في كتاب انساب العرب لابن رسول من سلاطين اليمن.

والاصبحي (١) . والمرادى (٢) . والرعيى (٣) . واليحصي (٤) . والتجيبى (٥) .

(١) نسبة إلى ذى أصبح من حمير ، قيل هو الحارث بن عوف بن مالك بن زيد ابن سدد بن زرعة وقال بن حزم ، وهو ذو أصبح مالك بن زيد بن العوث من ولد سبأ الأصغر . وإلى هذه القبيلة ينسب سيدنا مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الأربعة . وجده الأقرب هو أبو عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان الاصبحي الحميري من التابعين .

(٢) نسبة إلى مراد كغراب وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وفي المصباح : مراد قبيلة من مذحج قال الزيدى : ومذحج هو مالك بن زيد المتقدم ذكره (٣) نسبة إلى ذى رعين كزبير قال الجوهري إنه من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبا من عرب اليمن ، ورعين حصن أو جبل فيه حصن ، وفي اليمن مخلاف يقال له شعب ذى رعين .

(٤) نسبة إلى يحصب ذكر الحافظ بن حزم في جمهرة الانساب : أن يحصب هو آخر ذى أصبح جد الامام مالك ، وقلعة يحصب بالاندلس سميت بمن نزلها من اليحصيين من حمير ، منها سعيد بن مقرون بن عفان ، والناطقة ابن ابراهيم المحدثان ، والقاضى عياض بن موسى صاحب الشفاء ، وعبدالله بن محمد بن معدان اليحصي الاندلسي كتب عنه السلفي .

(٥) تجيب بالضم كما جزم به أهل الحديث ، وأكثر الأدباء : قال الزيدى في تاج العروس : إن اهل الانساب يميلون إلى فتحه وقال القاضى عياض : إنه بالفتح كما قيدناه عن شوخنا ، وذهب أبو محمد بن السيد النحوى إلى صحة الوجهين ، وسمعت الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله يلفظ تجيب بالضم نقلا عن أحد مشايخه في الحديث والتاء في تجيب أصلية عند الخليل ، وتابعه في ذلك الفيروز أبادى مجد الدين ، ولكن الجوهري وابن فارس وابن سيدة ذهبوا إلى أنها زائدة ، والقبيلة بطن من كندة ، قال ابن قتيبة ، ينتسبون إلى جدتهم العليا ، وهى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج وقال ابن الجرانى : هى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منبه بن حريث بن جلد ابن مذحج وهى أم عدى وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون ، قال ابن حزم : كل تجيبى سكونى ولا عكس . ومن تجيب كنانة بن بشر التجيبى قاتل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وهناك قبيلة أخرى اسمها تجوب منها عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فهو تجيبى من مراد ثم من حمير .

والصدفي (١) . والغافقي (٢) . والحضرمي (٣) . واللخمي (٤)

(١) نسبة إلى صدف ككتف قيل هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وينسب إلى صدف خالق من الصحابة وغيرهم ، نزلوا بمصر واختطوا بها ، ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفي صاحب الامام الشافعي رضى الله عنه ، وقد نزل من الصدف قوم بالأندلس ولهم قرية بغربي الأندلس تقدم ذكرها والنسبة إلى الصدف صدفي بالتحريك كراهة الكسرة قبل ياء النسب

(٢) بطن من عك قال ابو عبيد كان منهم في الاسلام أمراء ورؤساء ، ويوجد الغافق بالالف واللام وهم بطن من اثمار بن أراش ، وجاء في نفع الطيب أن أكثر أهالي شقورة من الأندلس ينتسبون إلى غافق ، وإلى غافق ينسب عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس الذي استشهد في وقعة بلاط الشهداء

(٣) نسبة إلى حضرموت وهو ابن سبأ الأصغر ، وسميت به مدينة حضرموت ويقال للعرب الذين من حضرموت حضارمة . وقد انتسب إلى هذه البلدة أعيان كثيرون من كل قطر ، وأورد في تاج العروس من أسماء الحضرميين من فقهاء ومحدثين ما ملاً صحيفة كبيرة وابن خلدون إذا انتسب يقول عن نفسه الحضرمي

(٤) قبيلة من كهلان ، جاء في أنساب العرب لابن رسول من ملوك اليمن أن اسم لحم مالك بن عدى . قال : واختلف في لحم وجذام ، فقال قوم : هم ابنا عدى بن عمرو بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن اسحاق : وأكثر أهل النسب على أن لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن الكلبي : لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن رسول : وكل هؤلاء قد أجمعوا أن لحماً وجذاماً في قحطان . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة باسناد ليس بالقوى : الايمان يمان آل لحم وجذام ، صلوات الله على لحم وجذام ، يقاتلون الكفار على رؤوس الشعف ، ينصرون الله ورسوله . وقالت فرقة : إن قص بن معد بن عدنان هو أبو لحم ، واحتجوا بحديث روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أتى بسيف التيمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة

والجذامى (١)

وعنده جبير بن مطعم ، فقال له عمرو يا جبير ممن كان النعمان بن المنذر ؟ فقال كان من اشلاء قنص بن معد بن عدنان يعنى من بقايا قنص ، انتهى .

قلنا فى هذه الرواية شك ، وإن صححت عن جبير بن مطعم فيكون خطأ منه ، لأن لحم وجذام هم من عرب اليمن ، والقول بخلاف ذلك هو خرق للاجماع قال فى سبائك الذهب : وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق وإنه كان لبقايا لحم ملك بأشيلية من الأندلس ، وهى دولة بنى عباد : وقال القضاعي فى خطط مصر انهم حضروا فتح مصر واختطوا بها ، وفى صعيد مصر بنو سماك وبنو سهل وبنو شنوءة وبنو عدى وبنو راشد وأخاذ كثيرة من لحم ومنهم بنو عمم الذين ينسب إليهم ملوك الحيرة رهط النعمان بن المنذر واسم عمم الأصيل هو عدى ، ولما كانت عائلة محرر هذه السطور تنسب إلى المتأذرة فقد راجعت سلسلة نسبهم إلى لحم فى سجل النسب الارسلانى المبدوء به سنة ١٤٢ للهجرة المتسلسل خلفاً عن سلف من ذلك التاريخ إلى الآن تحت تصديق القضاة والحكام ، والعلماء الإعلام فوجده يقول : إن الملك المنذر الذى لقبته العرب بالمغرور هو ابن الملك النعمان أبى قابوس بن الملك المنذر بن الملك المنذر ، وهو ابن ماء السماء مارية ابنة ربيعة التغلبى أخت كليب والمهلهل بن الملك امرى القيس ابن الملك النعمان الأعور ابن الملك امرى القيس بن الأمير النعمان ابن الملك عمرو بن الملك امرى القيس بن الملك عمرو ، وهو بن أخت جذيمة الأبرش الذى زوجها من ابنة عدى حتى يملك على لحم ، وعدى هو ابن نصر بن ربيعة بن المنذر بن تميم بن عمرو ابن سعد بن ذميل بن الحارث بن زيد بن الحارث بن إباد بن نصر بن فهم بن عامر بن زهير بن مالك بن جزيلة ابن مالك . وهو لحم بن عدى بن عمرو بن عبد شمس ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد العرب العرباء والله أعلم .

(١) نسبة إلى جذام ، وهى بضم الجيم وبالذال المعجمة ، بطن من كهلان ، ويقال ان جذام كان أبا لحم ، وهذه هى الرواية المشهورة ، وإنك لتجد هذين القبيلين دائماً متلازمين . قال الجوهري : ويزعم نسبة مضر أن جذام من مضر وأنهم انتقلوا إلى اليمن فحسبوا من اليمن ، ثم إن جذام هم فى مقدمة العرب الذين فتحوا مصر مع عمرو ابن العاص ، ذكر السويدي فى سبائك الذهب نقلاً عن الحداني قال : وبالأسكندرية من جذام ولحم أقوام ذوو عدد وعدد ، وأهل شجاعة وإقدام وضرب بالسيف وورثت بالسهم ، ولهم أيام معلومة ، وأخبار معروفة ، ووقائع فى البر والبحر مشهورة . ومن جذام ملوك بنى هود أصحاب سرقسطة

والسلولي^(١) . والحكمي^(٢) . والهمداني^(٣) . والمذحجي^(٤) . والحشني^(٥) .

(١) سلول فخذ من قيس بن هوازن ، وفي الصحاح والعباب قبيلة من هوازن هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول اسم امهم ، وهي ابنة ذهل ابن شيان بن ثعلبة ، وفي سلول هؤلاء قبيل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) نسبة إلى الحكم وهو مخلاف في اليمن نسب إلى الحكم بن سعد العشيرة من مذحج . قال الزبيدي في تاج العروس : ولبنى الحكم بقية كثيرة باليمن منهم بنو مطير ، وقال ابن السكبي أن الحكم بن يتبع بن الهون بن خزيمة دخل في مذحج منهم رهط الجراح بن عبد الله الحكمي عامل خراسان

(٣) نسبة إلى همدان بفتح فسكون ، بطن من كهلان ، واسم همدان هو أوسله بن مالك بن زيد بن أوسله بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قال الزبيدي : والعقب من همدان في جشم بن خيران بن نوف بن همدان ، والعقب من جشم في فخذين لصلبه بكيل وحاشد فمن بكيل في رومان وسوران وخيران ، ومن حاشد في سبيع بن سيع بن صععب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد ولهم بطون متسعة باليمن انتهى .

وهم الذين نصرنا عليا في حرب صفين حتى قال رضى الله عنه .

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وإلى همدان ينسب الهمداني صاحب الاكليل وصفة جزيرة العرب ، وكان علامة فيلسوفاً ، وقد سمي بهمدان أحد حصون مملكة غرناطة والاسبانيون يقولون « هنديين Alhendin » ، قلبوا الميم نونا ولفظوا الاسم بالامالة كما سمعوا من العرب الاندلسيين (٤) مذحج كججلس هو مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وقيل بل مذحج هو ابن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الزبيدي : وهم شعب عظيم منه بطون وأفخاذ

(٥) نسبة إلى خشين كزبير وهو جابر بن خشين بن عاصم بن لؤي في نسب فزارة وأيضاً هناك خشين بن النمر بن وبره بن تغلب بن حلوان في قضاعة . ومن هؤلاء جرثوم بن ناشر الحشني رضى الله عنه ، ومنهم بشر بن حيان التابعي ، ومنهم محمد بن عبد السلام الحشني أبو عبد الله صاحب كتاب القضاة في قرطبة وولده محمد بن محمد

والبلوى (١) . والجهنى (٢) . والمزنى (٣) والطائى (٤) . والاسدى (٥) .

وأبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الحشنى الأندلسى النحوى المعروف بابن أبى الركب أخذ عنه الشريشى صاحب المقامات

(١) نسبة إلى بلى كرضى قبيلة معروفة وبلى هو ابن العمرون الحافى بن قضاة والنسبة إلى بلى بلوى مثل علوى

(٢) نسبة إلى جهينة بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياء المثناه وفتح النون بعدها حتى من قضاة يسكنون اليوم فى سواحل الحجاز وعددهم كبير

(٣) نسبة إلى مزينة كجهنة قبيلة من مضر . وهو بن أد بن طابخة ، وهم رهط ابن أبى سلى الشاعر صاحب المعلقة . وهم يسكنون اليوم حول المدينة المنورة

(٤) نسبة إلى طىء بفتح الطاء وتشديد الياء وهمزة فى الآخر قبيلة من كهلان كانت منازلهم باليمن بخرجوا على أثر خروج الأزد منها ، وانتهى أمرهم بالاستيلاء على جبلى أجأ وسلى الذين يعرفان الآن بجبلى طىء ، قال السويدي فى سبائك الذهب : وافترقوا فى أول الاسلام فى الفتوحات قال ابن سعيد : هم الآن أمم كثيرة تملأ السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً قال : وهم أصحاب الرئاسة فى العرب إلى الآن فى العراق والشام ومن بنى طىء بنو نهان ، وبنو ثعل المشهورون بالاجادة فى الرى ، وبنو جرم الذين أعقابهم فى بلاد غرة ، وبنو بولان بفتح أوله وسكون الثانى ، ومنهم الثلاثة الذين يقال إنهم وضعوا الخط العربى . وكان منهم بنو الجراح أيام الفاطميين ، وكانت لهم رئاسة على طىء ثم صارت الآن لآل عيسى بن مهنا . ومنهم بنو سنسب طائفة بيطايح العراق ، وطائفة بدمياط من الديار المصرية ، ومنهم بنو لام فى العراق ومنهم بنو تيم الذين كان يقال لهم مصاييح الظلام ، وهم الذين مدحهم امرؤ القيس . ومنهم بنو صخر فى بلاد البلقاء . ومنهم آل فضل من ربيعة طىء ولهم رئاسة وامارة ، ومنهم بطون وأقخاذ لا يحصيها إلا خالقها كما أن الأعيان والأعلام المنسوبين إلى بنى طىء لا يحصى عددهم . ومنهم حاتم الطائى الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وأبو تمام الطائى والبحترى كلاهما أشعر شعراء المولدين . ومنهم محي الدين بن عربى المتصوف الشهير ومنهم ابن مالك النحوى الجيايى الأندلسى

(٥) نسبة إلى اسد وهو أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكذلك أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهى قبيلة أخرى

والاشجعي^(١). والعاملي^(٢). والخولاني^(٣). والايادي^(٤). والليثي^(٥). والخنثعي^(٦)

(١) نسبه إلى أشجع وهم حى من غطفان كانوا عرب المدينة، وكان سيدهم معقل ابن سنان. قال في العبر: ان منهم بالمغرب الأقصى حياً عظيماً في جهات سجلماسة
(٢) نسبة إلى عاملة وهم حى باليمن من ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ نسبوا إلى أمهم عاملة بنت مالك بن وديعة بن قضاة، أم الزاهر، ومعاوية بن الحارث بن عدى نفسه، ومنهم عدى ابن الرقاع الشاعر قال الجوهري: ويزعم نساب مضر أنهم من ولد قاسط قال الاعشى:

أعامل حتى متى تذهبين إلى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجعوا إلى النسب الفاخر الأقدم

قال في تاج العروس: وشذ بن الأثير حيث جعل عاملة من العمالقة اه.

وجاء في سبائك الذهب نقلاً عن أبي عبيد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد وأنه كان تحته عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير ابن عدى قال الحمداني: وجبل عاملة من بلاد الشام وقيل إن هذه القبيلة من اليمن نزلت به فقيل له عاملة وقد يحدفون التاء فيقال جبل عامل وهو الواقع بين صيدا وصور من الشمال إلى الجنوب وبين البحر المتوسط وغور الحولة من الغرب إلى الشرق

(٣) نسبة إلى خولان بطن من كهلان وبلاد خولان في اليمن من شرقيه وقد افترقوا في القوتوحات ومنهم بنو سعد وبنو بكر وبنو قيس وبنو الأصهب وبنو حبيب وبنو عمرو ومما أتذكره أنى رأيت في الجبل الأخضر من برقة مكاناً إلى الجنوب منه يقال له خولان
(٤) نسبة إلى أياد وهم حى من معد إلا أنهم يسكنون اليمن قال ابن دريد: هما إيادان إياد بنى نذار وإياد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو

(٥) نسبة إلى ليث وهو ليث بن بكر بن عبدمناف بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر وفي التهذيب بنو ليث حى من كنانة

(٦) بنو خثعم بطن من أثمار بن أراش قال في العبر: بلاد خثعم مع اخوتهم بجيلة بسروات اليمن والحجاز. وقال السلطان ابن رسول في كتابه أنساب العرب. واختلف في خثعم وبجيلة فأكثر أهل النسب يقولون أنهما أبناء أثمار بن نزار بن معد ابن عدنان وأنهما لاحقاً باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أثمار بن أراش بن العمرو بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

والسكسكى^(١) . والزبيدى^(٢) . والثعلبى^(٣) . والكلاعى^(٤) . والدوسى^(٥)

(١) نسبة إلى سكاسك حى باليمن وهما قبيلتان الأولى من كندة وهو كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد وولد لسكندة أشرس وولد لأشرس سكسك ويقال له حميس وهو أخو السكون وحاشد ومالك بنى أشرس . والقبيلة الثانية هم بنو زيد بن وائلة بن حمير وزيد هذا كان يلقب بالسكاسك .

(٢) نسبة إلى زيد كزبير وهم بطن من مذحج وهو منبه الاكبر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو جماع مذحج وزيد الأصغر هو منبه بن ربيعة بن سلمة بن هازن ابن ربيعة بن زيد الاكبر قال ابن دريد : زيد تصغير زيد وهو العطية . وينسب إلى زيد عمرو بن معدى كرب الصحابى الفارس المشهور أسلم سنة تسع وشهد الفتح واستشهد بالقادسية وقيل بناوند رضى الله عنه والقاضى أبو الهذيل محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى ومحمد بن الحسين الزبيدى الاندلسى صاحب القالى ومحمد بن عبيد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدى الاشبلى اللغوى نزيل قرطبة .

(٣) نسبة إلى ثعلب ويوجد فى العرب قبائل شتى باسم ثعلبة . فثعلبة فى أسد . وثعلبة فى تميم . وثعلبة بن ربيعة . وثعلبة فى قيس ، وثعلبتان فى طىء وهما ثعلبة بن جذعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى وثعلبة بن رومان بن جندب المذكور قال الزبيدى : وقرأت فى أنساب أبى عبيد : الثعالب فى طى يقال لهم مصاييح الظلام كالربائع فى تميم . ويوجد بطن اسمه ثعلبة فى غطفان

(٤) نسبة إلى ذى الكلاع وهما من اليمن أحدهما الأكبر . وهو يزيد بن النعمان الحميرى من ولد شهال بن وحاضة بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر وذو الكلاع الأصغر هو أبو شراحيل سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر .

(٥) الدوس بن عدنان بن عبد الله وأخطأ بعضهم فظن أنه عدنان بالنقطة الموحدة والحال أنه بالناء المثلثة وهم قبيلة من الأزد قال ابن الجوانى النسابة : هو دوس بن عدنان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن أزد منهم أبو هريرة الدوسى الصحابى المشهور ، ودوس أيضاً قبيلة من قيس وهم بنو قيس بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان .

والحوارى^(١) . والسلماني^(٢) .

هذا ويرد كثير من شهادتهم ، ويقل من ذلك السلمى نسباً والدوسى والحوارى والزبيدى ، ويكثر فيهم كالانصارى والحميدى^(٣) والجذامى والقيسى والغسانى . وكفى بهذا شاهداً على الاصلة ودليلاً على العروبة .

وجندهم صنفان : اندلسى ، وبربرى . والاندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة وحصى^(٤) من شيوخ الممالك ، وزيتهم فى القديم شبه زى اقبالهم وأصدادهم من جيرانهم الفرنج : اسباغ الدروع ، وتعليق الترسه ، وجفاء البيضات ، واتخاذ عراض الأسنة ، وبشاعة قرابيس السروج ، واستركاب حملة الرايات خلفه ، كل منهم بصفة تختص بسلاحه ، وشهرة يعرف بها . ثم عدلوا الآن عن هذا الذى ذكرنا الى الجواشن المحتصرة ، والبيض المرهفة ، والدرق العربية ، والسهام الأمطية^(٥) ، والاسل العطفية . والبربرى يرجع الى قبائله المرينية ، والزناطية ، والنجانية ، والمغراوية ، والعجيسية

(١) لم نجد فى ما قرأناه إلى الآن قبيلة لها هذه النسبة وإنما ورد فى تاج العروس : وحوار كغراب صقع بهجر ، وكذلك بلد الحيرة بقرب الكوفة النسبة اليها حيرى وحوارى وقد تكون هذه اللفظة من جملة الألفاظ التى حرفها النساخ فأصبح لا يعرف أصلها . (٢) نسبة إلى سلمان بطن من مراد وهو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد قال الرشاطى : وأهل الحديث يفتحون اللام . منهم عبيدة بن عمرو وقيل ابن قيس الكوفى السلماني أسلم فى حياة النبي عليه السلام ولم يره وروى عن على وابن مسعود . وإلى هذه القبيلة ينسب الوزير العلامة لسان الدين بن الخطيب الذى نقل كلامه الآن . ويوجد بطن من جذام اسمهم السلطان بالآلف واللام

(٣) لعله يريد الحميدات وهم من بنى أسد بن عزي ينسبون إلى حميد بن زهير بن الحرث بن راشد كما فى التوشيح قاله الزبيدى فى تاج العروس .

(٤) الحصى بالحاء المهملة المعروف بالمقل .

(٥) نسبة إلى قبيلة من البربر اسمها اللط معروفة بنوع من الدرق إلى النهاية فى المتانة ولكن الموصوف هنا هو السهام .

والعرب المغربية ، الى أقطاب ورؤوس يرجع أمرهم الى رئيس على رؤسائهم ، وقطب لعرفائهم ، من كبار القبائل المرينية ، يمت الى ملك المغرب بنسب . والعائم تقل في زى هذه الحضرة ، إلا ما شذ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند العربي منهم . وسلاح جموعهم العصى الطويلة المثناة بعصى صغار ذوات عرى في أوساطها ، ترفع بالانامل عند قذفها ، تسمى « بالامداس » وقسى الافرنجة يحملون على التدريب بها على الايام . والمواسم متوسطة ، وأعيادهم حسنة ماثلة الى الاقتصاد ، والنفى بمدينتهم فاش ، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيراً من الاحداث كالحفاين ومثلهم . وقوتهم الغالب البرّ الطيب عامة العام ، وربما اقتات في فصل الشتاء الضمقة والبوادي والفعلة في الفلاحة الذرة العربية ، ومثل أصناف القطاني الطيبة .

وفواكهم اليابسة عامة العام متعددة ، يدخرون العنب سليماً من الفساد الى شطر العام ، الى غير ذلك من التين ، والزبيب ، والتفاح ، والرمان ، والقسط (١) ، والبلوط ، والجوز ، واللوز ، الى غير ذلك مما لا ينفد ولا ينقطع ، إلا مدة في الفصل الذي يزهد في استعماله .

وصرفهم فضة خالصة ، وذهب ابريز طيب محفوظ ، ودرهم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين ، في الاوقية منه سبعون درهما ، يختلف الكتب فيه : فعلى عهدنا في شق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفي شق آخر : « لا غالب إلا الله » غرناطة . ونصف ، وهو القيراط ، في شق : « الحمد لله رب العالمين » وفي شق : « وما النصر إلا من عند الله » ونصفه ، وهو الربع ، في شق : « هدى الله هو الهدى » وفي شق : « العاقبة للتقوى » .

ودينارهم في الاوقية منه ستة دنانير وثلاثا دينار ، وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية ، وفي شق منه : « قل اللهم مالك الملك (الى) بيدك الخير » ويستدير به قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفي شق :

(١) هو ما يقال له الكستنا

« الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين ابى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل ابن نصر أيد الله أمره » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » ولتاريخ تمام هذا الكتاب في وجهه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » وفي وجهه : « الامير عبد الله الفنى بالله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر أيد الله وأعانه » ويستدير بربع : « بمدينة غرناطة حرسها الله » .

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حقل العصور ، أو ان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفصوص باولادهم وعيالهم ، معولين في ذلك على شهامتهم . وأسلحتهم على أكتاد دوابهم ، واتصال أمصارهم بمحدود أرضهم ، وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في أولى الجدة ، واللجين في كثير من آلة الراجلين فيمن عداهم ، والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ، ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة ، أو اصالة معروفة موقرة .

وحریمهم حریم جمیل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النّشر ، وخفة الحركات ، ونبيل الكلام ، وحسن المحاوره ، إلا أن الطول يندر فيهن . وقد يلبس من التفنن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنافس بالذهبيات والدياجيب ، والتماجن في اشكال الحلى الى غاية ، نسأل الله أن يفض عنهن فيها عين الدهر ، ويكف كف الخطب ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه بمرته وقدرته . انتهى . قلت : كيف لو عاش ابن الخطيب في عصرنا هذا ! فاذا كان يقول ياليت شعري ! ؟ والله الأمر من قبل ومن بعد ! .

ما ذكره المقرئ في النفع عن أنساب عرب الأندلس

قال : إنه لما استقر قدم أهل الاسلام في الأندلس ، وتنامت فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها ، فنزل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم ، إلى أن كان من أمرهم ما كان . فأما العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش . وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة الأنفس : بالأندلس منهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد انتشار ملك بني أمية . وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس . قال ابن سعيد : ويعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين ، وربما عموا نسبهم إلى أمية في الآخر ، لما انحرف الناس عنهم ، وذكروا أفعالهم في الحسين رضى الله عنه . وأما بنو زهرة فمنهم باشبيلية أعيان متميزون . وأما الخزوميون فمنهم أبو بكر الخزومي الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن المدور . ومنهم الوزير المفاضل في النظم والنثر أبو بكر بن زيدون ، ووالده الذي هو أعظم منه ، أبو الوليد ابن زيدون وزير معتضد بنى عباد .

قال ابن غالب : وفي الأندلس من ينسب إلى جمح ، وإلى بنى عبد الدار ، وكثير من قريش المعروفين بالفهريين من بنى محارب بن فهر ، وهم من قريش الظواهر ، ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الأندلس . ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء ، وبنو الجند^(١) الأعيان العلماء . ومن بنى محارب بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، سلطان الأندلس ، الذي غلبه عليها عبد الرحمن الأموي الداخل وجد يوسف عقبة بن نافع الفهري ، صاحب الفتوح بأفريقية . قال ابن حزم : ولهم بالأندلس عدد وثروة .

وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير ، وجلهم في طليطلة وأعمالها ، ولهم

(١) لمولاي سليمان سلطان المغرب تأليف خاص في نسب بنى الجند الذين يقال لهم

ينسب الوشقيون السكتانيون الأعيان الفضلاء ، الذين منهم القاضي أبو الوليد ،
والوزير أبو جعفر ، ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة ، وقد ذكرناه
في محله .

وأما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة
أريولة من كورة تدمير . وأما تميم بن مرة بن أدّ بن طابحة بن الياس بن مضر
فذكر ابن غالب أيضاً أنهم خلق كثير بالأندلس ، ومنهم أبو الطاهر صاحب المقامات
اللزومية . وأما ضبة بن أدّ بن طابحة فذكر أنهم قليلون بالأندلس . فهؤلاء خندف
من العدنانية .

وأما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية ففي الأندلس كثير منهم
ينتسبون إلى العموم ، ومنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس ، كهبد الملك بن حبيب السلمى الفقيه ، صاحب الامام مالك رضى الله عنه
وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة . ومن قيس من ينتسب إلى هوازن بن
منصور بن عكرمة . قال ابن غالب : وهم بأشبيلية خلق كثير ، ومنهم من ينتسب
إلى بكر بن هوازن قال ابن غالب : ولهم منزل بجوفى بلانسية ، على ثلاثة أميال منها
وأشبيلية وغيرها منهم خلق كثير ، ومنهم بنو حزم ، وهم بيت غير البيت الذى منه
أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهرى ، وهو فارسى الأصل^(١) ومنهم من ينتسب إلى
سعد بن بكر بن هوازن . وذكر ابن غالب أن منهم بفرنطة كثيرا كبنى جودى
وقد رأس بعض بنى جودى . ومنهم من ينتسب إلى سلول ، امرأة نسب اليها بنوها
وأبوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى كلاب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب
إلى نمير بن عامر بن صعصعة . قال ابن غالب : وهم بفرنطة كثير ومنهم من ينتسب
إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومنهم بلج بن بشر صاحب

(١) الأفرنج مجموعون على أنه من أصل اسبانيولى

الأندلس وآله و بنو رشيق . ومنهم من ينتسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . ومنهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث ابن غطفان . ومن هؤلاء ، محمد بن عبد الله الأشجعي سلطان الأندلس وفق تقيف اختلاف : فمنهم من قال إنها قيسية ، وإن ثقيفاً هو قيس بن منبه ابن بكر بن هوازن ، ومنهم بالأندلس جماعة ، وإليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الأندلس وقيل إنها من بقايا ثمود . انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار . قال في فرحة الأنفس : ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم ، بجوف مدينة وادي آش . انتهى . والأشهر بالنسبة الى أسد أبداً بنو اسد بن خزيمه بن مدركة بن الياض بن مضر ، ومنهم من ينتسب الى محارب بن عمرو بن وديعه بن بكير بن افضى بن دعوى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة ، . قال ابن غالب في فرحة الانفس : ومنهم بنو عطيه أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن هنب بن افضى بن دعوى بن جديلة بن أسد كبنى عبد البر الذين منهم الحافظ ابو عمر بن عبد البر ، ومنهم من ينتسب الى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ، كبنى حمديس أعيان قرطبة ، ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالكبريين أصحاب أونبة وشلطيش ، الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف . انتهت ربيعة .

وأما إياد بن نزار ، وقد يقال انه ابن معد ، والصحيح الاول ، فينتسب اليهم بنو زهرة المشهورون بأشبيبية وغيرهم . انتهت العدنانية . وهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام .

واختلف في القحطانية ، هل هم من ولد اسماعيل ؟ أو من ولد هود ؟ على ما هو معروف ، وظاهر صنيع اليخارى الاول ، والاكثر على خلافه . والقحطانية هم المعروفون باليمانية ، وكثيراً ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس ، كما كان يقع بالشرق ، وهم الاكثر بالأندلس ، والملك فيهم أرسخ ، إلا ما كان من

خلفاء بني أمية ، فان القرشية قدمتهم على الفرقتين ، واسم الخلافة لهم بالشرق . وكان عرب الأندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والافخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداھية الذي ملك سلطنة الأندلس ، وقصد بذلك تشتيتهم ، وقطع التحامهم وتعصبهم في الاعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل ، فأنحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالأندلس ، إلا ما جاءت على غير هذه الجهة .

قال ابن حزم : جماع أنساب الين من جرم بن كهلان ، وحمير بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل قحطان بن الهميسع بن تيهان بن نابت بن اسماعيل ، وقيل قحطان بن هود ابن عبد الله بن رباح بن جارف بن عاد بن عوص بن إرم بن سام . والخلف في ذلك مشهور ، فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومنهم الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، واليهم ينتسب محمد بن هانيء الشاعر المشهور الاليري ، وهو من بني المهلب . ومن الازد من ينتسب الى غسان ، وهم بنو مازن بن الازد ، وغسان ماء شر بوامنه . وذكر ابن غالب ان منهم بنو القسيمي من أعيان غرناطة ، وكثير منهم بصالحة ، قرية على طريق مالقة ، ومن الازد من ينتسب إلى الأنصار على العموم ، وهم الجم الغفير بالأندلس .

قال ابن سعيد : والعجب أنك تعلم هذا النسب بالمدينة ، وتجد منه بالأندلس في أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة . ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه إلا شيخاً من الخزرج ، وعجوزاً من الأوس . قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة ، وهم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها ومغربها انتهى . ومن الخزرج بالأندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء ، من ولد سعد بن عبادة ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور بالموشحات . وإلى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة ، الذين كان لسان

الدين بن الخطيب أحد وزراءهم ، وعليهم انقرض ملك الأندلس من المسلمين ، واستولى العدو على الجزيرة جميعاً كما يذكر . ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخى الخزرج ، ومنهم من ينتسب إلى غافق بن عك بن عدنان بن أزان بن الأزد . وقد يقال عك بن عدنان بالنون . فيكون أخامعد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب : من غافق : أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب ، وأكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق . ومن كهلان من ينتسب إلى همدان ، وهو أوسلة ابن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، ومنزل همدان ^(١) مشهور ، على ستة أميال من غرناطة . ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى . ومن كهلان من ينتسب إلى مذحج . ومذحج اسم أكمة حمراء بالين ، وقيل اسم أم مالك وطىء بن أدد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : بنو سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج . ومنزل طىء بقبلى مرسية . ومنهم من ينتسب إلى مراد بن مالك بن أدد . وحصن مراد بين أشبيلية وقرطبة مشهور . قال ابن غالب : وأعرف بمراد منهم خلقاً كثيراً . ومنهم من ينتسب إلى عنس بن مالك بن أدد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب . وقلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة . ومن مذحج من ينتسب إلى زبيد قال ابن غالب : وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد . ومن كهلان من ينتسب إلى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى عاملة . وهى امرأة من قضاة ، ولدت للحرث بن عدى بن الحرث مرة بن أدد فنسب ولدها منه إليها . قال ابن غالب : منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة . وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل هم من قضاة .

(١) الاسبان يسمون هذا المكان « هندن » Hendin لأنهم قبلوا الميم نوناً ثم لفظوا الألف بالأمالة فصارت كالياء .

ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مُرّة . وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية . ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى المعافرين يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة ، منهم المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس . ومنهم من ينتسب إلى لحم بن عدى بن الحرث بن مُرّة . منهم بنو عباد أصحاب اشبيلية وغيرها . وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة . ومنهم بنو الباجي أعيان اشبيلية ، وبنو وافد الأعيان . ومنهم من ينتسب إلى جذام ، مثل ثوبة بن سلامة صاحب الأندلس ، وبنو هود ملوك شرق الأندلس . ومنهم المتوكل ابن هود الذي سحت له سلطنة الأندلس بعد الموحدين . ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الأندلس . قال بن غالب : وكان لجذام جزء من قلعة رباح . واسم جذام عامر ، واسم لحم مالك ، وهما ابنا عدى

ومن كهلان من ينتسب إلى كندة ، وهو ثور بن عفير بن عدى بن مُرّة بن أدد ، ومنهم يوسف بن هرون الرمادي الشاعر . ومنهم من ينتسب إلى تُجيب ، وهي امرأة أشرس بن السكون بن أشرس بن كندة . ومن كهلان من ينتسب إلى خَشم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبي نسعة^(١) سلطان الأندلس . وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد ابن عدنان . انتهت كهلان .

وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب إلى ذى رُعين . قال ابن غالب : وذو رُعين هم ولد عمرو بن حمير في بعض الأقوال ، وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معارية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن العوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع بن حمير . قال : ومنهم أبو عبد الله الحنّاط الأعمى الشاعر . قال الجازمي في كتاب النسب : واسم ذى رُعين

(١) أكثر الافرنج يجعلون عثمان بن ابى نسعة هذا الذى تزوج بابنة الكونت اود

ملك غالبا بربريا ولم نعلم سندهم فى ذلك

عريم بن زيد بن سهل . ووَصَلَ النسب . ومنهم من ينتسب إلى ذى أَصْبَح . قال ابن حزم : هو ذو أَصْبَح بن مالك بن زيد من ولد سبا الأَصغر ابن زيد بن سهل ابن عمرو بن قيس ، ووَصَلَ النسب . وذكر الحازمي أن ذا أَصْبَح من كهلان . واخبر أن منهم مالك بن أنس الامام ، والمشهور أنهم من حمير . والأَصْبَحيون من أعيان قرطبة . ومنهم من ينتسب إلى يَحْصَب قال ابن حزم : إنه أَخُوذَى أَصْبَح ، وهم كثير بقلعة بنى سعيد ، وقد تُعْرَف من أَجْلهم في التواريخ الأندلسية بقلعة يَحْصَب . ومنهم من ينتسب إلى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان أشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى قُضَاعَة بن مالك بن حمير ، وقد قيل إنه قُضَاعَة بن معد بن عدنان ، وليس بمرْض ومن قُضَاعَة من ينتسب إلى مهرة ، كالوزير أبي بكر بن عمار ، الذي وثب على ملك مرسية ^(١) ، وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة . ومنهم من ينتسب إلى خشين بن تنوخ ، قال ابن غالب : وهو بن مالك بن فهم بن نمر ابن وبرة بن تغلب . قال الحازمي : تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة . ومنهم من ينتسب إلى بَكِيِّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة . ومنهم البلويون الاشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى جهينة بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة . قال ابن غالب : وبقرطبة منهم جماعة . ومنهم من ينتسب إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن جلوان ، كبنى أبي عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها . ومنهم من ينتسب إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة . ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وقرطبة واشبيلية ^(٢) و بطايوس وقرطبة . قال ابن غالب : وهم كثير بالأندلس ،

(١) وهو الذي قتله المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لهجوه اياه هجوا مقذعاً

(٢) ابن خلدون صاحب التاريخ هو من حضارمة اشبيلية ولا تزال في اسبانيا

وثائق خطية تثبت املاك بني خلدون في ذلك الصقع

وفيه خلاف ، قيل : إن حضرموت هو ابن قحطان ، وقيل هو حضرموت بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن النوث بن جيدان بالجيم بن قطن ابن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهيسع بن حمير . كذا نسق النسب الحازمي ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى سلامان ، ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله .

وقد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية ، وإن تقدم ، ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول : طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ثم الأمير موسى بن نصير ، وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسريه اشبيلية ، ثم أيوب بن جيب اللخمي وسريه قرطبة . وكل من يأتي بعده فسريه قرطبة ، والزهران والزاهرة بجانيها ، إلى أن انقضت دولة بني مروان ، على ما ينبه عليه ، ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ثم السمح بن مالك الخولاني ، ثم عبد الرحمن بن عبد الله الفافقي ، ثم عنبسة بن سحيم الكلبي ، ثم عذرة بن عبد الله الفهري ، ثم يحيى بن سلمة الكلبي ، ثم عثمان بن أبي نعمة الخثعمي ، ثم حذيفة بن الأحوص القيسي ، ثم الهيثم بن عبيد الكلابي ثم محمد بن عبد الله الأشجعي ، ثم عبد الملك بن قطن الفهري ، ثم بلج ، ثم بشر ابن عياض القشيري ، ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبي ، ثم ثوابة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري . وههنا انتهى الولاية الذين ملكوا الأندلس من غير موارثة ، أفرادا ، عددهم عشرون ، فيما ذكر بن سعيد ، ولم يتعدوا في السمة لفظ الأمير قال ابن حيان . مدتهم ، منذ تاريخ الفتح من لدرىق سلطان الأندلس النصراني ، وهو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين إلى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك بقرطبة ، وهو يوم الأضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة - ست وأربعون سنة وخمسة أيام اه .

ثم كانت دولة بني أمية ، أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى . ثم ابنه الحكم بن هشام . ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط . ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن . ثم ابنه المنذر بن محمد . ثم أخوه عبد الله بن محمد . ثم ابن عمه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله . ثم ابنه الحكم المستنصر ، وكرسيهما الزهراء . ثم هشام ابن الحكم . وفي أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبي عامر الزاهرة . ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . وهو أول خلفاء الفتنة ، وهدمت في أيامه الزهراء والزاهرة ، وعاد السرير إلى قرطبة . ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ، ثم تخلت دولة بني حمود العلويين ، وأولهم الناصر على بن حمود العلوى الإدريسي . ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود . ثم كانت دولة بني أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ثم المستكنى محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله . ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، وهو آخر خلفاء الجماعة بالأندلس . وحين خلع اسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة المروانية ، واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة ، وابن عباد باشبيلية ، وغيرهما ، ولم يمد نظام الأندلس إلى شخص واحد إلى أن ملكها يوسف بن تاشفين الملم من بر العدو ، وقتك بملوك الطوائف ، وبعد ذلك ما خلصت له ولا ولده على ابن يوسف ، لأن بنى هود نازعوه في شرقها بالثغر ، إلى أن جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه . فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذى كان ينازعه في شرق الأندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ، ثم لمن بعده من بنيه ، وحضرتهم مرا كش . وكانت ولاتهم تتردد على الأندلس وممالكها ، ولم يولوا على جميعها شخصاً واحداً لعظم ممالكها ، الى أن انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن هود من بنى هود ، ملوك سرقسطة ، وجهاتها ، فملك معظم الأندلس بحيث يطاق عليه اسم السلطان ، ولم ينازعه فيها إلا زيان بن مردنيش فى بلنسية من شرق الأندلس ، وابن هلالة فى طبيرة من غرب الأندلس . ثم كثرت عليه الحوارج قريب موته

ولما قتله وزيره ابن الرميبي بالمرية زاد الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر . وكان عرب أهل الأندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكريا يحيى ابن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص . ثم تقلصت تلك الظلال ، ودخل الجزيرة الانحلال ، إلى أن استولى عليها حزب الضلال . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

نظرة إجمالية

إن اسبانية والبرتغال ليستا على وجه الاجمال معروفتين حق المعرفة عند الناس ومهما اتسعت المعلومات عنهما فالناس تعلم عن أكثر البلدان الأوربية ما لا تعلمه عنهما ، لأن الممالك المعدودة كأنموذجات للمدينة الحاضرة ، والعواصم التي يقصد إليها السياح لأجل الفرجة والاستشفاء أو البحث . ويؤمها الطلبة لأجل تحصيل العلوم ، ليست في اسبانية ولا في البرتغال ، وإذا رجعنا إلى طبيعة الأرض ، وبداعة المناظر فليس في الجزيرة الايبيرية في الحقيقة من تنوع المناظر الساحرة ما في إيطاليا مثلاً ، كما أن السائح لا يرى فيها تلك المروج الزمردية ، والبحيرات اللطيفة ، والجبال الشائخة ، المعممة بالثلج ، ولا مسارح اللحاح التي يراها في سويسرة ، ولكن مما لا جدال فيه أن مواقع معدودة من اسبانية والبرتغال تعد من أبداع مواقع العالم ، وأنها المثل الأعلى من جهة الجنان والبساتين .

أما من جهة المدينة فهي في جنوبي اسبانية راجعة الى أشد أدوار التاريخ توغلاً في القدم ، وقد كان للفينيقيين في هذه البلاد دور طويل عريض ، وقد أثروا فيها آثاراً لا تزال بقاياها ماثلة إلى الآن ، ثم جاء الرومانيون ، وكانت لهم طبيعة عمرانية معروفة لهم شرقاً وغرباً ، فوجدوا مجال العمل في اسبانية ذاسعة ، فعملوا ، وبنوا ، وأثروا ، وأثلوا ، وتركوا آثاراً ناطقة بفضلهم ، وجسوراً وأقنية معلقة منبئة عن شأومهم ، وملاهي وهياكل ، كالتى في ماردة ، وطراً كونة ، ومر بيطر ، وغيرها مما لا يدرسه الزمان ، ولا ينال منه الحدثان .

وجاء بعد ذلك العرب فأنزلوا في الجزيرة الابيرية ، أو الجزيرة الاندلسية على رأيهم ، حضارة عربية شرقية بلغت من الأبهة ، والفراهة ، وسلامة الذوق ، سدره المنتهى ، فلا تكاد تمر بمكان إلا للعرب فيه آثار باهرة ، وغنم أخبار تتحدث بها السامرة ، ولا يزال نظام سقيا الجنان ، وتوزيع المياه على الارضين ، هو النظام الذى رتبوه فى أيامهم ، ثم انه لا ينكر ان الفن الميسى ، سواء فى القرون الوسطى ، أو من بعد عهد النهضة Renaissance قد ترك فى اسبانية آثاراً فاخرة ، ومبانى فخمة ، كقصر الاسكوريال مثلاً .

فالذين يقصدون إلى اسبانية من السياح لا تخيب آمالهم ، ولا تذهب نفقاتهم سدى ، وذلك لأن السائح الأوربي يجد دائماً فى اسبانية أشياء جديدة بالنسبة اليه . فالبلاد كلها عبارة عن جزيرة يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، وتحيط بها جبال البرانس الشاخحة من الجهة الرابعة ، فهي معزلة فى مكانها ، منتبذة من اوربة زاوية خاصة بها ، غير متأثرة بغيرها ، محتفظة بجميع مميزاتا وخصائصها ، لا هى شرقية تماماً ، ولا هى غربية تماماً ، بل هى متوسطة بين اوربة وأفريقية ، واصلة بين المشرق والمغرب ، منظوية فى أحناء وجودها هذا المستقل على أسرار لا يعرفها إلا من أكثر من التجوال فيها ، وقرن السير بالنظر .

وهناك شعب شديد الخنزوانة قائم بذاته ، لا يشبه غيره ، ولا يريد أن يتشبه بغيره ، وله مأخذ ومثارك لا ينزل عنها ، وهو بفطرته لا يجب تقليد الشعوب الاخرى ، بل هو من قديم الزمان مستمسك بأوضاعه ، متعال عن السير وراء أقرانه ، لا يرضى بما لديه بدلاً ، ولا يبتغى عما ائتلفه حوله .

نعم من جهة الصناعة وفن الرسم والتصوير قد يقلد الاسبانيول سواهم ، بل يجد الناظر فى كنائسهم وقصورهم آثاراً للفن الايطالى ، الذى يدور على محاكاة الطبيعة . وكذلك يجد فى رسومهم وتصاويرهم تأثير الفن الافرنسي ، والفلمنكي ، بل ليس فى اسبانية فن تصوير خاص بها ، ولا فن بناء خاص بها ، وإنما هى محاكاة للامم

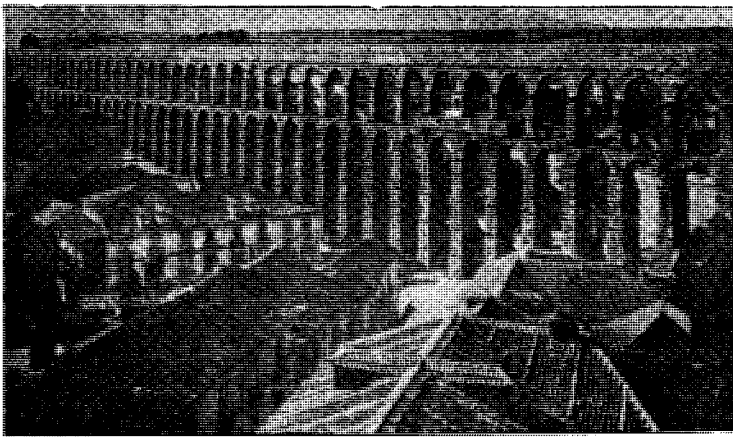
الغربية الأخرى مع جزء فيها من الطبع الإسباني . وإذا كان السائح الأوربي لم يعرف بلاد الشرق ، أو لم يقيض له أن يزور بلاد الإسلام ، فإنه يجد في إسبانية آثاراً عربية ، تكفيه لأخذ صورة حقيقية عن المدينة الإسلامية ، التي منها في الأندلس أمثلة كافية ، وقطع تعد من أنفس وأرقى ما تركه العرب من الآثار في الأرض .

وأما السائح الشرقي فإنه يقضى سياحته في إسبانية متأملاً ، غائصاً في بحار العبر هائماً في أودية الفكر . كلما عثر على أثر عربي خفق له قلبه ، واهتزت أعصابه ، وتأمل في عظمة قومه الخالين ، وما كانوا عليه من بعد نظر ، وعلوهم ، وسلامة ذوق ، ورفق يد ، ودقة صنعة . وكيف سميت بهم مهمهم إلى أن يقوموا بتلك الفتوحات في ما وراء البحر في مجبوحة النصرانية ، وملتطم أمواج الأمم الأوربية ، وأن يبنيوا فيها بناء الخالدين ويشيدوا فيها ألوفاً من الحصون ، وأن يملأوها أساساً وغراساً ، كأنهم فيها أبد الآبدن ، فلا يزال قلب السائح المسلم في الأندلس مقسماً بين الإعجاب بما صنعه آباؤه فيها ، والابتهاج بما يعثر عليه من آثارهم ، وبين الحزن على خروجهم من ذلك الفردوس الذي كانوا ملكوه ، والوجد على ضياع ذلك الإرث الذي عادوا فتركوه ، وأكثر ما يغلب عليه في سياحته هناك هو الشعور بالألم ، فهو لا يزال يسير بين تأمل وتألم ، وتفكير ، وتحسر ، ولكنه يريد مع ذلك أن يقتري هذه الآثار ، وأن يمشی في مساكن أولئك الآباء ، وأن يخاطب الأحجار ، وذلك لأنه لهوى النفوس سراير لا تعلم ، من جعلتها أنها تنزع إلى البكاء عند دواعي الوجد ، كما ترتاح إلى الطرب عند بواعث السرور ، وأنها قد تهتف بالأمرين معاً ، وتجمع الضدين شرعاً ، وأن كل ما هو حنين وتذكر ، وولوع بعد الأعيان بالآثار ، هو من سراير البشرية ، وما هو غالب على النفس الناطقة .

العمرانه والنصه فى اسبانية

هذا ، و إذا حاولنا تحليل الإنشاء العمرانى الذى يعول عليه فى اسبانية وجدناه ينقسم إلى أربعة أدوار : رومانى ، وقوطى ، وعربى ، وأوربى متجدد ، فالرومانى أعظم آثاره متجلية فى مدينة مارده ، قاعدة « لوزيتانيا » التى بناها أغسطس ، ففى الجسر الذى كانت له ٨١ حنية ، وفى القناتان المعلقتان ، وفى الملهى التمثيلى ، وفى ملهى التمثيل البحرى وفى الملعب العام ، وفى هيكل المريخ الذى تحول فيما بعد كنيسة وفى قوس النصر الشهيرة ، وغير ذلك من المبانى الخالدة . وطركونة فى عدة هياكل وملهى تمثيلى ، وملعب وحمامات ، وجميعها من أفخم المبانى الرومانية التى يقيدها التاريخ لتلك الأمة العظيمة . وسقوبية Ségopice هى ذات القناة المعلقة التى طولها ٨١٨ متراً ، منها ٢٦٦ متراً رابكة على طاقين من الحنايا ، الواحد فوق الآخر ، عدد قناطرها ١١٩ قنطرة ، وهو أكمل وأروع بناء رومانى فى اسبانيا .

وأما القوطى فأقدم آثاره فى « أوبيط » Oviedo وهى كنيسة « سان ميكال دولينو » San Mikal de Lino من بناء رامير الأول (٨٤٢ - ٨٥٠) وكنيسة



القناة الرومانية المعلقة فى شقوبية

« سانتا مارية نارنكو » Naranco وغيرها . وفي برشلونة اديار البندكتيين « سان بابلو دلكامبو San Pablo delcampo و « سانت بدرو دولاس بويلاس » San Pedro de Las Puellas من أبنية القرن العاشر .

وبعد ذلك لهد بداية الكثرة الاسبانيولية على العرب ظهرت صنعة جديدة في البناء تدل عليها كنائس ذلك الوقت ، يكثر في بنائها شكل الصليب ، ويقل الزخرف ، وتمتاز بالرصانة والمتانة . ومن هذا النوع كنيسة « سانت ياقو دو كومبوستيلا » De Compostela التي يرجع بناؤها إلى سنة ١٠٦٠ ، وقد امتد إلى سنة ١٠٩٦ وهي تقليد لكنيسة « سان سرنين » في طلوزة . وعلى نسق هذه الكنيسة بنيت كنيسة « سان ايزيدورو » في ليون بين سنتي ١٠٦٣ و ١١٤٩ و « سانتا مارية » في « كورنية » وسان بدرو في وشمة وغيرها . ثم في القرن الثاني عشر بدأوا في اسبانية يقلدون نسق البناء المعروف في فرنسة ، ويقال له هناك غوتيق Gothic وأصله نسبة إلى القوط ، ولكنه ليس بالقوطى الاسبانيولى القديم ، فبنيت كنائس في طلمنكة ، وطر كونة ولاردة ، وتطيلة ، وآبله ، وسقوية ، على هذا النسق . وقد فاق في الضخامة جميع ما تقدمها .

وفي مدينة برغش Burgos كنيسة كبرى بناها المطران موريسيو سنة ١٢٢١ تحتوى مجموعة فنون البناء في الثلاثة الاعصر الاخيرة لذلك العهد . وكان يقال انها أبداع كنيسة في اسبانية . بناها الاستاذ يوحنا الكولوني Jean Cologne وكان من بلدة كولونية بناؤون كثيرون يعملون في اسبانية ، وكانوا يتوخون في ذلك العهد مناغاة الابنية الهرمية ، ويحاولون التفوق عليها . فكنيسة برغش بنيت سنة ١٢٢١ وبعد ذلك بقليل ، عند ما حولوا المسجد الأعظم في طليطلة الى كنيسة في سنة ١٢٢٧ اجتهدوا في أن يعطوه من السعة والاتقان والفضامة والضخامة ما لم يكن معهوداً إلى ذلك الوقت ، وليس في اسبانية كنيسة أوسع رقعة من كنيسة طليطلة سوى كنيسة اشبيلية . ثم بعد بناء كنيسة طليطلة أنشأوا الكنيسة الكبرى في ليون ،

ذات الصور البديعة على البلور ، وتبع ذلك كنيسة « آبله » Avila ثم في القرن الرابع عشر والخامس عشر جد طرز آخر للبناء يميل إلى توسيع الداخل، ومنه كنيسة سانت ياقو في طليطلة ، وكنيسة « استورقة » Astorca وكنيسة سان بنيتو في « بلد الوليد » Valladolid ودير « البرغال » Parrel في سقوية ، وفي « نبارة » Navarre كنيسة بنبلونة Panpelonne وهي أشبه بكنائس فرنسة . وأبهى تلك الكنائس كلها الكنيسة العظمى في برشلونة ، بناها فابر الميورقي . وفي القرن الخامس عشر بنيت كنيسة أشبيلية مكان الجامع الكبير الذي كان فيها ، وهي أوسع بنية في ذلك العصر ، بناها معلمون من هولاندة ، وكانوا قد بدأوا يقلدون العرب في نقش الكتابات على أحجار المباني العامة ، وتطريس الخطوط على الأبواب

وأما في كتلونية فانتهى طرز انشاء الكنائس بأن أصبح مطابقاً تمام المطابقة لطرز بنائها في فرنسة ، ولما كشف الاسبانول أميركة ، وبلغت اسبانية ما بلغته من العظمة والبسطة في القرن الخامس عشر ، ازداد الاسبان تفناً في البناء ، وشادوا تحت تأثير العز ، ونشوة السلطان ، وكثرة الخيرات ، مباني مدهشة ، تستحق السياحة من البلاد النائية ، وذلك من قبيل « سان بابلو » وسان غريغوريو « في بلد الوليد ، و « سنتا كروس » في سقوية ، وفي ذلك العصر نبغ « خيل دوسيلو » الذي يعد عبقرى وقته في البناء . إلا أنه قد دخل إذ ذاك في هندسة الكنائس في أسبانية بدعة لم تكن لتزيدها بهاء ولا رونقا ، وهي جعل موضع خاص في وسط البيعة لأجل الأحبار والقسيسين ، مما كان يخل بالهندسة ، وينافي وحدة الخطوط .

وكذلك هناك بدعة أخرى ، ليست بأقل منها هجئة ، وهي الاجتهاد في منع النور عن الكنائس ، وإبقاء داخلها مظلماً بقدر الامكان . وهذه العادة فاشية في أكثر بيع أوربة حتى يظن الغريب الجاهل بالأوضاع أن الظلمة هي مستحبة في قانون الكنيسة ، وأن النور مكروه فيه . ولا نظن أحداً يكابر في هذه الحالة

وأما طرز البناء العربي فهو على العكس من ذلك فهو يكره الظلام ، ويجب

النور، كما تشهد ذلك في جميع المساجد والمباني العمومية التي شادها المسلمون في الأندلس وغيرها، فأما مسجد قرطبة فهو أعظم مسجد في أسبانية، ومن أعظم المساجد في الاسلام، لا أظن مسجداً يفوقه في السعة سوى المسجد الحرام، وسوى المسجد الأقصى. وربما كان جامع ابن طولون في مصر بهذا المقدار. ولم يقع إنشاء المسجد الأعظم في قرطبة دفعة واحدة، بل وقع شيئاً فشيئاً، كما سيأتي تفصيل ذلك، فكان يزداد فيه كلما ازداد سكان قرطبة. وترى الافرنج الذين يدخلون إليه يؤوّلون سمته هذه بأنه بناء قوم كانوا يحملون بأن الاسلام لا بد أن يعم العالم، فان المسقوف والصحن من هذا المسجد يسعان ثمانين ألف مصل يصلون وراء إمام واحد.

فأما النقش والفُسَيْفِساء اللذان في هذا المسجد فلا شك في كونها من الصنعة البيزنطية، كما أنه لا شك في أن صنّاع المسلمين تعلموها وتفنّنوا فيها، وقد تفنّنوا في الخِط والنحت والنقش والزينة بما جعل لهم أسلوباً خاصاً معروفاً بهم منسوباً إليهم، تجده في مساجدهم، وقصورهم، وحماماتهم، وأبراجهم، وأبوابهم، وكل بناء يولونه شطراً من عنايتهم.

ومما يمتاز به المباني الاسلامية نقش آيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة والامثال، والأشعار، في الحيطان والسقوف، وفوق الابواب، وفي الامكنة المعروضة للنظر، بما تزداد به الابنية سناء، والابهاء بهاء، ويعد من نفائس الزينة التي تزهو بها هذه المعاهد. ولقد رأيت في رُنْدَة قاعة انكشفت جديداً، حيطاها كلها من المرمر، وقد حُفر عليها سورة الفتح من أولها إلى آخرها. وكان الاسبانيول يوم أجلوا العرب عن الاندلس إذا رأوا بناء متقناً، وضمّوا به أن يجعلوه دكا، أبقوه ماثلاً، لكنهم غطوا بالجبص جميع ما على الحيطان من الكتابات العربية، حتى يمحو أثر الاسلام من بلادهم بالمرّة.

ولبت ذلك ديدنهم إلى هذا العصر الذي شعروا فيه بأن السياح إنما تقصد بلادهم لأجل مشاهدة الآثار العربية، فرجعوا ينقبون عنها في كل سهل وجبل،

وكما انكشف لأحدهم منها شيء عند نفسه قد عثر على كنز ، وصارت المجالس البلدية تمنع هدم أى أثر قديم للعرب ، وإن كان متداعياً إلى الخراب اكتفوا بتقويم شعثه ، وأبقوه على هيئته . وقد يكون الشارع ضيقاً ولا يسمحون بتوسيعه ، إذا استلزم ذلك هدم الأبنية العربية .

ومما يُعجب به الأفرنج من مساجد الأندلس جامع في طليطلة يقال له اليوم « سانتو كريستو دولالوز » Dela Luz تاريخ بنائه كما يفهم من الكتابة التي في مدخله سنة ٩٢٢ مسيحية . ولما استرجع الأسبانيول طليطلة في القرن الحادى عشر المسيحى حولوه كنيسة ، ولم يغيروا فيه إلا الجهة الشرقية . وفي هذا المسجد بقايا نقوش عربية بديعة . ويقال إن الأذفونش السادس الذى احتال على ابن ذى النون حتى أخذ من يده طليطلة قد سمع أول قداس بعد استيلائه على هذه البلدة في هذا المسجد نفسه . وفي طليطلة أيضاً من أمثلة الصنعة العربية كنيس لليهود يقصد إليه السياح لنفاسه بنائه . وقد بقى في الأندلس من المآثر العربية التى يشار إليها بالبنان قصر الجعفرية في سرقسطة ، ومنارة اشبيلية الشهيرة ، وباب ساحة النارج في هذه البلدة ، والقصر Alcazar الذى بناه الملك بترو الملعب بالفائس ولكن على الطرز العربى بأيدى بنائين من العرب .

فأما حمراء غرناطة فلا تزال إلى يوم الناس هذا زينة اسبانية وحليتها ، ومقصد المتفرجين من جميع الأقطار يزورها في دور السنة من سبعين الى مائة ألف متفرج ، ومن أغرب ما سمعت أن بعضهم يقيم الشهر والشهرين والثلاثة في غرناطة ، وقلما يمتضى يوم إلا ويقصد فيه إلى الحمراء حتى يتمتع نظره بما فيها من نفائس الصنعة ، وبدائع الطبيعة ، لأن موقع الحمراء الطبيعى هو أيضاً نادر في الدنيا . ومما يحمد الله عليه أن صناعة البناء الأندلسية هى محفوظة كلها في المغرب ، لا تختلف في شيء عما كانت عليه في الأندلس ، وإن الزليج الذى تزين به الحيطان والساحات ، والذى يشبه القاشانى في المشرق ، لا يزال يصنع ويتنافس به .

هذا ، وبعد أن استرد الاسبان بلاد الاندلس من أيدي العرب ، وصار هؤلاء تبعمة لهم تحت اسم المدجنين ، والاسبان يقولون مدجر Mudéjar بقيت الصنعة العربية زاهرة ، يبنى بها الاسبان أنفسهم ، ويدخلونها حتى في بعض كنائسهم ، وقد يجمعون بينها وبين الصنعة القوطية . ومن القصور المبنية على الطراز العربي قصر « الافاتادو » في وادي الحجارة ، وقصر اسمه « كازادل كردون » Casa del Cardon في برغش ، من بناء مهندس عربي اسمه محمد ، من سقوية ، تاريخ بنائه يرجع الى القرن الخامس عشر .

ولا تخلو اسبانية من أبنية قلدوا فيها الصنعة الايطالية بعد عصر التجدد Renaissance ثم رغبوا في زيادة التزيين والتزويق والتخريم والترصيع ، حتى سمي هذا الطرز من البناء بطرز الصياغة . وكان البنائون من الطليان يطوفون في اسبانية ، ويننون القصور لأمرائها بحسب الصنعة الايطالية ، وربما أرسل بعض المترفين من اسبانية إلى جنوة ، فأوصوا على رسوم لقبور موتاهم ، وبنوا بحسبها في بلادهم . ولم يكن الطليان وحدهم هم الذين يبنون بمقتضى الهندسة الجديدة في اسبانية بل كان هناك بناءون من فرنسة وهولاندة وبلجيكة وكان أشهر هؤلاء « أنريك دو ايناس » Enrique de Egas الذي هندس مدرسة « سنتا كروز » في بلد الوليد ، وعدة مستشفيات في طليطلة وغرناطة وسانت ياقو .

واشتهر من المحتاتين في ذلك العصر « فيليب فيكارني » Vigarni « وسيلو » Siloe الذي بنى كنائس غرناطة وكنيسة مالقة . واشتهر أيضاً دياغو دوريانو Diego Deriano الذي له ابنية شهيرة في اشبيلية . مثل دار البلدية ، وكذلك في تلك الحقبة بنيت في بياسة دار بلدية فاخرة . وفي أبدة كنيسة سانتا مارية المشهورة بناها المهندس المسمى « بلد البيرة » وهو الذي بنى كنيسة جيآن . واشتهر أيضاً « ريبارا » ناني دار البلدية في شريش . ومن المدن الشهيرة بالمباني المشيدة بحسب الطراز الجديد طلمنكة Salamanca ذات الاديار والمدارس ، ومدينة القلعة

Alcala وقونكة . ثم جاء عهد فيليب الثاني ، وكان الميل فيه إلى الفخامة ، مع عدم الاعتناء بالزخرف ، وبحسب هذا الاسلوب بُنى الاسكور يال الشهير كما لا يخفى .
 ثم جاء مهندسون أحبوا الخروج عن قواعد الفن ، ونزعوا منزع عدم التقيد مثل « جوفاره » Juvara الذى بنى قصر آل ربون الملوكى ، ويقال انه من أنفس آثار هذا الأسلوب الجديد الحر الذى يسميه الاسبان باسم « روكوكو » Rococo وكذلك يعدون مدخل كنيسة مرسية من طرف هذا الاسلوب . وبالأجمال فى اسبانية من جميع أساليب الفنون النفيسة ، وكلها تستحق النظر . وفيها عدا الكنائس وقصور الملوك والمباني العمومية منازل للنبلاء والمترفين فى كثير من المدن ، يجدر بالسائحين أن يعوجوا عليها ، مثل قصور « آل بينافنت » Benavente فى بياسة ، وآل مدينة سالم Medinaceli فى « كوغولودو » Cogoludo وقصور « فالاسكو » Velasco « وميراندا » Miranda فى برغش وقصور « مندوزه » Méndoza فى وادى الحجارة ، وغيرها من قصور العائلات النبيلة .

فأما صناعة النحت فقد وجد منها آثار قديمة ترجع إلى زمن الرومانيين ، لكنها شخوص معدودة . ثم وجدت تماثيل قليلة من أوائل عهد النصرانية ، ولكن فن النحت ، فى اسبانية لم يبلغ درجة تستحق الذكر إلا فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، وإن وجد فى اسبانية بعض تماثيل تعد من طرف الفن فيكون ذلك من صنع الطليان أو الفرنسيين ، وفى كنيسة طركونة أمثلة من جميع أساليب النحت المعروفة حتى إن من جملتها محراباً باقياً من عهد المسلمين . وقد كان الغالب على بلاد «نبارة» الأسلوب الفرنسى فى النحت ، كما ترى ذلك فى دير بنبلونة وأما كن أخرى وأجل ما فى اسبانية من التماثيل تماثيل السيدة مريم العذراء ، تجد منها نفائس فى اشبيلية وطرطوشة وميورقة وطليلة وغيرها . وأكثر ماتنحت التماثيل هو للأموات من ملوك وأمراء وأحبار وأعيان . وأشهر هذه تماثل الملك فرديناند فى برغش ، وتماثل الأسقف « فرنندس دولونا » Deluna فى كنيسة سرقسطة . وكذلك تماثل الأسقف

« دوسار فنتس » De Cervantes في اشبيلية وأرباب الفن يترنمون دائماً بذكر تماثيل برغش ، التي هي من خرط خيل « سيلو » Siloe ويعجبون بقبور كارلس الثالث وامراته في بنبلونة « وجوان كرادو » Grado في زمورة . ثم إنه في كنيسة سرقسطة المسماة « بالسيو » وفي كنيسة طركونة تماثيل يقول أهل الصنعة إنها يتألم في بابها .

ولو جاء الكاتب يحصى ما في اسبانية من التماثيل الشهيرة ، والتصاوير المستعذبة والتهاويل المعروفة ببداعة الصنعة ، لظال به الأمر ، فان هذه البلاد ملامى بهذا النوع منه ما هو من عمل صنّاع طليان ، ومنه ما هو من عمل صنّاع البلدان الشماليه ، كفرنسة والمانية وبلجكة وهولاندة . ومن أشهر المتفنين في النحت من أمة الاسبانيول « الونزو بروغيت » Berruguete الذي كانت له حظوة لدى الامبراطور شارلكان في بلد الوليد ، فقد ترك هذا المِفنُ آثاراً كثيرة ، أثيرة ، يطول تعدادها . ومثله « بياترو توريجياني » Torrigiani . ومما يجب ذكره أن مملكة أراغون كانت لها ملكة قوية في صناعة النحت ، امتازت بها على غيرها من الأقطار الاسبانية واشتهر من صنّاعها « داميان فورمان » Forment ، كما أنه كان في قشتالة من الصنّاع المشهورين « كسبار بسمرة » Becerra أقام مدة طويلة في رومة ، وقد رجع منها أستاذاً كبيراً في النحت والتصوير معاً ، وكان يؤثر العمل في الخشب على العمل في الحجر ، وأحسن آثاره المذبح الذي في استورقة . ومن أشهر في اشبيلية « مارتينس مونتانس » Montanes المدود من فحول هذا الفن ، وكان أسلوبه وطنياً محضاً ، غير متأثر بأى فن أجنبي . ونبغ في القرن الثامن عشر نحات أصله طلياني ، مولود في مرسية اسمه « زار سيلو » Zarcillo وكان له مذهب خاص لا يقلد فيه غيره .

أما من جهة التصوير فلم يوجد في اسبانية بقايا تصوير من عهد القوط الأولين وإنما بقيت تصاوير راجعة إلى القرون التي كان فيها العرب مالكين لاسبانية . وان السائح يجد في الاسكوريال ، وفي المكتبة الوطنية في مجريط ، وفي أكاديمية التاريخ

في هذه العاصمة ، كتباً أثرية تشتمل تضايفها على صور يأخذ منها صورة ذهنية عن درجة هذا الفن في اسبانية لعهد العرب ، ومنها صور لبعض القصور العربية ، وكان يسمى هذا النوع من الرسم بالبيزنطى . ثم دخل في اسبانية التصوير الافرنسى ، ومنه آثار تذكر في طلمنكة ، وبنبلونة ، وتطيلة ، ودخل من جهة أخرى التصوير الايطالى واشتهرت له نفائس في بلنسية وكتلونية وجزيرة ميورقة ، وامتاز بنصاعة الألوان ، ودقة التقاطيع ، وغلب عليه الجمال . وقد وجد في اسبانية نوع من التصوير لا يحلوه من الصنعة العربية منه مذبح دير « بيدره » Piedra

وعلى كل حال فلا الفن الافرنسى ، ولا الفن الايطالى ، بلغ في اسبانية في التصوير ما بلغه الفن الفلمنكى ، فلقد اشتهر من مصورى الفلمنك الذين كانت اسبانية معرضاً لبدائهم « جان فان أيلك » Van Eyck ونبغ مصورون اسبانوليون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، هم من مقلدى الطريقة الفلمنكية . وفي كل مقاطعة من اسبانية يجد العارف بهذا الفن مسحة منتقلة اليها من مملكة أجنبية . ففي الشمال مثل نبارة وأراغون تسود الريشة الافرنسية ، وفي الشرق مثل بلنسية وميورقة تسود الريشة الإيطالية ، وأما في برشلونة فتوجد آثار الرسم الافرنسى والألمانى والإيطالى على السواء ، وأبداع أمثلة التصوير الاراغونى والقشتالى يجدها الإنسان في سقوية وآبله ، وفي المتحف الآثارى في مجريط ، كما أنه يجد أنفس قطع الفن السكتلونى في كنيسة برشلونة ، وكذلك يجد في متحف بلنسية وميورقة نفائس كثيرة . وفي اشبيلية يتجلى أيضاً الفن الفلمنكى عياناً ، لأن أعظم مصور في هذه البلدة وهو « كاسترو » Castro كان من أتباع الطريقة الفلمنكية ، ثم طرأت على اشبيلية طريقة جديدة طليانية الأصل تميل إلى محاكاة الواقع بحذافيره ، وعدم الاسترسال إلى التخيل ، واشتهر بها مصور اسمه « زور باران » Zurbaran ولا تنس آثار مصورى البنادقة الذين من عملهم أمائيل أنيقة في الاسكوريال وقصر مجريط . وكان قد نبغ من رجال الفن البندقى مصور يقال له « تتوان » Tetuan ونبغ له تلميذ يونانى الأصل

أطلق عليه الأسبان لقب « الكريكو » Greco وقد رأيت لهذا الكريكو صوراً كثيرة في طليطلة

وفي القرن السادس عشر نبع في مصوري اسبانية رجل يقال له « هريره » Herrera يعدّه الاسبانول المفن الوطنى الأكبر ، لأنه يمثل الرصانة والشدة والحمة والصفات التى تغلب عليهم . وكان أهل بلنسية معروفين بحسن الذوق فى التصوير ونبغ فيهم نوابغ فى هذا الفن ، ولكن تأثير الفن الايطالى ظاهر فى تصاويرهم ، ومن أشهر هؤلاء « ريبالتا » Ribalta ثم « اسپينوزة Espinosa تلميذه ثم « ريباره » Ribera . وليس فى اسبانية مدرسة أحدث عهداً فى التصوير من مدرسة غرناطة ومن نبغ فيها « الونزوكانو » Cano . وفى القرن السابع عشر نبغ « مورلو » . Murullo الذى يحبه الاسبانول أكثر من غيره ، وقد كان فى فنه من مقلدى الطبيعة ، أميناً للحقيقة ، لا يؤثر الخروج عنها ، وكان له ميل إلى محاكاة أذواق العامة وله تلاميذ كثيرون مثل « اوزوريو » Osorio و « طوبار » Tobar وظهر فى ذلك العصر أيضاً « فلاسكس » Velazquez وأصله من شب وقد تبع فى التصوير الطريقة الاشبيلية ، وترك آثاراً يفتخر بها الاسبانول ، مثل صورة فليب الرابع ، وصورة الدون كارلوس ، ولم يسن لنفسه طريقة يقال إنها طريقة مدرسيه ليتابعه الناس فيها ، بل لم يكن يتقيد بأسلوب خاص به . وفى مجرى نبغ « جوان كارينيو » Carreno فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان مصوراً للبلاط الملوكى فى أواخر عهد آل هبسبورغ ، ثم اشتهر « سيريزو » Cerezo و « فرنسيسكو ريزى » Rizi الذى يحاكي فى تصويره الألوان المستحبة فى الشرق . ومن مصوري القرن السابع عشر فى مجرى « ليوناردو » Leonardo ثم « مينوز » Munoz : وفى أواخر القرن السابع عشر نبغ « كولو » Coello وكان يحاكي الفلمنكيين بسطوع الألوان واشعاع النور ، وشثونة التقاطيع . وبه ختمت دولة التصوير القديمة فى اسبانية ، وقيل انه مات كدا ، لأن البلاط الملوكى استدعى إليه « جيوردانو »

Jiordano وفي زمن آل بوربون نبغ « بالومينو » Palomino ولكن البوربون في القرن الثامن عشر اعتمدوا على مصوري الفرنسيين ، وروجوا بضائهم . وفي أواخر القرن الثامن عشر ، إلى أوائل التاسع عشر ، اشتهر « فرنسيسكو غويا » Goya وكان هذا الرجل أعجوبة في طريقته ، يرسل نفسه على سجيتهما ، ولا يعرف المحابة ، وقد تعرض غويا هذا لجميع المواضيع ، وله تصاوير دينية معلقة في كنائس طليطلة وبلنسية ومجريط ، إلا أنه لم يكن يحسن إلا هذا اللون ، ولم يكن الناس يحبون تصاويره إلا لخشونتها ، ولذهبه في الصراحة ، لارئاء فيها . والصورة التي رسمها لعائلة كارلوس الرابع هي في الحقيقة مخزاة ناطقة بظانم أمور . وله تصاوير ملاعب الثيران ، وديوان التفتيش ، وتصاوير تمثل حرب الاستقلال ، أجاد فيها إلى الغاية ويقال إنه أقدر مصور مثل أعياد الاسبانيول . وجاء خلفا له مصور يقال له « مدرازو » Madrazo

ثم جاء العصر الأخير فنبغ « براديللا » Pradilla « وبنليور » Benlliure واضرابهما ، فأتقنوا الصور التاريخية ، وفق هوى الاسبانيول في الغرام بالماضي المجيد ، والافتتان بالعظيم والمحزن والمناظر القاسية . ثم ظهر المصور « فورتوفي » Fortuny وهو من كتلونية ، اعتنى بالحياة العصرية ، وكان له ملكة تامة في إيجاد تناسب الألوان ، على نمط نساجي خراسان وكشمير . وبالجملة فالاسبانيول أصحاب دولة في التصوير والنحت ، ور بما كانوا أدرى بتمثيل أحوالهم الداخلية ، والأشكال التي ترتاح إليها نفوسهم من سائر الأمم ، ولو كان الآخرون أعلى منهم كعباً في الفنون النفيسة على وجه العموم

كلام القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد

الأندلسي الطليطلي

التوفى سنة ٤٦٢ وذلك عن الأندلس العربية في كتابه « طبقات الأمم »

قال تحت عنوان « العلوم في الأندلس » : وأما الأندلس فكان فيها أيضاً بعد تغلب بني أمية عليها جماعة عُنيت بطلب الفلسفة ، ونالت أجزاء كثيرة منها ، وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طلائع قديمة في مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية ، إذ كانت الأندلس منتظمة بمملكتهم

ولم تنزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، فتمادت على ذلك أيضاً لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة ، وعلم اللغة ، إلى أن توطد الملك لبني أمية ، بعد عهد أهلها بالفتنة ، فتحرك ذور الهمم منهم لطلب العلوم ، وتنبهوا لإشارة الحقائق على حسب ما يأتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى .

وأما دين أهل الأندلس فدين الروم من الصابئة أولاً ثم النصرانية إلى أن افتتحها المسلمون في التاريخ الذي ذكرناه ، وأما ملكهم فكان لطوائف من الأمم مختلفة ، تداولوها أمة بعد أمة ، فمن تلك الأمم الروم وكان عمالهم ينزلون مدينة طائفة العتيقة المجاورة لاسبيلية . واتصل ملكهم بها زمناً طويلاً إلى أن غلبتهم عليها القوط . فانتسخ الملك الرومي منها ، واتخذ القوط مدينة طليطلة ، من مدائن العتيقة قاعدة لملكه ، وملكوا الأندلس أنخم ملك قريباً من ثلاثمائة سنة ، إلى أن غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدمنا ذكره ، واقتعد ملوكهم قرطبة وطنا ، ولم تنزل مركزاً لملك المسلمين بها إلى زمان الفتنة ، وانتشار الأمر على بني أمية . فافترق عند

ذلك شمل الملك بالأندلس ، وصار إلى عدة من الرؤساء ، حالهم كحال الطوائف من الفرس .

وأما حدود الأندلس ، فإن حدها الجنوبي منها الخليج الرومي ، الخارج مما يقابل طنجة في موضع يعرف بالزقاق ، سمته اثنا عشر ميلا ، ثم ينتهي إلى مدينة صور من مدائن الشام . وحدها الشمالي والغربي ، البحر الأعظم المسمى أوقيانوس المعروف عندنا ببحر الظلمة . وحدها الشرقى الجبل الذى فيه هيكل الزهرة الواصل ما بين البحرين : بحر الروم ، والبحر الأعظم ، ومسافة ما بين البحرين في هذا الجبل ثلاث مراحل ، وهو الحد الأصغر من حدود الأندلس ، وحدها الأكبران الجنوبي والشمالي ، ومسافة كل واحد منهما نحو ثلاثين مرحلة ، ومسافة حدها الغربى نحو من عشرين مرحلة ، ووسط الأندلس مدينة طليطلة العتيقة ، التى كانت قاعدة القوط . وعرضها ٣٩ درجة و ٥٠ دقيقة ، وطولها ٢٨ درجة بالتقريب ، فصارت بذلك فى التقريب من وسط الاقليم الخامس ، وهى فى وقتنا هذا الذى هو سنة ستين واربعمائة قاعدة الأمير أبى الحسن يحيى بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون عظيم ملوك الأندلس . وأقل بلاد الأندلس عرضاً المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، على البحر الجنوبى منها ، وعرضها ٣٦ درجة ، وأكثر مدنها عرضاً بعض المدائن التى على ساحلها الشمالى ، وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة ، فمعظم الأندلس فى الاقليم الخامس ، وطائفة منها فى الاقليم الرابع ، كأشبيلية ، ومالقة ، وقرطبة ، وغرناطة ، والمرية ، ومرسية . وهذا الجبل الذى ذكرنا فيه هيكل الزهرة الذى هو الحد الشرقى من الأندلس ، هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرنسة من الأرض الكبيرة ، التى هى بلاد افرنجة العظمى والأندلس آخر المعمور فى المغرب ، لأنها كما ذكرنا منتهية إلى بحر الأوقيانوس الأعظم اه

التقسيمات الجغرافية

القشتالتان وليون

لم تكن اسبانية في الماضي مملكة واحدة كما هي الآن ، بل كانت أقساماً شتى ، وممالك مستقلة بعضها عن بعض . وبعد أن غلب العرب على جميعها ، ولم يبق موضع قدم منها لم يستولوا عليه ، بقيت صخرة لاذ بها ملك يقال له « بلاى » ، دخل في كهف منها بثلاثمائة رجل ، فلم يزل العرب يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعاً ، وترامت طائفة منهم إلى الطاعة ، فلم يزالوا ينتقصون حتى بقي في ثلاثين رجلاً ، معهم عشرينسوة أصروا على الامتناع في ذلك الكهف ، الذي كان يصعب الوصول اليه ، وجملوا يقتاتون من العسل الذي كان النحل يجمعه في خروق الصخرة ، فاستخف بهم المسلمون وتركوهم وقالوا على ما في رواية « أخبار مجموعة » : ثلاثون علجاً ما عسى أن يكون أمرهم ! ؟ فهؤلاء ، بعد رجوع المسلمين عنهم عادوا فخرجوا من الصخرة غير خاضعين ، واعصوب حولهم كل من نزع به في تلك الأرض عرق الأنفة عن الخضوع للأجنبي ، ورأس بلاى هذا تلك العصابة التي لم تزل تنمو وتغلظ ، حتى صارت امارة حقيقية ، ثم مملكة يحسب حسابها . ثم تكونت منها سلطنة قشتالة التي هي أول حكومة اسبانيولية استقلت عن العرب بعد أن دانت لهم جميع الجزيرة الايبيرية .

ثم لما بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، بسبب الفتن التي كانت تقع بينهم وبين البربر ، وتقع فيما بينهم بعضهم مع بعض ، جعلت قشتالة تسترد شيئاً فشيئاً من البلدان التي كان المسلمون قد استعمروها ، وصار المسلمون يجلبون عن الشمال إلى الجنوب ، فلذلك انقسمت قشتالة الى ما يقال له « قشتالة القديمة » و « قشتالة الجديدة » وجميع قشتالة Royaume de deux Castilles واقعة بين جبال « استورياس » Asturias و « بسقاية » Biscaye من الشمال ، ومملكتي « اراغون » و « بلنسية »

من الشرق ، ومملكة « مرسية » والاندلس من الجنوب ، و « الاسترامادور » و « ليون » من الغرب . فأما « قشتالة القديمة » Castilla la Vieja فهي إلى الشمال وأما « قشتالة الجديدة » Castilla la Heuva فهي إلى الجنوب . والبسيط المرتفع الايبيري الذي يقول له الاسبانيول « ميزيتا » Meseta يشتمل على القشتالتين وليون والاسترامادور . وليس في هذا البسيط شيء ينطبق على ما يتخيله الناس ، وما تسير به الأخبار عن خصب اسبانية ، وكرم تربتها . وطيب نجعتها ، واعتدال هوائها . والحقيقة ان اسبانية التي كسبت تلك الشهرة ، وقيل انها جنة الله في أرضه ، هي مقاطعات اسبانية الجنوبية والشرقية ، وقطعة من وادي إرّه لا غير . ومتوسط ارتفاع هذا البسيط الذي نحن في صده عن سطح البحر هو ٨٠٠ متر يحده من الشمال جبال اشثور ياس Asturias وجبال قنتبريه Cantabres ومن الشرق الجبال المسماة بالايبيرية ومن الجنوب شارات مورينا . وقولنا انه ليس مطابقاً للصفة التي يتخيلها الناس عن اسبانية لا ينبغي أن يكون فيه أودية عميقة ، ذات زرع وضرع ، وإن كان يوجد بجانبها بسائط ، هي في الحقيقة غير قابلة للسكى ، من قسوة هوائها ، وكرازة أرضها . وأما تقسيمات قشتالة القديمة التي أوتادها جبال قنتبرية في الشمال والتي ربيها بواسطة « الوادي »^(١) الجوفي « أي « دورو » Douro ووادي « إرّه » ووادي

(١) هذا النهر أول منابعه مكان يقال له اوريون Urbion على علو ٢٢٥٥ متر عن سطح البحر بين شارات دومندا Demanda وشارات سان لورانزو Lorenzo وشارات سيوليرا Cebollera وهي التي منها تنحدر مياه نهر إره أيضا . وأصل اسمه دورو Duero مشتق من لفظة « دور » Douro ، ومعناها الغزارة ، وأتصال هذا النهر بنهر إره كان له تأثير في الوحدة الاسبانية ، أي في توحيد قشتالة مع أراغون . والوادي الجوفي هذا يجري على ارتفاع سبعمائة متر فوق سطح البحر ، فهو يسقي بسائط في غاية الاتساع ، إلى أن يصل إلى بلد الوليد ، التي هي على يمينه ، وفي أول مجراه ينحدر انحداراً خفيفاً حتى يصل إلى الحدود بين أسبانيا والبرتغال ، فهو ينصب هناك مجرية شديدة في مضائق تجعل منه نهراً هائلاً ، ويصير مجراه في غاية العمق ، وفي بعض

« بسبورقة » Pisuerga فهي ست مقاطعات : الاولى « برغش » Burgos ومساحتها ١٤١٩٦ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٥٠ ألف نسمة . والثانية « آبله » Avila ، ومساحتها ٨٠٤٧ كيلو متراً مربعاً . وعدد سكانها ٢١٠ آلاف نسمة ، والثالثة « سقوية » Ségovie ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها زهاء ١٧٠ ألف نسمة . والرابعة « شورية » Soria ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٦٠ ألف نسمة . والخامسة « لوكروني » Logrono ومساحتها ٥٠٤١ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها ١٩٠ ألف نسمة . والسادسة « شنت اردم » أو « شنت اندر » Santander ومساحتها ٥٤٦٠ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٠٠ ألف نسمة .

أما قشتالة الجديدة فهي في قلب اسبانية تتوسطها اشارات « وادي الرمل » Guadarrama وأعلى قنة فيها ترتفع عن سطح البحر ٢٣٨٥ متراً وهي إلى الشمال من قشتالة الجديدة ، وأما اشارات مورينا فهي منها إلى الجنوب الغربي ، وفيها يمر « وادي تاجه » Tago « ووادى شقر » Xucar و « منزانارس » Manzanares « ووادى يانة » Guadiana وهي تشتمل على المقاطعات الآتية :

الأما كن ترتفع ضفافه مائتي متر عن سطح المياه ، وأحياناً تتقارب الضفتان تقارباً شديداً ، وينحصر الماء انحصاراً عجيباً ، وتتكون من هذا الوادى شلالات ، لو استخدمت قوتها الكهربائية لجاءت بالخرارق ، ولكنه عند ما يدخل في بلاد البرتغال ينسط في الأراضي ، ويعود هادئاً . وللوادى الجوفى أنهر تمده من اليمين ومن الشمال ، منها دوراتون Duraton وسيغه Cega وأداجه Adaja وزابارتيال Zapartiel وطورماس Tormes ويقال انهم يفكرون في شق جداول بين هذه الأنهار ، حتى يمكن المجيء على الماء من طلبنكة ، التي هي على نهر طورماس ، إلى زمورة ، التي هي على الوادى الجوفى . ونهر أداجه هو نهر آبله ، ولكن أراضيها لا تستفيد منه كما يجب ، ونهر زابارتيال وهو نهر مدينة الكمبو . وأما نهر طورماس ، فانه يسقى بسبط طلبنكة ويتصبب إلى الوادى الجوفى على مقربة من البرتغال وأما اشقوية فان نهرها هو المسمى بأرسما Aresma

مقاطعة « مجريط » Madrid ومساحتها نحو من ٨٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٨٨٠ ألف نسمة . و « طليطلة » ومساحتها ١٥٣٣٤ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٤١٥ ألف نسمة . و « سيوداد ريال » Ciudad - Real ومعناها البلدة الملكية ، وهى محدثة بعد محجى ، العرب ، ومساحتها ١٩٧٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٨٠ ألف نسمة . و « قونلة » Cuenla ومساحتها ١٧١٩٣ كيلو متراً مربعاً ، وأهلها ٢٧٠ ألفاً . و « وادى الحجارة » Guadalajara^a ومساحتها ١٢١٩٢ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢١٠ آلاف .

وأما مملكة « ليون » Léon فكانت حدودها من الشمال الاشتورياس ، ومن الشرق والجنوب الشرقى قشتالة القديمة ، ومن الجنوب نجرأ « الاسترامادور » L'Estrémadure ومن الغرب غاليسية - وبلاد البرتغال ، وليون اليوم هى عبارة عن المقاطعات التالية :

نفس ليون ومساحتها ١٥٣٧٧ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٤٠٠ الف نسمة . و « واطلمنكة » Salamanca ومساحتها ١٢٣٢١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٣٥ الفاً . و « زقورة » Zamora ومساحتها ١٠٦١٥ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٠ الفاً . و « بلد الوليد » Valladolid ومساحتها ٨١٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٥ الفاً و « بالنسية » Palencia - هى غير بالنسية Valencia التى على البحر المتوسط - ومساحتها ٨٤٣١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة . ولقد كانت هذه المقاطعات التى فى قلب اسبانية تعد من فيافى بنى أسد ، لولا ما ساق اليها العرب من مياه ، وشقوا من جداول ، وأخذوا من وسائل ، حتى اهترت وربت وأنبنت من كل زوج بهيج ، وكانوا إذا عدموا الينابيع المتفجرة ، التى تلزم لأجل الرى ، يبادرون إلى إنشاء البرك ، والمصانع الهائلة ، يجمعون اليها المياه السائلة فى الشتاء ، على نمط ما كانوا يعملون فى اليمن ، وذلك مثل البركة التى فى « منسا » Mansa وهى تحريف المصنع ، وأما بعد رحيل العرب فقد تهدمت المصانع وطمست

تلك القنى ، ورجعت هذه الأرضون إلى قسوتها الأولى ، وتبدلت من خضرتها غبرة وصارت تلك الغلات من حنطة وحبوب وزعفران سداداً من عوز ، في أماكن معلومة ، وبقى ذلك الى العصر الحاضر الذي عمّت به المدينة ، وامتدت السكك الحديدية ، فماد الأهالي يمتنون بهذه الأراضى ، ويستدرون خيراتها ، لأنهم أصبحوا قادرين على اخراجها الى الخارج ، بواسطة السكك الحديدية ، وصاروا يميرون بمخزنتهم بلاد البرتغال ، وقويت رغبتهم في زراعة قصب السكر ، والشمندر . وقد كان في أسبانية من عشرين سنة أكثر من ثمانين معملاً للسكر

بلاد البشكنس

أما بلاد البشكونس فهي ثلاث مقاطعات : الأولى « غيبوسكوه » Guépuzco ، والثانية « بسقاية » Biscaye أو Vizcaya والثالثة « ألبة » بالتحريك Alava ومساحة جميعها ٧٠٧٥ كيلو مترا وعدد سكانها نحو من سبعمائة ألف . وهم أمة مستقلة بنفسها ، تسكن إلى الشرق من جبال قنتبرية ، على أبواب فرنسا ، وأصل اسم هذه الأمة هو « الباسقونفادوس » Vascongados ومنه اشتق اسمها الحالى « الباسك » أو « الباسكس » Les Basques . وكان العرب يقولون لهم الباشكونس ، ومنهم من يقيم على حدود « نباريه » Navarre ومجموعهم يقارب مليوناً أو أكثر . ومنهم جمٌ في أرض فرنسا ، ولغة الجميع واحدة مختصة بهم . ومنهم من يتكلم بالأسبانى أو الافرنسى ، ولكن نحواً من نصف مليون لا يتكلمون بغير لغة الباشكونس . وهم من أشد أمم الأرض استمساكاً بقوميتهم ، واحتفاظاً بخصوصيتهم ، يزعمون أنهم أقدم أمة في أوربة ، ولا نزاع في أنهم هم بقايا الشعب الايبيري القديم ، والنمالة الخالصة المحضة التى لم تدخل عليها شائبة من ذلك الشعب القديم . أشداء جبليون ، موثقو الخلق ، تغلب عليهم السمرة ، إلا من كان منهم (٢١ - ج أول)

في أعلى الجبال ، فيغلب عليه اللون الأشقر ، شَمَّ الأنوف ، محدّدو الأذقان ، شعورهم مائلة إلى السواد ، وكان لهم زىّ خاص بهم لا يعرفون سواه ، ولكن قد بدأ هذا الزى يضمحل ، ولم يبق منه إلا طاقية من الصوف يقال لها البوانه Laboina لا يزالون يلبسونها على رؤوسهم ، وهي زرقاء في مقاطعة غيبوسقوه ، وحمراء في بسقاية وبيضاء في ألبّة . والبشكونس الذين في أرض فرنسة أيضاً يحافظون عليها . وأما من جهة عاداتهم القديمة فمنهم من تركها ، ومنهم من لا يزال يعرض عليها بالنواجذ ، مثل أهل بسقاية . وتجدهم يستعملون محارثهم القديمة ، وعجلات تجرها البقر ، وعليها نيرٌ مزخرف مغطى بجلد ضان . وعندهم نوع من الرقص في أعيادهم ومواسمهم يسمونه « أوريسكو » Aurréscu يجرونه على صوت مزمار صغير يسمى « دولسينيه » Dulsinya مع قرع الطبول .

والبشكونس من أشد أمم الأرض حباً بالحرية وأنفة عن قبول الضيم ، وكانوا يردّون غارات العرب من الجنوب ، كانوا يردّون غارات الفرنج من الشمال وكانت مواقع بلادهم الجبلية تساعدهم على رد غارات هذه الأمم العظيمة ، فان مساكنهم أكثرها في الجبال تحيط بها الأوعار ، والأرض كما يقال تقاثل مع أهلها . وهم الذين أوقفوا بجيش شارلمان وهو منصرف عن سرقسطة بعد أن عجز عن أخذها . وسيأتى في كتابنا هذا عند الوصول إلى التاريخ تفصيل جميع ما وقع بين البشكونس والعرب . ولم يخضع البشكونس للملوك ليون ، وملوك نبارّة ، وملوك قشتالة في الآخر ، إلا على شرط احترام هذه الدول لعاداتهم وقواعدهم . وكانت لهم امتيازات يقال لها « فيُورس » Fueros ولم تنزل امتيازاتهم هذه محفوظة ، إلى أن جرت الحروب الداخلية المسماة بالكارلوسية ، والتي آخرها كان سنة ١٨٧٦ فمن بعدها أزلت الحكومة الأسبانية امتيازاتهم وأخضعتهم للخدمة العسكرية ، ولقانون احتكار الملح ، واحتكار الدخان .

وهم يسمون أنفسهم بغير الاسم الذي يسميهم به الأسبان ، أى الباسقونغادوس ،

الذي منه جاء اسم الباشكونس ، الذي كان يسميهم به العرب . فاسمهم هم بلغتهم هو « أوسكالدوناك Euscaldunac ولا يعرف معنى هذه الكلمة . وفي لغتهم لا يضعون أَل التعريف قبل الاسم بل بعده . وهذا الاصطلاح ليس بنادر ، بل اللغة السويدية واللغة الدانمركية واللغة البلغارية واللغة الرومانية فيها ذلك . وليس في هذه اللغة المثني بل عندهم المفرد والجمع . وعلامة الجمع هي الكاف (K) وكذلك لا يوجد عندهم فرق بين المذكر والمؤنث في التعبير . وقد غلب ذلك على لسانهم حتى إذا تكلم البشكونسي بالفرنسية يقول . هذا المرأة Ce Femme بدلا من هذه المرأة . وأما من جهة الأفعال فربما كان بينهم بعض المشابهة مع العرب ، فانه إذا أراد البشكونسي أن يقول مثلا : أنا أجى . » يقول « أنا عمال أجى . » وإذا أراد أن يقول لك « ستأكل » قال « عليك أن تأكل » وكذلك هم مثل العرب في كثرة المترادفات في لغتهم ، برغم أن لغتهم في أصلها فقيرة ، وهي لم تكمل إلا بالالفاظ الكثيرة الاجنبية ، من غشقونى ، وفرنسى ، واسبانىولى ، وعربي . بحيث إذا تجرد هذا اللسان من هذه الالفاظ الداخلة عليه لا يبقى منه إلا ما يعبر عن الاشياء المادية والمحسوسة ، فهو في هذا أشبه بالتركي . وليس عند الباشكونس لفظة تعبر مثلا عن « الروح » واسم الله عندهم « السيد الذي في العلى » وعندهم « الارادة » يعبر عنها بلفظة تفيد « الفكر والشهوة والتمنى » وقد اجتهد كثير من العلماء في درس لغة الباشكونس ، ولكن صعوبة هذا الدرس جاءت من كثرة اختلاف لهجات هذه الأمة ، فان القرية الواحدة لا تتكلم بلهجة القرية التي تجاورها ، فصارت اللهجات لا تحصى . وهذا شأن كل لغة الكتابة فيها نادرة ، وشأن كل شعب تغلب عليه الأمية . ومع هذا فقد أحصى الأمير لويس بونابرت ٢٥ لهجة باشكونسية ، يمكن إعادتها إلى ثمانية أصول بالتحليل الدقيق . وهذه الأصول الثمانية تتلخص في ثلاثة عامة . أما الأصول الثمانية فهي : اللابوردى ، والسولتى ، والنبارى الادنى الشرقى ، والنبارى الأدنى الغربى ، والنبارى الأعلى الشمالى ، والنبارى الأعلى الجنوبى ، والغيبوشقى ،

والبسقائى ، ويمكننا أن نرد أيضاً هذه اللهجات المختلفة إلى شرقى وغربى ، فالسولوى والنبارى الاذنى هما الشرقى ، والبسقائى هو الغربى . واللهجات الاخرى هى المتوسطة بينهما . وبلاد الباشكونس لا تخلو من أجناس غربية عنها ، وليس فيها مقاطعة خالية من الغرباء غير « غيبوسقوه » وبلاد نبارة نصفها أو أقل من الباشكونس . وأماليونة وبنبلونة وبلباو فلا يتكلمون فيها بلغة الباشكونس ، وقد بدأت هذه اللغة تنحل وتضمحل بغلبة الاسبانيولى والافرنسى عليها . ولا عجب فى ذلك ، فان مكتوباتها نادرة ، ولم يعثر الباحثون على كتب هذه اللغة ترجع إلى أعلى من القرن العاشر للمسيح ، قيل إنهم وجدوا صحيفة قديمة من سنة ٩٨٠ فيها تحديد مقاطعة بيونة Bayonne ، وقيل إن هذه الصحيفة نفسها ليست بوثيقة لا يعترضها الشك .

وقد كشف أحد الرهبان اليسوعيين جدولاً فيه ثمانية عشر كلمة من لغة الباشكونس ، وذلك فى كتاب مخطوط لزاثر افرنسى زار كنيسة سنت ياقو فى القرن الثانى عشر ، وأقدم كتاب عند الباشكونس طبع سنة ١٥٤٥ ، وهو ديوان شعر مشتمل على قصائد دينية ، وأخرى غرامية . وقد طبعوا أيضاً ترجمة الانجيل الى هذه اللغة سنة ١٥٧١ ، وذلك على نفقة مجلس نبارة وجميع ما هو مكتوب بلغة الباشكونس يبلغ ستمائة مجلد لا أكثر . وأكثر الذين كتبوا هذه الكتب هم مؤلفون تلقوا ثقافة افرنسية أو قشتالية ومعظمها فى مواضيع دينية ، وعن حياة القديسين . نعم يوجد من الباشكونس من تلقوا ثقافة اسبانيولية أو افرنسية ، وأجادوا الكتابة ، لكن باللغة الافرنسية واللغة الاسبانية ، وقد جمع بعض المؤلفين كثيراً من قصص الباشكونس وتقاليدهم وأخبارهم . وأحسن المجاميع فى هذا الموضوع هو ما كتبه يوليان فيسون Viuson الذى له على الباشكونس بحث فى الانسيكلو بيديا الافرنسية الكبرى ^(١) .

(١) فى هذه الأيام الاخيرة انبرى الكاتب الافرنسى المسمى فرنسوا دوهوروكو

François Duhourcau فنشر فى جريدة عطارد فرنسة Mercure de France بحثاً طويلاً عن البشكنس ، لأنه من الكتاب المهجين بهذه الأمة ومثانه أخلاقها

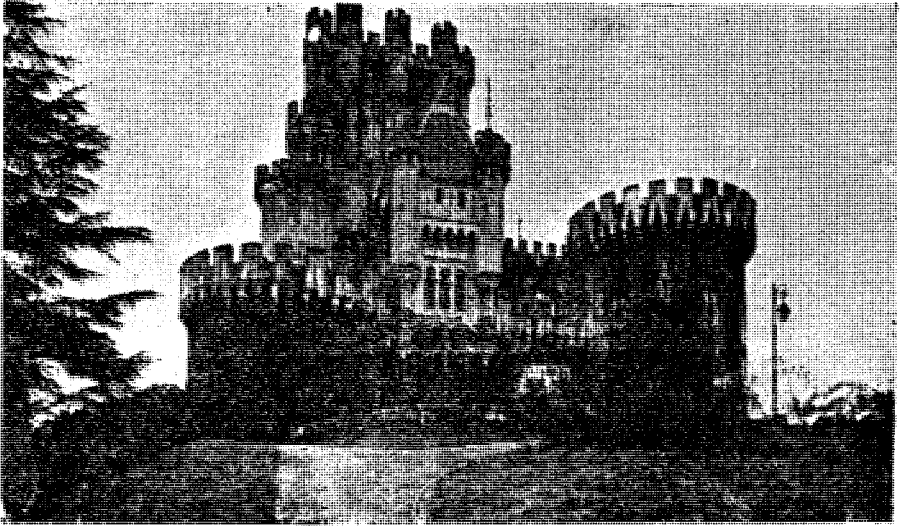
أما الباشكونس الذين في أرض فرنسا فهم يسكنون مقاطعات لا بورد Labourd وبناره السفلى La basse Navarre وسول Soule ومساحة هذه المقاطعات الثلاث

وشدة استمساكها بأوضاعها القديمة . فالباشكونس يزعمون أنهم أقدم أمة على وجه الأرض وأنهم لم يطرأوا على أسبانية من مكان آخر ، بل كانوا نزحوا من السماء إلى أرضها ، ولكن المؤرخين مع اقرارهم بشدة توغل هذه الأمة في القدم ، يذهبون إلى أنها هي أيضاً طارئة على اسبانيا من مكان آخر ، ومن حملتهم المسيو دوهوركو ، يرى ان أصل أهالي الجزيرة الايبيرية هو الجنس الايبيري ، وأن الفرق بين الباشكونس وسائر الاسبانويول أن الباشكونس هم ايبيريون اقحاح ، وان سائر الاسبانيين هم ايبيريون امشاج ، وان الايبيريين شعب قوقازي طراً على أسبانية ، عن طريق البحر المتوسط وجنوب فرنسا ، فنزل على المنحدرين الشمالي والجنوبي من البيرانس . وقد حاول الكاتب المذكور أن يستدل على أصل الباشكونس وقرابتهم من الأمم الاخرى بأدلة من لغتهم ، وهو منزع كنا في مقدمة من نبه عليه ، ولنا رسالة في ذلك قرأناها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في لندن سنة ١٩٣١ ونشرناها في مجلة المقتطف ، وعنوانها « علاقة اللهجات بالتاريخ » ، إذا لا نرى هذا الباحث مخطئاً في تنقيح ع أصل هذه الأمة من جهة تشابه لغتها مع لغات أمم أخرى . فهل وفق دوهوركو إلى بلوغ مراده ؟ الجواب أنه من المعلوم أن اللغة الباشكونسية هي اقدم من اليونانية واللاتينية ، ولم يثبت كونها فرعاً من لغة السنسكريت الهندية ، بل يظن الباحثون أن أصلها لغة منقرضة فرض العلماء وجودها فرضاً ، وهي في هذا أشبه باللغة الاتروسكية Etrusque فان هذه اللغة أيضاً ليست فرعاً من فروع السنسكريت ، فيظهر للمسيو دوهوركو أن الاتروسكيين والباشكونس من أصل واحد ، وقد وجد بعض الكلمات في لغة الباشكونس تشبه كلمات أخرى في لغة الاتروسك . من ذلك كلمة « لار » فهي تفيد معنى « رئيس » في لغة الباشكونس ، وهي كذلك في لغة الاتروسك ، فمن هنا استدل على كون هذين الشعبين من أصل واحد ، ولما كان الرومانيون أصلهم من الاتروسك ، وصل إلى الاستنتاج بأن الباشكونس هم أولاد عم الرومان ، وأصل الأصل هو من القوقاز ، وليس هذا الرأي بكراً ، فقد زعم اليزه ركلوز الجغرافي الشهير من خمسين سنة أنه يوجد بين لغتي الباشكونس والكرج تشابه ، وان أصلهما لغة كانت شائعة في آسية الصغرى منذ آلاف وآلاف من السنين ، ولم تكن هذه اللغة لامن اللغات الآرية ولا السامية ولا الاورالية .

هى ستة آلاف كيلومتر مربع . فأما المقاطعات التى يسكنونها فى اسبانية فقد تقدم ذكرها . وهى جزء من ثلاثين من مساحة الجزيرة الأيبيرية بحسب تعريف اليزى « ركلوس » الجغرافى الشهير Lisée Reculs و بلادهم فيها قابلية زراعية ، وفيها معادن كثيرة كالتصدير والرصاص والحديد ولكنهم من جهة الزراعة لم يكونوا ممن بلغ شأواً عالياً . ومن الباشكونس مهاجرون كثيرون إلى أميركة كل سنة ، فلهذا عددهم يقل فى بلادهم الأصلية يوماً فيوماً .

وقد فحص الأطباء مثل الدكتور بروكا والدكتور فالسكو من مجريط حجاجم الباشكونس من سبعين سنة ، وأخذوا منها عدداً كبيراً من مقابر تلك البلاد ، كما أنهم ميزوا حجاجم الأحياء ، فوجدوا أن هذه الأمة فيها نوعان من الحجاجم ، منها النوع الذى يزيد طوله على عرضه بنحو الربع ، ومنها الذى يتساوى طوله بعرضه . ويقال عن أخلاق الباشكونس أنهم كثيرو الخيالات ، سريعو الانفعالات ، وان عندهم خرافات قديمة لم يتخلصوا منها حتى الآن ، ولكن فطرتهم الأصلية مبنية على الاستقامة ، وعندهم حسن معاشرة ومخالقة ، إلا أنهم بطاشون عند الغضب ، ومع ان الرصانة غالبية على طباعهم ، فأنهم يحبون الألعاب ، ويتلذذون بالما كل والشارب وحسن الوفادة ، واكرام الضيف عندهم مما لا يفوقهم فيه أحد . ونسائهم حلائل أمينات ، وأمهات مربيات ، إلا أن التدين عندهن بالغ درجة الوسواس ، لاسيما عند البنات اللواتى يئسن من الحميم ، وكثيراً ما ينتهى أمر العانس من هؤلاء بالجنون . والباشكونسى بطبيعته ذكى الفؤاد ، شهم ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، واذا تعلم وتهذب ففيه قابلية كبيرة للترقى ، أما خرافاتهم القديمة فمنها أن الانسان اذا رأى امرأة يوم الاثنين تحت نافذة بيته فى ذلك الاسبوع يحصل له بلاء ، واذا صاح الديك فى أول الليل فيكون هذا الصباح علامة على كون الديك أحسن بمرور الساحرات وهو خطر يتلافونه بأخذ قبضة من الملح وذرهما فى أرض البيت ، والمتزوج يوم عرسه يجتهد أن يمسك بذيل من ثوب زوجته ويضعه تحت ركبته حتى يكون فيما بعد

هو السيد في البيت ، وكان للباشكونس اعتقاد عظيم بالسحر ، وكانت السحرة عندهم في كل مكان ، وكانت لهم اجتماعات يتداعون اليها ، ويعتقدون ان هؤلاء السحرة لهم علاقات مع الشيطان وأنهم يدفعون شره ، ولكن هذه الخرافات قد بدأت تضمحل شيئاً فشيئاً .



حصن بوترون في بيلباو من بلاد الباشكنس

وقد كان للباشكونس دور مهم في حروب استرداد الاندلس من أيدي المسلمين . وبهذا السبب تميزت بينهم عائلات كثيرة ، ورأست وعزت وبزت ، وبتوالي الزمن صارت نبيلة . ففي قشتالة وليون الملك هو المالك لجميع الأرض ، أما في نبارة ، حيث مواطن الباشكونس ، فالملك يشاركه في ملك الأراضي هؤلاء النبلاء الذين ساعدوه على طرد المسلمين ، ولهذا عندهم هناك ثلاث طبقات : النبلاء ، والعامه ، والطبقة المتوسطة بينهما . وفي « ألبه » الأهالي ينقسمون إلى نبلاء وإلى عامه ، وذلك لأن منهم من حارب المسلمين ، ومنهم من خضع لهم ، فالذين خضعوا لهم هم المعدودون من صنف العامه .

ولهذا حصل التبايز بينهما ، أما في « بسقاية » و « غويوسقوه » و « لابورد »

حيث لم يتمكن المسلمون ، ولم تكن لهم ولاية ، لجميع الأمة معدودة من النبلاء ، لأنه ليس فيها من أسلم ، ولا من خضع للإسلام . والنبالة في هذه المقاطعات يقال لها نبالة أرض ، لا نبالة دم ، والفرق بينهما أن الذين أخرجوا المسلمين بالحرب صارت لهم حقوق متأثلة ، واستولوا على الأراضى التي كانت صارت إلى العرب ، وأقاموا فيها أككارين من عبيدهم وجنودهم ، فصار هؤلاء بمرور الأيام عائلات نبيلة ذوات اقطاع ، وأما نبلاء الأرض فهم الذين توارثوا أراضيهم من القديم ، وحفظوها خلفاً عن سلف ، لأنه لم يقع عليها فتح ، وأما القوانين والأعراف التي يمشي الباشكونس عليها فهي عبارة عن عادات واصطلاحات قديمة مختلطة بقوانين جديدة ولكل ناحية عادات تختلف عن غيرها ، وأكثرها يدور حول الامتيازات التي نالها بعض الأهالي ، وتلكوا بها الأراضى في حروبهم مع العرب . وهذا هو خلاصة ما يقال عن الباشكنس ، إحدى الأمم الأييرية وأقدمها ، ونزيد عليه أن باشكنس فرنسة وباشكنس اسبانية عقدوا سنة ١٩٠٢ مؤتمراً في « فونترابية » سموه مؤتمر اتحاد الباشكنس .

عود إلى ليون وقشتالة

ثم نعود إلى تفصيل ما أجمناه عن ليون والقشتاليتين بقدر الامكان فنقول : الحدود بين فرنسة واسبانية من جهة الشمال الغربى هي وادى « بيداسوا » Bidassoa الذى يجرى بين « هنداي » Hendaye و « فونترابية » Fontarabie وهناك جزيرة اسمها جزيرة الحجل ، في وسط النهر اتفقت فرنسة واسبانية من قديم الزمان على جعلها منطقة متحايدة ، وفيها تلاقى الكردينال مازارين مع الدون « دوهارو » ، لأجل عقد صلح البرانس ، وتقرير زواج بنت فيليب الرابع ولويس الرابع عشر ، وفي هذه الجزيرة نفسها انعقد سنة ١٤٦٤ مؤتمر بين لويس الحادى عشر ملك فرنسة ، وهنرى الرابع ملك قشتالة ، وفيها أيضاً ودّع فرنسوا الأول ملك فرنسة أولاده وعانقهم وهم ذاهبون رهائن إلى مجريط ، بحسب معاهدة سنة ١٥٢٦

وفي هذه الجزيرة أيضاً تقرررت بين فرنسا واسبانية مصاهرة مزدوجة ، وذلك سنة ١٦١٥ بعقد نكاح ايزابلا ابنة هنرى الرابع ملك فرنسا على فليب الرابع ملك اسبانية وعقد نكاح حنة المساوية أخت فيليب الرابع هذا على لويس الثالث عشر .



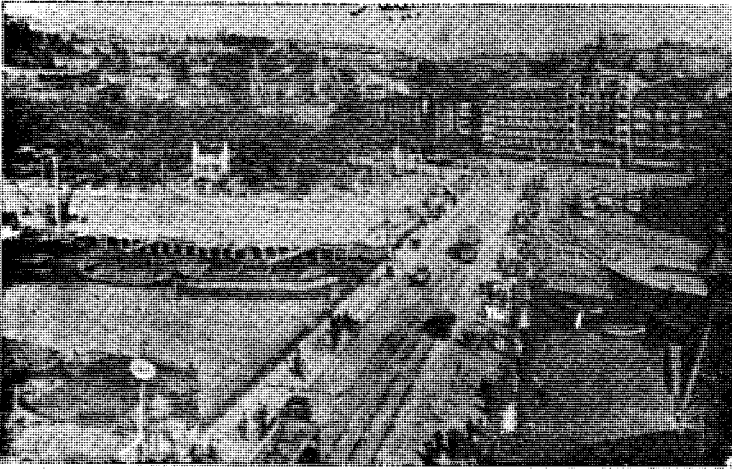
مدينة ايرون

ويوجد على وادى بيداسوا جسر مشترك طوله ١٣٠ متراً ، والنقطة المتوسطة منه هي الحد الفاصل بين المملكتين ، فاذا تجاوزته إلى الغرب فأنت في مقاطعة « غينبوسكو » من بلاد الباشكونس . وأول مدينة تستقبلك هي مدينة « ايرون » Irun وعدد سكانها بضعة عشر ألف نسمة ، وهي بلدة عصرية ذات موقع جميل على الضفة اليسرى لوادى بيداسوا . ثم على مسافة عشرين كيلو متراً من هناك تصل إلى مدينة « سان سيباستيان » Saint-Sebastien والباشكونس يقولون لها « دونوستيا » Donostiya ويقولون لها أيضاً « أيروشولو » Eruchulo وهي قاعدة مقاطعة « غينبوسكوا » وموقعها من أبداع المواقع . وفيها كانت تصيف العائلة المالكية في أسبانية ، ونبلاء الاسبانول يقصدونها للترهة ، وعدد سكانها يقرب من خمسين ألف نسمة . وهي قسمان ، قديم وجديد ، وحوولها جبال يصعد إليها المتزهون ، وعليها حصون منها جبل « ايقلديو » Igueldo وجبل « العليا » Ilia وعلى خمسين كيلو متراً

من هناك مدينة « طولوزه » Tolosa وهي بلدة صغيرة ، سكانها ستة آلاف نسمة ، وموقعها بهيج ، وفيها معامل للورق ، وهي على نهر « أوريه » ، وبالقرب منها على مسافة عشرين كيلو متراً بلدة « زومرآقة » Zumarraga وهي بلدة على نهر أوروله Urola ، ولها أيضاً منظر بديع . ومن هذه البلدة خرج « ميكالو بس دوليكازبي » De Ligazpé فاتح جزر الفيليبين سنة ١٥٦٩ ، وله فيها تمثال ، وبالقرب منها بلدة صغيرة يقال لها « فرغاره » Vergara والبلاد هناك كلها جبال وأودية ، إلى أن يصل المسافر إلى بسيط « ألبة » Alava ولألبة ذكر كثير في كتب العرب . وهذا البسيط تنحدر إليه جداول أهمها نهر يقال له « زادوره » وقاعدة مقاطعة ألبة مدينة « فيتورية » وكانت معروفة عند العرب ، ويقال إهمم كانوا يقولون لها سنت مرية ؟ وهي بلدة صناعية ، سكانها ٣٥ ألفاً ، يقال أن بانبا هو « ليوفيجلد » ملك البيزيقوت Leovigilde بناها سنة ٥٨١ بعد يوم كان له على الباشكونس ، ثم إن الأذفونش الثامن ملك قشتالة انتزعها من يد النباريين سنة ١١٩٨ وفيها تمثال لرجل يقال له « ماتيومورازه » من زعماء الباشكونس ، كان يدافع عن امتيازاتهم . والبلدة قسمان عتيق وجديد ، والعتيق هو القسم الأعلى . وفي هذه البلدة ، أي فيتورية ، جرت معركة بين الانكليز والفرنسيين في ٢١ يونيو سنة ١٨١٣ وكانت هذه المعركة ختام حرب أسبانية في زمان نابوليون الأول . ثم هناك بلدة يقال لها « كستيلو » وبلدة أخرى يقال لها « أرغانزون » وهما من البلاد الصغيرة القديمة . ثم بلدة « ميرانده » وهذه سكانها خمسة آلاف نسمة ، وفيها حصن قديم وهي على نهر إبره

ومن جهة البحر يوجد بلدة يقال لها « غوتارية » Guetaria وبلدة يقال لها « زوميا » Zumaya على مصب نهر أوروله ، وبلدة يقال لها « سيستونه » Cestona وفي تلك الناحية دير كبير منسوب إلى القديس أغناطيوس لويولا Ignacio de Loyola مؤسس رهبانية الجزويت ، وهو مبنى في مكان البيت الذي ولد فيه لويولا . وعلى البحر مرسى يقال له « ديفا » Deva سكانه ثلاثة آلاف ، وبلدة أخرى إسمها « ليكتيو »

Lequeitio سكانها أربعة آلاف ، ولها مرسى بديع . ثم بلدة «موتريكو» Motrico وأهلها صيادو سمك ، وفيها تمثال من رخام للجنرال « داميان » المولود في موتريكو ، والمقتول في واقعة طرف الأغر سنة ١٨٠٥ ثم بلدة « أونداروه » Ondarroa وهي مرسى سكانه صيادو سمك أيضاً ، وبلدة « الزولة » Alzola وفيها حمامات معدنية تنفع لأجل مرض المثانة ، وبلدة « الجويبار » Elgoibar وبلدة أخرى اسمها « إيبار » وفي كليهما معامل للسلاح . ثم بلدة دورنغو Durango ولها واد خصيب وفيها كنيسة « سان بطرودو طبيره » من أقدم كنائس الباشكونس ، وبلدة يقال لها « أموربيطة » Amorebieta وبلدة يقال لها « غرنقه » Guernica وسكانها



بيلباو

٣٥٠٠ ، ولها موقع في غاية الجمال ، وكانت في القديم قاعدة لمقاطعة « سقاية » وهناك وادٍ بديع يقال له « مينداكا » Mundaca وكان للإمبراطوره أوجيني زوجة نابوليون الثالث قصر للنزهة في تلك البقعة . ثم بلده « برميو » Bermeo وسكانها عشرة آلاف ، وفيها بيارستان لهجانين يخص ثلاث مقاطعات الباشكونس . ثم بلدة « بيلباو » Bilbao وسكانها ٩٥ ألفاً ، وهي على نهر « نرفيون » Nervion وهي

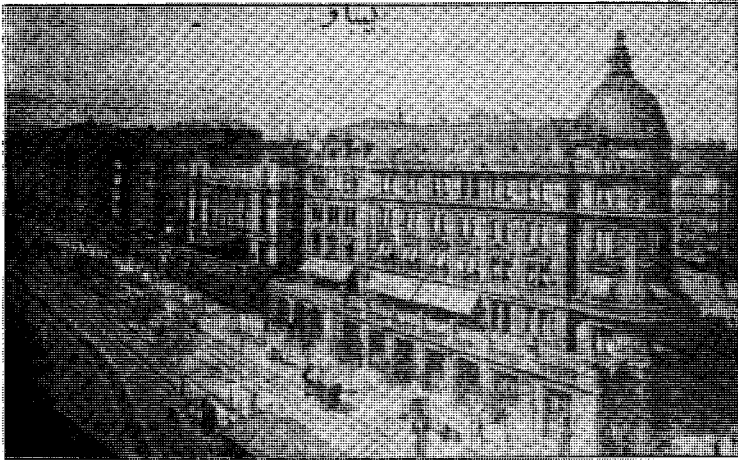
قاعدة مقاطعة بسقاية ، تحيط بها جبال مغطاة بالحراج ، وتبعد عن البحر ١٢ كيلومتراً ولها تجارة واسعة ، وهى قسمان . المدينة الجديدة ، والمدينة القديمة . فالقديمة هى على الضفة اليمنى للنهر ، والجديدة هى على الضفة اليسرى . وعلى النهر خمسة جسور ، وقد أصلحوا النهر حتى صارت البواخر التى محمولها أربعة آلاف طن تدخل فيه . ولهذه البلدة مرسى على البحر عند مصب النهر يقال له « العبره » El - Ebra وهذه المدينة معدودة من المدن الغنية ، بسبب معادن الحديد التى بجانبها ، وفيها مبانٍ جديدة بالذكر ، ومعاهد خيرية ، منها ملجأ للعميان وللخرس ، وفيها معامل ، ويقال إن باني هذه المدينة هو « لوبس دوهارو » Haro أمير بسقاية ، وذلك سنة ١٣٠٠



الحمام فى بيلبارو

وفى تلك الناحية بلدة « ارانغورن » Arenguren وفيها معامل للورق ، و بلدة « كارانزا » Carranza وفيها ينابيع معدنية والمهم هناك هو مدينة « سانت اندر » Santander وهى مدينة بحرية سكانها سبعون ألفاً . وهى قاعدة مقاطعة بهذا الاسم ، وهى بلدة قديمة ، كانت تنتهى إليها طريق رومانية ، وكان العرب يقولون لها « شنت أدرم » وأحياناً « شنت اندر » وهى قسمان : القسم الأعلى ، وهو المدينة القديمة ، وأزقتها ضيقة ، والقسم الأدنى ، وهو المدينة الجديدة ومرساها بديع ، وتجاريتها واسعة ، وهى من أهم المرافئ البحرية فى شمالى اسبانية

ثم مدينة « أوردونية » وهي على وادي « نرفيون » وعدد سكانها ٣٥٠٠ وجميع مناظر تلك البلاد شائعة نظراً لكثرة الجبال والأودية والغابات فيها .
ثم نعود إلى الجهة الداخلية ، وهي التي يمر بها نهر ابره ، فمن مدن هذه الجهة « بريفسكا » Briviesca وهي بلدة صغيرة سكانها ٣٥٠٠ اجتمع فيها نواب البلاد سنة ١٣٨٨ وقرروا أن ولي عهد قشتالة ينبغي أن يحمل لقب « برنس الاشتورياس »



أحد البيوت المالية في بيلباو

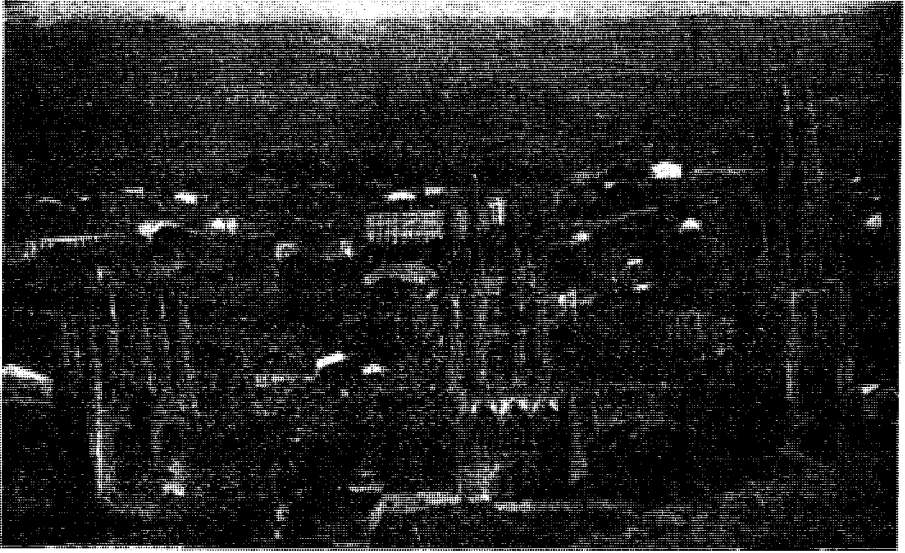
وبقربها بلدة « أونيه » One وفيها دير للبندكتيين اسمه سان سلفادور ، مبنى سنة ١٠١١ وفيه أربعة قبور من قبور الملوك وهناك قرية « كينتانا بالاً » Quintanapalla التي فيها سنة ١٦٨٢ تزوج كارلوس الثاني ملك اسبانية بمارية لويز من آل بربون ، في زمن لويس الرابع عشر . وقرية « توركلادة » التي ينسب اليها « تومادوتوركلادة » Torquemada رئيس ديوان التفتيش الشهير في اسبانية . وفي تلك البلاد مساكن كثيرة منحوتة في الجبال . ومن الأماكن المذكورة فيها قرية « دويناس » Duenas التي تلاقى فيها فرديناند ملك أراغون مع ايزابلا ملكة قشتالة قبل زواجهما وعلى وادي دورو Dnero الذي يقول له العرب « الوادي الجوفي » بلدة « ارانده » Aranda وهي صغيرة بديعة المنظر ، وهناك مدينة « سان استبان »

San Estevan de Gormaz وكان العرب يقولون لها « شدت استابين » وفيها حصن قديم من أيام حروب العرب . ومدينة « اوسما » Osma وهي بلدة ايبيرية عتيقة ، كان لها ذكر في الدور العربي ، وبالقرب منها على شفير واد عميق دمن حصن عربي قديم . وقرية « المازان » Almazan ، وفيها مسارح نظربديعة ، وآثار أسوار قديمة ، وقنطرة على الوادى الجوفى طولها ١٦٣ متراً . ومدينة « الكامبو » Medina del Campo وهي صغيرة ، وكان فيها قصر اسمه « قصر موتا » Castillo de la Mota مبني من سنة ١٤٤٠ كانت تؤثره الملكة ايزابلا ملكة قشتالة ، زوجة الملك فرديناند ، وتقيم به وماتت فيه سنة ١٥٠٤ ومن مدينة « الكامبو » أو « الكامبو » إلى « زمورة » ٩٠ كيلو مترا بالسكة الحديدية ، وبينهما بلدة « تورو » Toro مبنية على جبل شاهق مدهش فوق الوادى الجوفى

برغش

وأما برغش ، Burgos فهي مركز مقاطعة بهذا الاسم ، وسكانها يزيدون على ثلاثين ألفاً ، وهي مركز قيادة عسكرية ، ومقر رئاسة أساقفة ، وموقعها على يفاع من الأرض في القسم الشمالى من قشتالة ، يسقيها نهر اسمه « ارلنسون » Arlençon تراه أكثر السنة شحيحا ، لكن له فيضانات مدهشة . وفي برغش حصن على رابية مشرفة على البلد ، لم يبق منه إلا رسوم طامسة . وفي أسفل هذه الرابية الكنيسة الكبرى وهي من أبداع بدائع الصنعة القوطية في اسبانية . ولبرغش سهل مربع يسقيه جدول اسمه « بيكو » وأقنية من ارلنسون . وهذه البلدة هي من أقدم مدن اسبانية بردا ، يتسلط عليها ربح الشمال ، وقد يقع فيها الثلج في شهر يونيو وفي الشتاء يصح أن يقال فيها :

لا ينبج الكلب فيها غير واحدة من الصقيع ولا تسرى أفاعيا
وأما في القيظ فهي من أشدها حرارة ، يهب عليها ربح الجنوب المحرق فيشوى



مدينة برغش « منظر عمومي »

الوجوه ، وعليها يصدق المثل الذي يقال عن مجريط وهو : تسعة أشهر شتاء ، وثلاثة أشهر جهنم الحمراء .

وفي برغش أبنية تعد من أجل ما يوجد في اسبانية ، وأهمها الكنيسة الكبرى بدأ بنائها الملك فرديناند الثالث الذي يقال له القديس فرديناند ، وذلك سنة ١٢٢١ واستمروا ينون فيها ويزخرفون ويزينون مدة ثلاثمائة سنة . فتأمل كم فيها من بدائع وتصاوير وتمائيل وتجاويز ، تعد في الدرجة الأولى من درجات الفن . ويوجد غير الكنيسة الكبرى كنائس أخرى تقصدها السياح . مثل كنيسة سان نيقولا ، وكنيسة سان اشتاين ، وكلها على طرز البناء القوطي ، وكذلك في هذه البلدة حصن قديم يقال له « كاستيليو » يصعدون إليه من باب عربي اسمه قوس سان اشتاين وكان يسكن فيه ملوك قشتالة . وفي هذا الحصن احتفل بزواج السيد لدريق دو بيفار المسمى بالقمبيدور الشهير في التاريخ الذي يجعله الاسبانيول بطهم القومي ، نظراً لشجاعته واقدامه . برغم أنه كان ظالماً غداراً ، ناقص الزمام ، عديم الوفاء . مما ثبت في التاريخ ثبوتاً لا ريب فيه ، ولكن الشعب الأسباني تعامى عن ذلك وخلق لهذا

الرجل محاسن لم تكن فيه ، حتى يمكنه تمام الاعجاب به ، وقد ولد لذريق البيفاري De Buver هذا سنة ١٠٢٦ ومات سنة ١٠٩٩

وسنأني على ذكره في قسم التاريخ ، ونروى كيفية استيلائه على بلنسية ، واحراقه القاضي ابن حجاف في ساحة تلك البلدة ، بحجة أنه خبا عنه بعض خزائنه والحقيقة انه إنما أراد إلقاء الرعب في قلوب أهل بلنسية . حتى لا يخفوا عنه شيئاً من الأموال التي كان يطمع فيها . وقد كانت ولادة هذا البطل العشوم في برغش ، ومكان البيت الذي ولد فيه لا يزال معروفاً . وفي دار البلدية مخدع فيه عظام السيد المذكور . وقد كانت من قبل مدفونة في دير « كاردينية » Cardena ، وتقلبت هذه العظام على حالات شتى إلى أن جمعوها سنة ١٨٨٣ في دار البلدية في برغش . وبالقرب من دير كاردينية ، كانت تسكن امرأة السيد ، وهي المسماة « شمانة » وكانت ابنة الكونت دياغو من « اوبيط » diego d'oviedo فلما بعد أن مات زوجها وأخرجت من بلنسية سكنت في برغش إلى أن ماتت ^(١) سنة ١١٠٤ .

(١) اختلف الناس في أمر هذا البطل الاسباني اختلافاً شديداً من كونه عبقرى بسالة وأصالة متحلياً بجميع مزايا الابطال، إلى كونه سيداً عملماً سفاكاً للدماء ، غداراً نهاباً ، ليس فيه شيء من مزايا الكرام ، وقد كتب المؤرخون سيرته بين قاذح ومادح ، وقد وجد في مكتبة دير سان ايزيدور في ليون مخطوط نشر سنة ١٧٩٢ يتكلم عن هذا السيد . ولكن أحسن كتاب عن السيد باعتراف الافرنج انفسهم هو المخطوط الذي عثر عليه دوزي في غوته Gotha سنة ١٨٤٤ وهو كتاب كتبه الكاتب العربي ابن بسام بعد موت السيد بعشر سنوات ، لازيادة . وكان ابن بسام يعرف السيد معرفة شخصية فوصفه عن معرفة تامة ، ولم يكن يذكروه إلا ويرد في اسمه باللعنة ، ولذلك إذا قال فيه خيراً فلا بد من تصديقه ، لانه كلام عدو بحق عدوه ، فهو يقول عن السيد ما يأتي : برغم هذا كله لا بد من الاعتراف بأن هذا الرجل الذي كان نقمة إلهية في وقته ، بحبه للجد ، ومثانة خلقه ، ورباطة جأشه ، وشجاعته الخارقة للعادة ، كان أعجوبة وقته ، وكان النصر لا يفارق رأيه ، وكانوا يقرأون سير أبطال العرب بحضوره ، ولما وصلوا إلى سيرة المهلب أعجب بها إعجاباً شديداً ، انتهى .

ويقال ان باني برغش هو « رودريغس بورسالوس Rodriguez Porcelos » كونت قشتالة ، بناها سنة ٨٨٤ ، وكانت من قبل تابعة للاشتورياس ، ولكن الملك « أوردونيو » الثاني Ordone قتل ذرية بورسالوس ، فاستقلت المدينة واتخذت لنفسها حكومة جمهورية ، ثم في زمن « فرنان غونزاليز » Farnen Gonzales صارت قاعدة قشتالة^(١) ثم عند ما اتحدت قشتالة وليون مملكة واحدة كانت هي مركز قشتالة القديمة . وفي برغش هذه هزم الفرنسيين في زمن نابليون الجيوش الاسبانية .

ومن مباني برغش المشهورة القصر المسمى « بالكردون » Caza del Cordón وهو قصر بناه أمير الجيوش « فاليسكو » في أواخر القرن الخامس عشر على يد البناء المشهور المسلم محمد السقوبي Mahomat de Segovia وفي برغش دير للراهبات شهير أصله مقصف للملك قشتالة ، ثم حوِّله الأذفونش الثامن سنة ١١٨٧ ديراً للراهبات ، وكان فيه مائة من هؤلاء المتبتلات . ولم يبق الآن سوى ثلاثين . ويقال للواحدة منهن

هذا كلام من بسام بحق السيد ، ترجمه دوزى من العربية ، ونحن الآن نترجمه إلى العربية عودا على بدء ، والله أعلم بمكان الأصل . ومنه يعلم أن السيد كان بطلا حقيقياً ، لا بطلا خياليا ، وإنما الناس نحلوه محاسن لم تكن فيه وربما أضافوا إليه مقابح تجاوزوا فيها الحدود ولكن بما لا مشاحة فيه أن الشر غالب عليه ، وانه أحرق القاضي ابن جحاف في ساحة بلنسية ، لكونه خبأ عنه أمواله . أما شجاعته وإقدامه فما لا يختلف فيه اثنان ، وكان ملكا قشتالة واراغون فرديناند ورامير يتنازعان على مدينة كالاهوره Calahorra فلولا السيد لم يتغلب ملك قشتالة على ملك اراغون ، وسنأتي بقصة السيد على وجهها في القسم التاريخي من هذا الكتاب ، وإنما اكتفينا الآن بالإشارة إليها .

(١) وقرأت في كتاب « الصلة » لأبي القاسم خلف بن بشكوال ترجمة صادق بن خلف ابن صادق بن كييل الأنصارى من طليطلة فقال عنه إنه سكن برغش . فمن هنا يظهر أن العرب استولوا على برغش وسكنوا بها . هذا إلا إذا كان المقصود بالبلدة التي سكن بها صادق بن خلف الأنصارى هي قرية « برغش » بفتح الباء Burgos التي في وادي الرمل على مسافة ٦٣ كيلو مترا من مجريط . فاما برغش المدينة المشهورة فهي بضم الباء Burgos

« سنيوره » أى سيدة ، ولا يقال « أخت » كما يقال لغيرهن .

وفي هذا الدير كنيسة خزانة فيها راية عربية أخذها الأسبان من المسلمين في وقعة العقاب . وأما دير كوردينية فهو من أقدم الأديار ، كان بناؤه سنة ٥٣٧ وبانيه سنشَه Sancha أم الملك تيودوريق . وهناك دير آخر تاريخ بنائه يرجع إلى سنة ٥٩٣ فى قرية صغيرة بقرب برغش يقال له دير سيلوس Silos بانيه الملك « ريكاريد » Récarèd وهو اليوم للبندكتيين

بلد وليد

ثم بلد الوليد Valladolid وهذه اللفظة عربية محرفة عن « بلد الوالى » . هكذا سماها العرب ، فأضاف إليها الأسبان حرف الدال ، فصار الانسان يتوهم أنها بلد بناها رجل يقال له الوليد ، وهى الآن مركز مقاطعة بهذا الاسم . سكانها فوق السبعين ألفاً وموقعها فى مرج أفيح ، على الضفة اليمنى من وادى بسيورقة . وكانت هذه البلدة مقراً للملك قشتاله ^(١) وفيها تأهل فرديناند بايزابلاً سنة ١٤٦٩ وفيها مات كريستوف كولولب فى ٢١ مايو سنة ١٥٠٦ وفيها أقام فيليب الثانى وفيليب الثالث ، وكذلك نابوليون الأول جعل فيها مركزه عند ما فتح أسبانية ، وفيها كنيسة كبرى بدأوا بها سنة ١٥٨٥ على يد « هريرة » من البنائين المشهورين ، طول المسقوف من هذه الكنيسة ١٢٢ متراً ، وعرضها ٦٢ متراً ، وفيها مدرسة جامعة ، عدد طلبتها يقارب خمسة آلاف ، وأساتيذها خمسون ، وفيها خزانة كتب تشتمل على ٣٥ ألف مجلد . منها

(١) قال فى صبح الاعشى : مدينة وليد بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت ودال مهملة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الاقليم الخامس من الاقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول احدى عشرة درجة واثنتا عشرة دقيقة والعرض ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى « تقويم البلدان » : وهى من أحسن المدن وهى فى الغرب من طليطلة فى جنوى جبل الشارة الذى يقسم الاندلس نصفين . قال : ويحلها الفونس ملك الافرنج فى أكثر أوقاته



الساحة الكبرى ، بلد الوليد ،

ثلاثمائة مخطوط ، وأمام المدرسة الجامعة تمثال للكاتب الاسبانيولى الشهير « ميشال دوسرفافنتس » Cervantes صاحب كتاب « الدون كيشوط » . وفي هذه البلدة متحف كان في أصله مدرسة يقال لها مدرسة « سانتا كروز » Santa Cruz وعلى باب هذه البناية القديمة صورة المطران « مندوزا » ساجداً أمام القديسة « تيريزه » وفي هذا المتحف مجموعة من تماثيل خشبية نادرة في بابها ، لأشهر نحاتى أسبانية ، وفيه من نفائس التصاوير والتماثيل ما يدهش السائحين .

وفي هذه البلدة أيضاً كنيسة يقال لها كنيسة المجدلية ، فيها قبر بانيتها «الدون بدور دولاغاسكا » de Lagasca وفيها كنيسة يقال لها كنيسة « سانتامارية لانطيقا » la Antigua هى من الكنائس الاثرية ، ومدرسة يقال لها مدرسة «سان غريغوريو» ، بناها البناء الشهير « فيغارنى » في أواخر القرن الخامس عشر . على بابها شجرة نسب الملوك الكاثوليكين أى فرديناند وأيزابلا والمطران الوزو دو برغش . وفي بلد الوليد أيضاً كنيسة سان بابلو ، بدأوا بنائها سنة ١٢٧٦ ثم جددوها سنة ١٤٦٣ الكردينال « توركادا » وفيها ست أو سبع كنائس غير التى ذكرت . وكلها من الأبنية الموصوفة

بحسن الصنعة . وبالقرب من بلد الوليد بلدة « شنت طانكش » ، وأصل اسمها في زمن الرومانيين « سبتيانكة » Septimanca ثم انقلب إلى سيمينكاس Simancas والعرب يقولون لها « شنت طانكش » وفيها حصن مودعة فيه أوراق دولة اسبانية من القديم ، وهى ثمانون ألف اضبارة ، تشتمل على ٣٣ مليون وثيقة .

وبالقرب من سيمينكاس مدينة قديمة صغيرة اسمها «طورد زلاس» Tordsillas ومن مدن تلك الجهة « أريفالو » Arévalo وهى بلدة قديمة صغيرة ، سكانها أربعة آلاف نسمة ، وكانت فى الماضى معدودة من مفاتيح مملكة قشتالة . ثم مدينة «آبله»^(١)

(١) قد سكن المسلمون فى آبله لأول فتح العرب لاسبانيا ، وانتسب اليها جماعة من أهل العلم ، منهم أناس هاجروا منها إلى فاس ، وقد ذكر لى الاديب المدقق السيد محمد الفاسى من بنى الجد الفهرين أن أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبرى الآبلى المتوفى فى فاس سنة ٧٥٧ للهجرة ، أصل أجداده من آبله ، نزحوا منها إلى تلسان وبها ولد أبو عبد الله هذا ، ثم انتقل إلى فاس ومات بها ، وهو تلميذ العالم الرياضى الكبير ابن البناء المرأشى ، والشيوخ العلامة ابن خلدون

وقد وجدت فى آبله بلاطة تاريخ الكتابة التى عليها سنة ٨٠١ للهجرة ، نقلها لاوى بروفسال ، وقال إن هذه البلاطة وجدت بقرب باب القصر Alcazar فى آبله ، وهى هذه : « هذا قبر عبد الله بن يوسف السبى (؟) المقتول على ظلم (؟) ظه وملكه عام ض ١ لهجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (؟) الله يجمعنا معه فى الجنة النعيم لاحول ولا قوة إلا بالله ،

قال لاوى بروفسال إن هذا التاريخ يوافق سنة ١٣٩٨ - ٩٩ مسيحية . قلنا إن آبله هى من المدن التى أخلاها المسلمون من أوائل الفتح ، مثل شقوية ، وسمينكاس ، واستورقة ، وليون ، وزموره وغيرها ، نعم ان المنصور بن أبى عامر كان قد غزا فيما بعد هذه البلاد كلها ، واستولى عليها ، بعد أن أوقع بجيوش جميع أمم الاسبانول ، وأعاد شمالي اسبانية إلى ملك الاسلام . ولكن لم يمض على ذلك إلا قليل ، حتى كانت الفتنة فى قرطبة ، وسقطت الخلافة ، وصار المسلمون يستعين بعضهم على بعض بالنصارى ونجحت ملوك الطوائف ، وأصبحت الحالة أشبه بالفوضى ، فاسترجع النصارى جميع تلك المدن ، منها ما أخذوه بالقوة ، ومنها ما اشتروا التخلي عنه لأجل النصرة التى كان

Avila وسكانها ١٢ ألف نسمة ، وهي مركز مقاطعة بهذا الاسم ، ومركز أسقف ، وموقعها على سطح رابية منقطعة من الجهات الثلاث ، وأمامها الجبال التي يقال لها « مالاغون » من جهة الشرق ، وشارات آبله من جهة الشمال الغربي . وهواء هذه البلدة هو في غاية القسوة ، وقد تنازع الأسبانيول والعرب هذه البلدة مدة أربعة قرون متوالية ، ولم تدخل في حوزة المسيحيين نهائياً إلا سنة ١٠٩٠ في زمن الاذفونش السادس ، فحصنها الاذفونش ، وجدد فيها أبنية كثيرة ، وبقيت إلى القرن السابع عشر من أحفل مدن اسبانية وكان فيها جمٌ غفير من الموريسك ، أي العرب الذين نصرهم الأسبانيول ظاهراً ، ولبثوا مسلمين باطناً ، وكانت هذه المدينة عامرة بهم ، فلما طردوهم في سنة ١٦١٠ ، وهو الجلاء الأخير ، سقطت هذه المدينة سقوطاً تاماً . وفي آبله من الكنائس ما يعد في الطبقة الأولى بين كنائس أسبانية ، على كثرة احتفال الأسبانيول بالكنائس ، وبذلهم في بنائها ما عزوهان . ومن أشهرها كنيسة « سان سلفادور » San Salvador وهي مبنية من الحجر المحبب ، يحالها الناظر إليها حصناً من الحصون . وهي من القرون الوسطى ، وبابها بديع الصنعة ، وفي داخلها تصاوير لأشهر المصورين ، وفيها قبر المطران « الفونسو دومادرغال » من عمل النحات الشهير « فاسكو زارزا » Zarza ، وفيها كنيسة « سان بدرو » ودير « سانتو توماس » بناه الملوك الكاثوليكيون ، أي فرديناند وايزابلا سنة ١٤٨٢ ، وفيه قبر البرنس جوان الذي مات سنة ١٤٩٧ وكان الولد الوحيد لفرديناند وايزابلا وسور آبله القديم طوله ٢٤٠٠ متر ، ولم يكملوه إلا سنة ١٠٩٩ . وفي آبله ماتت

يرجوها منهم كل من الفريقين المتقاتلين في قرطبة ، إذ آ في سنة ٨٠٠ للهجرة لم يكن في آبله مسلمون غير المدجنين ، فان آبله كانت قبل تاريخ هذه الكتابة بثلاثمائة سنة رجعت إلى النصرانية ، فان كان قد بقي فيها مسلمون فيكونون ممن اختاروا « الدجن » أي الإقامة تحت حكم النصارى ، من دجن دجنا ودجوننا أي أقام بالمكان وألفه واستأنس به . وأصل استعماله للحمام والحيوانات ، يقال الحيوانات الداجنة ، ضد الحيوانات البرية



سور مدينة آبله

القديسة « تريزا » Teresa ، ولها هناك دير مشيد في محل البيت الذي ولدت فيه سنة ١٥١٥ ، وهذه القديسة هي شفيعة آبله . وفيها أيضاً كنائس أخرى متقنة مثل « سان سغوندو » Segundo و « سان فيسنت » Vicente نسبة إلى القديس فيسنت الذي يقال انه في سنة ٣٠٣ للمسيح قتل من أجل عقيدته المسيحية . وهناك صخرة هي في داخل الدير ، يقال إن القديس المذكور قتل عليها . وفي آبله ساحة منسوبة إلى المنصور بن أبي عامر . والقرب من آبله واد بهيج ، يقال له « وادي البرش » Alberche ، وفيه بلدة مشهورة بنوع من العنب يسمى البيلو Albillo ويقال لهذه البلدة « سبريروس » Cebberos

ومن مدن قشتالة « فيلالبة » Villalba واقعة على واد متسع تحيط به أهاضيب من شارات وادي الرمل ، وهي على حدود قشتالة الجديدة . وفي تلك الجهة قرية يقال لها « شارمارتين » Charmartin وهي التي فيها كان نابليون الأول عند ما استسلمت له مدينة مجريط .

ومن مدن قشتالة « أوليدو » Olmedo وهي صغيرة ، ثلاثة آلاف نسمة ،

إلا أنها كانت ذات شأن في الماضي ، وكانت مسكن نبلاء قشتالة ، حتى ضرب المثل بها ، فكانوا يقولون : من أراد أن يسود في قشتالة ، فعليه أن يستند على أولميدو وأريفالو . ثم بلدة يقال لها « كوكو » Coco كان لها شأن عظيم في القديم ، ولسكنها اليوم قرية صغيرة . و بلدة سقوية Ségovia ، وكل هذه البلاد قريبة من مجريط ، والسكة الحديدية تمر على سقوية ثم تدخل في نفق وادى الرمل ، وطوله ٢٧٠٠ متر وإذا أفاض الانسان من هذا النفق وقع نظره على سهل قشتالة الأفيح ، فشهد أجمل ماتقع عليه العين . وفي تلك الناحية دير الاسكور يال الشهير ، ثم مجريط وهذه البلدة هي اليوم عاصمة أسبانية ، وسكانها يزيدون على ثمانمائة الف وفيها مدرسة جامعة ، ومركز اسقفية ، وموقعها على ٦ ، ١ ، ٣١ من الطول الغربي من خط نصف النهار الباريزي ، وعلى ٤٠ ، ٢٤ ، ٣٠ من العرض الشمالي . وهي تعلو عن سطح البحر ٦٤٠ متر

مجريط Madrid

قال ياقوت في معجم البلدان : مجريط بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وكسر الراء ، وياء ساكنة ، وطاء : بلدة بالأندلس ينسب إليها هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسى الأديب القرطبي ، أصله من مجريط ، يكنى أبا نصر ، سمع من أبي عيسى الليثي وأبي علي القالي ، روى عنه الخولاني ، وكان رجلا صالحا صحيح الأدب ، وله قصة في القالي ذكرتها في أخباره من كتاب الأدباء - يعني كتابه معجم الأدباء - ومات الجريطي لأربع بقين من ذى القعدة سنة ٤٠١ قاله ابن بشكوال . اهـ

ومن غريب الأمور أن ياقوت ذكر مجريط في مكانين من كتابه ، ففي الأول ذكرها في صفحة ٣٨٨ من الجزء السابع من معجمه ، الطبعة الأولى المصرية المصححة بقلم الشيخ احمد بن الأمين الشنقيطي ، ثم في صفحة ٣٩٤ من الجزء نفسه ، عاد فذكر مجريط هي نفسها وترجمها غير الترجمة الأولى فقال : مجريط بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، وياء ، وآخره طاء مهملة : مدينة بوادي الحجارة ، اختطها محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ينسب إليها سعيد بن سالم الثغرى ، ساكن مجريط ، يكنى أبا عثمان . سمع بطليطلة من وهب ابن عيسى ، وبوادي الحجارة من وهب بن مسرة وغيرهما ، وكان فاضلا ، وقصد السماع عليه ، ومات لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٧٦ قاله ابن الفرضى انتهى نقلا عن بغية الملتمس

والذى يلوح لنا أنه كتب عن مجريط أولا ، وانتهى منها ، ثم تلقى معلومات جديدة عنها فبدلا من أن يلحقها بما تقدم له في شأن مجريط ، عاد فترجمها مرة أخرى وينسب إلى مجريط عدد من أهل العلم في الاسلام منهم أبو محمد عبد الله بن سعيد الجريطي^(١) وعبد الرحمن^(٢) بن عبد الله بن حماد الجريطي . وهارون بن موسى ابن صالح ابن جنبد القيسى القرطبي ، أصله من مجريط ، وأبو العباس يحيى بن محمد ابن فرج بن فتح ، المعروف بابن الحاج^(٣) الجريطي ، توفي بقرطبة سنة ٥١٥ وأبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد^(٤) الجريطي ، توفي بمجريط نفسها سنة ٤٧٣ وعبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج الجريطي ، سكن قرطبة ، وكان

(١) سمع من علماء طليطلة وعلماء قرطبة وتوفي بالمشرق سنة ٣٩٠ أو في السنة التي بعدها

(٢) أخذ عن ابن مدراج وعبدوس بن محمد وأبي بكر الزبيدي وابن الهندي وابن العطار وابن ابي زمنين وكان فاضلا ثقة متواضعا قال ابنه يوسف بن عبد الرحمن : توفي أبي رحمه الله في صفر سنة ٤٠٧ وهو ابن ٧٧ سنة

(٣) كان من علماء الأدب والعربية قال ابن بشكوال : وقد أخذ عنه أصحابنا وكان أحد العدول وتوفي رحمه الله يوم الاثنين لاربع بقين من ربيع الأول سنة ٥١٥ بقرطبة ودفن بمقبرة أم سلبة حضرت جنازته اه

(٤) روى عن ابي عبد الله بن الفخار وابي عمر الطلمنكى وابي محمد الششتجىالى ورحل الى المشرق حاجا ولقى أبا ذر الهروى ويحيى بن نجاح ولقى ببرة ميمون ابن طريف وباطرابلس أبا الحسن بن المنمر وقرأ عليه كتابه في الفرائض وكان أبو يعقوب ابن الحاج هذا ثقة حسن الخط من بيت خير وفضل توفي بمجريط سنة ٤٧٣

يكْتَبُ بأبي الحسن^(١). وأبو الحسن غريب بن خلف بن قاسم الخطيب القيسي الجريطي
نزِيل مآلقه، كان من أهل العلم، وله تصنيف

وأعظم المنسويين إلى مجريط أبو القاسم مسامة بن أحمد الجريطي الفلكي
الكياوي الشهير. ومن ينسب إلى مجريط سعيد بن سالم الجريطي المعروف بأبي عثمان
الثغري الذي ذكره ياقوت، وينسب إلى مجريط أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن
ابن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج، كان ساكناً في قرطبة. وتولّى قضاء جيان،
وقضاء مرسية، وقضاء غرناطة، ثم تولّى قضاء قرطبة بعد أبي الوليد بن رشد، وكان
قاضياً جليلاً، توفي^(٢) سنة ٥٩٨.

وأما أبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد الجريطي الذي
قلنا إنه توفي بمجريط سنة ٤٧٣، فإذا كان القشتاليون استولوا على مجريط سنة ١٠٨٣
فينبغي أن تكون وفاته وقعت في مجريط بعد استرداد الاسبانيول لهذه البلدة.
وأخبرني مهندس اسبانيولي مدقق متخصص بعلم الآثار اسمه فرناندس من أهل قرطبة
أنه لما استولى الأسبان على مجريط كان فيها أربعة جوامع

كان بناء مجريط في زمن العرب ضرورة عسكرية، لأنهم جملوها قلعة في وجه
القشتاليين، ولولا القلعة ما تكونت ثمة بلدة، إذ ليس إلا بلد محتل، وماء ضحل،
وبقيت في أيدي العرب مدة طويلة إلى أن تمكن الاسبانيول من إرجاعها سنة ١٠٨٣
وذلك على يد الأذفونش السادس، وكانت القلعة العربية في مكان القصر الملوكي
الحالي وهذا القصر هو أفخم بناء في هذه العاصمة الآن، وكان الشروع ببنائه سنة ١٧٦٤

(١) قال ابن الأبار في التكملة: يعرف بالمجريطي لان أصله منها أخذ القراءات
عن أبي القاسم بن النحاس وتولى القضاء برندة وحدث عنه ابنه القاضي أبو العباس
يحيى بن عبد الرحمن وكان مولده سنة ٤٧٣ وتوفي سنة احدى وعشرين وخمسمائة

(٢) ترجمه ابن الأبار. فقال: انه اخذ القراءات عن أبيه وقرأ على ابى بكر ابن
العربي وأبى زيد الخزرجي وأبى بكر بن سمجون وتولى قضاء جيان ومرسية وغرناطة
ثم قضاء قرطبة بعد ابن رشد وكان معدوداً في رجالها مع الجزالة والعدالة والايثار للحق

هذا ، ولما دخلها الاسبانيول حوّلوا مسجدّها الكبير إلى كنيسة باسم السيدة العذراء وأعطوا مجريط امتيازات كثيرة ، وصارت لذلك العهد مدينة لابأس بها ، تمتد إلى باب « لاتينه » Latina و باب « سرّاده » Cerrada ، و باب « وادى الحجارة » و باب « سانتو دومينكو » Sato Domingo و باب « سان مارتين » San Martin و باب « الصول » Del Sol ، و وقع بين أهل مجريط وأساقفة أسبانية دعوى على مشاعات البلدة ، فصدر الحكم بأن تكون المراعى لرجال الكنيسة وأن تكون الغابات للمدينه .

وفي سنة ١٣٢٩ جمع فرديناند الرابع أول مجلس للأمة الاسبانية في مجريط وفي سنة ١٣٨٣ التجأ إلى اسبانية لاوون ملك أرمينية شريداً ، فولّوه على مجريط ، ولسكن بعد وفاته رجعت البلدة إلى حكم قشتالة ، وفي سنة ١٣٩٠ حصلت في مجريط فتن متتابعة أيام كان الملك هنري الثالث صغيراً فانتقلت العائلة المالكة إلى سقوية . ثم تجددت هذه الفتن في زمن هنرى الرابع بين سنتى ١٤٥٤ و ١٤٧٤ ، ولم تستقر أحوال مجريط إلا في زمن الملوك الكاثوليكين ، أى فرديناند وايزابلا سنة ١٤٧٧ وفي زمن شارلكان ثار مجريط عليه ، وانضمت إلى الحزب الذى كان يأبى الاقياد للحكم المركزى ، إلا أن هذا الحزب انتهى أمره بالفشل ، فدخل شارلكان مجريط سنة ١٥٢٤ و بعد ذلك بسنة ، لما وقع فرنسوا الأول ملك فرنسة أسيراً في يد الامبراطور شارلكان ، بعد معركة « بايّه » Pavia جى . به إلى مجريط ، واعتقلوه مدة في البرج المسمى « لوجانس » Lujanes ثم نقلوه إلى القصر Alcazar ، وكان عدد أهالى مجريط فى أوائل القرن السادس عشر لا يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة .

والذى فكر فى جعل مجريط عاصمة اسبانية هو فيليب الثانى ، وذلك سنة ١٥٦٠ وقبلها كانت العاصمة طليطلة . وكان فى طليطلة كرسى الأسقف الأكبر ، فكانت هذه المدينة عاصمة اسبانية فى الدين والدنيا ، وكان الاحتكاك الدائم لايجلو من حوادث تبعث على الاختلاف ، فأخذ فيليب الثانى يفكر فى الانتقال إلى مركز

آخر يتوسط المملكة من جميع الجهات ، فلم يجد أفضل من مجريط ، على علاقتها ، وقحولة أرضها ، وعظمتها من أكثر المواهب الطبيعية التي تقوم بها عمارة البلدان . فانه فكر في سرقسطة ، فوجدها منحرفة إلى الشمال . وفي برغش وليون ، فلم يجد فيهما التوسط اللازم الذي جعله نصب عينيه ، وفي قرطبة واشبيلية ، فوجدهما ضاربتين في الجنوب ، وكان مراده على كل حال أن يغادر طليطلة فراراً من مجاورة أحبار الكنيسة فاختر مجريط ، برغم وقوعها في أرض قليلة الخيرات ، لا تجرى فيها أنهار ولا تمتاز بزراع ولا ضرع ، كما أن هوائها جامع بين الأضداد ، فمن نوافح البرد القارس ، إلى لوافح الحر المحرق ، ففي أيام الشتاء قد تنزل درجة الحرارة في الميزان إلى ١١ تحت الصفر ويتجمد الماء أكثر فصل الشتاء ، وفي الصيف تصعد الحرارة إلى الدرجة ٤٣ في الظل ، كأنه حر الساحل الجنوبي ، ثم ان هواء مجريط ، إما أن يكون شديداً عاصفاً ، يصرع الرجل الماشي في الشارع ، وإما أن ينقطع تماماً ، حتى لا يظن . المصباح ، فتقلبات الأحوال الجوية في هذه العاصمة أعجوبة من الأعاجيب ، ومن أمثالهم : لا تترك معطفك قبل ٢٠ مايو .

ولما انتقل فيليب الثاني إلى مجريط كان فيها ٢٥٠٠ بيت ، و ٢٥ ألف نسمة ، فضاقت على رجال الدولة والجند . وصدرت الأوامر بانزال الأمراء والقواد وأصحاب المناصب في البيوت الكبيرة ، فمن ذلك الوقت امتنع الناس عن بناء الدور الفيحاء ، وصار الأغنياء منهم يعتمدون السكنى في المنازل الحقيمة ، حتى لا ينزل رجال الدولة في دورهم . فلذلك بقيت مجريط لا تتقدم إلى الأمام مدة طويلة ، مع ان الفن لذلك العهد كان بلغ أوج الترقى ، واستمرت هذه الحالة على مجريط إلى أن جاء آل بوربون ملوكاً على اسبانية ، فشرع كارلس الثالث ، أفضل ملوك هذه العائلة ، في عمارة مجريط والاعتناء بشأنها . ولما استعفى كارلس الرابع من عرش اسبانية سنة ١٨٠٨ جاء يوسف بونابرت ، وأخذ يوسع شوارع مجريط ، ويهدم حاراتها القديمة ، والأديار التي كانت تضيق بها الأرض بما رحبت ثم ذهب حكم نابليون ، وأعيد حكم آل

بربون ، وجاء فرديناند السابع ، فأخذ يعنى بتوسيع مجريط وتزيينها ، إلى أن كسبت شكل عاصمة حقيقية .

وأشهر ساحة في مجريط هي التي يقال لها « باب الشمس » Peurta del Sol ومن هذه الساحة يمتد شارعان ، أحدهما المسمى شارع « القلعة » Alcala وهو أوسع شوارع المدينة وأبهاها ، وبه تسير جميع المواكب في الاحتفالات ، والثاني شارع « جيرونيمو » وفيه أعظم المخازن وأغناها .

وفي مجريط أكاديميه للفنون النفيسة ، وفيها متحف المدفعية وفيه آثار ونفائس كثيرة . وفيه قاعة تسمى القاعة العربية ، جمعوا إليها كل ما قدروا عليه من مخلفات العرب ، من رايات ، وعمائم ، وأثواب ، وأحذية ، وسيوف ، ومن جعلتها سيف أبي عبد الله بن الأحمر ، آخر ملوك غرناطة . وقد اشتمل هذا المتحف أيضاً على غنائم كثيرة مما حازه الاسبانيول في فتح أميركة ، وتلك المستعمرات الواسعة ، وكذلك في هذا المتحف تذكارات كثيرة من أيام حروب الكارلوسيين .

وحروب الكارلوسيين تشغل من تاريخ اسبانية حيزاً كبيراً ، بحيث لا يفهم القارىء حقيقة تاريخ اسبانية في القرن الماضى بدون أن يعرف قضية الكارلوسيين هذه . فلذلك رأينا تلخيصها فيما يلي :

الدون كارلوس البربونى المولود سنة ١٧٨٨ المتوفى سنة ١٨٥٥ كان ابن كارلس الرابع ، ملك أسبانية ، واخا فرديناند السابع . فلما حمل نابليون الأول فرديناند هذا على الاستعفاء واعتقله ، كان الدون كارلس مع أخيه في الاعتقال ، فلما عاد فرديناند الى الملك ، بعد سقوط نابليون سنة ١٨١٤ عاد الدون كارلس أيضاً مع أخيه ونظراً لكون فرديناند لم يعقب ولداً ، كان كارلس هو ولى العهد الشرعى ، وحوله اجتمع رجال الكنيسة والرهبان والنبلاء الذين يكرهون مبادئ الثورة ، وجميع من كان من أنصار الملكية المطلقة ، وأصحاب الامتيازات والاقطاعات ، فصار الدون كارلس بناوى أخاه الملك ، ولم يتمكن فرديناند من العرش في وسط هذه الهزاهز إلا بواسطة

جيش أمجده به فرنسة سنة ١٨٢٣ ، واشتدت العداوة بين الأخوين ، فزوج الملك فرديناند بمارية كوستينا من ملوك الصقليتين ، وولد له منها الأميرة ايزابلا ، فصارت هي في نظر أبيها وارثة الملك . والحال ان قانون أسبانية كان يمحصر الارث في الذكور ، فادى الامر الى الحرب بين حزب الملك وحزب الدون كارلس ، ومزقت هذه الحروب الأمة الأسبانية تميزاً ، وانفقت فرنسة وانكلترة ، فعضدتا الملك فرديناند في وجه أخيه ثم مات الملك سنة ١٨٣٣ فقامت مقامه زوجته الدونة مارية ، وعضدتها فرنسة وانكلترة ، فانهزم كارلس الى البرتغال ، لمصاهرة بينه وبين الدون ميكال ملك البرتغال . الا ان حزب الدون كارلس كان كبيراً ، وثارت معه المقاطعات التي كانت تكبره النظام المركزي ، فاشتعلت نار الفتنة في الاستورياس ، وبلاد الباشكونس ، ونبارّه ، واراغون ، وكتلونية . واشتدت الحرب الأهلية في أسبانية ، الى ان وقع الخلف أخيراً بين زعماء حزبه ، ففسلوا ، واضطر كارلوس الى الفرار سنة ١٨٣٩ ، والتجأ الى فرنسة في زمن الملك لويس فيليب ، واعتقل فيها .

ثم نزل عن دعواه لشخصه وخلفه ابنه الدون المسمى كارلس أيضاً ، فاخذ هذا يثير حزبه على ابنة عمه ، وجرت وقائع وحروب في أيامه ، كما جرت في أيام أبيه . وما زال يقاتل ويثير الفتنة الى أن مات . فخلفه أخوه الدون جوان . ثم خلف الدون جوان ولده الدون كارلس أيضاً ، وذلك سنة ١٨٦٨ ، وسماه حزبه كارلس السابع ، ودخل أسبانية ، وأثار الفتنة ، نظير عمه وجده . وتغلب على عساكر الدولة الأسبانية ، وقام بتشكيل وزارة ، واوشك ان يستولى على العرش . واستمرت هذه الحالة مدة أربع سنوات ، الى أن تغلبت الدولة الأسبانية في الآخر عليه ، فانهزم الى الخارج ، فصار يجول في الاقطار الى ان مات . وانتهت الشحنة الكارلوسية .

ثم نعود الى ذكر مدينة مجريط فنقول : انه فيها دار لمجلس النواب ، يقال لها دارالمؤتمر Palacio del Congreso وهي بناء فخم ، انشأه المهندس . نرسيزو بشكوال Pascual . وأمام الرتاج اسدان من سكب الرمل ومدافع غنمها الاسبان من

المراكشيين في واقعة تطوان سنة ١٨٦٠ . وفي مجريط متحف يقال له متحف البرادو Prado ، بدأوا به سنة ١٧٨٥ ، وهو قسبان ، أحدهما للتماثيل ، والآخر للتصاوير . وفيه آثار ايدي مشاهير المصورين والنحاتين ، ممن تقدم لنا ذكرهم في الفصل المتعلق بالفن ، ومن غيرهم . فهو من أحفل متاحف أوربة بلا نزاع ، يختلف اليه عشاق الفن ما شاؤا ان يخلطوا ، ولا يزالون يرون فيه أشياء جديدة . وفيها جنة النبات Gardin Botanique ، وقد بدأوا بها سنة ١٧٧٤ الا ان دليل بديكر يجعلها دون حديقة النباتات التي في بلنسية ، ودون حدائق النباتات التي في البرتغال .

وفي مجريط ساحة يقال لها ساحة الشرق ، في نهايتها ملهى التمثيل الملوكي . وأما قصر مجلس الشيوخ فانه في طرف من المدينة ، بينما مجلس النواب هو في الطرف الآخر .

وأما خزانة الكتب الوطنية ففيها عدا الكتب ، وعدا الوثائق التاريخية ، متحف يقال له متحف الفن الحديث ، ومتحف آخر يقال له متحف الآثار القومية . وقد بدأوا ببناء دار الكتب هذه سنة ١٨٦٦ ، وانتهوا منها سنة ١٨٩٤ ، وامام رتاجها تماثيل المشاهير من رجال أسبانية ، وفي داخلها تماثيل ملوكهم وملكاتهم . وأول من جمع هذه الكتب في مجريط هو الملك فيليب الخامس ، وذلك من مائتين وخمس وعشرين سنة . وسنة ١٨٦٦ اشترت الحكومة مجموعة كتب مخطوطة كانت تخص دوق اوشونة ، وازافتها الى هذه المكتبة . ومجموع ما تشتمل عليه من الكتب هو ستمائة وخمسون الف مجلد ، منها ثلاثون الف مخطوط ، والفان وسبعة وخمسون كتاباً طبعت في بداية عهد الطباعة . وفيها عشرون الف ورقة من الوثائق . وثلاثون الف صورة يدوية . وفيها ثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط . والبناء هو سبع طبقات من الحجر والحديد ، وفي قاعة القراءة ٣٢٠ كرسيًا . ولما ذهبت الى مجريط سنة ١٩٣٠ كنت أذهب كل يوم الى هذه المكتبة ، وفيها اطلمت على كتب كثيرة تتعلق بالأندلس ، ثم اقتنيت اكثرها فيما بعد ذلك ، ونسخت بخط يدي

يومئذ قسما من كتاب اخبار مجموعة ، وهو أول تاريخ عربي لمسلمى الاندلس ، يصل الى زمان الناصر ، وقسما من كتاب القضاة بقرطبة ، لأبي عبد الله محمد الحشني وأما خزانة الآثار القومية ففيها مائتا ألف وثيقة ، جمعت من كل الأطراف ، ولا سيما من كنيسة آبله . وتحت المكتبة أقباء ملأى بالآثار القديمة التي قبل التاريخ وعظام بشرية ، وهناك مكان للعاديات الشرقية ، ومنسوجات قبطية ، وآنية أصلها من قبرص ، وكثير من المصنوعات الايبيرية ، والتماثيل العتيقة ، مما يحار له العقل . ويقضى السائح الأيام والأشهر وهو يقضى منه العجب ، ويوجد قاعات لآثار القرون الوسطى : من كتابات ، وقطع فنية ، ونواويس . وهناك قاعة خاصة بآثار العرب . والآثار المسيحية التي يطلق عليها اسم الطراز المدجن ، والاسبانيول يقولون المدجر ، وأكثر هذه الآثار العربية مأخوذة من أشبيلية وقرطبة وسرقسطة وغرناطة وفي القاعة العربية أسطرلابان عربيان ، أحدهما تاريخ صنعه سنة ١٠٦٧ مسيحية ، وهو أقدم أسطرلاب معروف اليوم . وفيها تحت الزجاج مجموعة عظيمة من الصحن والآنية العربية . وإلى الحائط الغربي من القاعة العربية قوسان من باب الجعفرية ، في سرقسطة ، وقطع من البهو الملوكي في الجعفرية المذكورة ، وباب عربي جيء به من ليون ، وحوض للوضوء جيء به من مدينة الزهراء في قرطبة ، وآثار من جامع بناء محمد الثالث في غرناطة وإلى الحائط الجنوبي باب عربي من خشب وجدوه في « دروقه » ، وإلى الحائط الشرقي مجموعة من الزيتج ، وفي الوسط فوارة أشبه بفوارة قاعة الأسود في الحمراء ، وفورتان من قرطبة ، ويوجد سيوف عربية ، وخواتم ، وآنية من العاج ، وغير ذلك من نفيس صناعات العرب . ومما يوجد في هذا المخزن مفاتيح مدينة وهران يوم دخلها الاسبانيول سنة ١٥٠٩

وفي الطبقة الأولى من خزانة الآثار هذه توجد آثار مكسيكية قديمة ، حازها الاسبانيول يوم فتحوا تلك البلاد ، وآثار غربية ، وآنية خزفية ، ومنسوجات من أميركا الجنوبية ، وفسيفساء من صنعة أميركا الشمالية القديمة وغير ذلك مما وجدوه في المكسيك وكولومبية وكوبا وغيرها .

ومكتبة مجريط هي من أغنى مكاتب أوربة بلا نزاع ، سواء في السكتب ، أوفى الأثار أوفى التحف النفيسة ، وفيها أيضاً نفائس من صنعة فارس وتركية والهند ، وتماثيل صينية ، ومصنوعات من العاج من عمل الصين ، وفيها أيضاً من صناعة اليابانيين وبلاد الفيليبين ، وفيها معرض للمسكوكات القديمة ، من زمان قرطاجنة فما بعدها ، وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به العقل .

وفى مجريط تمثال لكريستوف كولومب منصوب فى ساحة منسوبة إليه . وتمثال للملكة إيزابلا الكاثوليكية ، وتماثيل أخرى لأعظم الرجال . وفيها متحف للعلوم الطبيعية أنشأوه سنة ١٧٧١ ، يوجد فيه كثير من الحيوانات والطيور والحشرات والهوام والبقايا المتحجرة . ولما كانت مجريط خالية من الماء فى وسطها فقد جرؤوا إليها قناة يقال لها « لوزويًا » Lozoya ، وأنشأوا خزناً يفضى إليه الماء فى أعلا نقطة من المدينة ، وهذا الخزان يسع ١٨٠ ألف متر مكعب من الماء ، وهناك برج عال ارتفاعه ٣٧ متراً تتفرق منه المياه على الحاضرة . وأوسع ساحة فى مجريط هى الساحة التى يقال لها « ساحة الشرق » Plaza de Oriente أنشأها يوسف بونابرت لما كان ملكاً على أسبانية ولكثرة ما أنشأ من الساحات صاروا يقولون له « Rey Plazueles » ومعناه ملك الساحات . وقد هدم لأجل توسيع هذه الساحة عدة أديار وكنيسة وخمسة بيت . وفيها أربعون تمثالا لملوك القوط والأسبان . وفى مجريط دار للسلاح مشهورة ، وكان أصلها فى بلد الوليد ، فنقلها فيليب الثانى إلى مجريط ، وفيها أسلحة من جميع الأنواع ، منها ماجاء هدية من اليابان إلى فيليب الثانى ، ومنها أسلحة مكسيكية . وفيها رايات باقية من زمن شاركان وفيليب الثانى ، وكذلك دروع ومغافر كانت لشاركان وفيها أيضاً عمامة وأسلحة منسوبة لخير الدين بربروس ، قيل إنهم أخذوها فى موقعة تونس سنة ١٥٣٥ ، وفيها أسلحة على باشا أمير البحر التركى ، مع ثيابه وراية تركية ، مما أخذه الأسبان فى واقعة لينط الشهيرة سنة ١٥٧١ ، وفيها رايات لمشاهير قواد أسبانية . وخيمة من مصنوعات تركية ، كانت لفرنسا الأول ملك فرنسا وقد أخذها

الاسبانيول في وقعة « بافيا » التي أُسر فيها ، وفيها سيوف باركاها البوابات لأن أصحابها جاهدوا في المسلمين ، مثل الملك هنرى الرابع صاحب قشتالة ، والأمبراطور شارل لكان وفيليب الثانى ، وفيليب الثالث ، وفيليب الرابع ، وفيها أسلحة تركية من صنعة القرن السادس عشر والسابع عشر ، وبقايا غنائم أخذوها يوم فتحوا وهران سنة ١٧٣٢ ، وفيها أسلحة شارل لكان يوم نازل تونس ، ويوم انكسر عن مدينة الجزائر . وفيها أسلحة كانت للملك فرديناند الكاثوليكي ، وقلما وجد سلاح لملك من ملوك أسبانية إلا ومنه بقية في هذا المخزن

وفي مجريط دار يقال لها أكاديمية التاريخ ، بنيت سنة ١٧٣٨ ، وفيها متحف يحتوى على أسلحة ايبيرية قديمة ، وعلى مجموعة مسكوكات ، ومن جملة ما فيها راية عربية كانت من قبل في كنيسة سان اشتبان . وأما من جهة الكتب ففيها ٤٤ ألف مجلد ، من أصلها ألفان من المجلدات المخطوطة ، وأكثرها عائد لتاريخ أسبانية وأما الكنائس فحدث عنها ولا حرج ، ففي اسبانية تكون القصة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف نسمة ، ولا تعدم فيها كنيسة متقنة تستحق أن يقصد السياح اليها ، فكيف تكون ياليت شعري ! حاضرة المملكة التي جلس فيها ملوك اسبانية من ثلاثمائة سنة ؟ وأشهرها الكنيسة الكاندرائية التي يقال لها كنيسة سيدة المدينة

Nuestra Senoira de la Almudena

هذا وقد ترددت في أثناء مقامي بمجريط على مكتبة أكاديمية التاريخ ، وعثرت فيها على كتب كثيرة . وقطفت من أزهارها . ونسخت بقدر ما أمكنى الوقت ، واني لذا كر الآن بعض الكتب التي استجلبت نظري ، من أسفار تلك المملكة وهي : « تاريخ علماء » الادللس ، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ، وكتاب « الحلال الموشية في الأخبار المراكشية » . و « الروضة الغناء في أصول الغناء » ، و « تفريج الكرب عن كرب أهل الأرب . في معرفة لامية العرب » لمحمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور ، و « نظم الدر والعقيان ، في شرف (٢٣ - ج أول)

بيت بنى زيتان ، وذكر ملوكهم الأعيان ، ومن ملك من أسلافهم فى ماضى من الزمان ، و « عمدة الطبيب فى معرفة النبات » ، لابن بطلان ، و « نزهة المشتاق ، فى اختراق الآفاق » للشريف الادريسي ، الذى نقلنا عنه كل ما قاله عن الاندلس فى كتابنا هذا وكتاب « فتوح أفريقية » ، وكتاب « القواعد المسطرة ، فى علم البيطرة » لعلى بن عبد الرحمن بن هذيل بن محمد الفزارى . وكتاب « فضالة الاخوان فى طبيبات الألوان » ، لأبى الحسن على بن محمد بن القاسم بن محمد بن أبى بكر بن الوزير التجيبي الاندلسى . و « تقييد الرسائل » من انشاء الفقيه القاضى الكاتب ابن المطرف ابن عميرة . و « عقد الجمان ، فى تاريخ أهل الزمان » لبدر الدين أبى محمد محمود بن احمد بن موسى العيني . و « الروض الهتون ، فى أخبار مكناسة الزيتون » ، لمحمد ابن احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن غازى العثماني المكناسى . و « نتيجة الاجتهاد ، فى المهادنة والجهاد » ، لاحمد بن المهدي الغزال القاسى . وكتاب « الاكتفا فى أخبار الخلفاء » ، لأبى مروان عبد الملك بن الكردبوس . وكتاب « الدرّة المضية ، فى اللغة التركية » ، لزين الدين عبد الرحمن بن ابى بكر العيني . و « القوانين السكّية ، لضبط اللغة التركية » ، لشمس الدين محمد بن نور الدين على بن زين الدين . وكتاب « استخراج ملاح المعادن » . وكتاب « تأييد الملة » . و « الذخيرة » لابن بسام ، ورسالة بفضل الاندلس لأبى الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى . و « حكاية الجارية تودور » ، وما كان من حديثها . وكتاب الجغرافية فى مساحة الأرض وعجائب الأسقاع والبلدان . وقصة الست زمرد الستورية . و « التكملة » لابن الأبار . ودقتر لرسم الكتب الموضوععة فى خزائن يبنى المحراب من الجامع الأعظم (يريد جامع قرطبة) . ودقتر لرسم الكتب الموضوععة فى خزائن بسرى المحراب من الجامع الأعظم . وكتاب « فوائد الموائد » تأليف يحيى بن عدى ، وقيل تأليف جمال الدين ابى الحسن المعروف بالجزار . وكل هذه الكتب نظرت فيها بقدر ما وسع الوقت وكتاب فوائد الموائد كثير النكات ، يقرأه الانسان للتسلية . أوله : « الحمد لله الذى جعل الطعام رزقاً للعباد ، وقواماً للأجساد ، وسبباً لدم البخلاء ومدح الأجواد ، أحده على ما منح من طبيبات رزقه ، ومعرفة

السكرام من خلقه ، رازق الاطعمة الشبية ، ومسخر النفوس السخية ، النخ . وأجل كتاب رأيته في هذه المكتبة هو «الفلاحة في الارضين» ، لابي زكريا يحيى بن محمد ابن احمد بن العوام الاشبيلي . وهو جزءان ، وعدة صفحاته ٠٨٤١ . ويندر أن يكون في هذا الفن كتاب أجل قدراً منه . وقد قرأت في مجلة الجمع العلمى العربى التى تصدر في دمشق أنه مترجم إلى الافرنسية وقد نسخت من هذا الكتاب عدة صفحات ورأيته ينقل كثيراً عن الفقيه الامام أبى عمر احمد بن محمد بن حجاج فى كتابه «المفنع» وهو المؤلف سنة ست وستين واربعائة ، نقل فيه صاحبه عن الرازى ، واسحق ابن سليمان ، وثابت بن قرّة وغيرهم . وكذلك نقل ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي صاحب كتاب الفلاحة هذا عن كتاب الشيخ أبى عبد الله محمد بن ابراهيم ابن الفصّال الاندلسى ، الذى بنى كتابه على تجاربه الخاصة ، ونقل عن كتاب الحكيم الشيخ ابى الخير الاشبيلي ، وهذا مبنى على تجارب المؤلف وعلى آراء جماعة من الحكماء والفلاحين . ونقل عن كتاب الحاج الغرناطى . وكتاب ابن أبى الجواد ، وكتاب غريب بن سعد ، ونقل عن حكماء اليونان ، وأيضاً عن كتاب الفلاحة النبطية المشهور المبنى على أقوال جملة من الحكماء منهم آدم ، وصغريت ، وبنبوشاد ، وأخنوخا ، وماسى ، ودونا ، وكانترى ، وغيرهم . وأما تاريخ ابن الفرضى ، ورسالة الشقندى فى فضل الانداس ، فقد نقل عنهما صاحب الفتح ما شاء .

الاسكوريال L'escorial

ومن ضواحي مجريط قرية الاسكوريال Escorial أو Escorial ومعناها معدن الحديد ، والقرية قسيمان : القرية القديمة تسمى «أباجو» ، والقرية الجديدة وتسمى «الريبة» وعدد سكان هذه ثلاثة آلاف نسمة . وهى مصيف لاهل مجريط ، وفيها الدير الشهير الذى يسميه الاسبانيون Rial Monasterio de San Lorenzo del Escorial وهو الذى بناه فيليب الثانى ، وذلك انه فى حصار مدينة سان كستين سنة ١٥٥٧ أصابت مدافعه كنيسة باسم القديس «لورنزو» ، وهو جندى روماني

من أصل اسبانيولى ، توفى شهيداً فاراد فيليب أن يعوّض القديس من هدم تلك الكنيسة المبنية على اسمه ببناء دير عظيم ، جعل فيه أيضاً مدفن والده شارلكان ، الذى كان تخلى عن الملك من تلقاء نفسه ، واختار العزلة والنسك ، وصرح فيه قول المتنبي :
 ويمشى به العكازُ فى الدَّيرِ راهباً ومَا كَانَ يَرْضَى مَشَى أَشَقَرَ أَجْرَدَا
 وكان فيليب الثانى يريد ان يقتنى أثر أبيه فى التنسك والاعتزال ، فبعد ان بحث نحواً من سنتين عن مكان لهذا الغرض اصابه فى جوار مجرى بقرية الاسكوريال ، فاستدعى اليه المهندس الطليطلى الشهير « جوان بوتستا » ، وبدأ بالعمل سنة ١٥٥٩ ، ولكن المهندس مات بعد أن بدأوا بالبناء ، فخلفه عليه « جوان دوهريره » الذى هو من تلاميذه ، وكان الأول تعلم البناء فى رومة ، وأما الثانى فكان تحصله فى بروكسل . وكان فيليب الثانى يشترك بنفسه فى الشغل ، و يأخذ ويعطى مع الصناع ، ولا يتركهم يعملون شيئاً بدون رأيه وقد بذل همه فوق تصور العقل لاجل اكمل هذه البنية التى قل ان يوجد مثلها فى الدنيا . وقد انتهوا من العمل ووضع الصليب على القبة سنة ١٥٨١ ، وآخر حجر وضع فى هذا الدير كان وضعه فى ١٣ سبتمبر سنة ١٥٨٤ ، وأما المقبرة الملوكية فامتت الا فى زمن فيليب الرابع ، حفيد فيليب الثانى . وقد حتموا نفقات هذه البناية السكبرى بستة عشر مائوناً وخمسمائة الف بسيطة . وطرز هندسة هذا الدير هو طرز عصر التجدد الثانى فى ايطالية ، وهو الذى يعتمد فى جلاله على مجرد تناسب الاقسام ، وليس فى الاسكوريال شىء من الزينة ولا الزخرف ، وجميع تلك الجدران لا يتخللها غير نوافذ صغيرة . واذا نظرت الى هذا البناء العظيم حسبت انه قلعة أو سجن . ولما أراد فيليب الثانى ان يزىن داخل الدير بالتصاوير التى لا بد منها نظراً للمذهب الكاثوليكي ، استجد بعض مصورى ايطالية المشاهير مثل « تيبالدى » و « كامبازو » و « زوكارو » وأما من أسبانية فقد استدعى « جوان فرناندىس » و « نافاريت السكرونى » .

وقد انتقد الكثيرون من أساطين الفن بناء الاسكوريال ، وقالوا إنه ليس له

من مزينة غير السعة والكثرة ، وانه ليس فيه ذوق ولا قوة توليد ، ولا فضل اختراع ، وكل ما هناك فهو خطوط هندسية مستقيمة ، تسود عليها بساطة زائدة ، يمجها الطبع . وقد علل بعضهم هذه البساطة الزائدة بكون فيليب الثاني كان هو الأمر الناهي في اختيار الأشكال التي لم يكن يستحسن منها إلا البسيط الساذج . وكان كلما جاءه المهندسون بشيء من الزخرف رفضه فجاءت بنايته هذه أشبه في بيوتها وجهامة منظرها بالبرية التي تحيط بها . أما طول البناية فهو ٢٠٦ أمتار والعرض هو ١٦١ مترا ، ولها أربعة أبراج . وفي وسطها كنيسة ذات قبة عالية وبرجين عظيمين ، في كل منهما جرس كُبار وإلى الشرق والشمال من هذه الكنيسة المقر الملوكي ، وإلى الغرب ساحة خارجية ، وإلى الجنوب الدير الحقيقي وحواشيه وأما كن القسيسين .

وللاسكوريال رتاج عظيم ، عليه تمثال القديس لورانزو ، يعلو أربعة أمتار ، ورأسه ويداه من المرمر ، وفي يده اليمنى مشواة من النحاس المذهب ، إشارة إلى كيفية استشهاد القديس ، الذي يقال إنه أميت على آلة مثلها . وفي الكنيسة ست اسطوانات ، عليها تماثيل ملوك العهد القديم ، وجميع الرؤوس والأيدي من الرخام الأبيض ، والتيجان والصوالة من النحاس المذهب . وقبة الصليب ترتفع ٩٥ مترا ، والكنيسة في غاية الاتساع ، وفيها ٤٨ مذبحاً وعلى حيطانها تصاوير الوقائع الدينية الكبرى ، مثل البشارة ، والحمل ، وولادة عيسى ، وعبادة الملائكة له ، وملوك الجوس ، وبنى إسرائيل في البادية ، واليوم الآخر ، وهزيمة بنى إسرائيل للعالمقة ، وغير ذلك . وأما مقبرة الملوك فهي مجاورة للمذبح الأعظم ، وذلك حتى تقام القداسات اليومية على عظام الملوك المدفونين . وفي هذه المقبرة زخرف كثير ، مخالف لقاعدة البساطة التي كان فيليب الثاني قد جعلها إماماً له في بناء هذا الدير . والسبب في ذلك هو أن هذه المقبرة قد أكلها خلفاؤه من بعده ، والمدافن واقعة ضمن محاريب في الحيطان ، وكل مدفن فيه ناووس من الرخام الأسود ، عليه كتابة باسم المدفن . وفي هذه المقبرة ستة وعشرون ناووساً ، لم يبق منها غير قليل خالياً ، وليس جميع الملوك

مدفونين هنا ، بل فيليب الخامس ، وفرديناند السادس ، ونسأؤهما ، ليسوا فيها .
وهناك مقبرة أخرى فيها أجساد الأمراء والأميرات ، ممن لم يصل إلى العرش .
وفي هذا الدير خزانة كتب عظيمة ، واقعة في بهو طوله ٥٢ متراً ، فوق الزنابق
الذي منه الدخول إلى المقر الملوكي . وفي هذه الخزانة من نوادر الكتب والآثار
ما يستحق كل اعتبار . من ذلك كتب الصلاة التي كان يصلي بها شارل كان وفيليب
الثاني ، ومخطوط اسبانيولى يتضمن قصيدة فيرجيل الشاعر الرومانى التي تسمى
«ايناييد» Eneide ، والأناجيل الأربعة ، في مجموعة كتبت لكونراد الثاني ، قيصر
ألمانية ، وأنجزت في زمن هنرى الثالث ، وتاريخها سنة ١٠٥٠ ، ومخطوط فيه رؤيا
يوحنا ، تاريخه القرن الخامس عشر . وفيها مصحف شريف بخط مغربى مذهب كبير
الحجم ، اتصل بالاسبانيول سنة ١٥٩٤ ، وقد سألت عنه بعد زيارتي للاسكوريال ، السيد
الشريف الأجل ، مؤرخ المغرب في هذا العصر ، مولاي عبد الرحمن بن زيدان ،
حفظه الله ، لأنى وجدت مكتوباً على الصوان البلورى ، الذى فيه هذا المصحف
أنه مأخوذ من السلطان زيدان ، صاحب المغرب . فأجابنى مولاي عبد الرحمن
بأن السلطان الذى أخذ منه هذا المصحف ليس من العائلة الشريفة السجلماسية بل
من الملوك السعديين ، وذلك أن بعض قرصان الاسبانيول غنموا مركباً من البحر
لهذا السلطان ، وكان فيه أمتعة نفيسة ، وكتب من جملتها هذا المصحف . وقد قرأت
في تاريخ الاستقصا للناصرى السلاوى ، في الجزء الثالث ، في صفحة ١٢٨ ما يلى :
وقال منويل : « إن قراصين الاسبانيول غنمت في بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان
فيه أثاث نفيسة ، من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة
وغير ذلك »

ومن جملة آثار خزانة الاسكوريال تأليف للملك الاذفونش الملقب بالحكيم ،
من القرن الثالث عشر ، وكرة أرضية ، كان فيليب الثاني يستعملها في مطالعاته
الفلكية . وفي هذه الخزانة صورة لفيليب الثاني ، يوم كان فى الواحدة والسبعين من

العمر ، وصورة لشارلر كان يوم كان في التاسعة والأربعين ، وصورة لفيليب الثالث ، وصورة أيضا لكارلس الثاني ، وهو ابن أربع عشرة سنة . ثم إنه يوجد في الخزانة قسم للكتب الخطية ، لا يمكن الاطلاع عليه إلا بإذن خاص من إدارة الاسكوريال . وأما القصر الملوكي الذي في الاسكوريال فإنه إن كان فيه شيء من الزخرف ، فهذا قد حصل بعد موت فيليب الثاني . فأما هو فلم يكن بنى لنفسه إلا غرفة صغيرة يشاهد منها المذبح الأكبر في الكنيسة ، وغرفتين بجانبها ، ولا تزال فيها المفروشات التي كانت في أيام فيليب الثاني ، ولا تزال في غرفته الخاصة المائدة التي كان يكتب عليها مع أدواتها ، وهناك الكرسي التي كان يمد عليه رجله . وفي هذه الغرفة كان يستقبل سفراء الدول . وفيها مات ، وذلك في اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٩٨ ، على أثر مرض برّح به ، وكان وهو يجود بروحه ينظر إلى مذبح الكنيسة الكبير ، كما أنه كان في يده نفس المصلوب الذي كان في يد والده شارلر كان يوم فاضت روحه .

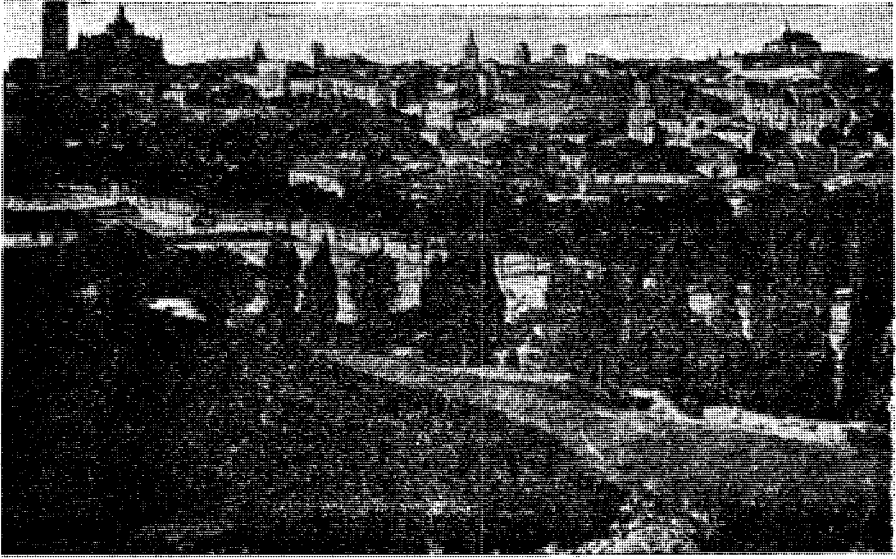
والاسكوريال حديقة تفتح أبوابها الساعة الثانية بعد الظهر . ولها منظر من أبداع المناظر ، لا تبلغ العينان مدته على سهل قشتالة الجديدة ، ومجريط ، ووادي الرمل . ولما زرت اسبانية سنة ١٩٣٠ أي من ست سنوات ، ذهبت إلى الاسكوريال أنا واثنان من شبان المغرب النجباء ، وسرواته الأدباء ، وهما السيدان العالمان الفاضلان أحمد بلا فريج ، ومحمد الفاسي الفهرى ، وكان معنا السنيور دوزميت يواكين ، من شبان نبلاء الاسبانيول ، فطوّفنا في الاسكوريال مدة ساعات ، وجلسنا في خزانة الكتب ، حيث رأيت من الكتب العربية ما لا يوجد في كثير من المسكنات . وهناك تعارفنا مع الأستاذ المستشرق العلامة القسيس آسين بلاسيوس المشهور ، وتجادنا معه في مختلف المواضيع ، وسألناه عن سبب ذهابه إلى أن رواية دانتى ، الشاعر الايطالى الأكبر ، المسماة بالمهزلة الالهية ، هي فكرة مسروقة من رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعرّمي ، فأدلى إلينا بأرائه في الموضوع ، وبين لنا أن التشابه الواقع

في عدة من النقط لا يمكن أن يكون من قبيل وقع الحافر على الحافر ، وقال أيضاً إن رسالة الغفران كانت مترجمة إلى اللاتينية ، ككثير من الكتب العربية ، فيترجح أن يكون دانتي قد اطلع عليها . ثم سألتناه عن رأيه في علماء غرب الأندلس ، فأيناله في حقهم رأياً عظيماً ، وذكر منهم عدداً من جملتهم أبو محمد بن حزم ، برغم كون ابن حزم طعن كثيراً في النصرانية ، وإن آسین بلاسيوس ليس نصرانياً فحسب ، بل هو قسيس مستمسك بدينه . وأما لسان الدين بن الخطيب فقال لنا انه لا يمجبه . وذكر لنا آسین بلاسيوس أنه تلميذ « قُدَيْرَه » المستشرق الاسبانيولى الذى أصله من العرب ، والذى طبع في مجريط كتب ابن بشكوال ، وابن الأبار وغيرهما ، وله تحقیقات كثيرة ، وإليه يرجع الفضل في تجديد العناية بالعربية في اسبانية

شقوقية ^(١) Ségovie

ومن مدن قشتالة المدودة « مدينة « شقوقية » Ségovia وهى مدينة عالية سكانها اليوم ١٥ - ١٦ ألف نسمة ، وهى مركز مقاطعة منسوبة اليها ، ومركز اسقف ، وإنما أهميتها هي بكونها من أقدم المدن الايبيرية ، وأنها تشتمل على آثار قديمة ذات عظمة ، منها القناة الرومانية المعلقة ، وفيها كنانس وقلاع باقية من القرون الوسطى ، وموقعها أشبه بموقع طليطلة ، وذلك أنها مبنية على قمة صخرية ، علوها مائة متر ، ولها شوارع ضيقة ، معوجة ، معرّجة ، غريبة الشكل ، والقصر Alcazar في

(١) قد كان لهذه البلدة شأن عظيم في قشتاله القديمة ، ولم تبق في أيدي المسلمين أكثر من نصف قرن ، إذ ابتدر استرجاعها الاذفونش الأول ، أو ابنه فرويله ، ثم عاد فزحف اليها المنصور ابن أبي عامر وفتحها ، في جملة ما فتح من شمالي أسبانية ، ولكن بعد موته ، وبعد اشتعال الفتنة الكبرى في قرطبة ، انتهب الاسبان الفرصة فاسترجعوها هى وسموره وطلمنكة وآبله ، وما يتبع هذه المدن من النواحي . وكان الفريقان اللذان يقتتلان في قرطبة ، كلما استعان احدهما على الآخر بالاسبانيول ، اشترط هؤلاء عليه لمعاونته على الفريق الآخر ، تسليم كذا وكذا من الحصون ، فيبادر المسلمون بالتخلي للاسبان عنها ، كما سيأتى مفصلاً



شقوبية « منظر عمومي »

أعلى القمة ، وبالقرب منه الكنيسة . وللبلدة نهر يقال له « اريسة » يجري في جانبيها ، ولها أسوار قديمة من زمان الايبيريين ، ثم جدها الرومانيون . ولها أرباض مثل « سان دورانزو » و « سان مرقس » و « سان ميلان » مبنية في سفوح الجبل الذي هي عليه .

أما القناة المعلقة ، التي هي مع جدران طرّ كونة ، أعظم ما أثر الرومان في اسبانية فالمظنون أنه كان بناؤها في أيام أغسطس قيصر ، ثم تجددت في أيام فلافيانوس ، أو تراجانوس ، كما يظهر من الكتابات الباقية ، والماء مجلوب من شارات « فنفريا » Fuenfria ، وهو يجري في البداية مكشوفاً على مسافة ١٦ كيلو متراً ، إلى أن يصل إلى شرقي شقوبية ، حيث بُدِيت له خزانات ، ومن هنا يكون مجراه على جسر طوله ٨١٨ متراً . منه على مسافة ٢٧٦ متراً قسم مبني طبقة عن طبق ، ولهذا القسم ١١٩ قوساً ، وهو الواصل بين جانبي الوادي العميق ، وارتفاع أركان الجسر هو من سبعة أمتار إلى ٢٨ متراً ونصف ، وجميع البناء هو من الحجر المحّبب . ولما حاصر العرب شقوبية سنة ١٠٧١ انهدم في أثناء الحصار خمس وثلاثون قوساً ، وبقيت مهدومة إلى زمن

الملكة ايزابلا ، فأمرت بتجديدها . وهذه القناة المعلاقة تمر فوق ساحة يقال لها إلى اليوم ساحة «السويقة» La Plaza Del Azoquejo هي في مدخل المدينة العليا وهذه الساحة هي أهم مركز للبيع والشراء واسمها عربي كما لا يخفى . وفي شقوية ساحات أخرى ، وفيها كنائس متعددة ، منها كنيسة سان ميكال ، بنيت سنة ١٥٥٨ ، والكنيسة الكاتدرائية ، بدأوا بها سنة ١٥٢٢ ، وانتهوا منها سنة ١٥٧٧ ، بناها المعلم «جوان خيل اوتنانون» باني كنيسة طلمنكة ، وابنه «لدريق بن خيل» وطول هذه الكنيسة ١٠٥ أمتار ، وعرضها ٤٨ متراً . أما القصر في شقوية فهو من بناء الازفونش السادس ، وكان قد تهدم ثم تجدد

وبالقرب من شقوية بلدة يقال لها «سان ايلدفونسو» San Ildefonso سكانها أربعة آلاف نسمة ، في موقع بديع ، يقصدها الناس للاصطياف ، يقال إن بانيها هنري الرابع ، جمل فيها هناك مكاناً ينزل فيه عند ما كان يذهب إلى الصيد ، وذلك سنة ١٤٥٠ ، وبالقرب من هذه البلدة قرية يقال لها «لاغرنجة» La Granja وكانت مكاناً لفيليب الخامس أول ملوك البوربون في اسبانية ، وقد بنى فيها قصرًا وحدائق على نسق وطنه فرنسة . وكان يجلس فيها خلفاؤه . مثل فرديناند السابع . وبالقرب من هناك بلدة «ارانبوز» Aranjuez وهي بلدة سكانها ستة آلاف نسمة ، يمر عليها جدول من نهر تاجه ، فيسقى البساتن التي حوالها . وهذه البلدة قديمة من زمن الرومانيين ، وكانت تصطاف فيها الملكة ايزابلا الكاثوليكية . وقد بنى فيها الأمبراطور شارلكان مكاناً ينزله عند الصيد ، فصارت هذه البلدة مركزاً لاصطياف ملوك اسبانية إلى زمن كارلس الرابع ، الذي تحلّى هناك عن الملك لابنه سنة ١٨٠٨ ومن ذلك الوقت أهملت الأبنية الملوكية هناك ، ولم يبق لانزهة غير الجنان البديعة التي تحديق بها ، ومن الغريب أنهم كانوا يقيظون فيها ، مع أن الحرارة ربما تصعد فيها إلى درجة ٤٧ من ميزان سنتيغراد . والحقيقة أن أحسن فصل في أرابنجوز هو فصل الربيع . وهي بالنسبة إلى ملوك اسبانية أشبه بقرساي بالنسبة إلى ملوك فرنسة ،

وبوتسدام بالنسبة إلى ملوك بروسية . والقصر الملوكي في أرانجوير هو من القصور الملوكية المعدودة ، فيه كثير من التحف والتصاوير وبديع الصنعة ^(١)

طليطلة Tolêdo

هذه البلدة هي من أعظم بلاد اسبانية قديماً وحديثاً ، مركزها في وسط اسبانية ، وإن كانت أميل إلى الجنوب منها إلى الشمال ، وأصل بنائها متوغل في القدم ، يقال إنها كانت حاضرة السكاريتانيين Carpetani ، وقد ورد ذكرها في كتاب المؤرخ الروماني « تيتليف » ، وهو يقول لها « طليطم » Toleteum ، ويذكر أنها بلدة صغيرة ، ولكنها منيعة بموقعها الطبيعي . استولى عليها الرومانيون سنة ١٩٢ قبل المسيح ، وفي زمن القوط Visigoths جعلها الملك « أتانجلد » كرسيًا للملكة وذلك سنة ٥٦٧ للمسيح ، وصارت هي حاضرة المملكة .

ولما وقع الانشقاق الديني في النصرانية بين الكاثوليكين الذين يقولون بالوهية عيسى ، والاريسيين الذين لم يكونوا يقولون بالوهية عيسى ، جرت في طليطلة مجادلات دينية شديدة ، وانعقدت مجامع متعددة لفصل الخلاف ، وكان لكل من الحزبين قوة هي كفوء للأخرى ، إلا أن الملك القوطي ريكاريد جحد المذهب الاريسوي سنة ٥٥٧ للمسيح ، فسادت بعد ذلك الكتلكة في اسبانية كلها . ولم يلبث العرب بعدها أن فتحوا اسبانية ، واستولوا على حاضرتها طليطلة ، وغنموا فيها مغانم كثيرة ، مما سيرد ذكره في القسم التاريخي من هذا الكتاب . ولكن العرب

(١) قد ذكر الوزير الغساني في رحلته إلى أسبانية في زمان السلطان مولاي اسماعيل أن ملك أسبانية دعاه للزفة في أرانجوير هذه حيث رحب به كثيراً وأكرم نزله قال : فدخلنا بستاناً له هناك قد حفر به واديان كبيران مجموعهما يسمى وادي طاجه وهو المار بمدينة طليطلة من هذا الموضع بعد مروره بمسيرة يوم وهذا البستان هو غاية في جداوله ونظم أشجاره وقد اشتمل على أزهار وأنوار ودواليب وصهاريج وبرك مياه ومقاعد في غاية الاتقان .

لم يتخذوها حاضرة لملكهم كالقوط لأنهم وإن كانوا وجدوها متوسطة بالنسبة إلى اسبانية ، فلم يجدوها متوسطة بالنسبة إلى القوة العربية ، وقد كانوا لا يقدر أن يبعدها كثيراً عن افريقية ، فإذلك جعلوا مركز الإمارة في اشبيلية ، ثم في قرطبة ، وصارت قرطبة هي العاصمة مدة قرون متطاولة .

على أن طليطلة كان لها شأن عظيم في زمن العرب ، وكانت هي المعقل الأعظم لهم في وجه الاسبانيول ، وكانت تسمى الثمر الأدنى ، وكان فيها أمير من قبل الخليفة وطالما انتقضت طليطلة على قرطبة ، وطالما ساق عليها بنو أمية من قرطبة الجحافل الجرارة . وكانت تمتنع عليهم ، وربما تغلب عليها الخلفاء بالحيلة ، كما سيأتي خبره . وأخيراً عند ماجرت الثورة في قرطبة ، وانتشر سلك الخلافة ، استأثر بأمر طليطلة الأمراء بنو ذى النون ، واستقلوا بها سنة ١٠٣٥ . وفي جميع أدوارها كانت مدينة علم وصناعة ، وفيها أحسن معامل السلاح ومناسج الحرير والصوف . وفيها صنعة الحفر والتنزبل على المعادن ، وهي الصنعة الباقية إلى الآن من أيام العرب . ونفائس هذه الصنعة تباع في كل أوربة . ولها في طليطلة تسعة معامل في يومنا هذا ، والمترفون يتنافسون باقتناء ما يصنع بها من ساعات ، وأسفاط ، وعلب ، ومحاجن ، وأقلام ، وسكاكين ، وغير ذلك ، من عمل اليد ، وقد ورث الطليطيول كل هذا من العرب وقد بقيت طليطلة في أيدي العرب من سنة ٧١٢ مسيحية إلى سنة ١٠٨٥ ، أي زهاء أربعة قرون ، وكانت في أيامهم كلها زاهرة باهرة . وغلبت العروبة على نصارى طليطلة ، فلبثوا نصارى ، ولكن اتخذوا اللغة العربية ، والثقافة العربية لأنفسهم وكانوا يقيمون صلواتهم ، وما يسميه النصارى بالطقوس الكنيسية ، وذلك باللغتين العربية والقوطية ، وصار الاسبانيول يطلقون عليهم اسم « موزاراب Mozarabes » محرفة عن « نصف عرب » ومن الغريب أن رغبة أهل طليطلة في العربية . وصلت إلى أنهم بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبانيول الذين أرجعوا حاضرة لملكهم ، لم يزالوا مستمسكين بعروتها ، ولبث أخذهم ، وعطاؤهم ، وبيعهم ، وشراؤهم ، وجميع

صكوك معاملاتهم، بالعربية^(١) إلى سنة ١٥٨٠، أي أن آثار العربية لم تدرس من (١) ومن شدة رغبة مستعربي طليطة في اللغة العربية كانوا ينقشون على قبورهم فضلا عن دورهم الكلمات العربية التي يعبرون بها عن مرادهم فقد وجد من هذه القبور في طليطة من جملتها قبر تاريخه سنة ١١٥٦ مسيحية وعليه بلاطة مكتوب عليها اسم الدفين بالعربي وباللاتيني متقارنين ذكر ذلك لاوى بروفسال ونقل نص الكتابة وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم كان من مضى لله برحمته مقابيل بن سمنة من دار الدنيا إلى دار الآخرة يوم الأحد ماضى من نونرابعة أيام سنة أربعة وتسعين ومائة والف لتاريخ الصفر نضروجه و... وقد نقل الكتابة اللاتينية التي بجانب الكتابة العربية وقال ما يفيد أن صاحب هذا القبر كان من الطائفة المستعربة في طليطة وهي فئة من النصارى الاسبانيين اتخذت اللغة العربية لساناً لها حتى بعد رجوع طليطة إلى الأسبان ثم ذكر قبراً آخر تاريخه ١١٦٠ مسيحية وعليه كتابة عربية بجانبها كتابة لاتينية أيضاً ونصها: لتاريخ الصفر هذا القبر لشمسى ابنة ابن الشيخ رحما الله وجعل الجنة مأواها يوم أربع وعشرين لشهرا اغشت ثمانية وتسعين ومائة الف

ولما كان لاوى بروفسال يترجم كل هذه الكتابات للفرنسية فقد ترجم لفظة «شمسى» بقوله بالفرنسية Mon Solcil وقال انه اسم متداول كثيرا بين مستعربة طليطة. قلنا: نعم قد مر علينا هذا الاسم في الصكوك التي نقلناها كما هو ذوات لمعاملات نصارى طليطة باللغة العربية ولكنتنا نميل إلى الظن بأن لفظة شمسى ليست من باب الاضافة إلى ضمير المتكلم بل هي شمسة بالتاء المربوطة ملفوظا بها بالامالة التي كانت غالبية على لفظ أهل الأندلس. فبدلا من أن يقولوا «شمسة»، بفتح السين كانوا يقولون «شمسة» بكسر السين كما يقول أهل سورية اليوم لأن الامالة هي لهجة أهل سورية أيضا وأصل وجود الامالة في لغة الأندلس آت من الشام. فأما كتابة شمسى هنا بالياء فلا عبرة به بل هو غلط إملاء كما هو في كتابات أخرى لهؤلاء المستعربين وردفها إملاء لفظة «مضا» بالألف و «أنا» مما نقله لاوى بروفسال نفسه. ثم إن لفظة شمسة هي ذات أصل في اللغة وهي مستعملة في سورية كاسم مرة من طلوع الشمس أو انتشار نورها ولها في اللغة معنى آخر وهي مشطة معلومة للنساء. وأنت إذا ذهبت إلى سورية الآن تجد أسماء لا تحصى من قبيل «نجمة»، والأهالي لا يلفظونها بفتح الميم بل بكسرها بمقتضى الامالة فتظنهم يقولون «نجمى»، فلو ترجمت هذه اللفظة فلا ينبغي أن ترجم Mon étoile لأنها ليست لفظة نجم مضافة إلى ياء المتكلم بل هي مؤنث «نجم»

طليطلة إلا قبل عهدنا هذا بثلاثمائة سنة لا غير . وكان ذلك بتكرار الأوامر الصادرة من الحكومة بمعاينة كل من يتكلم بالعربية ، أو يكتب بها ، ولولا ذلك لربما كانت بقيت العربية في طليطلة إلى يوم الناس هذا .

وقد جمع « أنجل غوانزاليز بالانسيه » أحد أساتيد الأدب في مجريط Angel Gonzalez Palencia تحت عنوان « نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق ، التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، فبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالأسبانيولى . وإليك بعض أمثلة من هذه الوثائق .

« بجميع منافعه كله إلى آخرها ، وعامة مراقفه على ضروب أنواعها ، في قاعته ، وفيما عليها ، وبكل حق وملك ، هو من هذا المبيع الموصوف وبه وله ومنسوب إليه ، في داخله وخارجه ، وبال دخول إليه والخروج عنه ، لم يستبق البايع المذكور لنفسه ، ولا لأحد بسببه ، في شئ من جميع المبيع الموصوف كله ، حقاً ولا ملكاً ، قليلاً ولا كثيراً ، ولا منتفعاً بوجه من الوجوه كلها ، ولا بسبب من الأسباب ، إلا وخرج عنه للمبتاع المذكور ، بالببيع الصحيح التام البتّ البتّل^(١) الناجز الصريح الذي لم يتصل به شرط مفسد ولا ثنيا ولا خيار » انتهى .

مثال آخر :

« دفع الأرسيدياقن^(٢) المذكور جميع الذهب الموصوف كله للبائع المذكور ، وقبضه منه ، وصار عنده وفي ملكه وذمته ، وأنزله في جميع المبيع الموصوف كله منزلة ذى المال في ماله ، وذى الملك في ملكه ، بعد أن عرفا قدر هذا المبيع ومبلغه بمنتهى

(١) البتّل هو القطع مثل البت

(٢) Archidiacre أو « أرسيدياقن » بالافرنسية وهو ذو رتبة كنسية له الحق في مراقبة التسييسين الذى يخدمون الرعية وتفقد أعمالهم والرتبة هى نفسها يقال لها « أرسيدياقونة » Archidiaconat وأما فى الاسبانية فصاحب هذه الرتبة يقال له « أرسيديانو » Arcidiano وقد قال له العرب « أسيدياقن »

خطره ، ولم يجهلا شيئاً منه ، وعلى سنة النصارى في بيوعهم وأشريتهم ، ومراجع إدراكهم « اه .

مثال ثالث :

« شهد على أشهادها بالذكور فيه عنهما ، من أشهاده به على أنفسهما ، حسب نصه وسمعه منهما ، وعرفها بحال الصحة والجواز والطواعة » اه

وإليك هذا الصك :

« اشترى ربي بواسحق بن نحميش اليهودى من جميلة بنت فرج زوجة البليوشى البنأ جميع^(١) خصمها وهو النصف من السكر المعروف بالقوجال بحومة قرية جَانَمِكِش^(٢) من قرى مدينة طليطلة وعلى الاشاعة فيه مع من يشركها بسائره وحدئه فى القبلة الطريق وفي الجوف جبل لابن برطال ، وفى الشرق كرم ابن فرنجيل^(٣) وفى الغرب الطريق وفيه بابه بثمن عدته ثلاثمائة منقال من الصروف الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ بما فيه عشر درهما^(٤) بمنقال على سنة المسلمين فى بيوعهم ومرجع الدرك . فى رمضان المعظم عام خمسة وتسعين وأربعمائة^(٥)

وممن اشهدته على بن البليوشى باجازته له وإمضائه له وإقراره الأحق له فى شىء من المبيع المذكور وبوجه من الوجوه ولاسبب من الأسباب ، وإنه كان لوالدته جميلة إلى أن باعته حيث وصف .

إبراهيم على بن سعيد بن الفتح الدنى . وإبراهيم بن وهب (هنا كلمة غير مقروءة) . و (هنا كلمة أخرى لاتقرأ) بن يوسف بن الربابى . ومحمد بن احمد بن سعيد وعبد الرحمن بن أحمد بن عفيف الفهرى وأحمد بن محمد (كلمة محووة) . ومحمد ابن

(١) الخص هو بيت من الشجر أو الورق وهو كثير الاستعمال فى لغة سورية ولا نرى المبيع هنا بيتاً من الشجر أو الورق وإنما هو نصف كرم والفرق ظاهر ولعلمهم توسعوا فى هذه اللفظة أوهى ، خاصها ، وقد كتبت بحذف الألف ككثير من الألفاظ

(٢) Chalencas (٣) Aben Franchil (٤) كذا

(٥) هذا الصك تاريخه بعد خروج طليطلة من يد الاسلام بسبع عشرة سنة

عبد الله بن مظاهر الأنصاري . واحمد بن يوسف الأنصاري . وإبراهيم بن عبدالرحمن ابن أبي وسلمة بن يونس الأنصاري . ويحيى بن عبد الله العافقي «
وإليك هذا الصك :

« اشترى عبيد بن أسد من خلف بن عبيد الله جميع الكرم الذى له فى أول منزل رزين . حده فى القبلة نهر تاجه ، وفى الجوف كرم يشته الحريرى ^(١) ، وفى الشرق كرم لأبى خالد ، وفى الغرب غروسات السلطان ^(٢) أيدى الله ، بثمن عدته ستون ديناراً ، من البريزات ^(٣) الجارية بطليظة حين هذا التاريخ ، وفى شهر نونبر الكاين فى سنة ثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر ^(٤) .

ومما وجب إلحاقه إلى المدخل للكرم الموصوف فوق هذا على باب الكروم ^(٥) الذى لردريقة قسيس السلطان الذى هو من ليون والباب المذكور مشترك بينهما إذ كان الكرم فى القرع واحد وعلى ذلك كله يقع الاشهاد .

عبدالرحمن بن زكريا : يوان بن خلف شاهد . سليم بن زكريا وكتب عنه . سليمان ابن عمر شاهد وكتب عنه . وعلى بن الحرير . عبد العزيز بن خير . وعبد الله ابتوال . وسليمان بن المدجالة . إليان بن سعيد . وعبد الملك بن عبد الملك وكتب عنه وعليه شهد عندى . و بخط عجمى جلياناش بطريس تشتا . و بخط عجمى سيداله ابن مشارك

(١) Justo el Hariri

(٢) السلطان هنا هو الاذفنش لأن تاريخ الصك واقع فى أيام دولة الاسبان بطليظة فقد كان رجوع طليظة إلى الاسبانول يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ وقيل فى المحرم .

(٣) كذا . فهل هى محرقة عن « ابريزات » ؟ بمعنى ذهبات . أولها تأويل آخر ؟
(٤) تاريخ الصفر هو تاريخ كان مصطلحاً عليه فى اسبانية من قبل دخول الاسلام بل من قبل المسيح وكان مبدأه فى أول يناير سنة ٣٨ قبل المسيح لعهد أغسطس قيصر .
وبقى هذا التاريخ معروفاً فى اسبانية إلى القرن الخامس عشر للمسيح .

(٥) استعمل هنا الجمع استعمال المفرد بدليل قوله « الموصوف » وقوله عنه « الذى »

شاهد . وعلى كل اسم من العجمي معلم شهد عندي . وبالرعي أبو خالد بن أسطر اه .
مثال آخر :

« اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار التي له بمجومة
رجبة القشالي^(١) حد الدار في الشرق دار خلف بن جواد^(٢) ، وفي الغرب دار
جلبارت الفرنجي^(٣) ، وفي القبلة دار أبي الحسن بن ذكري وفي الجوف دار مفرج
ابن عثمان بثمن عدته أربعون ديناراً من الدينارات الجارية بطليطة حين هذا التاريخ
من شهر إبريل في سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر .

وشهود الأصل فيه : فرج بن عبد الله . ومسعود زرقون شهد وكتب .
عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك . وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره .
وعيشون بن يحيى شاهد . هذيل بن حكم شاهد وكتب . زكري بن عثمان شاهد
وكتب عنه . وبالأعجمي يُشتس فليش^(٤) بطرُه^(٥) يُشتس .

صح هذه النسخة (الح) في العشر الأوسط من شهر شبتمبر سنة ثلاثين
ومائتين وألف للصفر . يوان بن يلبان الصقلي شهد . ويوانش بن مقابيل بن عبدالعزيز
المشناري . وباطرُه بن عمر بن غالب بن القلاس .
مثال آخر :

« ابتاع يحيى بن خلف ويحيى بن قريش من بيطر وأنفونش^(٦) وزوجه يشته^(٧)

(١) Plaza del Caxali (٢) Jàlaf ben Chuad

(٣) Chelabert el franco من هنا يعرف أن طليطة بقيت حتى بعد رجوعها

إلى الاسبانول بلدة عربية يشار فيها إلى الأفرنجي بصفته هذه لأنه غريب فيها

(٤) Justes féliz (٥) Petro ومن هنا يعلم أنه كان في طليطة نزر

لا يعرفون الكتابة العربية فكانوا يوقعون بالاسبانولية

(٦) يعرف من هنا أن اسم « الفونش » كما كان يقال له عند العرب « اذفنش ،

كان يقال له أيضا « الفونش ، وانفونش ، واللام والنون كثيراً ما تقوم إحداهما

مقام الأخرى . وقد رجعنا إلى ترجمة هذا الصك بالاسبانولي فوجدناه يكتب هذا

الاسم هكذا Pedro Alfonso (٧) يشته هي في الترجمة الاسبانولية Justa

(٢٤ - ج أول)

جميع المنية^(١) التي لها بمنزل مُشكة^(٢) المعروفة من قبل لابن سلمة ، والمتصيرة إليهما بالابتياح ، التي حدها في الغرب مضربة القرمادين ، وفي القبلة المضربة المذكورة أيضاً وفي الشرق محجة سمرة إلى الكرمات ، وفي الجوف المحجة السالكة من طليطلة إلى القرضيطة^(٣) ، وفيها بابها ، تخرج بين ذلك حصّة لاشتافن من بيت قوبه ، وحدها من المحجة الداخلة إلى الثانية ، بثمن مبلغه من الدنانير اثنان وثمانين^(٤) ديناراً ، من الدينارات الجارية بمدينة طليطلة ، حرسها الله حين التاريخ كل دينار منه عشره وإلى ذلك الكريم^(٥) المعروف بالقوجول بمنزل مُشكة المبتاع منهما المذكورين يبطره أنفُذش وزوجه بُشته ، والمتصير إلى يحيى ، ويحيى بالابتياح من البايين للمنية يبطره وزوجه زيادة وعواناً إلى الدنانير المذكورة في عقب ابريل التي من سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين للصفر

عبد الملك بن عامر . ولب وعبد الله بن جليبرت . وخير بن يحيى . ومروان ابن غالب . يحيى بن معبد وكتب عنه وأمره . السرقسطى كتب عنه بأمره . وعمر ابن عامر بن الليث . وعبدالرحمن بن غلمير بن عريب . وعبدالعزيز بن سعيد وكتب عنه بأمره . وعبد الله القوطى وكتب عنه بأمره «
مثال أيضاً :

« اشترى ديمنقوس الارجيقس وديمنقوس القس كنيسة شنت لوقادية^(٦) خارج مدينة طليطلة حماها الله من ميقال وزوجه بيليه من الحصّة التي له بدار الخازن ، وبحوز المشاطر ، وهو نصف خمسين ونصف القرية ، بمبلغه من الثمن خمسة وأربعين ديناراً من السكة الجارية حين عقده ، اشترى ديمنقوس والارجيقس

(١) تقدم في هذا الكتاب كلام طويل عن معنى « المنية » وهو البستان

(٢) في الترجمة الاسبانية Manzel Mosca (٣) في الترجمة الاسبانية

Alcardete (٤) كذا ويظهر أن كاتب هذا الصك لم يكن يعرب كثيراً

(٥) تصغير كرم (٦) في الترجمة الاسبانية Leocadia

وديمقوس المذكوران جميع هذا النصف سهله ووعره عامره وغامره أنادره^(١) وقرالاته^(٢) وسدوده^(٣) وقناره^(٤) وأرحاه وبرجه ، والمدخل إلى جميع الدار والخرج منه وذلك كله في النصف من شهر مارس من سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين
شهد عندي بن يوانش شاهد . شهد عندي بن عبد

شهد عندي ، وعبد الرحمن بن «

مثال آخر :

« اشترى مرتين الأرجيد ياقن من يوسف بن يعيش اليهودي جميع الثلاثة
جبال الكروم المتصلة التي له بمروطية ، حدها في الشرق كرم بيطر والجزار ، وفي
الغرب كرم شلوط ، وفي القبلة كرم الطريق بثمن عدته اثنتان
وثلاثون دنانير الجارية بطليطة حين التاريخ في شهر مارس الكاين في عام ثمانية
وأربعين بعد ألف لتاريخ الصفر .

ويوصف بن شاهد . وسيف بن العزاد شاهد . إبراهيم بن إسحق
ومرتين الخياط . عمر بن عبد الله ، وعبد الملك بن مرتين بن خير ، وسعدان بن
عبد الله ، ويعقوب البرسلوني شاهد «

مثال آخر :

« اشترى ميqaيل بن بقى من البيرة زوج فرنده منيوس ، وبينهما منيوه
وغانصأله ، وأختها وابنتها شولى جميع نصف الجنان المعروف لهم بحومة الليتيق

- (١) جمع اندر وهو الذى تدرس عليه الحبوب كالبيدر
(٢) هو جمع قرال وهو حظيرة الحيوانات تكون وراء المنزل وهذا لفظ
اسبانيولى استعمله عرب الأندلس (٣) وفي الترجمة الاسبانيولية Azud فيظهر
أن الاسبانيول أخذوا لفظه « السد » إلى لغتهم (٤) فى الترجمة الاسبانيولية
Canales أى قناة فيظهر أن الأسبان أخذوا هذه اللفظة إلى لغتهم وضموا إليها اللام
ثم رجعت العامة فى طليطة فجعلت اللام راه وجمعت الكلمة جمع تكسير على « قنار ،
بدلا من أن تقول « قنالات » أو تردها إلى العربى الفصحى فتقول « أقنية »

من نظر مدينة طليطلة ، حماها الله ، على الاشاعة ، حده في الشرق نهر تاجه ، وفي الغرب حده أرض بيضة للشيخ ابن مُشتميق ، وفي القبلة نهر تاجه أيضاً ، وفي الجوف^(١) المحجة السالكة ، بثمان مائتين ديناراً اثنتين من الفروود الجارية حين التاريخ ، والمثقال الشرقية المأحونية ، دينارين وسدس في عقب فبرير سنة تسع وأربعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

سهل بن خلف بن علي ، حسان بن جعيد وسلمة بن سعد وكتب عنه بأمره ،
عبد الله بن حسّان «

مثال آخر :

« اشترى ديمنة بن يحيى من سفيان بن أبي البقي ومفرج بن خير ، جميع حصتهما من المنية التي بمنزل مُشكة ، من نظر مدينة طليطلة حماها الله ، وذلك الثالث من جميع هذه المنية التي تعرف في عهد الاسلام مع ثلث البير وثلث ثمار القباب ؟ على البحيرة ، وثلث الصهريج مع والمدخل والمخرج إلى البير والصهريج ، وحد هذا الثلث المذكور في الشرق كرم لأبي اسحاق القمراني مع القس ابن فرحون ، وفي الغرب حصّة لورثة يحيى بن سرير رحمه الله ، وفي القبلة فدان

(١) تقدم لنا بحث غير قصير عن قضية استعمال الاندلسيين والمغاربة لفظة الجوف بمعنى الشمال واختلاف آراء أدباء العصر وأهل اللغة في منشأ هذا الاصطلاح ولما كان بعضهم ذهب إلى كون الجوف إنما استعمل بمعنى الشمال لأن مدينة الجوف ونواحيها واقعة في شمالي الحجاز وذلك قياساً على أن أهل الشام يستعملون القبلة بمعنى الجنوب فقد سألت حضرة الوجيه المفضل الشيخ محمد نصيف المشهور من أعيان جده هل لهذا الاصطلاح من أثر في الحجاز ؟ فأجابني أنه سأل العلماء والقضاة وكتاب المحاكم والمحامين وغيرهم فأجابوه بأنهم لم يسمعوا بشيء كهذا ولا رأوا في الصكوك والوثائق القديمة تسمية الحد الشمالي بالجوف بل الحدود في الحجاز هي هكذا : شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً أي جنوباً وقد يقولون جنوباً . فثبت من هنا أن لاستعمال الجوف بمعنى الشمال وجهاً آخر خاصاً بالاندلس نفسها وقد يكون جاء إلى المغرب من الاندلس

حُبس على شنت فليج^(١) وفي الجوف الطريق الداخل إلى القرضيط ، بعدد مبلغه من الذهب المرابطية^(٢) سبعة عشر مثقالا ، في أول شهر شبتمبر عام خمسين ومائة وألف تاريخ الصفر

إن ثلث المنية المذكورة فوق هذا أن ثلثي أرضها أرض بيضا خاوية عن جميع الثمرات والسكرم والغراسات ، وجميع الثلث المذكور بغير تعليق^(٣) ولا اعتمار

عمر بن سعيد شهد وخلف بن عمر كذلك ، وسلامة بن مقيال شهد ، وعبد الله ابن عثمان نقطة ، وعتبة بن وليد ورمّان بن عامر ، وخير بن مورن . وعبد العزيز بن أبي الحسن بن أبي رجال ، ويعيش بن فيليش ، وعبد الملك بن بهلول ، وبهلول بن وكتب عنهم بأمرهم ، وعبد الله بن فرسان وكتب عنه ، وعبد الرحمن ابن عبد الرحمن شاهد ، وعثمان بن عثمان شاهد وكتب عنه

شهدوا اليهود على بعد اقرار الفريقين في التاريخ المؤرخ إن شاء الله مثال آخر :

« اشترى يوانس بن ملوك بن استافن بن عبد الرحمن جميع الغرس مع الأرض البيضا المتصلة به المعهودين له بمجومة بنال من عمل طليطلة حرسها الله ، حدها في الشرق الطريق الناهض إلى حصن مورة حرسها الله ، وفي الغرب غرس بيطره شرانهُ الحداد ، وفي الجوف غرس مرتين بلايس بثمان عدته أربعة مثاقيل ذهباً مرابطياً في شهر يولية من سنة إحدى وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

يحيى بن علي بن يحيى شاهد ، بيطره بن سهل ، ومقيال بن يوانس شاهد ، ومسهود بن يحيى بن عفان شاهد ، فليس ابن مروان شاهد وكتب عنه لورانس بن يوانس شاهد »

(١) Félix

(٢) كانت المسكوكات المرابطية في ذلك العهد متداولة لأن المرابطين كانوا في الاندلس

(٣) لا نعلم هل هي هكذا من الأصل أم هي محرفة عن « تعزيق » وهو مصدر

عزق فعل المبالغة من عزق الأرض شقها وكرها

مثال آخر :

« اشترى بلدوين قيليار وزوجه مونيته من ييطره الخياط ، من أهل مدينة شقوية جميع حصته الواجبة له بالقسمة مع شركة ييطره تعلقس ^(١) وذلك النصف الذى بجهة الشرق من الميشون ^(٢) والقرال ^(٣) المتصل به بمجومة ربض الأفرنج ، قرب القاعدة شنته مرية أم النور بمدينة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المبيع من الميشون والقرال ، فى الشرق حوانت السلطان أيده الله ، وحوانت الأحباس ، وفى الغرب النصف الثانى الذى لييطره تعلقس قسيمة المبيع المذكور ، وفى القبلة المحجة السالكة ، وإليها يشرع باب الميشون المبيع المذكور ، وفى الجوف حوانت السلطان أيده الله التى للفخارين بثمان عدته خمسون مثقالاً ذهباً مرابطياً ^(٤) مالكية طيبة وازنة ، فى شهر يوليو من عام اثنين وسبعين ومائة وألف للتاريخ الصفر .

هو بر الافرنجى وكتب عنه ، وهربرت بلنك وكتب عنه ، وبامين الافرنجى وكتب عنه وغطارد ^(٥) طليطلة وكتب عنه ، وبيطره بن يوسف بن مروان ، ومرتين ابن استافن وعمان بن سليمان بن ملك وكتب عنه ، ويوليان بن يحيى وكتب عنه ، وغونصلبه فرولس ، وكتب عنه أبو على بن روين وكتب عنه . وبيطره قولونبيريانة ، وكتب عنه وبياك مونس من سنت رمان وكتب عنه ، ودون مينوه

(١) Talliques بالترجمة الاسبانيولية

(٢) بالاسبانيولى Meson وهو بمعنى Maison بالافرنسى أى بيت ولكن يغلب

عليه بالاسبانيولى معنى الخان أو الفندق

(٣) ذكرنا أن القرال حظيرة الحيوانات أو الدجاج عندهم

(٤) كان هذا العهد عهد دولة المرابطين بالاندلس وربما كان متأخراً عن دورهم ولكن مسكوكاتهم بقيت متداولة . والأصح أن دولتهم انقضت سنة ١١٤٧ للمسيح

(٥) علامة الشرف عند الافرنج هى De كما لا يخفى وقد جاءت فى هذه الصكوك أحياناً بوضع حرف الدال مع كسرة فى آخرها هكذا د وجاءت أحياناً بوضع حرف الدال ومعها الياء .

أدفونش فايد « مورة » ^(١) شاهد وكتب عنه بامرته «

مثال آخر :

« اشترى الوزير دون ميقاتيل ميطس ، أعزه الله ، من بهلول وأخيه بيطره ابى مرتين بن بهلول رحمه الله جميع الدار الكبيرة ، والقرال المتصل بها ، من جهة الغرب ، والقبلا ريسا المتصلة أيضاً بها من جهة القبلة ، حدود جميع ذلك كله في الشرق الطريق السالك واليه يشرع الباب ، وفي الغرب دار ابن طورنيو المسلم ^(٢) أمين الفخارين ، وفي القبلة دار بيطره البنّا ابن بهلول ، وفي الجوف دار تقيت بين البائمين ودار سلمة بن حسان ، بثمان عدته ثمانون مثقالاً ذهباً مرابطياً ، في العشر الأول شهر اوغوشت من سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .

وعبد الله بن داود شاهد . وباقى بن عمر بن باقى . وديمقوه بن يحيى بن مرتين وبهلول بن عمر شاهد على النص . عبد الله بن البعض . ويوان بن عامر . وعامر ابن تمام . وعبد الرحمن بن ابراهيم شاهد . ويحيى بن مفرج وكتب . وعلى بن عتيّاش وكتب عنه . وحكم بن شلمون وكتب عنه . ويوليّان بن سلامة شاهد . وجنيد ابن عبد الملك بن ليون وكتب عنه . وبيطره بن عبد العزيز بن عطاف بن لنبطار .

مثال آخر :

« يشهد من تسمى أسفل هذا الكتاب من الشهداء انهم حضروا وسمعوا من يوان الكراسنى وزوجه اويانية ، يقولوا انهما باعا من رودريقه اوردوناز الحصار جميع الكرم الذى لهما بالوعد بمجومة كنيسة شنت فليس ، قبلى طليطة ، حرسها الله ، وحده في الشرق كرم لبنت الشمتانى ، وفي الغرب كرم لولدين ^(٣) سربى ، وفي القبلة

(١) لا يخفى أن مورة اسم حصن من حصون طليطة

(٢) لما قل عدد المسلمين في طليطة بالهجرة والتصر صاروا إذا ذكروا مسلماً في

أحد الصكوك يذكرونه بقولهم فلان المسلم

(٣) اسم علم

الجبل ، وفي الجوف كرم القسكى بثمان عدته ثلاثة مثاقيل ذهباً مرابطياً ، ودفع البايغ الثمن الى البايغين ، وأقرأ انهما قد اتصفا منه وأنزلا في المبيع وحقوقه النخ . وكتب الاستدعا في شهر مايو من عام خمسة وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر . يعيش بن قريش شهد عندي ، ومرتين بن رمانش شاهد وكتب عنه شهد عندي . شهدوا عندي الشهود بأعيانهم ، وفي التاريخ وأنا عبد الرحمن بن يحيى بن حارث والله التوفيق .

مثال آخر :

« اشترى مرتين سلمة بن ابى حجة من مرتين باطرس قرعتين اثنتين من جملة اثنتين وثمانين قرعة بقرية الكلبين والجار من عمل مدينة طليطلة من أراض بور ومعمور وأنادر ، ومروج وأشواط^(١) وبرادات وبكل حق ، بثمان عدده أربعة مثاقيل مرابطية ، ورباعى مثقال ضرب المرية ، في شهر نوفمبر الذى من عام سبعة وثمانين ومائة وألف للصفر

شهود الأصل فيه مجانت بن عمان بن خلف . وعمر بن عبد الله شاهد . ويحيى بن سعيد شاهد كذلك . وبالجمى سبربان بطرس تشتش . ديمنة شر بطول تشتش

هذه النسخة النخ . في العشر الاخير من نوفمبر سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف للصفر :

اشتابن بن لازره . وشلبطور^(٢) بن سهل بن عبد الرحمن . ويحيى بن وليد ابن قاسم . وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس . «

ولا يمكننا أن نستقصى جميع الصكوك والحجج التى فى هذه المجموعة التى تقع فى ألف صفحة كبيرة ، وإنما اقتبسنا منها بعض أمثلة لاجل تمثيل حالة طليطلة

(١) جمع شوط والشوط بالعربية يأتى بمعنى الأرض بين شرفين يجرى بها الماء

(٢) Salvador

الاجتماعية ، التي قيل فيها بحق إنها الحد الواصل بين الاسلام والنصرانية ، والتعخم الذي يجمع بين الشرق والغرب ، ثرى ذلك من اختلاط الأسماء فبينما الأب هو عمر إذ الابن هو بطره ، وبينما الأب هو عبد العزيز إذ الابن هو ميقيال . وربما تجد بيطره بن يحيى بن أصبغ ، واشتافن بن حسان ، ومرتين بن عثمان ، وشلبطور بن عبد الرحمن وهلم جرا . والسبب في ذلك هو أنه لما فتح العرب الأندلس ، وأسلم من أهلها أناس كثيرون استعربوا اسما وفعلا . ومنهم من لم يدخل في الاسلام ، ولكنه استعرب وهو باق على نصرانيته . وأكثر ما تجلّى هذا الوضع في مدينة طليطلة التي كان النصراني فيها يشبهون نصارى المشرق باستعمال كثير من العربية في صلواتهم وطقوسهم الدينية .

وقد تبدلوا بأسمائهم الأسماء القديمة أسماء عربية كأسماء المسلمين إلى أن كان القسوس ورجال الكنيسة منهم يتسمون بأسماء اسلامية . وحسبك أن أحد مطارين طليطلة كان اسمه عبيد الله بن قاسم وكان له مقام عند الخليفة الناصر رحمه الله ، كما أنه بعد أن استرجع النصراني طليطلة تنصّر من مسلميها عدد كبير ، نقل صاحب النفتح عن ابن بسام في الباب الثامن من الجزء الثاني : أنه لما دخل الأذفونش طليطلة سار مع المسلمين سيرة حسنة في أول الأمر حتى استألمهم إليه . وعبارة ابن بسام هي هذه : « وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصّر إلى عامة طغامها ، فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله ، وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة ست وتسعين واربعمائة » اه .

قلنا إنه تمهل قليلا حتى أجرى بالفعل ما كان يضره من أول ساعة دخوله إلى طليطلة ، فأما بحسب الروايات التي بين أيدينا ، والتي معناها أن طليطلة خرجت من يد الاسلام سنة ١٠٨٥ مسيحية فان الجامع الأعظم تحول إلى كنيسة^(١) ثانيا سنة

(١) قد جاء ذكر طليطلة في رحلة الكاتب الأرفع أبي عبد الله بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي القاسي ، كاتب السلطان مولاي اسماعيل ، الذي أرسله

وقد رأينا في دليل بديكر أن الاذفونش السادس فتح طليطلة سنة ١٠٨٥ ، وكان السلطان سفيرا في بعض المهمات إلى صاحب اسبانية ، وكان قد جول في تلك المملكة واطلع على أحوالها فكتب رحلة شهيرة بديعة اتصلت بترجمتها إلى اللغة الافرنسية قبل أن أطلع على أصلها العربي الذي أهدانيه العلامة الكبير المؤرخ الشهير . وولاي عبد الرحمن بن زيدان ، نقيب العائلة السلطانية العلوية بالمغرب ، أدام الله عزهم ، وقد نقلت كثيرا من هذه الرحلة إلى الفصل المتعلق بمسلى الاندلس في كتابي حاضر العالم الاسلامي . وكانت وفاة الوزير الغساني في فاس عام تسعة عشر ومائة والف . قوله عن طليطلة : قد أمر الطاغية من أحجب معنا من خدامه بمرورنا على مدينة طليطلة لنشاهد مسجدها الجامع الذي هو من عجائب الدنيا في بنائه وذكره وبعد صيته فبتنا يوم خروجنا من مدريد بقرية يقال لها وشقة ، وكانت من حواضر العدو التي لها ذكر ، دار علم ونباهة ، وهي اليوم قرية متبدية ، وبها من أثر البناء القديم الاسلامي بعض أثر مثل الباب الذي يدخل به إليها حين كانت مدينة . أما اليوم فالتبدي أقرب إليها من الحضر . وبينها وبين مدينة طليطلة أحد وعشرون ميلا . وطليطلة مدينة كبيرة قاعدة من قواعد مدن العدو ، ودار ملك قديم ، وهي على ربوة من الأرض ، في حافة مطلة على الوادي المسمى طاجو ، وهو الوادي المار بآرنجويس - كتب الوزير الغساني طاجو وآرنجويس بالحاء لا بالجيم وذلك بحسب تلفظ الاسبانيول بهما - وقد أحاط هذا الوادي بالحافة التي عليها المدينة من ثلاثة أرباعها والربع الموالي للبر هو الآتي من طريق مدريد . وأسوار هذه المدينة وحيطانها وازقتها باقية على حالها من عهد عمارتها من المسلمين ، وأثرها أثر الحضارة ، إلا أن أزقتها ضيقة جداً ، ودورها باقية على حالها من البناء الاسلامي وتفصيله ، والنقش في السقوف والحيطان بالكتابة العربية ، ومسجدها الجامع هو من عجائب الدنيا ، إذ هو مسجد كبير مبنى كله من الحجارة الصلبة الغريبة ، القريبة الشبه من الرخام ، وسقوفه مقبوة من الحجارة وهي في غاية ارتفاع السمك وعلوه ، وسواريه في غاية الضخامة ، والصناعة العجيبة والنقوش ، وقد أحدث النصارى في هذا المسجد من جوانبه زيادة في الوسط بشباك من نحاس أصفر ، وفيها من تصاويرهم وصلبانهم وآلة الموسيقى المسماة عندهم أوركان التي يضربون بها وقت صلواتهم ، مع الكتب التي يقرأونها في الصلوات ، شيء كثير . وقد جعلوا أمام هذا الشباك صورة المصلوب ، وهو من ذهب ، يقابلونها في صلواتهم ، وأمام المصلوب

المسلمون اشترطوا لتسليمها أن يبقى المسجد الأعظم لهم ، ورضى الاذفونش بهذا مصايح كثيرة من ذهب وفضة ، وقد ليلا ونهاراً ، مع شموع كثيرة كبيرة . وأبواب هذا المسجد في غاية الاتقان والصناعة . وقد زادوا فوقها من الصور ما هو من عوائدهم التي لا يمكنهم تركها ، ومن الزيادات المحدثه في جوانب هذا المسجد بيوت كثيرة كبيرة مشتملة على خزائن من الأموال ، فيها من الذخائر والأحجار الملونة ، مثل الياقوت الأحمر والأبيض ، والأصفر ، والزمرد ، والتيجان المرصعة بالدر الفاخر ، والأحجار النفيسة التي لها بال ، ولا تقوم بمال ، ومع هذه الذخائر تاج كبير من ذهب ، ومعها سواران من ذهب ، زعموا أن ذلك من عهد المسلمين رحمهم الله . وعن يمين هذه الخزائن خزانه فيها كتاب كبير مكتوب بماء الذهب ، زعموا بأنه كتاب التوراة ، وهو عندهم في غاية التحفظ والصون والاعتناء به ، لا يخرج عن موضعه الذي به ، وذكروا أن والد هذا الطاغية أحب إخراجه من هناك ، وأن يكون عنده بعد أن أعطاهم فيه مدينة كبيرة بخراجها وجميع منافعها ، فلم يعطوا به كلاماً ، لفضهم به . وعن يمين هذه الخزانه أيضاً خزانه أخرى ، فيها صندوق كبير مرصع ، مشحون بالموائد الفاخرة المرصعة بالذهب ، مثل الهدايا والقلائد والسلاسل والخواتم الثمينة وعن يمينه صومعة من فضة ، تزيد على قامة الانسان ، وداخلها وخارجها من الذهب المرصع بالأحجار النفيسة ، وقد عمل هذا المنار على شكل منار مسجد طليطلة ، وعلى هيئته ومثاله ، وهو عندهم زينة ، يخرجونه في أعيادهم مع الصلبان التي يطوفون بها في الأزقة ، وهذا المنار الذي بهذا المسجد ، أعاده الله للإسلام ، وعمل هذا على شكله ، هو من أعاجيب البناء صناعة وعلواً في الجو ، فقد اشتمل على ثلاثمائة درجة . منها مئتان إلى موضع التأذين وفي موضع التأذين جعل أعداء الله تعالى تسعة نواقيس كبار جدا ، دائرة ، كل ناقوس منها ستة وثلاثون شبرا ، مع غلظ ثلاثة أرباع الذراع . وبناء هذا المنار كله من الحجارة الصلبة التي تشبه الرخام ، من جنس الحجر الذي بنى المسجد منه ، نسأل الله أن يعيده لتوحيده وذكوره ، وحوالى هذه الخزائن من الخزائن المشحونة بالقناديل الذهبية والفضية والصلبان المرصعة ، والثياب التي يلبسها الغرابلية ، وأكابر القسوس والشمامس والرهبان ، التي طرزت بالجواهر النفيس شيء كثير . وهؤلاء الرهبان الذين في هذه الكنيسة هم جميعاً إلى نظر الكردينال ، الذي هو اليوم أكبر كردينال عند سائر المسيحية ، وهو الذي تحت البابا كما تقدم التنبه عليه ، وعلى البابا

الشرط ، ولكن في السنة التالية نقض الاذفونش عهده ، بناء على الحاح الملكة كوزنتانزة و برنار رئيس الأساقفة اه .

وكيف كان الأمر فقد تنصر كثير من مسلمي طليطله ، وبقى كثير من المسلمين على دينهم ، لاسيا طبقة الخواص ، ولكنهم لم يهجروا البلدة دفعة واحدة . وما خلت طليطلة من المسلمين تماماً إلا بعد قرون متطاولة . ومن الغريب أن طليطلة رجعت إلى النصرارى في الثلث الثالث من القرن الحادى عشر للمسيح ، وأنه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال فيها مسلمون في زى نصرارى . وقد نقلنا في بحث مسلمي الاندلس في حاضر العالم الاسلامى في الجزء الثانى عن كتاب الأنوار النبوية في أبناء خير البرية ، للعالم النسابة سيدى محمد بن عبد الرقيق الاندلسى المتوفى في رجب عام اثنين وخمسين وألف ، وصفه يوم كانوا بالاندلس لحالة المسلمين الذين كانوا مضطرين تحت خطر الحرق بالنار ، أن يظهروا النصرانية وهم يبطنون الاسلام ، وكيف كان والد المؤلف المذكور يعلم ولده الاسلام سراً ، ويوصيه بأن يكتم ذلك

دمرهما الله . وحيث كانت طليطلة هى من قواعد مدن اسبانية ، كان الكردينال الذى يتولى أمر كنيسةها أكبر من يتلقب بالكردينال عند عبدة الصليب . وهذا الكردينال الموجود اليوم هو رأس ديوان اسبانية ، واليه ينتهى جميع أمرهم في دينهم وديانهم ، وعن رأيه يصدر كتاب الديوان جميعا ، وفي طليطلة أثر القصة التى كان يسكنها الملوك قبل هذا ، وقاعدة طليطلة كانت دار ملك العجم الأولى ، هى واشيلية ، وإليها كان قصد طارق ، رحمه الله ، بوجهته حين دخل العدو ، بعد مروره بقرطبة ، ولم يعرج على غيرها ، حتى انتهى إليها ، ووجد بها من الآثار التى تدل على مكاتها مالا حصر له . ومن جملة ذلك المائدة المشهورة ، إلا أن بعض أهل التاريخ يزعم أن المائدة لم تكن بطليطلة ، بل كانت بموضع آخر قريب من طليطلة ، يسمى وادى الحجارة وان طارقا لما فتح طليطلة خرج إلى الموضع المعروف وادى الحجارة قرب الفج الذى كان ينسب إليه خلف الجبل حتى بلغ مدينة المائدة ، وسميت بذلك لوجودها بها ، وهى المنسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وقيل إنها كانت من زبرجدة خضراء ، وانها كان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا والله اعلم ، انتهى

حتى عن والدته وعمه وأخيه ، وجميع أقاربه ، وأن لا يخبر أحداً من الخلق بما يعلمه إياه في الخفاء . ثم كان يرسل والدته إليه فتسأله : ما الذى يعلمك والدك فيقول لها : لا شئ . فتقول له : أخبرنى بذلك ولا تخف لاني عندى الخبر بما يعلمك . فيقول لها : أبداً ما هو يعلمنى شيئاً . قال : وكذلك كان يفعل عمى ، وأنا أنكر أشد الانكار ثم أروح إلى مكتب النصارى . وآتى الدار فيعلمنى والدى ، إلى أن مضت مدة ، فارسل إلى من اخوانه فى الله والأصدقاء . فلم أقر لأحد قط بشئ ، مع أنه رحمه الله تعالى قد أتى بنفسه للهلاك لا مكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لالحالة . لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده الخ . إلى أن يقول : فلما تحقق والدى رحمه الله تعالى أنى أكنم أمور دين الاسلام عن الأقارب ، فضلا عن الأجانب ، أمرنى أن أتكلم بافشائه لوالدتى وعمى وبعض أصحابه الأصدقاء فقط ، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون فى أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزى مع صغرسنى فرح غاية الفرح ، وعرفنى بأصدقائه وأحبائه واخوانه فى دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً . « اه

وقد علفت على هذه الجملة بقولى : إن الاسلام بالاندلس حسبما يظهر من هذا الوصف كان أصبح شبيهاً بجمعية سرية تكتم أمرها أشد الكتمان ، ولا يقدر واحد من المسلمين أن يبوح باسلامه إلا لمن يكون قد ابتلى أمانته ، وامتنحن صدقه فكانوا يجتمعون سرراً إذا كان بعضهم واثقا ببعض ، ويتكلمون فى أمر الدين فى أشد الخفية . ثم نقلت عنه مايلي :

« وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان ، مدينة ابن مالك إلى غرناطة ، وإلى قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للإسلام فتلخص لى من معرفتهم أنى ميزت سبعة رجال ، كانوا كلهم يحدثنى بأمر غرناطة ، وما كان بها فى الاسلام حينئذ ، وبما أقوله وقتله بعد ، فسندى عال لكونه ماتم إلا بواسطة واحدة بينى وبين الاسلام بها « اه . وعلفت على هذه الجملة الأخرى مايلي : إنما من عرف كون ابن عبد الرفيح

توفي عام ألف واثنين وخمسين للهجرة ، لا يخفى عنه أنه كان شاباً في أول سنى الالف للهجرة ، أي منذ نيف وثلاثمائة سنة . ويظهر له أنه منذ نيف وثلاثمائة سنة ، كان في جيان وغرناطة واشبيلية وقرطبة أناس لا يزالون يدينون بالاسلام سرا ، وهم في الظاهر نصارى . وأغرب من هذا وجود مثل هؤلاء في طليطلة المصاوبة لمجريط ، والتي كان مضى على استرجاع الاسبانول لها يوم زارها ابن عبد الرفيح أكثر من خمسمائة سنة . أى أنه بقي مسلمون في الباطن في طليطلة من بعد أن زال عنها حكم الاسلام بمخسمائة عام

ثم ذكرت في محل آخر من هذا البحث : « وقيل لى إن أحد المغاربة وقع في هذه الأيام الأخيرة ببعض قرى طليطلة ، فوجدهم يذبحون الأكباش يوم عيد النحر عندنا ، ويقولون إنها عادة توارثوها عن آبائهم اه .

ثم إنى أذكر في المبحث نفسه فصلاً عثرت عليه في جريدة « العملة » النمساوية الصادرة في فينة ، عددها المؤرخ في ٣ يناير سنة ١٩٣٢ ، جاء فيه بمناسبة الكلام عن ثورات أهل العمل ، كلام عن موريسك الأندلس ، وأعمال ديوان التفيش الكاثوليكي مايلي :

« فأخذ هذا الديوان ينقب وينقر عن السككية والجزئية من أعمال المسلمين ، ومنع جميع شعائرهم الدينية ، بل منع جميع عاداتهم ومذاهبهم في الحياة : ولو لم يكن لها تعلق بالدين ، وعاقب على ذلك . وكان يعاقب أشد العقاب من علم عنه أنه لا يأكل لحم الخنزير أو الميتة ، أو عرف عنه أنه لا يشرب الخمر ، أو قيل إنه أدرج ميتة في كفن نظيف . وكانت النظافة في ذاتها ذنباً يعاقب عليه ، وفي سنة ١٥٩٧ وجد في طليطلة المسمى « موريسكو بار ثولوم شانجه » فلحظ عليه القوم أنه شديد التطهر ، فعذبوه عذاباً شديداً ، وما زالوا يعذبونه حتى أقر بأنه يتطهر عن عقيدة ، فحكوا عليه بالسجن المؤبد ، وبضبط جميع أملاكه . ووجدوا قرآناً عند عجوز اسمها « ايزابلا زاسن » فقالت انها لا تقدر أن تقرأه فلم ينفعها هذا القول ، وعذبوها ،

ولكن لما كان عمرها تسعين سنة اكتفوا من اهانتها بحملها على حمار ، والطواف بها في الشوارع وعليها غطاء مكتوب عليه اسمها « وإئما » ثم زجّوها في السجن بعد ذلك ، وبقيت فيه إلى أن علموها قواعد المسيحية « ه .
من هذا الفصل الوارد في جريدة « العملة » النمساوية .

Arbeiterzeitung يتأيد ما رواه ابن عبد الرقيق الاندلسي ، من انه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال في طليطلة بقايا مسلمين ، وأن العروبة لم يكن طمس هناك أثرها بالكليّة . وهذا بحث سنفرده له إن شاء الله ، بعد أن أعددنا مواده ، جزءاً خاصاً من كتابنا هذا .

ونعود إلى طليطلة واختلاط أسماها ، الاسبانيولى بالعربي ، والعربي بالاسبانيولى مما يدل على امتزاج المجتمعين في هذه البلدة ، بشكل غريب ، لم يسبق له مثيل ، وإليك أمثلة أخرى :

« باع القائد دون شبيب بن عبد الرحمن من دون دمنقه مرزآله الدليل ، ومن زوجه يُشْتة بنت مرتين الخ . والشهود يحيى بن خليل ورفاعة بن يحيى القنطري وابراهيم بن خليل وعبد الله بن عمر وحسين بن جعفر بن حسين وميقايل بن شبيب ابن عبد الرحمن » .
ومثال آخر :

« اشترى القس دون دمنقة بن مقيال بن الريم من بوان باطرس جميع الفدان الواحد الأرض البيضا الذي له بحومة أوليش الكبرى عمل طليطلة حرسها الله . إلى أن يقول : وسعة هذا الفدان المبيع المذكور كسعة كل قرعة هي بالحومة المذكورة بثمان عدته مثقال ونصف من الذهب البياسي الضرب ^(١) . أما الشهود فهم : بيطره ابن يليان بن ابى الحسن ، وشلمون بن علي بن وعيد الخ .

وفي مكان آخر صك المشتري فيه الارجرشت ^(٢) دون تقلاوش القونوتي ^(٣)

(١) البياسي نسبة إلى يياسه من عمل قرطبة ويظهر أنه كان بها دار ضرب لعهد الاسلام

(٢) Archiprêst القس الأكبر (٣) Canonigos القانوني

بقاعدة شنتة مرية عمرها الله والبائعة مرية بنت تمام على حفيدها الصغير الذي من غير رشد المسمى شربند بن باطرة غرسية الذي في حضانتها . وفي هذا الصك ذكر الوزير القاضي دون يليان بن أبي الحسن بن الباصه أدام الله عزّه .

وفي صك آخر يقول : اشترى دون لازر بن علي من دون يوان بن عثمان ومن زوجه دمنقة بنت حنصون جميع الكرم الذي لهما بجائز شنت اشتاين خلف نهر تاجه وبمقربة من قرال بنى ابى مالك من احواز مدينة طليطلة حرسها الله . والتاريخ هو في العشر الأوسط من شهر ينير سنة إحدى ومائتين وألف للصفحة والثمن ثلاثون مثقالا من الذهب البياسى . والشهود يليان بن فرجون وبيطرو بن اندراش بن عزيزى وميقايل بن سلمة بن سدرابه ولب بن فرنندس . وفي آخر الصك يقول : وأنا يوان ابن عثمان بن عثمان بنت وقبضت « اه

وانظر إلى هذا الصك :

« اشترى الدياقن دون دمنقة نفره الذي من أئمة قاعدة شنتة مرية بطليطلة حرسها الله من الامام دون بيطرو جلبرت منها أيضاً جميع الغرس المعلوم له بحومة برج الشياطين عدوة نهر تاجه في حومة شنت فليس من أعمال مدينة طليطلة المذكورة انها يصل اليه وهو الغرس الذي كان اغترسه أبو الطيب المغترس وحدّه في الشرق غرس لدون اشتاين بن القميرانى وفي الغرب شنطير سالك من النهر المذكور الى الطرق التى بالحومة المذكورة وإلى سواها وفي القبلة غرس الاندراش وفي الجوف غرس لبيطروه اشكرده بثمن عدده ثلاثة عشر مثقالا ونصف مثقال ذهباً بياسى الضرب طيباً وازناً في شهر مارس من عام اثنين ومائتين وألف » .

وهذا المثال :

« اشترى ميقايل يوانش وأخيه دمنقر يوانش على السواء بينهما والاعتدال من دونة التى كانت زوجاً لاندراش دحجاج ومن بينهما يوانش ويليان واشتاين ورومان ومريه وقائنية جميع الدار التى لهم بحومة شنت رومان داخل مدينة طليطلة حرسها

الله التي حدها في الشرق دار لورثة دمنقه سبريان وفي الغرب الزقاق الغير نافذ
والباب فيه شارع وفي القبلة غرفة على اسطوان هذه الدار وهي لدون فيليز شنجس»
وهذا صك آخر :

« اشترى الاردؤه ^(١) الافرنجى وزوجه دونه مرشكيطه ^(٢) ، من اولايه ^(٣)
بنت ديقه ، وهي التي كان اباها بيطروه ديس ^(٤) شيون الكنفريه ^(٥) متاع ^(٦)
شنته مريه العظمى ، جميع الدار المعلومة لها ولأخيها بيطروه ديس المذكور بحومة
شنته مريه القاعدة داخل مدينة طليطة حرسها الله التي حدها أجمع في الشرق الطريق
السالك ، والباب إليه شارع ، ودار كانت لنقلاش دطوريش ، وفي الغرب دار اتالين
ولد غلتار لقواس ، وفي القبلة دار الوزير القاضى دون رودريقه ديمنقس ، ودارلاشتافن
مشتابار ، وفي الجوف قرال لاتلين المذكور ، ولريموند بلدى ^(٧) ولد جفري
مرابطى ^(٨) ، ودار كانت لأرنلد فرانساشك الخ »
وتأمل في هذا الصك :

« اشترى دونه لوقاديه بنت ميقاتيل شايس ، وابنتها دونه مريه ، التي كانت
زوجاً لدون غرسية القميراني رحمه الله من دونه مريه التي كانت زوجاً لدون قليام
ومن بينهما دون فيليز ، ودون بيطروه ، ودون يوانش ، ودونه ديمنقه ، جميع الميشون
الذى هو حانوت الآن ، والشوطار الذى تحته ، والغرفة التي عليه ، المعلوم لهم بحومة

(١) في الترجمة الاسبانية Alardo el Franceses

(٢) في الترجمة الاسبانية Dona Morisquita

(٣) في الترجمة Eulalia

(٤) في الترجمة Diaz

(٥) في الترجمة Sayon de la cofradia

(٦) متاع هنا يراد به المنسوب إلى المكان وهو اصطلاح العامة

(٧) في الترجمة Raimundo boldi

(٨) في الترجمة Jofré Almoravide

كنيسة شنته مريه القاعدة في ربض الافرنج^(١) ، داخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وحد هذا المبيع في الشرق والغرب والقبلة والجوف طريق آخذ على ما يشين الطعام الى سوق الرقيق ، وطريق آخر على اليليندين ، إلى سوق الحصارين ، وميشون لقلبان دديرميلش وميشون لارنال مقلده ، وهو قريب البائعين ، وكان قسم المبيع ومثله بشمن مبلغه أربعون مثقالاً ذهباً ، بياسية الضرب ، طيبة وازنة ، بشهر ديجمبر الذي من عام ثلاثة ومائتين للصفر .

وشهود الأصل فيه بيطرو بن يليان بن أبي الحسن ، وعمر بن أبي الفرج ، وفيليس بن غليام ، ويوانش بن غليام ، وبيطروش بن غليام ، واندراس فرتوم ، وميقايل ارتند . وفي آخره مذكور هكذا : صحة النسخة (الخ) وذلك في العشر الأوسط من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف للصفر

شلبطور بن عبد الملك بن العريب ، ويحيى بن وليد بن قاسم

وغيره :

« واشترى القس ديمنة بن الريم من دونة بنت الوزير القاضي عبد الرحمن ابن يحيى بن حارث ، جميع الكرمين المعلومة لها بحومة منزل مشقة من مدينة طليطلة حرسها الله ، وحد أحدها في الشرق كرم لورثة لب اشنابنس ، وفي الغرب نهر تاجه وفي القبلة كرم لمرتين قلبه وفي الجوف جبل كرم لمرتين قلبه ، وقطعة كرم لصق نهر

(١) كان للافرنج أى للفرنسيس حارة خاصة بهم في طليطلة لسكنائهم هناك بحسب رواية المسبولافالى Lavallée وسبب ذلك هو انه لما فتح الاسبانيول طليطلة سنة ١٠٨٥ كانت امرأة الأذفونش السادس يقال لها « كونستزه » ، وكانت أفرنسية الأصل وكان مع جيش الأذفونش الذي فتح طليطلة عدد كبير من الفرنسيس وكان معهم رهبان كثيرون من الفرنسيس أيضاً اشتهر بينهم راهب اسمه برنار من دير ساهاغون Sagahun فلما تم استيلاء الاسبان على طليطلة سكن هؤلاء الفرنسيس فيها . وكانت الملكة التي هي أفرنسية الأصل تمدهم وتعزهم حتى أنها جعلت الراهب برنار المذكور مطراناً لطليطلة .

تاجه (إلى أن يقول) : حضر لهذا المبيع دون يوليان بن البانعة . وقال ان لا اعتراض عنده فيه وسلمه

والشهود بيطرو بن مرتين بن بهلول ، وبهلول بن غالب ، ويوانش بن تمام وعمر بن أبي الفرج . وفي الآخر هكذا : كان ذلك بحضري وانا يوانش بن عطف بن لببضار «
وغیره :

« اشترى الارجرشث ^(١) الاجل دمنه نقلاوش أدام الله عزه ، من ديمنقه بنت شلبطور ^(٢) أبقاها الله ، جميع النصف من المسجد الذي بحومة شنته مرية ، بحضرة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المذكور في الشرق النصف الثاني الذي هو لاختها شول ، وفي الغرب حجرة لمريم المسامة التي كانت زوجاً للأبدي الجزاز . وفي القبلة الدار التي كانت لابرسيوه ، وفي الجوف الطريق وإليه يشرع الباب ، بشمن مبلغه ثمانية عشر مثقالا من الذهب الطيب الوزن ، في العشر الآخر من شهر مايو سنة خمسة ومائتين وألف

والشهود : عبد الرحمن بن عبد الملك ، وديمنقة بيطروس الباسي ، وعبد الله بن عمر بن يوانش بن سليمان ، وعامر بن يحيى بن بلاي «
وغیره :

« اشهدت دونة شولى بنت عمر بن هشام ، وبناتها يوشتا وستى بنتى مقيال ابن سليمان على أنفسهن شهدا آخر هذا الكتاب أنهن بعن من الوزير الأجل دون اشتافن يليانس ، أكرمه الله الربيع الواحد على الاشاعة من جميع السد المعروف بسد الفته الذي في نهر تاجه تحت حصن قلانيه الخ . «
وغیره :

« اشترى يوان مستعرب ^(٣) لدون ملنذة الدليل ، وبمال دون ملنده المذكور

(١) Archiprêtre (٢) Salvador

(٣) Mozarabe انه يظهر من هذه الكتابات التي إذا ذكرت الافرنجي تنص عليه بأنه افرنجي وإذا ذكرت الاسبانيولي المتكلم بالعربية تنص عليه بأنه مستعرب

من دونه ستميورى ، التى كانت زوجاً لدون ديمنقه البرينتي ، رحمه الله جميع الحوانيت والغريفة المتصلة بها ، (إلى أن يقول) واعترف المتبايعان المذكوران أن البايعة المذكورة قبضت عن الستة عشر مثقالا المذكورة أعلاه من المتبايع المذكور القلاب

وإذا ذكرت المسلم أشارت أنه مسلم وإذا ذكرت اليهودى أشارت اليه بأنه اسرايلى انه كان فى طليطة أربع أو خمس فرق منها العرب المسلمون الذين بقوا حافظين للغتهم ودينهم حتى بعد استيلاء الاسبانيول ومنها الاسبانيول المستعربون الذين كانوا يتكلمون ويكتبون وقيمون صلواتهم بالعربية حتى إنهم كانوا إذا كتبوا كتاباً يبدأونه ببسم الله الرحمن الرحيم وكانوا متعصبين جدا للعربية ولذلك بقيت اللغة العربية والثقافة العربية سائدين فى طليطة مدة ستائة سنة بعد انقراض حكم الاسلام منها ومنهم الاسبانيول الذين يتكلمون ويكتبون بلغتهم الاسبانية وكان المستعربون يسمونهم بالقشتاليين كما مر فى أحد الصكوك التى نقلناها . وكان منهم أيضاً الافرنج الذين بدأت سكناهم فى طليطة من وقت استرداد الاسبانيول لها لأنهم كان منهم جنود كثيرون فى جيش الأذفونش السادس . ومنهم اليهود الذين كانوا عنصرا كبيرا ولم يكن الاسبانيول المستعربون بالفئة التى ترضى بالسيادة للاسبانيين القشتاليين أو للافرنج حتى انه وقع خلاف بين النصارى المستعربين والنصارى غير المستعربين من قشتاليين وافرنج فى مسألة الصلوات فان المستعربين كانوا يقيمون القداس الذى يسمى بالاسبانية بالمشة أو الميسة وذلك باللغة القوطية بحسب قاعدة قديس عندهم يسمى سان ايزيدور وكانوا يخلطون ذلك بالعربية وكان الاسبانيول يقولون لهذا الطقس « نصف عربى » أو « موزاراب » فكان الافرنج والقشتاليون يريدون حمل الجميع على استعمال الطقس الرومانى ولكن المستعربين أبوا إباء شديدا وكان أشدهم خصاما فى هذا الأمر جوان رويس ماتانزاس Juanriuz de los Matanzas ولما تعذر حل هذه العقدة قيل إنهم لجأوا إلى البراز وأنهم يخرجون من كل فئة فارساً فيتجاوز الفارسان والذى يصرع الآخر تكون فئته هى الغالبة فى الموضوع . فلما تبارز الفارسان كانت الغلبة للفارس المستعرب ولكن فئة الافرنج بقيت مصرة على عنادها . فلجأوا إلى امتحان آخر على عهدة الرواة ورموا كتاب الصلاة الرومانى وكتاب الصلاة القوطى فى النار وقالوا الكتاب الذى يخرج سالما من النار يكون له الحكم . فخرج كتاب المستعربين سالما وخرج الكتاب الرومانى أقل سلامة منه فيقال أن الأذفونش السادس أبى عند ذلك الطقسين معا .

المعروفة لمائدة الدليل بقريّة قنّاش ، والنهر الذي كان له بها ، والحمار والعجلة ، هذه الأسباب المذكورة عن سبعة مثاقيل ونصف الخ . «

وغيره :

« اشترى الوزير المشرف دون ديمقّة بن سليمان بن غصن بن شربند ، أكرمه الله من سبريان بن بسنت ، ومن زوجه لوقادية بنت يحيى البياسي ، جميع الدار المعلومة لها بحومة كنيسة شنت يوانش ، بثمن عدده ومبلغه سبعون مثقالا من الذهب الفندشي الطليطلي الضرب الطيب الوازن الخ . «

وغيره :

« اشترت الابطيسة^(١) الجليلة دونه مطرى أكرمها الله ، التي بدير شنت قلنت عمرها الله من القس دون ديمقّة الخ «

وغيره :

« اشترى أبو زكري يحيى بن علي الملقى ، من دونه لوقادية بنت بيطروسلييس ومن ابنتها رودريقه بن بشكوال جميع الكرم المعلومة لها بحومة كنيسة شنته قلمبه عمل مدينة طليطلة حرسها الله الخ .

والشهود فرنانده يوانش وعبد الله بن عبد العزيز بن خطاب ، وبسنت بن عبد العزيز بن سعد ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس «

وغيره :

« اشترى دون يوان البلجاني أكرمه الله من بيطرو بن يوليان بطيط جميع الجنينة^(٢) التي له بحومة باب الحاضة ، على نهر تاجه (إلى أن يقول) ودخل في هذا المبيع الموصوف جميع ما كان البايع المذكور في السانية الكبيرة المشهورة الخ . «

(١) أي الراهبة الرئيسة

(٢) في جميع البلاد العربية يستعملون « الجنينة » بمعنى البستان الصغير

وغيره :

« اشترى افرير^(١) دون فرناندوه الذى من فرايرين قلعة رباح ، لارواهب الذين بدير شنت قلمنت بمدينة طليطلة ، أماها الله من ميقيبيل إلى آخره »

وغيره :

« اشترى دون يليان القس الميردوم ، متاع شنت ديمقة ، إلى دير شنت قلمنت الذى هو بمدينة طليطلة حماها الله ، ومن مال الدير المذكور النخ » .

وغيره :

« اشترى الفرايلى دون فرناندوه بوانش ، متاع قلعة رباح إلى الابطشة دونة مطرى متاع شنت قلمنت النخ » .
ومن هذه الصكوك مافيه :

« اشترى الوزير الأجل المشرف الأفضل الأكل أبو عمر شوشان^(٢) ، أدام الله عزه ، من دون مرتين^(٣) دى القونط ، ومن زوجه دونة قلمبة بنت فرند وابط^(٤) الشطر الواحد على الاشاعة ، من جميع الأندر الذى شطره الثانى للمبتاع المذكور ، وقد بين فيه قرال ، وهو بقرية أوليش الكبرى من عمل مدينة طليطلة حرسها الله ، ولشهرته استغنى عن تحديده ، بثمن مبلغه ستة مثاقيل من الذهب الفونشى الضرب ، وذلك في شهر ديجمبر سنة ست وثلاثين ومائتين للصفى .

(١) الراهب .

(٢) مكتوب فى الترجمة الاسبانيولية اسم هذا الرجل هكذا : Abuomar Susàn . وقبل اسمه مكتوب Alguacil Almogarife ومن المعلوم أن الاسبانيول حرفوا لفظة « الوزير ، حتى صارت « الغاسيل ، ويظهر أن لفظة « المشرف ، كانت دخلت أيضا فى لغتهم حتى صارت تستعمل فيها .

(٣) Martin de Alconte

(٤) Fernando Abat

وتحت مکتوب : غالب بن غلمون . ومرتين بن يحيى بن عبد العزيز . وديمقته ابن بيطروه القنترى . تكيف الأشهاد فيه بين يدي وأنا شلمون بن على بن وعيد « ثم هذا الصك الذى يتضمن بيع عقار موقوف ، وبيان السبب الذى اضطر إلى هذا البيع فهو يقول :

« باعت الابطيشة ^(١) الجليلة دونه شنجه التى على دير شنت باترو بالحزام ^(٢) أكرمها الله مع كونباتها ^(٣) الكائن أسماهم فى هذا الكتاب ، من دون مرتين ابن باطروه دِقشَطَرَة ^(٤) ، جميع الميشون الذى علم فى أصله للدير المذكور بربض الافرنج التى على مقربة العشابين وبداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله ، وهو الميشون الذى حده فى الشرق طريق سالك للحصارين ، وفى الغرب ميشون لدون بطال السبطين ^(٥) ، ولدونة يوشته ^(٦) زوج غليلم ^(٧) ديباسة ، ولباطروه غليلم ، ولبنى دون جوان دلبدقدوه ^(٨) ، وفى القبلة المحجة السالك ، وبابها شارع اليها ، وفى الجوف ميشون لدون باطروه جسولين ^(٩) ، وحوانيت السلطان ، بثمان مبلغه وعدده أربعون منتقلا ذهباً من الذهب الفونشى ، وصار عندهم وفى ملكهم لينفقوه على أنفسهم ، وعلى جميع من هو فى الدير المذكور ، مما يجب له النفقة منه فى الدير ، لا غنى لهم عنه فى الماء كل فى هذه الاعوام المحيلة ، إذ لجتهم الحاجة والفاقة لثلاثيموتون جوعاً ، إذ قد

(١) فى النص الاسبانيولى Abbatissa Sanecia

(٢) فى الترجمة Alhicem

(٣) أى صواحباتها .

(٤) Pedro de Castro

(٥) Don Vidal El - Zapatero

(٦) Justa

(٧) Guèllemo de Baeza

(٨) فى الترجمة الاسبانيولية وضعوا مكان هذه الكلمة نقطا للدلالة على جهالتها .

(٩) Pedro Chasolin

أحفلوا على ذلك في الدير المذكور، وخارج الدير ، قد شاوروا فيه الاعيان القنوقين^(١) بالقاعدة^(٢) شنته مريية أم النور ، دَرّ لنا الله شفاعتها ، فكلمهم قد حطوه عليه ، وأجمعوا الرأى فيه ، إذ الضغطة والحاجة والفاقة ، قد صحت انها حاطت بهم ، ولذلك باعوا المبيع الموصوف ، وجاز لهم بيعه ، وصح للمبتاع ابتياعه عن ذلك أبداً ، وللمبتاع المذكور براءة تامة ، فبرى. في العشر الأول من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف لتاريخ الصفر .

واعترف المبتاع المذكور دون مرتين أن هذا الشرى على حسبه ونسبته هو بينه وبين زوجته دونه يوشته ، على المناصفة ، وعلى الجميع يقع الاشهاد .
مقيال بن على بن عمر . ويواتش بن مقيال بن عبد العزيز الشنارى .

Ego Abbatissa Sancia. Monasterii Sancti Petri Consedo. Ego Fernandus Iohnnes Subdiaconus Sancti Nicolai Testis. Ego Dominica Priora Confirmo. Ego Lazarus Presbiter Sancti Sevastiani Ecclesie Testis. Ego Liocadia Confirmo. Ego Anastasia Confirmo. Ego Eugenia Confirmo etc.

فن هذا الصك وأمثاله يعرف انه في طليطة لم يكن الجميع يكتبون بالعربية وكان لا يزال قسم كبير من الاسبانيول يضعون امضاءاتهم بالاسبانية ولكن العربية كانت هي السائدة .

ولناخذ من بعض الصكوك بعض الجمل التي تدل على حاله طليطة الاجتماعية في ذلك العصر ، لكون استقصاء هذه الوثائق بأجمعها غير ضرورى ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد .

فن ذلك صك شراء للدون البيروه البرس^(٣) وزوجته الدونة مريية الجنان^(٤)

(١) Alos Canonigos يريد بها القانونيين وهى رتبة دينية عندهم

(٢) فى الترجمة الاسبانيولية هى الكنيسة الكبرى Catedrale

(٣) فى الترجمة الاسبانيولية « البيروه ، هو Alvaro » والبرس ، هو Alvarez

(٤) الجنان جمع جنة ولكنه يستعملها استعمال المفرد بدليل قوله ، الذى علم لوالده ،

الذى علم لوالده دون مقيال بن الوزير سيد ، بحومة السوميل ، من عمل مدينة طليطلة (الخ) وفى آخر هذا الصك يقول هكذا : وليعلم أن الجنان المذكور هو الآن مبور ، ومقطوعة ثماره ، كان قطعوها المسلمون دمرهم الله . وذكر ذلك ليعلم بعد أن أزمتم نفسها ومالها دونة ديمقه المذكورة دفع ابنها الفونش المذكور متى قام أو قام أحد عنه وأراد طلب المتاعين شىء منه يدفعه عنهما بمالهما .

وإليك هذا الصك يستدل منه القارىء على أحوال طليطلة فى ذلك العصر

فهو يقول :

« اشترى القبشقول^(١) دون جردان من دونه دونة بنت عبد الله بن يحيى جميع الدار التى لها بحومة القاعدة شنته مريه ، داخل الدرب المشهور بدرب الارسبرست^(٢) دون نيقولاش ، وبداخل مدينة طليطلة حرسها الله ، ومنتهى حدودها فى الشرق اسطبل كان مسجداً فى القديم ، هو للارسبرست^(٣) دون بيطرو من طلبيره^(٤) ودار لورثة شقره^(٥) ، وفى الغرب دار كانت لورثة الايطي^(٦) ، هى الآن للمبتاع المذكور ، وفى القبلة دار لورثة البرنيطى^(٧) ، وفى الجوف الدرب المذكور ، والباب

وقد مر أيضاً أنه استعمل الكروم ، استعمال الكرم بالمفرد وعلى كل حال ليست جميع هذه الصكوك كتابة المدققين بالعربية وان كان منها ما هو بغاية الضبط

(١) فى الترجمة الاسبانية Capiscol Don Jordan

(٢) فى الترجمة الاسبانية Arcipreste

(٣) هذه اللفظة أى « الارسبرست » بمعنى القسيس الاكبر تكتب أحيانا بالسين وأحيانا بالشين والغالب أن العرب كانوا يلفظون السين فى الاعلام الاسبانية شيناً ولكن قد يراعون فيها الأصل أحيانا فيلفظونها سيناً

(٤) Talavrra

(٥) Suegro

(٦) فى الترجمة الاسبانية Laiti

(٧) فى الترجمة الاسبانية Berniti

إليه شارع ، و بعض دويرة المسلم على ولد القلبق ^(١) الخ ، والشهود : قرشتوبل بن يلمان ، ولورنس بن ديمتقه بن عمران . وبيطروه بن مرتين مستعرب .
وقد رأينا هذه اللفظة «مستعرب» مراراً في هذه الصكوك ، واستدللنا بها على أن نصارى طابطة كانوا قسمين قسم يقال لهم المستعربون ، وهم الذين كانوا يتكلمون ويكتبون و يقيمون صلواتهم باللغة العربية ، وقسم آخر كانوا يتكلمون ويكتبون بالأسبانيولية و يقيمون صلواتهم باللاتينية ، وهذا هو السبب في أنهم عند كتابة الصكوك يميزون الأسبانيولى الذى لغته العربية بقولهم «مستعرب» وكذلك يذكرون عند وضع الشهادات لفظة « بالعربى » ولفظة « بالعجمى » لأن من اليهود من كان يكتب امضاءه بالعربى ومنهم من لم يعرف وضع امضائه بالعربى فيشيرون إلى أنه وضع بالعجمى
وما تعرف منه اصطلاحاتهم مثل هذا الصك :

اشترى دون غونصالبه المكرج بالقاعدة شنته مريه كرياتور المطران الأجل
دون غونصالبه قدس الله روحه . فلفظة « كرياتور » هى ترجمة Criado بالاسبانيولية
وهى لفظة معناها أشبه بمعنى شماس المعروف فى الشرق ، وهو الذى يخدم المطران .
وفى هذا الصك ذكر رجل يقال له الدون مرتين العدوى البناء . فأنت ترى فى كل مكان اختلاط الاسماء العربية بالأسماء الأسبانية
وانظر إلى صك آخر :

باع كونبات ^(٢) القاعدة المعظمة شنته مريه أم النور . درر كنا الله شفاعتها ،
وأكرمهم . من دونة ديمتقه بنت أى الربيع سليمان بن عثمان ، التى كانت زوجاً
لدون لب بن يحيى ، جميع الدار الخ .

(١) فى الترجمة الاسبانيولية Galápagو ومن هنا يعلم أنه كان لا يزال مسلمون بطابطة تحت النصارى من بعد ما استولى عليها الاسبانيول بقرن وقرنين وثلاثة وكانوا معروفين بأنهم مسلمون لأن اكراه المسلمين على التصرف لم يقع إلا من القرن السادس عشر فصاعداً بعد سقوط غرناطة آخر سلطنة اسلامية فى ذلك القطر

(٢) فى الترجمة الاسبانيولية Convento

وفي هذا الصك ذكر دار كانت للشقرشتان^(١) ولاخته دونه اغطه .
وإليك هذا الصك :

اشترى رومان بن^(٢) باطرو زورير حفيد السماد ، لنفسه ولزوجه دونه أورده بونه ،
ومن مالهما جميعاً ، على اعترافه ، من دونه ديمتقهُ بن عبد الرحمن بن جابر (الخ)
بحومة بال ذي قش^(٣) عمل طليطلة (الخ)

ويظهر أنه كان لليهود في طليطلة شأن عظيم ، لأن الأسماء الاسرائيلية تدرر
كثيراً في هذه الصكوك ، وفيها أسماء رجال لهم مقام اجتماعي نبيه ، مثل ماورد في
بعض الصكوك قوله :

« اشترى الوزير أبو هارون موسى بن الشحات الاسرائيلي أعزه الله من دونه
غاليانه (الخ) .

وأما أهمية رجال الكنيسة فلا تخفى في كل حرف من حروف هذه الكتابات
ومنها يظهر أن أكثر الأملاك كانت لهم ، لأن أكثر البيع والشراء هو منهم وإليهم
وإذا ورد ذكر أحدهم فبغاية التعظيم والاجلال ، مثل قوله في كثير من الصكوك :
« اشترى المطران^(٤) الأجل المقدس الأفضل دمنهُ مرتين لبوس^(٥) الذي

(١) في الترجمة الاسبانيولية Sacristàn

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Romàn Huigo de Pedro El Cebreiro Nieto de Assamad ولا نعلم هل هذا الاسم مأخوذ من السماد أو هو محرف عن
الصمد فانهم أحياناً يخطئون فيجعلون الصاد سيناً كما مر بقولهم حومة « السوميل »
وحقها أن تكون بالصاد « الصوميل » ، والصميل اسم عربي شهير هذا مع كون السين
والصاد تقوم احدهما مقام الاخرى في الفاظ كثيرة

(٣) في الترجمة الاسبانيولية Valdecubas

(٤) في الاسبانيولي Arzobispo

(٥) Martin Lopéz

لكرسى قاعدة طليطلة وبرمات أشبانية الخ» (١)
ولم تكن أسماء رجال الكنيسة كلها لاتينية بل من القيسيين من كانت
أسمائهم عربية ففي بعض الصكوك :

« اشترى القس دون لب بن تمام بن بحيط الذى من أئمة كنيسة شنت زوال (٢)
من دونة توطه بنت دون لب دقتال (٣) جميع الدويرة التى صارت لها بالعطية من
الدياقن دون مقال دالبه (٤) رحمه الله بحومة كنيسة شنت يناس (٥) وبداخل
مدينة طليطلة الخ . وفي بعض الصكوك مذكور القس الدون عبد العزيز من أئمة
كنيسة شنتة لوفاديه الخ »

ومن الصكوك التى تستجلب النظر ما يلي :

« اشترى دون ديمنقة بشكوال ، تربية المطران الأجل ، القديس الأفضل ،
الحسيب الأكمل ، دون ردريقه شمانس (٦) وصل الله بركته ومن مال المطران
المذكور ، وله ويده فيه عاربة الخ »

ومثله :

« اشترى القونوق دون جوان دى ستفيله (٧) ، أعزه الله ، لمولانا المطران القديس
الأفضل ، البرمات الأعدل ، دون رودريقه شمانس ، أدام الله نصره ، ومن مال

(١) Primado de Espana وهو الاسقف الاعظم لأسبانية ومن هنا يعلم أن
معاملات الاسقف الأعظم نفسه كانت بالعربية حتى بعد استرداد الاسبان لطليطلة
بزمن طوبيل

San Zoel (٢)

Toda Hija De Don Lope De Cotarel (٣)

Mical De Alba (٤)

San Gines (٥)

Rodrigo Giménez (٦)

De Setfila (٧)

الطران ، ويده فيه عارية بقوله ، من دونة مريه بنت حسين بن قزون ، رحمه الله وأعزها ، جميع الملك المشهور لأبيها المذكور ، والحق لها بالارث عنه ، وهو بجايز قرى ششلة^(١) مدينة طليطلة ، حرسها الله ، والمبيع الموصوف هو تحت كدية قرية المونسير^(٢) ، ويقسم التخيم مع القرية المونسير المذكورة ، ومع قرية بيله انتقوه (إلى أن يقول) دخل في هذا المبيع كل الذى صح وصار لوالد البايعة المذكورة بالعطية عن الامبراطور الشريف^(٣) مع ابنه السلطان المعظم دون شانجه ، رحمهما الله ، بالصك الكريم التى استظهرت البائعة المذكورة ودفعته للبتاع المذكور اه .

ومثله :

« اشترى دون ربرت^(٤) الافرنجى ، الذى هو الآن من ربض الافرنج ، لنفسه ولزوجه دونه رواش^(٥) سوية بينهما ، من دونه ديمتقه ، ومن اختها دونه مرتينه ، بنتى دون غليلن ، جميع الدار التى لها بحومة حمام يعيش ، من حومة البير المر ، داخل مدينة طليطلة الخ

والشهود : بيطروه بن اشتافن الربالى . وديمتقه اندراش ، ودون رجليد الافرنجى ودون غليم طبلد ، من ربض الافرنج ، وبيطرو نقولا البنا ، وكتب عن كل واحد منهم اسمه عنه بأمرهم وحضرتهم وفيليز بن يحيى بن عبد الله وهذا تأييد لكون الافرنج لم يزالوا بعد رجوع طليطلة إلى الأسبان كأنهم غرباء فيها . وفي صك من الصكوك يد كر مشترين ثم يقول : بعد أن فسر عليهما

(١) Sisle

(٢) Almonasir

(٣) Emperador وهو الازفونش السادس الذى تولى من سنة ١٠٧٢ إلى سنة ١١٠٩ ولقب نفسه بامبراطور اسبانية

(٤) فى الترجمة الاسبانية Roberto El Francés

(٥) فى الترجمة الاسبانية Raues

معانيه بلفظ أعجمي فهماه واعترفا بفهمه ، في العشر الآخر من شهر أوغوست سنة ست وخمسين ومائتين وألف للصفير .

ومما يستجلب النظر صك فيه :

« باع دون جوان رويس ^(١) بن دون رودريغ رويس ، أخ الأسقف ^(٢) المعظم دون غرسيه رويس ، الذي على سقافة كرسي كونكة ، أدام الله كرامته الخ ومما يستجلب النظر صك فيه :

اشترى المطران الأجل دون رودريغ شيمانس بريماط أشبانية أطال الله مدة وأدام بقاءه ، من دون فرنندوه لبوس بن دون لب فرنندس رحمه الله وأكرمه الخ . ومثله :

« اشترى القبلته ^(٣) المسكرم من شنابير ^(٤) القاعدة العظمى ، شنته مريه ، دركنا الله شفاعتها الخ

ومما يستجلب النظر هذا الصك :

« اشترى أبو حسن على البشيرى المسلم وزوجه عائشة بنت الدودري من الغيران وفقهم الله ، على المناصفة بينهما ، من دونه أو رابونه ، تربيه القائد الأجل دون اشتابن الخ والتاريخ العشر الآخر من ينير سنة أربع وثمانين ومائتين وألف للصفير . ومن هذا التاريخ أيضاً يعلم أنه كان يوجد جماعة من المسلمين بطليطلة في ذلك العصر وهذا الصك :

« اشترى دون بيطرو رويس فارس ، من أنانس ^(٥) قائد الغرديه ^(٦) ،

(١) في الترجمة الاسبانيولية Guan Ruiz

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Obispo Deluenca وهي أى كونكة بلدة تقدم ذكرها في هذا الكتاب كان فيها العرب وكانوا يقولون لها فونكة وأحناً كونكة

(٣) في الترجمة الاسبانيولية Cabildo وهو ذى رتبة في الكنيسة

(٤) في الترجمة الاسبانيولية Senares ومعناها السادات

(٥) في الترجمة الاسبانيولية Atenas

(٦) في الترجمة الاسبانيولية Guardia ومعناه الحرس

لمولانا الألبته^(١) دون شانجه بن مولانا الأمير المعظم المرحوم فرننده عفا الله عنه الخ وكان النصرارى والمسلمون يبيعون الأسرى بالوثائق ، كما يظهر لك من الصك الآتى : باع مرتين غرسيه دى أبره^(٢) ، من أبو عمر بن الشيخ أبو سليمان بن أبي عمر ابن نحميش الاسرائيلى ، أسير واحد اسمه محمد بن ابراهيم القصلونى من غرناطة ، بيعاً تاماً ناجزاً ، بثمن مبالغه وعدده مائة وخمسة وأربعون مثقالاً (إلى أن يقول) تقلا عن كتاب عجمى بشأن الأسير ، إن هذا الأسير محمد أخرجه جوان ديمقوس بالمناداة^(٣) بقرطبة ، وتاريخه ألف وثلاثمائة وعشرة من تاريخ الصفر اه

وفى صك آخر :

باع غنصالبه قاضى الحضرة أيدى الله ، وقاضى بمدينة قرطبة ، وساكن بها ، من غنصالبه بن الفونش بن الفونش بيطروس بن سربتوش أكرمه الله أسير واحد ، على الأسمر البناء بن سعيد مملوك كان لغنصالبه رودريقه بمدينة قرطبة المذكورة بيعاً تاماً صحيحاً بثمن عدده أربعمائة مثقال كل مثقال خمسة عشر فرد من البيض الجارية ، الآن وهذا الأسير باعه البايع للمبتاع المذكور كما ذكر على يدى دلال الأسارى أبي عمر ابن اسرائيل الاسرائيلى الذى هو دلال الأسارى بطليطلة فى حادى وعشرين نونمبر عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفر

(١) فى الترجمة الاسبانيولى Eleito ومعناه المختار أو المنتخب

(٢) Martin de Garcia de Abra

(٣) المناداة هى فى الاصطلاح ان ينادى الدلال على البضاعة المعروضة للبيع حتى يقبل السامعون للذاه على شرائها وقد كان استعمال هذه اللفظة لهذا المعنى فى بغداد وجاءت بهذا المقام فى المقامة المضيرىة لبديع الزمان الهمدانى كما انها كانت مستعملة فى الأندلس وأخذها الاسبانيول فى جملة ما أخذوه من العربى الى لغتهم . واما الاسير المسلم محمد الذى بيع فى المناداة فى قرطبة فقد بيع فيها بعد استيلاء النصرارى عليها

ومما يستوجب النظر الصك الآتي :

اشترت دونه مراكشه لابنها المدرج^(١) شانجه مرتينوس ، كاتب مولانا الملك المعظم ، دون شانجه أطال الله بقاءهم ، وخلد ملكهم ، بمال ابنها المذكور ، الذي صار له بالعطية من مولانا الملك المذكور الخ .

وفي صك آخر يقول :

كاتب مولانا الملك المعظم الأعلى دون شانجه أطال الله بقاءهم ، وخلد ملكهم وأيدهم ونصرهم ، ومن ماله المختص به الذي صار له من مولانا الملك المذكور الخ . وهذا الصك :

اشترى مرتين شانجس قبله^(٢) القاعدة شنته مريه لنفسه ولزوجه مانقه بنت مرتين غونس ، سوية بينهما ، من قاسم البناء بن محمد مملوك مولانا الملك المعظم دون شانجه ، أطال الله بقاءهم ، ومن زوجته فطومة الماشطة ، جميع الدار التي لها بحومة بيرالمير الملاصقة بالفرن بها الخ . وهذا الصك الذي فيه :

اشترى دون جوان بيطوروس بن دون نيظروه يايان بن الوزير القاضي دون يليان أكرمه الله لنفسه ومن ماله ، من مريه بنت جوان النجار ، جميع الدار مع خمسة حوانات ، بحومة كنيسة شنت يوشت ، وقريب السكدية . بمدينة طليطلة حرسها الله ويلاصق ذلك كله من جوانه وجهاته قاعة قرال ، هي لجماعة مسلمين طليطلة ، حيث تذيح الكباش ، ودار لجوان مرتين العدار ، ودار لقنوتين شنته لوقادية لصق قصر مولانا الملك الخ ، والتاريخ سابع نونبر عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفرا هـ .

قلنا ثبت من هنا أنه كان في ذلك التاريخ جماعة من المسلمين في طليطلة وهذا

(١) لقب من القاب الكنسية

(٢) قبله بمعنى خادم الكنيسة والقاعدة العظمى هي الكنيسة الكاتدرائية Cathédrale

بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبان بمائتين وخمسين سنة. وكانوا إلى ذلك الوقت يمارسون شعائر دينهم ويزبحون الكباش في عيد الاضحى وهذا الصك :

قاطع القوننق الأجل دون غشطين ، الذى من قونونقين القاعدة العظمي شنته مريه أم النور ، درّ كنا الله شفاعتها ، أسيرته ومملوكته المنتصرة سيسليه المسماة به بالممودية ، على حرية نفسها منه ، بأربعون مثقالاً فونشياً صروفاً ، لتخدم سيسليه المذكورة بداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وباحوازها ، دون رقيب عليها ولاثقاف وتأخذ لنفسها جميع مايعود الله عليها من فايد وعايد ، قلّ به أم كثر ، وتؤدى له الفدية المذكورة ، كما يذكر بعد هذا ، فى كل شهر ، شهر بعد آخر ، إلى أن تمّ الفدية المذكورة وإذ ذلك تكون سيسليه المذكورة حرة كسائر حرائر النصرانيات أهل ملتها ، وما ينقص لها من شهر تكمله فى شهر ثان وثالث ، وإن لم يتكمل لها فى الشهر الثالث ، كما ذكر ، حاشى مرض بين يمنعها عن الفدية ، أو هربت وخالطت قوم سوا ، أو وجدت فى سرقة أو خيانة ، فتخسر ما يكون منها مدفوعاً ، وتعود الأسر كما كانت الخ .
وتاريخ هذا الكتاب ديجبر سنة تسع وسبعين ومائتين وألف اه ملخصاً

ويوجد صكوك أخرى فى موضوع شراء المسلمين لحرّيتهم ^(١) من ذلك مايلي :

قاطعت الابطيشة الجليلة دونة أورابونة التي على راهبات ديرشنت قلمنت

(١) هذه الطريقة يقال لها فى الاسلام المكاتبه وهى ان يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه ويكتب عليه انه اذا ادى نجومه فى كل نجم كذا وكذا فهو حر فاذا ادى جميع ما كاتبه عليه فقد عتق وولاؤه لمولاه الذى كاتبه وذلك ان مولاه سوغه كسبه الذى هو فى الاصل لمولاه فالسيد مكاتب بكسر التاء والعبد مكاتب بفتحها اذا عقد عليه ما فارقه عليه من أداء المال . سميت مكاتبه لما يكتب للعبد على السيد من العتق إذا ادى ما فورق عليه ، ولما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها فى محلها وأن له تعجيزه اذا عجز عن أداء نجم يحل عليه .

والبريرة^(١) به ، دونه لوقاديه ودونه امونيه ، دام عزهن ، لأسيريهن ومملوكيهن عزوز ، ويعرف برود ريقه بن معمر العربي ، واحمد اللوقى ، على حريتهما منهن بخدمتهما جميع الغرس المعلوم للدير المذكور بمحومة برالس ، فى حيز قرية أوليش ، على أن يخدم الارض المذكورة مدة خمسة أعوام متوالية ، من تاريخ هذا الكتاب ، فى كل عام منها بالكشف والحفر والتثلىث ، ويطبعا المواضع بقضبان الزرجون^(٢) ، وعليها القيام بالزبار^(٣) طول المدة . واذا قام المقاطعين المذكورين بالخدمة والعمارة حسبما وصف يصيران أحرار كسائر أحرار المسلمين أهل ملتتهما ، فى مالهم وعليهم ، وإن تهربا أو أحدهما فى طى المدة المذكورة ، أو عجزا عن اكمال القطيع الموصوف يخسرا ما يتقدم لهما ، ويردها راهبات الدير للأسر كما كانا أولا . وتاريخ هذا الصك عشر نونبر عام خمسة وثمانين ومائتين وألف للصفرا ه .

ومثله صك آخر للابطيشة المذكورة بحق أسرى مسلمين هم : محمد المنارى ولد

(١) La Priora وهى وظيفة فى الدير

(٢) الزرجون جمع زرجونه وهو قضيب الكرم ويقال له الشكير وجاء فى المخصص لابن سيده عن ابن قتيبة ان الزرجون آت من الفارسية وانه فيها زركون بالكاف ومعناه الصفرة كلون الذهب وهذه اللفظة معروفة فى سورية ومنها جاءت الى الاندلس (٣) هو تقليم الكرم وهى لفظة معروفة فى سورية بهذا المعنى يقال زبر فلان كرمه وقد وصلت الى الاندلس من أهل الشام والحال انه ليس فى كتب اللغة هذه اللفظة بهذا المعنى بل فى اللغة زبر البئر زبرا طواها بالحجارة وكذلك زبرت الكتاب قرأته وزبرته ككتبته وقيل انه النقش فى الحجارة . والزبور الكتاب المزبور . والمزبر هو القلم . ثم ان الزبر يأتى بمعنى الزجر ولم نجد فى ما راجعناه من كتب اللغة فعل زبر بمعنى قطع وانما فسروا قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) بان الزبر هى القطع جمع زبرة وهى مثل قوله تعالى (آتونى زبر الحديد) أى قطع الحديد وفى بلادنا لبنان يقولون للنجل زوبر وليست فى كتب اللغة بهذا المعنى وانما هى فى اللغة : الداهية فلعل هذا المعنى لهذه المادة دخل الى العربية الشامية من إحدى اللغات السامية التى كانت فى الشام قبل الفتح

القنّان ، واحمد الذي كان لدون ميقاتيل دى رنالش ، وعمر بزاره ، يعرف بابن احمد ابن جامع الصنهاجى ، وعلى الرمنقارة الغمارى على حرية أنفسهم ، وذلك بالخدمة مدة ثمانية أعوام متوالية في جميع الكرم المعلوم بحومة قرية أوليش ، (إلى أن يقول) وان هربوا أجمع أو أحدهم ، أو خالطوا قوم سوا ، أو وجدوا في سرقة ، يخسروا ما يكون لهم ويرجعون للأسر الخ ، وتاريخه ست وثمانون ومائتان وألف .

ومثل ذلك هذا الصك :

قاطعت الجليلة دونة قلنبة ابنة الوزير الأجل دون غطار فرنندس أدام الله عزتها مع يعيش الخياط بن احمد الغرناطى ، على حرية أسيرتها أم الهدى الجللياقية ، بمائتين مثقال فنشية وثمانية مثاقيل ونصف ، صرف خمسة عشر ديناراً كل مثقال ، ليبتنى يعيش المذكور بأم الهدى المذكورة ، ويتخذها زوجته ، ويخدمان بطليطلة في الذي يليق بهما دون رقيب عليهما ولا ثقاف ، ويأخذان لأنفسهما فائدهما وعائدهما قل أم كثر ، ويؤديان الفدية المذكورة ، وذلك مثقالين اثنين كل شهر ، (إلى أن يقول) وإن لم يتكمل لها ذلك بتمام الشهر الثالث ، حاشا مرض بين يمنعهما عن الخدمة ، أو هربا جميعاً أو خالطوا قوماً سوا ، أو باتا بخارج طليطلة بغير أمرها ، أو شرب يعيش المذكور خمرًا^(١) ، يخسران ما يتقدم لها مدفوعا ، وترجع أم الهدى للأسر كما كانت أولا ، ويؤدى يعيش الفدية على التنجيم ، وإن عجز عن التأدية فقد فوّض للجليلة دونه قلنبة التقبض على جسمه ، ولا تسرحه إلا إذا أنصفها ، وعليه أن يهدى لها في كل عيد من ثلاثة أعيادها هدية ، دون عذر ولا تأخير ، وأن يخيط لها^(٢) بدون أجرة لنفسها خاصة دون غيرها . وتاريخ هذا الصك ديجمبر عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف .

(١) من النكت اللذيذة ان هذه الدونة النصرانية تشترط على رقيقها يعيش المسلم

ان لا يشرب خمرًا وان شرب يرد الى الاسر

(٢) لأنه خياط كما تقدم

ثم ضمن يعيش المذكور على بن علي الفبري بخمسة مئاقل ، و ابراهيم بن يحيى خمسة مئاقل ، وزينب ابنة الحاج خمسة مئاقل ، وقاسم بن احمد الحضرمى الاشبلى خمسة مئاقل ، ولب بن نصر القزاز خمسة مئاقل ، وابنة سليمان التى كانت لابن يعيش خمسة مئاقل ، وميمونة ابنة يحيى اللطى خمسة مئاقل ، وابنة عبد الحق الانصارى من مجريط^(١) خمسة مئاقل ، وفاطمة ابنة احمد الانصارى من وبدة^(٢) خمسة مئاقل وابن مفرج من مرشانة^(٣) مقاطع^(٤) ابى يوسف يعقوب البرجلونى اربعة مئاقل ومحمد ابن احمد بن غرغل الحياط مقاطع اسحق الشنترينى خمسة مئاقل ومحمد عبد الرحمن الصفار مقاطع ربي بن قفاجة ثلاثة مئاقل ، ويوسف ابن حسن الغمارى القزاز مقاطع روبس بن دون روى ثلاثة مئاقل ، وعلى بن يوسف البهلى ثلاثة مئاقل ، وفاطمة ابنة محمد مقاطعة امثليجة الحكيم اربعة مئاقل ، و ابراهيم ابن مالك الفران مقاطع ربي قسيم السوفر خمسة مئاقل ، و ابراهيم بن عمر الاشبلى مقاطع ابى اسحق بن الصباغ مئقالين ، وحسين الصباغ بن على الاشبلى مقاطع ابى الربيع بن صدوق مئقالين . فضمن المذكورون ما ذكر عنهم فى يعيش المذكور لسيدته المذكورة ، وذلك على شرط انه إن يهرب يعيش فى طى القطيع فوقه^(٥) ولم يحضروه لها فعليهم غرم ما ضمنوه فيه لها .

وهناك صك مقاطعة لراهبة بدير شنت قلمنت لمملوكتها فطيمة بنت عمر على النحو المتقدم .

ومما يستجلب النظر ، و يطالع به القارىء على اصطلاحات النصارى فى ما يكتبونه بالعرية فى ذلك الوقت هذا الصك :

كتاب معاوضة صحيحة تكيهت باسم الله تعالى وحسن عونه بين الكندتور^(١)

(١) Madrid (٢) Ubda ويقال لها ابدة أيضاً

(٣) Marcina (٤) مقاطع اى مكاتب بالفتح

(٥) اى اعلاه (٦) Comanador

دون جيل الذي هو الآن كمنداتور دار شنت ياقب^(١) للاصبیتال^(٢) ، وعلى حبوسات الرتبة الافرايرية^(٣) بها وبين الابطيشة الجليلة دون سيسيلية التي على دير شنت قلمنت أنماهم الله الخ .

ولما كان اليهود في كل مكان وكل زمان يتعاملون بالدين ، ففي هذه المجموعة صور مئات من السنديات المالية أكثرها لهم نذكر منها بعض أمثلة : للأمين أبي الحسن زيزه بن ربي بن أبي يوسف أعزه الله ، قَبِل دون بطرو البرقنطى ، وقَبِل زوجه لَبِه وفي مالهما وذمتهما ، وعلى جميع أملاكهما وأحوالهما كلها حيث كانت وعامت لهما دِينا لازما وحقا واجبا ، سبعة مثاقيل ونصف ذهباً فنشياً الخ

ومثال آخر : لأبي سرور فرج بن أبي عمران مرال الاسرائيلى ، قَبِل دون غرسيه غليالم شبرين القُنق^(٤) دون غرسيه الذى كان من قاعدة شنته مريه وهو بعل مريه لنبرت^(٥) من ر بوض الافرنج دينا لازما اثني عشر مثقالا وثمان فونشيه لانصافه من ذلك شهرين اثنين تاريخ هذا الكتاب ، وداخل ضامن غارم عنه في ذلك الدون ديمته انطالين البطير بن دون انطالين ، من ر بوض الأفرنج ، وإن كانت قلمية في ذلك فيكون عليهما على مالهما ، في تاسع يوم من شهر مارس سنة تسع وخمسين ومائتين للصفراء هـ . وتحتته الشهود

ومثال آخر : لأبي عمر بن الشيخ أبي سليمان بن أبي عمر بن نجميش الاسرائيلى قَبِل الوزير دون بيطروه يوانش ، وقبل زوجه الجليلة دونه طريشة^(٦) بنت الوزير القاضى دون جوان بونش أعزها الله ، واجب خمسون مثقالا فونشياً لينصفاه دینه

(١) Santiago (٢) Hospital

(٣) الرهبان وفي المغرب يقولون لهم افرايريلية وهي محرفة عن افرايرية واصل معناها الاخوان

(٤) Canonigos فى الترجمة الاسبانيولية

(٥) Lonbert (٦) Thérèse

يوم فصح شنت ميقاتيل الآتي لتاريخه ، وإن عجزوا عن انصافه إذ ذلك يغرّما له قوط رباعى كل يوم يجوز بعد الأمد المذكور ، وإن طلبا منه يميّز يغرّما له قوط خمسة مثاقيل ، وبظهور هذا الكتاب و بعد فسرهما في رابع وعشرين ابريل عام ستة وثمانين ومائتين وألف للصفرا هـ . ثم الشهود

وفي هذه المجموعة صكوك من أنواع متعددة ، منها وصايا ، ومنها رهون ومنها مصالحات ، ومنها صكوك شركات ، ومنها مزارعات ، وما أشبه ذلك . لنذكر منها صك مزارعة على سبيل المثال ، وهو هذا :

أنزل القس ماير ديمتقهُ المستعربى من كنيسة شنت مارتين ليوان فرندس في الأرض المعلومة له بحومة جبل حمارة ، عمل طليطلة حرسها الله ، حدها في الشرق غرس يبطرو مرتينس ، وفي الغرب أرض بيضا ، وفي القبلة رأس جبل حمارة المذكور ، وفي الجوف غرس غنصالبه الجزّار ، في أرض القس المذكور بالمنصفة ، وذلك بشرط يأتي ذكره بعد هذا ، ليغترسها يوان المذكور بقضيب الزرجون ، ويعتمر بالزبر والحفر والثنا في كل عام ، مدة خمسة أعوام ، أولها تاريخ هذا الكتاب الأعوام المذكور ينقسم الغرس على ثلاثة أثلاث ، يأخذ صاحب الأرض الثلث الواحد يأخذه الخيار في أحد الجانبين ، والمغترس الثلثين متصلين عن اغتراسه واعتماره . في أول شهر مارس من سبعة وتسعين ومائة وألف من تاريخ الصفرا هـ .

وهذا الاصطلاح بقولهم « أنزل » فلان لفلان في الأرض الفلانية على شرط

كذا وكذا مستفيض في هذه الصكوك

ومن غريب هذه الصكوك صك ما يتضمن استرهان الأسارى والتعامل بهم كأنهم من جملة الأموال : أشهد دون مرتين فرندس القرمادى بن دون فرندو القرمادى وقفهما الله على نفسه شاهداً آخر هذا الكتاب أنه قبض الآن من أبى الحسن بن يامن بن أبى اسحاق البرجلونى الاسرائيلى أعزه الله الثلاثة اسارى الذين استرهنهم لدونه أورابونه زوج فيدلقة عن دينه المترتب له قبلمها ، وهم الأسارى

سليمان الذي كان لدون ميقاتيل خريبيش ، وعبد الله اللوشي الكوسيج^(١) ، ويوسف الغازي الصغير ، الذين قيمتهم خمسون مثقالاً فونشياً ، صرفاً طيباً ، وصارت عنده الأسارى المذكورين . وفي ملكه ، وعلى شرط وربط أن يصرفهم لأبي الحسن بن يامن المذكور ، متى ما يطالبه بهم . ويدوم أخذهم منه على كل حال من الأحوال ، وإن عجز عن احضارهم له عندما يطالبه بهم فليغرم له قيمتهم الحسين مثقالاً . سادس عشر أو كطوبر عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف للصفر . ثم الشهود اه .

ومن الصكوك المتعلقة بأسارى المسلمين ما يأتي :

ضمن للأبداشة^(٢) الجليلة دونه لوقاديه فرنندس التي على راهبات دير شنت قلمنت ، ادام الله كرامتها وجه أسيرها احمد بن يوسف الرحوي الأسمري من يوسف والد المضمون أحمد المذكور ومريم ابنة محمد زوجة يوسف والدة أحمد المضمون ويوسف بن محمد المعروف الشقيق ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يمشى أحمد المضمون المذكور مسرّحاً من الثفاف من الآن لتام أربعة أعوام . فان هرب في طى الأعوام المذكورة ولم يحضروه لسيدته المذكورة على الحلول من هروبه ، فعلى الضمان المذكورين غرم مئة مثقال فنشية ، صرف كل مثقال منها خمسة عشر ديناراً ، وعلى المضمون المذكور أن يعطى لسيدته الابطيشة المذكورة في كل شهر طول

(١) الكوسج بفتح السين الذي لحيته على ذقه لا على عارضيه وهي لفظة فارسية وهو في العربي الأثبط ولقد كتبوها هنا بياء وهو خطأ ولكن الأندلسيين كانوا يتكلمون بالامالة ويقولون للحكم مثلاً « الحكم » بالكسر وللإمام الأوزاعي الإمام « الأوزعي » ويقولون « سنه » بكسر السين والنون بدلا من « سنة » بفتحهما ولفظهم هذا أشبه بلفظنا نحن في بر الشام ويقولون « زمان » بكسر أوله ويقولون « فرقد » بكسر القاف ويقولون « كتيب » أي « كتاب » ويقولون « برى » بكسر الباء بدلا من « برى » بالفتح ويقولون « خمسمية » كما نقول نحن في سورية لا خمسمية وهلم جرا

(٢) بالترجمة الاسبانيوله Abadasa ولعلها الابطيشة التي مر ذكرها أو تقرب

منها ومعناها ظاهر وهو الراهبة الكبرى

الأربعة الأعوام المذكورة مثقالاً واحداً ، شهراً بعد آخر إلى تمام الأربعة أعوام ، دون مطل ولا تسويف بوجه ، وفي الشهر الذي يعجز المضمون المذكور عن أداء المشاهدة المذكورة فعلى الضمان المذكورين إحضاره لسيدته المذكورة أو يقرّموها المشاهدة المذكورة ، وإن عجزوا عن غرم المائة مثقال المذكورة أو عن المشاهدة المذكورة ، فقد فوضوا له ولهستظهر بهذا الرسم التقبض عليهم وتقفهم في ثقافها ، ولا تسرحهم منه إلا إذا أنصفوها من الضمان المذكورين من الجائز عليهم من المشاهدة المذكورة ، دون أمر حاكم بوجه من الوجوه . في العشر الاوسط من شهر ديجمبر سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف للصفر . والشهود : محمد بن عبد الرحمن ابن محمد ، وعلى بن يحيى بن محمد الانصارى

ومثله صك تضمن به عائشة ابنة احمد السكونى ، زوج داود الأسمر بن سايان ، أسير دون غنصالبه الفونش بن دون الفونش بيطروس سرباتش^(١) وذلك زوجها المذكور داود ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يمشى الاسير داود ويتصرف في أشغال سيده ، حينما يأمره بالحاضرة والبادية ، فان هرب ولم تحضره زوجته فقد فوضت له التقبض عليها ، وتثقيفها في ثقافه بدون أمر حاكم . وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر يونيو من عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفر ، وشهوده احمد بن محمد بن احمد الأنصارى ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد

ومثله ضمان نزهة بنت سعيد الاوربولى^(٢) ، ووالدها عايشة بنت سعيد الحداد من لورقة^(٣) . وجه زوجها احمد الحداد بن على ، نحو سيده دون غنصالبه الذي مر ذكره ، ضمان وجه وإحضار . وإن هرب المضمون فتقرّم نزهة وعائشة خمسمائة مثقال من البيض . وتاريخ هذا الصك حادى عشر يونيو عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة

Servatus (١)

(٢) نسبة الى اوربولة Orihoala

(٣) Lorca

وألف ، وشهوده : علي بن أحمد بن حسن بن عبد الله الأنصاري وعلي بن قاسم بن علي بن الصيقل الانصاري^(١)

ومثله :

اعترفت شمسي^(٢) بنت لب الفخار المعروف الغزيل^(٣) وبنت عائشة المعروفة الروبية اعترافا صادقا أنها تضمنت وجه زوجها شعيب الرحوي بن محمد المعروف بالمطيرش وحفيد غالب السمار نحو المطران الأعز الأكرم دون غتار غومس^(٤) ضمان وجه واحضار على النمط الذي تقدم ، وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر ابريل عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف ، وشهوده : أحمد بن علي بن محمد ، ويوسف ابن قاسم بن يوسف الانصاري وابراهيم بن أحمد بن ابراهيم .
وهنا صك وقف يجدر بالنظر :

وقف الدياقن مرتين من كنيسة شنت مرية أم النور بطليطلة حرسها الله ، في مجلس القضاء أمناه الله بالدوام ، بين يدي الوزير القائد عمران ، وقفه الله ، عن تقدم الوزير الجليل القاضي الأعلى ، أبي الحسن حاتم ابن حاتم ، أدام الله توفيقه وتسديده وذكر ان الشنيور يوان رودميروس في أيام حكمه الحضرة المذكورة ، أمر لشانجة قزلون بدار بحومة القاعدة المذكورة ، وحازها وسكن فيها ، إلى مدة وفاته ، في خدمة السلطان واستظهر بعقد بذلك ، فأعذر إلى الدياقن المذكور ليستظهر بكتاب من

- (١) يكثر ذكر « الأنصاري » في عرب طليطلة وهو يؤيد ما روى من كون أكثر قبائل الاوس والخزرج لأول فتح الأندلس نزلت في طليطلة ونواحيها
(٢) يلزم أن تكون « شمسه » ولكن الأندلسيين يتكلمون بالامالة كما قلنا فالكتاب كتب الاسم بحسب ما كان يلفظ عندهم وقال « شمسي » ، والآن في سورية يلفظون « شمسه » ، كانوا « شمسي » ، الا في أما كن معلومة لا يتكلم أهلها بالامالة
(٣) حقها ان تكون « الغزال » ، ولكن الامالة الأندلسية جماتها « الغزيل » ، وفي

الترجمة الأسبانية Algazil

Gitierre Gomez (٤)

الشنيور المذكور ، إذ لا مقنع في العقد ، فرغب الى الوزيرين الجليلين القاضى الأعلى أبى الحسن حاتم ، وصاحب المدينة زيد بن حارث ^(١) . أعزهما الله ، ليتفضلا عليه بخطاب منهما ومن القونشلى ^(٢) أبقاهم الله ، إلى الشنيور المذكور . فأذنى له بذلك ، ثم بعد ذلك أحضر الدياقن عند من وقفه الله مرتين ^(٣) الناظر ، وبيطره ناغروه ^(٤) وبرمندة بلايس وبيطره بلايس ^(٥) ، وخلف بن رزق ، وعبد الله بن ماضى وشهدوا عنده في مجلس نظره ، وبمحض من الحاكم مرتين غرسيس ، انهم أشهدهم الشنيور يوان رودميروس وبأيديهم خطاب لطينى ^(٦) الى الوزير الجليل القاضى الأعلى أبى الحسن حاتم ، والوزير الجليل صاحب المدينة أبى زيد بن حارث ، أعزهما الله في الدارين ، اللتين قلت لى أنا أعطيت الواحدة لشانجة ، والأخرى لميقيبيل ، فثبت عندهما ، وقفهما الله ، ذلك وأمضياه ، وأنزلا الدياقن المذكور في الدار . وتاريخ هذا الصك شهر مايو سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف لتاريخ الصفر . ومنه يعلم أنه في ذلك التاريخ أى بعد أخذ الاسبانيول لطيطلة بنحو من مائة وسبعين سنة كان يوجد فيها قضاة من العرب أو المستعربين ، وكان صاحب المدينة أيضاً منهم .

ومن الصكوك التى استرعت نظرنا حكم يتعلق بصداقات الامبراطور الاذفوناش

السادس جاء فيه :

فلما وقف الوزير القاضى المذكور مع من ينزل اسمه أسفل هذا ، من أهل الشورى مع اسمه أدام الله عز جميعهم ، على جميع ما تقدم ذكرهم ، من احتجاجها ، وعلم ما استظهر به كل واحد منهما ، من فوائد وأصول ما بيده ظهر لهم دام عزهم أن الامبراطور قدس الله روحه تصدق بما كان له في القرية المذكورة على الدير المذكور

(١) كان العرب يسمون والى البلدة من قبل السلطان بصاحب المدينة

(٢) فى النص الاسبانى Concilio

(٣) Martin (٤) Negro (٥) Pelayz

(٦) أى لاتينى العبارة

(إلى أن يقول) ولما يعلم علماً صحيحاً أن أغلب قرى مدينة طليطلة حرسها الله لم تصرف لأربابها المالكين الآن لها إلا ببطية . . . أو ببطية من تقدمه من سلفه الشريف الكريم رضى الله عنهم جميعهم دام عزهم ، أن يحملوا القرية المذكورة محل غيرهم من القرى المعطاة من عندهم ، رضى الله عنهم فأوجبوا حكماً منهم من السنة للدير المذكور لتكون له مالا وملكا على مقتضى السك العزيز المؤرخ المذكور ، وكل استدعاء استظهر به التكلم عن ورثة عبد الملك بن هارون رحمه الله وأكرمهم اسقطوها لوجوه كثيرة اه . وفي الآخر يقول : وفي الأصل الذي انتسخت هذه النسخة منه أسماء الحكام أهل الشورى الذين حضروا الحكم المذكور وأمضوه أعز الله جميعهم . بخط عجمي : اغوغنصالبة^(١) أرسبيسبو طولاطانة برماط اسبانية^(٢) وبخط عجمي : اغوديمنش ارچيديا قنش مجريط . وبخط عجمي : اغوجرنانش برشبتير طولطانش كوفورم^(٣) . وبخط عجمي : اغوبطروش ديس القائد كوفورم . وبخط عربي : سلون بن علي ابن وعيد . وخير بن شلمون بن علي بن وعيد . وخالد بن سليمان بن غض بن شربند وبخط عربي : انا فاحتش الأسقف لكورة لبله^(٤) خيرها الله ، ويوشاب الارچتش ابن منصور حضر ذلك . ويوشتبش القس بن عبد الملك . وباطره بن عمر بن غالب ابن القلاس . اشتابن بن يليانس .

انتهت النسخة وذلك في شهر ابريل عام اربعة وعشرين ومائتين وألف للصفر .
عمر بن عبد الرحمن ، ويوسف بن عبد العزيز ، ومرتين بن حسن
ابن عبد العزيز الخ .

ويوجد جم من الاحكام على هذا النسق ويظهر ان ملكتهم في العربية

(١) Ego أى أنا

(٢) اسقف اسبانية الأعظم

(٣) Conforme أى مطابق

(٤) Niebla

أخذت تضعف بمرور الأيام فتجد صكوكا وأحكاماً كثيرة ملأى من الخطأ
واللحن مثلا :

كانت قرية دار الخازن من قرى الحاضرة طليطلة حرسها الله من إمام المسلمين
معطلة الناعورة ومشرعها واقفة ، فوق اتفاق أهل القرية المذكورة من المدرّجين^(١)
ليعمروها ، وإقامة ما وهى منها ، وتجديد ما عهد لها ، وكان بها حيسان أرض بيضا
للكنيسى شنت لو قادية الخارجة عن الحاضرة المذكورة ، وشنت مرتين بها عرض
المدرّجون واللايقون على الخدام بالكنيستين المذكورتين ، عرضهم فى إقامة الناعورة
وتجديد ما وهى منها ، فادعوا عندهم بقلة ذات اليد من أنفسهم ، ومن رسوم
الكنيستين ، فرأى المتقدمون بالذكر اعراض ذلك ثانية على المطران الفاضل ديمنه
برننده ، كفيل البيعة المقدسة أدام الله توفيقه وتسديده لما إليه تفويض الحيسان ،
والنظر من الديارات ، وانه رأس الامامة بالقاعدة شنت مرية ، أم النور بالحاضرة
طليطلة أدام الله حماها فظهر إليه ومن حضر قعودته^(٢) من أئمة النظر فى ذلك ،
وأمر السالى أمره أن يعطى هذين الحبيين لمن يعتمرها باسم المساقاة إلى مدة الخ
وهذا كتاب صلح :

هذا كتاب وقع الاصطلاح عليه ، وجرى الاقتصار اليه ، ما بين هند بنت
جبران وبنى أخيها الوزير ماير تمام رحمه الله غرسية وأولياليه ومريه ، على ما يأتى
ذكره بعد هذا ، وذلك أن يعطى غرسية لهند عمته المذكورة جميع حصته فى جنان
أبيه الخلف له ولأخته المذكورين المعروف بهمد المسلمين بجنة الحنشى ، بربض
طليطلة وبجومة مرج القاضى الخ .

(١) تتكرر كثيراً فى هذه الصكوك لفظة « المدرج » ، و « المدرجين » وفى الترجمة

الأسبانية التى بازاء الأصل العربى تفسر بلفظة Racionero

(٢) هكذا وجدنا هذه اللفظة والاشبه أن تكون محرقة وأن تكون « قعودته » ،

فالقعودة هى المجلس وأما القعدودة فلم نجدها

ومن الوثائق التي اطلعنا عليها عقود أنكحة كالذي يلي :

كتاب إيجاب واختطاب ، وعقد نكاح وارتباط ، أمر بمقده والاشهاد على نفسه بجميع ما فيه دون ديمته بيطريس حين مراهة^(١) الخاتمين ، وبدل العربانيين^(٢) بعد تقديسهما. بينه وبين دونه لوقادية التي كانت زوجاً لدون رودريقه دمرسيه عن بنتهما دونه يوشته البكر التي في حجرها ، وتحت ولاية نطقها ، لتكون دونه يوشته المذكورة لهذا دون ديمته بيطريس المذكور زوجاً سنياً ، وصاحبة مرضية ، كالذي توجبه الشريعة المنتوليقية ، وتحط عليه الديانة الحوارية ، وعلى أن هذا دون ديمته بيطرس المذكور أوجب لخطيبته المذكور عن الأزواج بها يمين الله مهرأ لها عشر جميع ماله أثنائاً وعقاراً ، حيث كان ، وابن علم ، وعلى أن ينقدها أيضاً عند الابتناء بها هدية موهوبه لها . وذلك خلدي^(٣) ، وفنك^(٤) ، ورداء ، وقناع ، وخف ، وجورب ، تفعل في جميعه بحول الله عند ذلك ما وافقها كفعل ذى المال في ماله ، وجميع ما يكتسبها الخطيبان المذكوران من وقت ازدواجهما فانه يكون بينهما سوية بالمناصفة والاعتدال إن شاء الله ، والتزم الخطيب المذكور احضار الهدية المتقدمة الذكر ، والافناذ بها لخطيبته المذكورة ، عند الابتناء بها يمين الله وتوفيقه . والتزم التماهران المذكوران أيضاً إكمال ذلك كله بحول الله بعد أن قبض كل واحد من

(١) المراهقة المقاربة

(٢) العريان والعربون بضم أولهما والعربون بفتح الأول والثاني هو ما عقد به المبايعه من الثمن أو هو ان يعطى المشتري شيئاً من الثمن أو المستأجر شيئاً من الايجار ثم يقول ان تم العقد احتسبنا وان لم يتم فما أخذته هو لك . ونحن في الشام نقول العربون والعامه تقلبه فتقول العربون . ويظهر ان الأندلسيين استعملوا العريان وهو صحيح فصيح ومن العادة في الزواج عند النصارى ان يتعاطى العروسان الخواتم والعربون أو العريان وهذا قبل البناء

(٣) في النص الاسبانيولى Unos Pendientes

(٤) في النص الاسبانيولى Una Alfanega colcha

الخطيبين خاتم ثابتة عرباناً لما وقع الاتفاق عليه ، والارتباط إليه ، بتأييد الله ، مما ذكر فوق هذا ، بعد المعرفة منهما بقدر ما ارتبط اليه المتأهريين المذكورين ، على سنة النصرارى فى ازدواجهم الجياز عندهم ، بعد أن أعلنت اللونه يوشة المذكورة بذلك كله ، ورضيت به ، وأشهدته أيضاً به على نفسها ، وذلك فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ثلاثة وعشرين ومائتين وألف للصفر ، ووقع الاشهاد اليوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور .

ومن الوثائق التى يستدل منها على رسوخ الثقافة العربية فى طليطلة صك وصية للقس ماير^(١) عبد العزيز بن سهيل يقول فيه :

لما مرض القس ماير عبد العزيز بن سهيل رحمه الله المرض الذى توفى منه أمر بكتب وصيته وإنفاذ متضمنها على أيدى النايه^(٢) القس وماير قرشبول من شنت مرتين ، ويحيى بن عبد السكريم ونسخة الوصية كذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به القس ماير عبد العزيز بن سهيل ، وهو بحال الصحة والجواز والطواعية ، مؤمن بالأب والابن والروح القدس إله واحد ، وبالسنبله^(٣) الذى هو وثيقة الايمان وبالأنجيل الأربعة ، وبما أمر به الحواريون ، والآباء المقدسون ، فأوصى إن حدث به حدث الموت أن يعطى للوفادية السا كنة معه ، والخادمة له ، جبل الغرس الذى عند الطريق ، بدار الخازن ، وثلاث الزرع ، وسبعة مثاقيل مرابطية عن دويرة كذا (إلى أن يقول) : وما يبقى يعطى عن روجه لقسيسين أو ثلاثة من أصحابه عن أربعين مسّة ، وما بقى يعطى للمساكين ، وعن لبان للكنائس ، وكرم الغندرى يكون باقىاً فى أيدى الأوصياء وما قام فيه يخرج منه بما يُخدم . وما فاض يكون منه خمسين رباعاً والغير يكون منه الثلث فى زيت ولبان وحطب ، والثلث

الثاني للأسرى ، والثالث للمساكين . وجعل هذه الوصية والعمل بها إلى يحيى قرمانه ، والقس دون قرشوبل ، والقس النايه . ليكملوا ذلك حسب ما وصفه . ومن مات منهم يترك من يقوم مقامه عن خدمة الكرم . وكتب في يوم الثلاثة الثامن من شهر ذيحجر من عام ثلاثة وستين ومئة وألف . فأفند الأوصياء جميع ما أمر به في هذه الوصية ، وما أمر به في الكرم المعلوم له بدار الخازن . وقد يفسر فيها . فلما بقي الكرم بأيدي الأوصياء مدة ثلاثة أعوام ، واعتمروه عمارة جيدة ، لم يكن فيه فائد للشرائع والأسرى والمساكين ، حسب ما كان ظنه الموصى رحمه الله واعتقده فيه ، فلما صح عند الوزير القاضى أئى الاصمغ بن لنبطار^(١) وقه الله ، قلة فائدته ، وأنه على غير ماظنه الموصى فاعتقده فيه ، أخذ في ذلك مع من وجب الأخذ معه فيه ، من كبار مدينة طليطلة من المدرجين والمستعربين والقشتيليين ، فرأى الوزير القاضى المذكور معهم أحباس الكرم المذكور على قاعدة شنته مرية ، بحضرة طليطلة ، أدخلنا الله في شفاعتها ، لما ظهر إليهم من قلة الفائدة العائد إليها ، وكثرة مؤنها بعد رغبة جميعهم إلى الأوصياء ، والتحمل عليهم في ذلك ، فاسعفوا الرغبة ، وصح احباس الكرم المذكور ، على القاعدة المذكورة عن شرط على أهل القاعدة ، أن يكون اسم القس ماير عبد العزيز بن منصور رحمه الله في جملة أسماء القونقين المتوفين بالقاعدة المذكورة حسب رتبهم وسيرهم الخ ، وتاريخ هذه الوصية مع حكم القاضى شهر يوليويه من سنة سبع وستين ومئة وألف . وبعد ذلك الشهود منهم من هو وضع شهادته بالعربى ومنهم من هو واضع شهادته بالأسباني

وهذه وصية ثانية :

هذا ما أوصى به وعهد بتنفيذه ، حسب ما يأتى الذكر فيه الوزير القاضى دومنقه انطولين ، أعزه الله وهو عليل في جسمه وثابت في عقله وذهنه مؤمن بالأب

والابن والروح القدس الله واحد، ومعتقد بما بشر به الحواريون ، ووصفه الأنبياء المختارون ، خشية الموت، وحلول الفوت ، الذى لا بد منه ، ولا محيص لأحد خاق الله عنه ، فأول ما أمر به شفاه الله أن يمثل بعد عينه إن توفاه الله تعالى ، أن يزين على أقباره حين دفنه ، ومدة الثلاثة أيام بجميع أئمة البلد من أهل الكنائس بعد اندابهم بمن حف بهم من أساقفة ومدرجين ، على حسب رتبهم ، وإن كان المطران حاضراً فيندب ، وله الأجر والثواب إن يحضر ويزين مع من حضر مدة الثلاثة أيام المذكورة ، وبعد الثلاثة أيام فليستمر مدرجين كنيسة شنته لوقاضية ، التى داخل المدينة بالتزين إلى تمام تسعة أيام . وأمر أن يعطى للمطران الأجل أكرمه الله خمسة مثاقيل ، وللأسقف دومنه يوانس المرشانى مثقال وللأسقف دومنه فلقيس مثقال فينا الخ ، وبعد أن عدد جميع ما أراد الايضاء به بالتدقيق من عقار ولباس وطعام ومال صامت وناطق ، ذكر بأن يخرج جميع ما ذكر من ثمن غنمه وبقره ودوابه ، ورماكه وخنازيره ، ومن مانتاتى ومن الكاس الصغير الفضة ، وأمر أن يعطى ليوان مستعرب الكاب ، وما يبق بعد هذا كله يكون لأخته دونه مريه وبنيتها

وفي وصية أخرى للمسماة دونه لوقادية بنت يوانس ، بعد ذكر الديباجة المصطلح عليها فى أول الوصايا ، وذكر جميع ما أرادت توزيعه على الكنائس والقسوس والصواحبات تقول : وأمرت أن تكون الأسيرة عائشة التى لها فيه النصف تُرد نصرانية إن هى شاءت وتنصف دون غرشييه عن نصفيته من ثمنها بما اشترت ، والنصفية خمسة مثاقيل من مالها ، وتكون حرة من أحرار النصرارى فيما لهم وعليهم ، تصير حيث تشاء وتهوى ، بعد أن تخدم لدون غرسية عام واحد لاغير .

وقرأت فى وصية أخرى من دونه قرشينة بنت اندراش بعد الايضاء للكنائس وللقسيسين وللأصحاب ولذوى القرابة مايلي :

وعهدت الموصية المذكورة فى أسيرتها مريم زوج عبد الله القزاز ، أن تكون حرة من أحرار المسلمين فى ما لهم وعليهم ، عن عشرة مثاقيل ذهباً فنشياً ، كانت

الموصية المذكورة قد قبضتها باعترافها من عبد الله القزار زوجها المذكور . ولذلك انقطع عن مريم المذكورة جبل الرق ، فتملك مريم المذكورة نفسها ، تمهض حيث تشاء الخ .

وفي أكثر هذه الوصايا يذكر شيء من المال لفكك أسرى النصارى ، فقد كانت الحالة عندهم كما عند المسلمين ، فأصحاب الخير والاحسان ، ولا سيما النساء من المسلمين ، كانوا يوصون بجانب من أموالهم لفكك أسرى المسلمين في بلاد النصارى وكذلك أهل الخير من النصارى ، ولا سيما النساء ، كانوا يوصون بشرط من أموالهم لفكك أسرى النصارى في بلاد المسلمين . قرأت في وصية للسمى دون رودريفة شابطورس بن دون شلبطور بن الوزير دون يوان ميغاليس مايلي :

أمر أن يزين عليه في كنفه ، وأيام زيارة قبره ، ودفنه ، في جميع ما احتاج إليه بما يقوم في ذلك ويليق بمثله ، ويكون دفنه في قبر والده دون شلبطور المذكور ، بالقاعدة شنته مريه ، وأمر للقانونيين بها عن دفنه بها ، وعن أن يذكره في صلواتهم ، عشرين مثقالا ، وأمر عن ميشات^(١) عن روحه مفرقة على أئمة كنانيس الحضرة مئة مثقال ، وأمر عن فك أسارى النصارى العمال في أسر المسلمين خمسمائة مثقال ، وأمر عن قبلانية^(٢) بالقاعدة شنته مريه ثلاثمائة مثقال ، على شرط أن يقدس ميشة كل يوم عن روحه ، لدى الدهر ، في هيكل من هياكل القاعدة المذكورة ، ويضع انفساريوه^(٣) كل عام عن روحه قانونيين القاعدة المذكورة ، كما العوائد وبذلك يصح لهم قبلانية ، يعنى الثلاثمائة مثقال المذكورة ، وأمر لمعلمه ومعرفته القس دون شانجه ، من كنيسة شنت يوانس ، عشرة مثقالات ، على أن يقدس

(١) جمع ميشة وهى ما يقول له نصارى الشرق القداس

(٢) خدمة كنسية

(٣) هو ما نسميه بالحول وبالفرنسية Anniversaire

مدى عام ميشات عن روحه . وفي آخر الوصية بمد ذكر الخيرات كلها يقول :
 وقيد فيه عن أمره على يدي والدته ، دونه ستي المذكورة ، ثقة منه بديانتها
 وحسن أمانتها ، أنها تفعل في ذلك كله فعل من يعلم أن الله لا يخفي عليه خافية في
 سماواته وأرضه ، والتاريخ شهر يونيو سنة تسع وأربعين ومائتين للصفر
 وفي وصية للدون ملندة فرندس ابن الوزير القاضي يقول : فأول ما أمر به
 أن يعطى لمعلمه القس جوان مثقالاً واحداً ، ويحل عن روحه الفين ميشه ويخرج
 أيضاً من بلاد الاسلام أسير بالغ مبالغ بعشرين مثقالاً .

وفي وصية للدون غنصالبه خل تاريخها شهر اكتوبر سنة اثنين وسبعين ومائتين
 وألف . أمر متى توفاه الله ان يعلم ماله كله ، أصله ومتحركه ، أثاثاً وعقاراً ، دقه
 وجلده ، جامده ومتخالخله ، ويخرج منه عن خمسمائة مثقال فونشية ، وتبذل عن
 روحه ، الى أن يقول : ويعطى في استفكك أسارى من بلاد الاسلام ستين مثقالاً الخ
 وفي وصية للدون بطره شامجه من جماعة شنت رمان ، وصهر دون جوان اشتا
 ابن دى البقال ، يقول من جملة وصايا عدة : وأمر لرتبة افرارين قلعة رباح مائة مثقال
 فونشية على شرط أن يدفنه الأفرارين منها هنا بطليطة بشنته فليج ، ويزينوا عليه
 كما لو كان افرارى منهم ، وأمر بان يفك زوج نصارى اسيرين في بلاد الاسلام بما
 يقوم في ذلك

ومن أطول الوصايا التي اطلعنا عليها في هذه المجموعة وصية للسمى الدون الفونش^(١)
 متاوش بن دون متاوش بن دون ميغال بن فرون ، أمر بانه متى توفي يعلم ماله كله ،
 قليله وكثيره ، ويبذل عن روحه في سبيل الله ، وأن يزين منه عليه في دفنه وكفنه
 بما يليق لمثله ، ويكون كفنه من الصوف أرخص ما يوجد للشراء ، ويوقد عليه زوج
 قناديل ، يكون زيتهما ربع واحد فقط ، وزوج قناديل أخرى صفار . توقد حيث

يكون جثمانه ، ودفنه يكون بكنيسة شنتة لوقادية ، بقبر جده ، ويزين عليه لتعام الحسنيين يوماً ، وتعام العام ، وتكون القناديل لذلك مثل القناديل المذكورة ، ويقدم عليه مشيتين في كل يوم من يوم دفنه إلى السابع يوم ، ويفرق على المساكين في كل يوم طول السبعة أيام متقال وأمر أن يبتاعوا أوصياؤه المذكورين بعد هذا ملكا بمائتين أو ديار مائة وثمانون مثقالا ، وتجبسها زوجه دونه ميورى طول حياتها ويعمل من فائدها قبلانية عن روح الموصى المذكور تقديس ميشة واحدة في كل يوم للأبد ، وتعمل منه نفرشاريه ^(١) واحد عن روح الموصى في كل عام ، ثم أخذ في توزيع تركته على وارثيه ، وعلى من أراد أن يتصدق عليهم ، وعلى السكنايس والرهابين ، وحبس أملاكا لوارثيه أن يستغلوها ، بدون أن يكون لهم حق بالبيع ، وجعل شرطاً كبيراً من ثروته لزوجه دونه ميورى ، وأيضاً الاماء الست اللاتي كن له ثم قال : والمسلمتين الباقيتين من مسلماتها تبقى لانصاف الوصية ، ولا يعترض أحد خلق الله لدونه ميورى ، والستة إماء المذكورات بوجه قال في هذه الوصية : وميز الموصى المذكور أن نبون المسلم والجمفر بن الجمفرين ، وابراهيم الاحول والاسمر والاعرج المسمى دومنقه روبيوه وبكر ، اهم لزوجه دونه ميورى صارو لها باتراث عن أبويها ولها أيضاً في خاصتها احمدوج السقا ، ابتاعته من مالها المختص بها وقاسم وعلى هما للموصى ولزوجه دونه ميورى ، الحظ الذي فيهما للموصى يباع ويبدل ثمنه في انصاف هذه الوصية ، وقطيع مريم وفضوش الباقي منه هو لدونه ميورى ، ويكون لها في خاصتها اه . نقلنا ذلك لأجل اطلاع القارى ، على كيفية معاملة الاسبانيول لأسرى المسلمين ، وتاريخ هذه الوصية سادس مايو عام ستة وثلاثمائة للصفر .

ثم اطعننا على وصية للدونه متاية ^(٢) زوج الدون غنصالبه البطليرسا كنه بربض الافرنج من طليطلة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد وحده . هذا ما أوصت

(١) Anniversaire بالافرنسية

(٢) Matia

به دونه متايه النخ وتاريخ هذه الوصية سادس ديجمبر عام عشرين وثلاثمائة وألف للصفير . وفي تاريخ ١١٩١ صك يقول فيه :

اشترى يحيى بن محمد الانصارى ، من دون غليان القس ، لزوجه هند بنت عبد الرحمن ابن محمد ، جميع الحجره التى بقرب كنيسة امنيوم شنتوروم ، بمدينة طليطلة ، حرسها الله ، حد هذه الحجره فى الشرق قرال لورثة ديمتقه اياس ، وفى الغرب طريق فيه خرج الحجره المذكورة ، واليه يشرع بابها ، وفى الجوف دار ولد الشقيه المسلم ، وفى القبلة قرال لورثة ديمتقه اياس ، بثمان مبلغه عشرة مثاقيل من الذهب الطيب البياسى النخ .

وفى آخر المجموعة صكوك ووثائق خاصة باليهود ، تجد منها سطرأ بالعبرية ، وسترأ آخر بالعبرية ، ولا جرم أن يهود طليطلة كان لهم شأن عظيم يستدل عليه من كثرة الوثائق المتعلقة بهم ، ومنها سندات لا تخصى لهم على نبلاء النصارى بأموال وافرة . فقد كانوا هم المرابين فى تلك الحاضرة ونواحيها ، وكان عددهم كبيراً ، ومن شاهد كنيس اليهود ^(١) الذى شاهده أنا بنفسى فى مدينة طليطلة ، وهو الذى يعد من أنفس نفائس الصنعة العريية ، ولا يذهب سائح إلى طليطلة إلا ويشاهده ، علم

(١) الكنيس المذكور بنى فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وقيل ان الوزير صموئيل لاوى هو الذى قام بنفقة بنائه ، وكان فى طليطلة عدة كنس لليهود لكثرة عددهم فيها وأحدها حوله الاسبان الى كنيسة باسم « سان رومان ، اما ظن « توما تامايو بركاش Toma Tamayo De Vargas ان كنيسة « صانتا مارية البيضا ، أصلها كنيس لليهود وانه معبد قديم لهم وسابق لمعهد النصرانية وانه كان فى طليطلة جالية يهودية لمعهد المسيح انفرذ ابارها بعدم استحسان الحكم عليه الى غير ذلك فيترجح كونه تخرصاً وأحاديث ملفقة وربما كان بعض اليهود اخترعوا تلك الرواية من بعد ، رامينها الى الزلفى لدى الاسبانول بعد ان ملكوا البلد . وعلى كل حال فليس فى كنيسة « صانتا ماريه ، المذكورة ادنى شبه مع هندسة معابد اليهود بل كلها طرز عربى بحت ان كان فى أقواسها أو فى نقش حيطانها أو فى زليجها أو فى تقسيمها وقد بنيت فى القرن الثالث عشر مكان جامع كان تدعى الى الخراب

مكانة اليهود المادية والمعنوية في تلك الحاضرة^(١)، وكانت لهم أيضاً بجانبها مكانة علمية أدبية، إذ نبغ منهم العلماء والادباء، وكانوا هم أكثر القائمين بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والاسبانية، بحيث انه بواسطتهم انتشرت علوم العرب في أوربة في القرون الوسطى. ولذلك قيل ان أوربة لم تعرف علوم يونان رأساً، وانما عرفتها بواسطة العرب.

فلم يخطيء الذين قالوا إن طليطلة كانت واسطة التعارف بين الشرق والغرب، وان العالمين الاسلامي والمسيحي قد تلاقيا فيها. وقال المسيو جوسه P. Jousset صاحب جغرافية أسبانية والبرتغال المصورة:

ان الرسوبات البشرية التي ثبتت في طليطلة، قد جعلت من هذه المدينة متحفاً حقيقياً، لا متحفاً كالمتاحف المعتادة، التي يجمع أصحابها فيها الآثار النادرة، جمعاً مصطنعاً حتى يأتي الناس ويطلعوا عليها، ولكنه متحف حقيقي أوجده أعصر تبلغ عشرين قرناً، وكل منها ترك أثراً في طليطلة ومن زار أسبانية ولم يزر طليطلة فيعود كأنه لم يعرف أسبانية. فهي مدينة أصيلة ثابتة بارزة، ليس فيها شيء من المعتاد المألوف الذي ملته الأنفس، بل كل ما فيها أصل جليل يهيم الآثاري والمتفنن. وهي وحدها تستحق سياحة السائح الى أسبانية. ومدخلها قنطرة ذات قوس واحد على نهر تاجه. وعلى هذه القنطرة برج مكتوب عليه أن النهر طفي، فهدم الجسر، فرممه الاذفونش، الملقب بالحكيم سنة ١٢٥٢. ثم اكمل تجديده بريماط أسبانية المطران تينوريو Tenorio سنة ١٣٨٠

وكان هذا الجسر من زمان العرب، بل يظن انه كان من قبلهم. وقد نقل « سلازار دو مندوسه » Salazar de Mendoza الكتابة العربية التي كانت

(١) وكان منهم عند ملوك الأسبانيول وزراء وكتاب، وكان صموئيل لاوى ناظر الخزانة عند الطاغية بطرس الملقب بالصارم، ونفذت كلبته عنده كثيراً وان كان قتله في الآخر

طليطلة

السور القديم

ربض كوشولة

المنيرة

التنظف

وادي تاجه

الحمام



مزبورة على الحجر في هذا الجسر: الله اكبر والصلاة والسلام على جميع من آمن بالله ورسوله محمد^(١) ونقل السكونت دوموراه de Mora كتابة أخرى مدفونة في باطن الجسر هي هذه: « بنى هذا الجسر بامر ملك طليطلة العظيم محمد سويد المجاشعي بطليطلة حرسها الله وانتهى سنة ٢٠٤ للهجرة »^(٢)

وجاء في نفح الطيب: وطليطلة قاعدة ملك القوطيين، وهي مطلة على مهر تاجه، وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها، وكانت على قوس واحدة، تكنفه فرجتان من كل جانب، وطول القنطرة ثلاثمائة باع، وعرضها ثمانون باعاً. وخرت أيام الامير محمد، لما عصى عليه أهلها، فغزاهم، واحتال في هدمها. « قلنا: أما هذه القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها فلا يمكن أن تكون القنطرة الحالية، لأن هذه ليست بهذه العظمة التي ذكروها، وان كانت جليلة في ذاتها. وهذه ذات قوس كبيرة واحدة، مع أخرى صغيرة. وقد كانت القنطرة العربية في مكانها، ولكن الوادي عند ما طغى ذهب بها، فرمها الاذفوش الملقب بالحكيم^(٣) ثم ان تنوريو الأسقف الأعظم برماط أسبانية، اكمل تجديد البناء كما مر

وعلى هذه القنطرة برج مبنى من سنة ١٤٨٤، ونمثال للقديس « سان^(٤) ايلدفونس » وكتابة من زمن فيليب الثاني. وعلى الضفة اليسرى من نهر تاجه بقايا حصن سان «سرفنده» أو شربند، كما يقول العرب والفئة المستعربة من الاسبانيول. وهو حصن كان بناه على ذلك الجبل الاذفوش السادس، فاتح طليطلة، الذي في

(١) نقلنا هذا عن جغرافية أسبانية والبرتغال المصورة تأليف جوسه Jousset ولم نطلع على الأصل العربي لهذه العبارة

(٢) لم نعثر على أصل هذه الكتابة بالعربي وانما نقول انها غير ممكنة بهذا الشكل.

ونحن نرويها عن جغرافية أسبانية والبرتغال لجوسه Jousset

(٣) Alphonse le Sage

(٤) Ildefonse

أيامه بدأ انهيار دولة الاسلام في الاندلس . ومن جسر طليطلة الى محطة السكة الحديدية مسافة يشرف منها السائح على منظر بديع ، والى الشمال الشرقى من المحطة يوجد بقايا حصن عربي قديم يقال له اليوم قصر « غاليلانه » (١)

فأما أسوار طليطلة فهي موصوفة بالمنعة ومن رأى طليطلة يقول إنها لا تحتاج إلى أسوار ، لمنعة موقعها الطبيعي ، ولكثرة ما فيها من غور ونجد ، فهي في هذا المعنى أشبه بمدينة لوزان في سويسرة ، لا يكاد يجد فيها الإنسان مساحة مسطحة . تزيد على ٢٠٠ متر بل ترى الماشى فيها يصعد وينزل أبدأ ، وربما كانت طليطلة تفوق لوزان في قلة الاستواء ، فإن أكثر شوارعها لا تسير فيها العربات ، ولهذا تقل المركبات في طليطلة ، والناس تنقل أشياءها على الدواب ، فكيفما توجهت في طليطلة تجد جر الأتقال ضربا من الحلال .

وبرغم هذا فإن الملوك الغابرين قد أحكوا أسوارها ، وجعلوها طبقاً عن طبق ، فجمعت بين المنعنين الطبيعية والصناعية .

ومما لا نزاع فيه أنه مع كل ما بنى فيها الاسبانيول على أيدي مهندسين من الفرنسيين والألمان والاطليان ، وما بنوا فيها من الكنائس والأديار والمستشفيات والمدارس وما عنوا بتغيير شكلها العربي ، لا تزال المسحة العربية غالبية على هذه البلدة ، في ضيق الشوارع ، وقلة نوافذ البيوت ، وسعة الدور الداخلية ، وحصانة الأبواب ، وغير ذلك من أساليب العرب في البناء ، ولا تجد الرهبان والراهبات مقيمين في أديار هي على الطراز العربي إلا في طليطلة . وقد نقل داييل بديكر كلمة في حق طليطلة عن الكاتب الافرنسي المشهور « تيوفيل غوتيه » (٢) هي هذه ، وقد أبدع وصفها : « طليطلة فيها من الدير ، ومن السجن ، ومن القلعة ، ومن الحرم الاسلامي ، وذلك لأن العرب مروا بها » . نعم فيها من الدير لكثرة ماشاد الاسبانيول

Palacio de Galiana (١)

Theophile Gautier (٢)

فيها من المعاهد الدينية تغطية لآثار العرب . وفيها من السجن لما يشاهد من الوثائق
والمتانة في مبانيها وفيها من القلعة لكثرة أسوارها ولمنعة مكانها الطبيعي وفيها من
الحرم لأن بيوتها الأصلية هي بيوت عربية كسائر بيوت العرب في الدنيا
وأعظم بنية في طليطلة هي الكنيسة الكبرى التي يقولها المستعربون «القاعدة»
وهي على اسم مريم العذراء عليها السلام ، وفيها مذابح رومانية ، ومذابح نصف
عربية وهي في الحقيقة بيعة عظيمة بمنتهى الفخامة ، تعد من الدرجة الأولى في
كنائس العالم وموقعها بجذاء الأكمة التي عليها القصر Alcazar

ويقول المؤرخون عن تاريخ هذه الكنيسة انه في زمن ريكاريد القوطي
تشيئت سنة ٥٨٧ كنيسة باسم العذراء ، لا تزال هناك كتابة تدل عليها وكان
بجانبا دار أسقفية أقامها القديسون أوجين ، وإيلاد ، وإيلديفونس ، ويليان . وفي
سنة ٧١٢ ب . م . عند ما فتح العرب طليطلة حولوا هذه الكنيسة إلى مسجد ،
وكانت لهم المسجد الجامع ^(١) ، وتبقى الأمر كذلك إلى سنة ١٠٨٥ التي فيها استولى

(١) كان في هذا المسجد الجامع حوض أمر ببنائه الظافر بن ذى النون سنة ٤٢٣
وقد وجدت كتابة على بلاطة رخام بالخط الكوفي البارز هذا نصها بعد البسملة : أمر
الظافر ذو الرئاستين أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون ابطال الله أيامه
ببنيان هذا الجب بجامع طليطلة حرسها الله فتم بعون الله في جمادى الأولى سنة ثلاث
وعشرين وأربعمئة . وقد ظهر من هذه الكتابة التي نقلها لاوى بروفسال ان الظافر
المذكور تولى طليطلة بطلب من أهلها قبل التاريخ الذي ذكره المؤرخون فقد قالوا انه
جاء خلفاً ليعيش بن محمد بن يعيش سنة ٤٢٧ والحال ان هذه الكتابة مؤرخة سنة ٤٢٣
فهي تصرح بكون الظافر بن ذى النون هو الذى أمر ببناء هذا الحوض اذ اصطلح
الاندلسيون على تسمية الحوض بالجب . وأما لقب ذى الرئاستين فقد لقب الظافر نفسه
به حتى يعلو عن لقب ذى الوزارتين الذى كان لقبه به الخليفة الأموى . وقد وجدت
كتابة ثانية في طليطلة نصها : بما أمر بعمله الظافر ذو الرئاستين اسماعيل بن ذى النون
في سنة تسع وعشرين وأربعمئة

الأذفونش السادس على طليطلة صلحاً بعد حصار طويل (١)

(١) نحب أن نذكر هنا ما قاله دوزى R. Dozy المستشرق الهولاندى الشهير في كتابه : تاريخ مسلمى أسبانية Histoire Des Musulmans En espagne وهو ملخصاً : د ان القادر بن ذى النون كان فرض على أهل طليطلة مبالغ وافرة من المال فأدوها اليه وقدمها للأذفنش . فقال له الامبراطور : (لان الأذفنش السادس كان سمي نفسه بذلك) هذا لا يكفى . فقدم له القادر ذخائر أبيه وجده . فقال له : وهذا أيضاً لا يكفى . فقال له القادر : انى حاضر لاعطائك فوق هذا لكن على أن تعطبنى مهلة . فقال له الأذفنش : انى ممهلك على شرط أن تسلبنى أيضاً حصونا تكون رهناً عندى . فرضى القادر بهذا الشرط اذ لم يكن له قدرة على الامتناع فكان مضطراً أن يرضى بكل شىء . وكان يرى سيف الأذفونش معلقاً فوق رأسه لا يستطيع أن يخالفه فكان يدفع المال بعد المال ويخلى الحصون بعد الحصون ولأجل ارضاء الامبراطور يفرض المغارم الثقيلة على رعيته التى بدأت تهاجر الى مملكة سرقسطة . وكان الأذفونش كلما ازداد القادر طاعة له يزداد عنواً فاتمى الأمر بان فرغت يد القادر لجاء الأذفونش واكتسح ارباض طليطلة فحاول القادر أن يدافع عن عرشه لكنه رأى نفسه عاجزاً فعرض على الأذفونش تسليمه طليطلة تحت شروط وهى ان الأذفونش يتعهد بتأمين أهالى طليطلة على أموالهم ودمائهم ومن شاء منهم الهجرة هاجر ومن شاء الاقامة أقام وانه لا يفرض عليهم الا غرامة واحدة مقررة من قبل وان المسجد الاعظم يبقى للمسلمين وان الأذفونش يساعد القادر على ملك بلنسية

فرضى الامبراطور بهذه الشروط وفى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ دخل الأذفونش طليطلة وقد بلغ من العظمة ما ليس له حد وما لا يساويه إلا ما بلغه أمراء المسلمين وقتئذ من الدناءة فاقبلوا عليه من كل فج يقدمون له الهدايا ويعرضون طاعتهم ويعلنونه أنهم ليسوا أكثر من جباة عنده فتسمى الأذفونش بملك الملتين وكان يكتب ذلك فى مناشيره ولم يكن يخفى احتقاره لأمراء الاسلام . ولما جاء حسام الدولة بن رزين يبنى الأذفونش بفتح طليطلة مقدماً له نفائس الهدايا كان عند الأذفونش فرد يلعب أمامه فأنعم عليه به ورجع حسام الدولة مفتخراً بأن الامبراطور أنعم عليه بقرد وغد ذلك من أعظم النعم . وكان فى بلنسية ولدا عبد العزيز يتنازعان ملكها وكان فيها حزب ثالث يريد تملك صاحب سرقسطة وحزب رابع يميل إلى القادر بن ذى النون وقد

وكان المسلمون قد اشتروا لأجل تسليم البلدة بقاء المسجد الجامع لهم ورضى

كان هذا يظاهرة جيش قشتالة تحت قيادة (القارفانيس) Alvar Fanez وكان البلنسيون مضطرين أن يقدموا ميرة هذا الجيش وكانت تكلفهم ستائة ذهب في النهار فقالوا للقادر إنهم في غير حاجة إلى هذا الجيش حتى يطيعوه فلم يسمع القادر كلامهم لأنه كان يعلم أنهم لا يحبونه فاستبقى القشتاليين في بلنسية استظهارا بهم وفرض على أهلها وأهالي ملحقاتها غرامات منقضة للظهور ولبص الأعيان من أموالهم ومع هذا فلم يقدر أن يقوم بكل ما يتطلبه القشتاليون فعرض عليهم أن يقطعهم أراضي في مملكة بلنسية فرضوا بذلك وتملكوا القرى ولكنهم لم يقوموا على حرثها بأنفسهم بل جعلوا فيها زراعاً يحرثونها لهم واستمروا يشنون الغارات على الأطراف وانضم إلى الجيش القشتالي جماعة من غوغاه العرب ومن العبيد ومن الأشقياء أصحاب السوابق في الاعتداء وقطع السابلة وارتد هؤلاء عن الاسلام وأخذوا يفعلون الأفاعيل التي لم يسمع بمثالها فكانوا يسفكون الدماء ويهتكون أعراض النساء وربما باعوا الأسير المسلم بزق خمر أو برغيف من خبز أو بقطعة من حوت وكانوا يمثلون بمن يمتنع عن إعطائهم ما يريدون فيقطعون لسانه أو يفقأون أعينه أو ياقون به للكلاب المفترسة لتأكله . فكانت بلنسية وقتئذ في الحقيقة ملكا للأذفونش ولو كان القادر بن ذى النون ملكا عليها في الظاهر ، وكانت سرقسطة أيضاً تحت حصار الإمبراطور وقد أقسم أن يفتحها ، وكان هناك القائد القشتالي غرسية شيميناس بجماعة من فرسانه يشن الغارات على المرية وكان صاحب غرناطة في المقيم المقعد أيضا مع القشتاليين . وفي ربيع سنة ١٠٨٥ نازل القشتاليون أهل غرناطة في عقر دارهم ووقع الرعب في قلوب المسلمين حتى صار الخمسة منهم لا يقومون لواحد من النصارى ووجد في إحدى المرات أربعائة جندي من المرية وكانوا من نخبة الجند فهبوا من وجه ثمانين قشتاليا فعم اليأس جميع المسلمين ورأوا أنه لم يبق أمامهم إلا إحدى خطتين ، إما الرحيل عن أوطانهم ، وإما الدخول في طاعة النصارى ، وبقيت خطة ثالثة وهي استصراخ المرابطين من إفريقية . ثم ذكر دوزى كيف دعا المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين لاقاذا الأندلس ولما ذكر له ولده الرشيدما في ذلك من الخطر عليهم أجابه أنه لم يبق أمامنا إلا إحدى هاتين الخطتين إما أن نخضع لحكم النصارى وإما أن نرضى بولاية المرابطين وإني أفضل أن أرى الجمال في إفريقية على أن أرى الخنازير في قشتالة وسأتي ذكر ذلك تفصيلا في باب التاريخ .

الأذفونش بذلك . قال ابن بسام . لما تواتت على أهل طليطلة العتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء ، واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى ، أموالهم وأرواحهم ، كان من أعجب النوادر الدالة على الخذلان ان الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ، ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها ، لم ترفع الغلة من الأندرحتى أسرع فيها الفساد . فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى ، لامرأاده ، من شمول البلوى ، وعموم الضراء ، فاستولى العدو على طليطلة ، وأنزل من بها على حكمه . وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ، وراه الناس ويده أسطربلاب ، يأخذ به وقتاً يرحل فيه . فتعجب منه المسلمون ، وضحك عليه الكافرون .

وبسط الكافر العدل على أهل المدينة ، وحبب التنصر إلى عامة طغامها ، فوجد المسلمون بذلك ما لا يطاق حمله ، وشرع في تغيير الجامع كنيسته في ربيع الأول سنة ست وسبعين واربعمائة .

ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الأستاذ المغامى رحمه الله تعالى صار إلى الجامع وصلى فيه ، وأمر مريداً له بالقراءة ، ووافاه الفرنج ، لعنهم الله تعالى ، وتكاثروا التغيير القبلة ، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته ، وعصمه الله تعالى منهم ، إلى أن أكمل القراءة ، وسجد سجدة ، ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديداً ، وخرج ولم يعرض له أحد بمكروه اه .

قلنا إن الأسبان كانوا يعلمون أن تلك الساعة هي الساعة الأخيرة للجامع فصبروا على هذا الشيخ الجليل حتى أتمها بآخر عبادة اسلامية فيها

وفي ١١ أغسطس ١٢٢٧ جعل ملك أسبانية ، الذي يقولون له القديس فرديناند هذه البنية دكا ، حتى يبنى مكانها بيعة على الطراز القوطى ، الذى منه كنائس شمالى فرنسا ، وجنوبى ألمانيا ، وانتدب المهندس الافرنسى بطرس بترى ، الذى بقى متولياً لإدارة تشييدها مدة تزيد على خمسين سنة ، وبعد وفاته عمل فيها مهندسون

آخرون ، أشهرهم رودريغ الفونسه ، وجوان غواس ، والبير غومس ، ومرتين شانجس وغيرهم ، فالعمل فيها لم ينقطع مدة طويلة ، وهى قائمة على خمسة صفوف من الاساطين وطولها ١٢٠ متراً وأربعون سنتيمتراً ، وعرضها ٥٩ متراً و١٣ سنتيمتراً وبنائها من الحجر المحبب ، إلا أن نقوشها الخارجية والداخلية هى فى الحجر الكلسى ، ولا يضرعها فى أسبانية إلا كنيسة اشبيلية من بعض الوجوه . وكنيسة طليطلة أطول من كنيسة اشبيلية بعشرة أمتار إلا أن كنيسة اشبيلية أعلى بعشرة أمتار . ومزايا كنيسة طليطلة على كنيسة اشبيلية هى فى تناسب الأقسام وبداعة الزخرف وتخريم المذبح الأعظم ، حتى كأنه قطعة من العاج المحرّم المرصع .

ولا عجب ، فقد بقى العمل فى القاعدة العظمى ، بحسب قولهم ، مدة ثلاثة قرون ولها ثمانية أبواب ، أكثرها من الأعاجيب . وهى أبواب الغرب التى لا يفتحونها ، مقتصرين على الباب الجنوبي المسمى بباب الاسود ، والباب الجوفى المسمى بباب الساعة ، الذى يشرع من جهة المدينة العليا . وفيها عدة مذابح ، منها مذبح نصف عربى . ولكن جميع بدائع الصنعة والنقش والتصوير مستوفاة فى المذبح الأعظم . وبقود الاقواس كلها من المرمر ، تحيط بأعناقها قلائد مذهبة من الصنعة العربية

Arabesque

وفى هذه الكنيسة من صنوف الخرط والنجر وفنون التنزيل والحفر ما يعجز القلم عن وصفه ، فليس له إلا النظر بالعين ! وماذا تقول فى بناء لبثوا يعملون فيه ثلاثمائة سنة ، وبذلوا عليه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، واستجادوا له أشهر الصناع فى عصرهم ، وأمهرو النحاتين والمصورين فى أوقاتهم؟! وفى خزائن هذه البيعة كنوز هى فوق التخمين من كل نوع ، قد تراكمت من قرون . ولكن الذى يريد الفرجة لا يتقدر أن يتبين محاسنها ، من ضعف النور الذى يدخل إلى الكنيسة ، لأنهم ، كما لا يخفى ، يستحب عندهم فى الكنائس أن يكون نهارها ليلاً ، لما فى ذلك من الهيبة بزعمهم ، وهذا ما رأينا الكثيرين من الافرنج ينتقدونه ، ويقالون بينه وبين مساجد الاسلام التى تفيض نوراً .

وأما المذبح نصف العربي فقد جعلوه بقرب الباب ، وقد كان بناؤه على يد المهندس هنرى دوإيفاس ، بأمر الكردينال شيماينس الشهير Jiménes وذلك سنة ١٥٠٤ ، وهم يقدسون على هذا المذبح بحسب الطقس القوطى الذى وضعه سان ايزيدور . وكانت فى طليطلة قد بقيت ست كنائس محافظة على الطقس القوطى إلى سنة ١٨٥١ ، فمن ذلك الوقت توحد الطقس ، وصار رومانياً محضاً .

ومن كنائس طليطلة المدودة كنيسة سان جوان ^(١) الملوك ، وهى كنيسة بناها فرديناند وإيزبلا على الأسلوب القوطى ، والأسلوب المعروف بالريناسنس ^(٢) مجموعين فيها وقد بذل فرديناند وإيزبلا فى بنائها قناطير مقنطرة من الذهب فحاجت من أبداع الكنائس زخرفا وكانا أعداها لدفنهما فيها ، إلا أنهما عدلا عن ذلك الرأى بعد استيلائهما على غرناطة سنة ١٤٩٢ ومحوها كل أثر للملك الاسلام فى الأندلس فقرررا عند ذلك أن يكون دفنهما فى كنيسة غرناطة ، وتوقف العمل فى كنيسة سان جوان هذه ، ولم تم إلا فى القرن السابع عشر . فلذلك اختلف طرز بنائها فى ذاته بحيث جمعت بين أسلوبين متغايرين . وعلى جدران هذه الكنيسة الخارجية سلاسل حديد يقولون انها كانت قيوداً لأسارى المسيحيين الذين أنقذهم فرديناند وإيزابلا يوم دخلا غرناطة ، وفى هذه الكنيسة صور للقديس سان جوان . وصورة شعار الملكين فرديناند وإيزابلا وأسلحتهما ، والمذبح الاعظم من هذه الكنيسة منقول من كنيسة شنت افرج ^(٣) القديمة ، قال فى دليل بديكر : إن زينة حمراء غرناطة ونقوشها قد تمثلت هنا بصور مسيحية . وقد كانت هذه الكنيسة فى يد الفرنسيسكانيين ، ثم تحولت من زهاء مائة سنة كنيسة لأهالى الحلة المجاورة . وكان بجانبها دير تحول متحفاً ومدرسة صناعية .

San Guan de las Reyes (١)

Renaissance (٢)

Santa Cruz (٣)

وموقع هذه البيعة هو على أكمة مشرفة ، تشرح منها الأنظار على وادي تاجه ، وعلى البقعة^(١) ، وعلى شارات سان برناردو وغريدوس . وإلى الشمال الغربي من دير سان جوان الملوك يقع الباب المسمى عند العرب بباب المسكاره^(٢) ، وعلى مقربة من هناك في بقعة يقال لها بآجه كنيسة سانتا لوقادية . وهي قديمة ، بنيت في القرن الرابع ، في المكان الذي يقال ان القديسة لوقادية نالت فيه اكليل الشهادة ، وكان

La Vega (١)

(٢) AI - Makara وحق هذه اللفظة أن تكون « المكارة » ، بألفين اثنتين وهي مصدر كراه الدابة ، والفاعل مكار ، ويقال مكارى الدواب وكرى الدواب أيضاً . هذا ويقال إن هذا الباب كان موجوداً في زمن القوط ثم جاء الغرب فبنوه على ذوقهم ثم لما استرجع الاسبان طليطلة هدموه وبنوه من جديد على طرز أبنيتهم ولكنه بقي منه قوس عربي واحد يعتمد على أعمدة مكتوب على أحدها : الله اكبر . اشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وقد نقل « جوسه » في جغرافية أسبانية والبرتغال عن « سلازار مندوزه » كتابة يقولون إنها كانت باقية في الحجر إلى زمن فيليب الثاني ومعناها على عهدتهم هو هذا : لا اله إلا الله محمد رسول الله جميع المؤمنين الذين يعتقدون بنبينا محمد ويقبلون أيدي المراط مولاى عبد القادر يغفر الله لهم ذنوبهم ولا يكونون في يوم من الأيام صماً ولا عمياً ولا مقطوعى الأعضاء . ويتلقون منه البركة في ساعة الموت ولا يعتلون قبل موتهم إلا ثلاثة أيام وينهبون إلى الجنة وعيونهم مفتوحة وذنوبهم مغفورة انتهى قلت : هذه القصة مستغربة جداً فانه لا يذكر أى عبد القادر هو المقصود هنا ؟ فان كان عبد القادر الجيلاني الولي الشهير الذى تقال فيه مثل هذه الأقاويل فالشيخ عبد القادر الجيلاني مات سنة ٥٦١ هـ أى بعد فتح الاسبان لطليطلة بثلاث وثمانين سنة ويستبعد جداً أن يكتب المسلمون في طليطلة على باب من أبواب المدينة كتابة منقوشة على الأحجار ان لم تكن البلدة في أيديهم ولم تكن الولاية عليها للإسلام . وأما إن كان المراد بالمراط عبد القادر شخصاً آخر من الأولياء الذين عاشوا قبل خروج طليطلة من يد الاسلام فمن العجب أن يذكر اسم هذا المراط غفلاً بدون نسبة ومن العجب أيضاً أن تقال جمل كذه في كتابة مزبورة على الحجر لمخالفتها للسنن ولذلك لنا شبهة قوية في صحة وجود كتابة كهذه

العرب قد هدموها ، فلما رجع الاسبانيول جددوها .
 وعلى ضفة نهر تاجه قريباً من هناك معمل السيوف ، وتاريخ إنشائه سنة ٧٨٨
 ولكن لم تبق لسيوف طليطلة تلك الأهمية ، بعد أن بقيت قروناً مشهورة بهذه الصناعة
 من زمن الرومان إلى زمن القوط ، إلى زمن العرب ، إلى زمن الأاسبان ، لاسيما
 القرن السادس عشر ، ومن النصبال الطليطلية انمؤذجات بديعة في متحف مجريط ،
 وإلى الجنوب من باب المكاره ، قطعة من السور تنتهى بباب سان مرتين ، وإلى
 الشمال من هذا الباب المسلخ الذى يقال انه كان في مكانه قصر الملك لذريق ، الذى
 منه انبزع العرب جزيرة الاندلس ، وهو الذى افتض كريمة الكونت يليان المسماة
 فلورنده^(٢) ، ولأجل ذلك حنق هذا الكونت حنقاً بلغ به أن دعا العرب لاجتياح
 الأندلس ، ففتحوها ويقال من جملة الاساطير انه كان يوجد هناك كهف يقال له
 كهف هرقل ، نظر فيه لذريق مرة فعثر على كتابة تؤذن بانتهاء ملك الاندلس .
 وعلى الوادى يوجد جسر سان مرتين ، معقود فوقه الى الغرب من البلدة . وكان
 بناؤه سنة ١٢١٢ ، ثم تجدد سنة ١٣٩٠ . وله خمسة أقواس ، الاوسط منها يرتفع
 ثلاثين متراً ، وعليه برجان . وإلى اليمين منه تحت السور حمام يقال له حمام الكهف^(١)
 حيث الملك لذريق شاهد فلورنده كريمة الكونت يوليان تستحم ، وكان بعد
 ذلك ما كان .

وإلى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت في القديم حارة اليهود ، التى كان
 يقال لها « الجديرة » ، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصناً حصيناً يضعون فيه أموالهم
 وأما كنيسة مارية البيضاء فكانت في الأصل كنيسة لليهود ، بنى في القرن الثانى عشر ،
 ثم تحول كنيسة للنصارى في بداية القرن الخامس عشر ، ثم صارت محل خلوة
 للمتسكين ، ثم ثكنة عسكرية ، ثم مخزنا . وهى ذات بناء فخم على ثمان وعشرين

Florinda (١)

Bain de la Cave (٢)



الملك لندريق مع الأميرة فلوريندة ابنة بليان صاحب سبتة التي من أجل قصتها أغرى بليان العرب بغزو اسبانية

قوساً ، وقواعد أساطينها مزينة بالزليج ، والصنعة العربية . وأما الكنيس الشهير الذى يقدم الكلام عليه فيقال له كنيس^(١) الانتقال ، فقد بناه الخاخام «ماير عبدلى» على نفقة صموئيل لاوى ، كما تقدم الكلام عليه . واتقن بناؤه إلى النهاية ، فلما طرد الملوك الكاثوليك يهود اسبانية حولوا هذا الكنيس إلى كنيسة باسم سان بنيتو ، وسماهوه إلى فرسان قلعة رباح ، ثم تحول كنيسة باسم العذراء . وإلى الشرق من هذا الكنيس يوجد بيت المصور الشهير غريكو^(٢) الذى له آثار كثيرة فى كنائس طليطلة وأصله يونانى من جزيرة كريت وقد ساقته الأقدار من البندقية إلى طليطلة سنة ١٥٨٥ فسكن فى طليطلة فى قصر المريكز « فيلته »^(٣) والآن يوجد هناك متحف لآثار غريكو

ومن كنائس طليطلة كنيسة يقال لها سان جوان الندامة^(٤) بناها الكردينال شيميناس سنة ١٥١٤ ، وجعل معها ديراً ، وهى فى شرقى البلدة . ومن الكنائس المعدودة كنيسة سانتو طومى^(٥) وكانت جامعاً فحولوه كنيسة ، وجددوا بناءه فى القرن الرابع عشر ، ولكن منارته لا تزال على أصلها . وفى هذه الكنيسة قبر الكونت أورغاز الذى جددها على نفقته . وإلى الجنوب من هذه الكنيسة قصر كان يقيم به الأمبراطور شالكان ، وفيه ماتت امرأته ايزابلا البرتغالية ، وفى هذا القصر صناعات عربية وقوطية مختلطة

ومن كنائس طليطلة المعدودة كنيسة سانت ياقو الربض بنيت لعهد الازفونش السادس ، وهى على الهندسة العربية ومنارتها لا تزال منارة مسجد اسلامى . وأما

(١) أى انتقال مريم العذراء إلى السماء Sinagoga del transito

(٢) Greco

(٣) Villena

(٤) Penitencia

(٥) Santo Tomé

الدار الاسقفية التي يقيم بها برماط اسبانية ، وكان له ذلك الشأن العظيم حتى كان يجاذب الملك الجبل فهي قبالة الكنيسة الكبرى من الجهة الغربية

قال المسيو جوسّة صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال المصورة : لو أردنا أن نتكلم عمّا في طليطلة من قصور كانت لنبلاء العرب والاشبيليين في تلك الشوارع الضيقة وعلى مفارق الطرق ، وذلك مثل قصر آل بركاش^(١) وآل ما كيدة^(٢) ومونارس^(٣) وغيرهم وقصر البقعة^(٤) ، وقصر الميزة^(٥) بقاعته العربية المدهشة لاستلزم ذلك كتاباً مستقلاً . وقاعة الميزة هذه ذات سقف نادر النظير في صنعته العربية . وطولها ٢٠ متراً ، وعرضها سبعة أمتار وعلوها ١٢ متر

ومن قطرة طليطلة يسير الانسان صُعداً إلى الشمال الغربي فيمر بالسور العربي الذي كان للمدينة وبسور أحدث منه بُني لأجل حماية الحارة المسماة بالربض^(٦) .

(١) Vargas وهي عائلة معروفة مشهورة ربما كان منها بركاش المغرب الذين منهم والى رباط الفتح الحالى السيد عبد الرحمن بركاش ومن أراد أن يطلع على تاريخ هذه العائلة فعليه بكتاب « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح » للشيخ محمد أبى جندار

(٢) Maqueda حتى الآن لم يظهر لنا حقيقة هذا الاسم

(٣) Munarriz

(٤) Vega

(٥) Mesa

(٦) Arrabal الاسبانول يقولون للربض « الربال » بقلب الضاد لاما وهو بدون شك تحريف الا انه وجد لذلك أصل في اللغة العربية وقد نص على ذلك علماء اللغة ولما كنت في جبال الحجاز سمعت هذه اللغة من ثقيف وهذيل في ناحية يقال لها الشفا فسمعتهم يقولون « الليف » باللام المفخمة يريدون بها « الضيف » وصلاة « اللهور » في صلاة « الظهر » وقرية « الليق » في قرية « الضيق » وهلم جرا . وقد ذكرت ذلك في كتابي « الازتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف » وعقبت عليه بقولى : ولما كنت في الأندلس سمعتهم يقولون في كل بلدة « الرّبال » يعنون به ضاحية البلدة فاردت أن أعرف مأخذها فقرأت في كتبهم انها لفظة عربية محرقة عن « الربض »

وبعد مسيرة خمسة دقائق يصل إلى باب عربي البناء يقال له باب « السول »
Puerta del Sol قيل إنه بنى سنة ألف ومائة مسيحية ، أى بعد استرداد
الاسبانيول لطليطلة ، ولكنه بنى على الطرز العربي ، وكان هذا الباب في القديم هو
باب طليطلة الحقيقي . ولم يتفق المؤرخون في تاريخ هذا الباب : فقال بعضهم : إنه بنى
لعهد الازفونش السادس ، وقال بعضهم : انه بنى في آخر زمان العرب ، وعلى مقربة
من هذا الباب باب آخر يقال له باب « بيزغرة » Visagra وأصله باب شقره
بناه الأسبانيول ، وعليه تمثال النسر ، شعار الأمبراطور شارلكان ، ويوجد باب آخر
يقال له « بيزغرة انتيكة »^(١) Visagra Antigia أى العتيقة لأنه من زمان العرب

فسكرت حينئذ في قلب الضاد لاما عند هذيل ومن جاورهم من ثقيف وقلت من يدري ؟
فلعل أول من تلفظ بالربض هناك تلفظ بها باللام ، فقد كان في غزاة الاندلس كثير
من هذيل وثقيف . انتهى . ولما كان كتابي هذا قد طبع بمطبعة المنار في القاهرة وتولى
تصحيح مسوداته الأستاذ الأكبر فقيد الاسلام السيد رشيد رضا رحمه الله فقد علق
على عبارتي هذه في الحاشية ما يأتي : يخرج الضاد العربية الفصحى قريب من اللام
المفخمة ، فهو بينها وبين يخرج الضاد ، ولهذا تشبه الضاد تارة بالطاء في نطق كثير العرب
الى عهدنا هذا وتارة باللام المفخمة في نطق هؤلاء الهذيلين والثقيفين . ومثل هذا الاشتباه
يكثر في النطق ، ولا سيما نطق الذي يعجل بالكلام فيلتقاه بعض السامعين محرفاً فيصير
التحريف اصلاً متبعاً . وذكروا علماء اللغة انه سمع ابدال اللام من الضاد فقالوا « الطجع »
أى اضطجع كعكسه في قولهم رجل « جضد » أى « جلد » . وبعد كتابة ما تقدم
راجعت مادة ضجع في التاج فاذا هو يقول : قال المازني : ان بعض العرب يكره الجمع
بين حرفين مطبقين فيقول « الطجع » ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها وهي
اللام . زاد في اللسان : وهو شاذ . وقال الأزهرى : وربما أبدلوا اللام ضادا كما أبدلوا
الضاد لاما قال بعضهم « الطراد » و« اضطراد » لطراد الخيل . انتهى . نقلنا كلام السيد
الامام هنا لفائدته

(١) هذه اللفظة محرقة عن بيب شقرة إذ لا يخفى كون الآمال الاندلسية جعلت

وهو بناء يستحق النظر ومنه يسير الانسان على طريق عريض على جانبيه الأشجار إلى باب يقال له باب « قرون » Cambron وهناك بقايا قصر آل بركاش . ولا يجوز أن ننسى من آثار طليطلة التاريخية الكنيسة التي بقرب باب السول ، والتي يقال لها « سانتو كريستو دولالوز » Santo Cristo de la Luz أى النور وأصل هذه الكنيسة الصغيرة مسجد صغير بنى سنة ٩٢٢ مسيحية ، كما يستنتج من الكتابة العربية التي على بابه ^(١) ، وهو على ستة صفوف من الأعمدة ويقال إن أعمدته مأخوذة من كنيسة قوطية قديمة والله أعلم ، وتعلق خرافة بهذا المسجد المقلوب كنيسة والذي له ولأمثاله قال الشاعر العربي رائي طليطلة يوم استولى عليها النصارى :

مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ ! أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرَأُ وَلَا يَطِيرُ !

وهذه الخرافة معناها انه لما دخل الاذفونش السادس إلى طليطلة ، وكان معه القمبيدور الملقب بالسيد سجد حصان السيد بزعمهم امام حائط هناك ، فهلمهم سجد الحصان من نفسه فبحشوا فى الحائط ، فوجدوا فيه مصلوباً ، وبجانبه سراج يضىء زيته من زمن القوط .

(١) يقال لهذه الكنيسة الصغيرة كنيسة بيب مردوم أى الباب المردوم والبيب كما لا يخفى هو الباب بلفظ أهل الأندلس الذين كانوا يتكلمون بالامالة وكان على باب الجامع الذى تحول كنيسة كتابة تاريخها ٣٧٠ للهجرة كشفوها سنة ١٨٩٩ وتكلم عنها مارسه Marçais فى كتابه عن الفن الاسلامى . وكذلك ذكرها لامبار Lambert فى كتابه عن طليطلة وفى كتابة أخرى « فن البناء الاسلامى بقرطبة و طليطلة فى القرن العاشر » . وكان العالم الاسبانىولى أما دوردولوس ريوس Amador de Los Rios قد حل هذه الكتابة بما يفيد أن الجامع بنى بمعرفة مهندس اسمه موسى بن على وشخص آخر اسمه سعادة وذلك فى المحرم سنة ٣٧٠ وفق ٩٨٠ قال لاوى بروفنسال الذى نقلنا عنه هذه الرواية من كتابه « الكتابات العربية فى اسبانية » ، إنه هو فى سنة ١٩٢٥ لم يستطع قراءة هذه الكتابة ما عدا البسملة . فلعلها سنة ١٨٩٩ كانت لانزال محفوظه وكانت قرائتها لانزال ممكنة .

وأشهر قصر في الاندلس هو قصر طليطلة المبنى على أعلى قمة من تلك البلدة ، فقد كان فيما يظهر مقر الامارة من قديم الدهر ، ففيه أقام الايبيريون ، ثم القوط ، ثم العرب ، ثم الاسبان ، وفيه نزل اذفونش السادس يوم دخل طليطلة . ولقد تبذلت هيئته كثيراً بكثرة ما توالى عليه من الحريق . وكان كلما احترق جددت الملوك بناءه ولكن الذي لا يتغير فيه هو مسرح النظر الذي له ، والذي لا يضارعه منظر لقصر من قصور اسبانية كلها . وقد كان هذا القصر تارة حصناً وطوراً قصراً ، وتعاقبت عليه أدوار مختلفة .

وأشهر ساحة في طليطلة ، وهي التي فيها أكثر حركة البلدة ، الساحة التي يقال لها ساحة البر^(١) أي ساحة القمح ، ومنها يصعد الصاعد إلى القصر ، وبالاجمال لا يوجد بلدة أكثر من طليطلة قد حفظت الهيئة والبيئة العريبتين ، وكيف ما توجه السائح فيها يعثر على نقوش عربية ، وزليج ، وخشب محفور من آثار العرب ، وقد ذكر جوسه انه وجدت تيجان ذهب مخرمة في ضواحي طليطلة ، وتحقق انها من كنوز العرب المدفونه ، ومن قديم الدهر كان في طليطلة أبنية فخمة ، وللارشيبيرست يوليان بيريز Julian Pérez تاريخ أحصى فيه عدد الكنائس القوطية التي هدمها العرب أو حولوها الى جوامع ، مثل شان قرشتوبل Cristobal ، وسان لورنزه ، وسان يشته Justo وسانتا مرية المجدلية ، وسان ايزيدور ، وسان انطولين والمقبرة التي كانت في كنيسته شنت ليقودية ، فقد زعم هذا القسيس ان العرب خربوا جميع هذه الكنائس ، وجعلوا عاليها سافلها ، وقال انه كانت في طليطلة اديار كثيرة من قبل ما أعلن الملك القوطي ريكايد إلغاء المذهب الارىوسى ، وأمر بأن تكون الكنائس هي المذهب السائد بدون منازع ، وذكر ان العرب تركوا بعض هذه الأديار للمسيحيين مثل سان سيلفانو Silvano

وأما تاريخ طليطلة فخلاصته انها كانت العاصمة الدينية والمدنية لاسبانية في زمن القوط ، وانه انعقد فيها ستة عشر مجماً ، آخرها كان انعقاده سنة ٦٣٣ ، تحت رئاسة يزيدور مطران اشبيلية ، الذي كان عندهم قديساً ، وأكثر أسباب هذه المجمع الدينية كانت ناشئة عن الجدال بين الاربوسية والكثلكة . وكان مبدأ الاربوسية آراء قسيس شهير اسمه آريوس Arius ، ولد في برقة أو الاسكندرية سنة ٢٨٠ للمسيح ، ومات سنة ٣٣٦ . واشتهر بتجديد عقيدة سابليوس وبولس الميرسائي ، وهي التي تقول بأن المسيح لم يكن هو ابن الله فعلاً ، وانما كان ابنه اسماً ، والله هو الأب فقط ، واتبع عقيدة اريوس جم غفير فحكم مجمع الاسكندرية بكفره سنة ٣١٩ ولكن بقي له تبع كثير بحيث ان الامبراطور قسطنطين اضطر إلى عقد مجمع عام هو المجمع المسمى بالمجمع النيقى ، لأنه انعقد في نيقية بقرب القسطنطينية سنة ٣٢٥ ، فقرر المجمع المذكور بالأكثرية لا بالاتفاق ان الابن والآب طبيعة واحدة ، وأن المسيح هو الله مثل الآب ، وانه هو الابن ، وحرر دستوراً للايمان على هذه القاعدة ولم يزل هذا الدستور هو قانون الدين المسيحي إلى يومنا هذا . وقد صدر أمر الامبراطور قسطنطين بنفي اريوس مدة من الزمن ، إلى أن سكنت الخواطر ، ثم أذن له في العودة الى الاسكندرية ، وربما كان قسطنطين في الباطن مائلاً إلى عقيدة اريوس ، لكنه كان مضطراً إلى مجازاة العامة ، ثم مات اريوس ولم تمت عقيدته وانقسم بها الرومانيون إلى قسمين ، فتمسك بها بعض قياصرتهم كقسطنس ، وحمل عليها الآخرون كتيودوسيوس . وأخيراً تلاشت في المملكة الرومانية ، إلا أنها عادت فظهرت بين البرابرة الذين جاءوا من الشمال مثل القوط ، والوندال ، والبرجونيين ، واللونبرديين ، ثم تغلبت عليها الكثلكة في القرن السابع ، ثم عادت فظهرت مرة ثالثة بعد الاصلاح البروتستانتي ، وعرف بها فئة يقال لهم السوسينيون ، نسبة إلى رجل لاهوتي من ايطالية انتصر لهذه العقيدة ، بل أنكراً أكثر قواعد النصرانية . وقد كان في طليطلة هذه عقد المجمع الذي حكم بتحريم مذهب اريوس .

ولما افتتحها العرب لم يجمعوها عاصمتهم ، كما كانت في زمن القوط ، وآثروا عليها قرطبة لكونها أقرب إلى افريقية ، فصارت طليطلة تعصى أمر قرطبة ، وتثور على بنى أمية ، ولكن عمرانها لم يتقلص بالثورات ، لكثرة ما كان بها من الصنائع ، مثل صناعة السيوف ^(١) وصناعة نسج ^(٢) الحرير والصوف ، ولأن بقعتها من

(١) يقال إن الرومانيين عند ما ملكوا طليطلة وجدوا فيها صناعة السيوف زاهرة ثم لما جاء العرب اليها وجدوها أيضاً كما وجدها الرومانيون وإنما زادوها إتقاناً بما كان لأهل دمشق من رسوخ القدم في هذه الصنعة . وبقيت طليطلة تصنع السيوف طول مدة العرب فيها ثم بعد أن رحلوا عنها مدة ستة قرون والناس تنافس بالسيوف الطليطلية . ولكن عند ما جدت الأسلحة الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر قضت على سيوف طليطلة . وكان الطليطليون غير مقتصرين على صنعة السيوف بل كانوا يصنعون أيضاً ابر الفولاذ وكانوا يصنعون السروج وعدد الخيل والمهاميز وزرد الدروع . وكانت عندهم صناعة الخبز والصناعة المسماة في دمشق بالقاشاني

(٢) كانت طليطلة مركزاً لصناعة نسج الحرير والصوف والمخمل والأطلس بجميع أنواعها ولم تكن اشيلية ولا قرطبة تفوقانها في هذا وكان النساءون في طليطلة وارباضها خمسين الف عامل . وفي القرن السادس عشر كانت فيها صنعة الطربوش فكان يعمل بها بضعة الآف عامل وكانوا يشحنون في ذلك الوقت إلى نحو من خمسة ملايين طربوش في السنة إلى افريقية وإلى البلاد الشرقية . وكانوا يصنعون القلائس والكمم والطاقت المزركشة بأنواعها

ومما اشتهرت به طليطلة لذلك العهد صنعة الخبز التي كانت فيها المثل الأعلى وكانوا يصنعون نوعاً من الاقراص بالسمن والسكر واللوز لم يكن أحد يباريهم فيه وكانت للخبازين في طليطلة مكانة لا يستخف بها وأول كتاب في الطبخ طبع في اسبانية وكان طبعه سنة ١٥٢٥ في طليطلة . ولا يزال إلى هذا اليوم مع تقلص عمران طليطلة محفوظاً بها بعض الشيء من ذلك الاتقان في الخبز وهم يصنعون مريات كثيرة من الفواكه أما الصناعات الباقية إلى الآن في طليطلة بعد أن سقطت عن معالمها القديمة فهي نسج الحرير والقطن ونقش المعادن على طرز دمشق مما يسمى في اوربة بالاراباسك والادوات الكنسية والحفر والتنزير في الخشب وما أشبه ذلك . فطليطلة بعد أن نزل عدد سكانها من مائتي الف نسمة إلى عشرين ألفاً لا تزال تعد من المدن الصناعية

أخصب بقاع الأندلس فكانت تبقى السنين الطوال والخلفاء يحاولون إخضاعها ،
ويغادونها ويرأوحونها بالجيش ، وهي مع ذلك عزيزة منيعة ، ثابتة راسخة ، أمنع
من عقاب الجو . وقد كان استرداد الأسبانيول لطليلة مبدأ تأخر العرب بدون
نزاع ، وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال :

حُتُوا رَوَاحِكُمْ يَا أَهْلَ أُنْدَلُسٍ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْعَلَطِ
التُّوبُ يُنْسَلُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثُوبَ الْجَزِيرَةِ مَنْسُولًا مِنَ الْوَسَطِ
مَنْ جَاوَزَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ عَوَاقِبَهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ؟

وقد أصاب هذا الشاعر في قوله هذا ، لأنه لما استولى النصارى على طليطة
كانوا كأنهم دخلوا في وسط بلاد الاسلام ، وجاءت الاسلام الضربة في حامل
رأسه لأنه كان المسلمون في ذلك الوقت لا يزالون في سرقسطة ونواحيها ، وكان
لا يزال لهم قواعد وحواضر هي إلى الشمال من طليطة . ثم إن موقع طليطة بمنغته
الخارقة للعادة جعلت الأسبانيول منها في حصن حصين لا يؤتى وعصمتهم في حرز
حريز لا يؤخذ ، وهم أنفسهم لم يقدروا على طليطة في حقيقة الأمر إلا بفساد أحوال
المسلمين ، والفتن التي كانت بينهم . وخلاصة الأمر أنه بعد أن نشبت الفتنة
الكبرى في قرطبة بين العرب والبربر ، وانتثر السالك ، ونجمت الملوك الذين يقال
لهم ملوك الطوائف ، استبد بأمر طليطة بنو ذى النون ، كما سيأتي الكلام عليه ،
فوقعت العداوة بينهم وبين بنى هود الذين استقلوا بسرقسطة ، وتواتت الوقائع بين
الفرقيين ، وكل منهما يستظهر بالاسبانيول على الآخر

ولنأتك بمثال نقله لك عن ابن عذارى المراكشي في كتابه « المغرب في أخبار
الأندلس والمغرب » وهو خير كتاب عرف بأخبار الأندلس . قال عند ذكره
سقوط طليطة : « وخرج فردلند الطاغية أيضا المظاهر لسليمان بن هود ، وهو
فردلند بن شانجة ، أمير جليقية إلى ثغر طليطة في خلق كثير . وجاءه ابن عم

ابن ذى النون ليدله على عورات البلاد ، وتهارب الناس أمامه من كل جهة إلى طليطلة حتى غصت بهم ، واضطربت أحوال أهلها . كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذى النون غائب عنهم بجيشه في مدينة سالم ، مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود فلما تيقن بخروج هذا اللعين إلى عمله ، وضجت رعيته إليه ، جاء في جموعه ، فلم يصنع شيئاً ولا قدر على لقائه (أى على لقاء الطاغية) واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك ، فلما رأى ذلك أهل طليطلة أرسلوا إلى الطاغية فردلند المظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحاً على بلادهم طليطلة وما حولها على مال يؤدونه إليه ويرحل عنهم . فقال لهم : ما أجيبكم إلى سلم ، ولا أعفيكم من حرب ، حتى تفعلوا كذا وكذا . واشترط عليهم شروطاً لا يقدرون عليها . فقالوا : لو كنا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لأنفقناها على البرابرة ، واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة . فقال لهم فرلند : « أما قولكم لا تقدرون على هذه الأموال فذلك محال ، فلو كسفت سقوف بيوتكم لبرقت ذهباً لكثرته ، وأما استدعائكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ، ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم ، ونحن قد صمدنا إليكم ، مانبالي من أتانا منكم ، فأنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم ، فقد سكتتموها ما قضى لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم بردائتكم ، فارحلوا إلى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم في سكنناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم » اه .

فلم يجدرسل أهل طليطلة عند فردلند وأصحابه النصارى قبولاً لما عرضوه عليهم من الصلح .

وكان أخو هذا العالج صاحب يحيى بن ذى النون مظاهراً له فخرج في هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها ، وأغلظ في اهلاكها ، وأخل بالثمر الأعلى ، فعل أخيه فردلند في نظر ابن ذى النون ، ودامت الفتنة بين هذين الأميرين ، ابن هود وابن ذى النون ، على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وانقطعت بموت سليمان بن هود في السنة المذكورة . ولما تنفس مخرج ابن ذى النون

بموت سليمان المذكور جعل يطلب جاره ابن الأفضس صاحب بطليوس فجرت له معه حروب كثيرة الخ

قلنا إن بيت القصيد في هذا التاريخ هو قول الطاغية : « وقد نُصِرنا عليكم بردائكم » . جاء في نفتح الطيب : ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ . وقال بعض المؤرخين : أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله ابن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين ، وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ هـ . وفيه بعض مخالفة لما قبله ، وسيأتي قريباً بعض ما يؤيده . قال : وهى مدينة حصينة قديمة أزلية ، من بناء العالقة ، على ضفة النهر الكبير ^(١) . ولها قصبه حصينة فى غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجبية البنيان ، على قوس واحد ، والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى . ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون زراعاً ، وهى تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة .

وطليطلة هذه دار مملكة الروم ، وبها كان البيت المغلق الذى كانوا يتحامون فتحه ، حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب هـ .

وقد حكى ابن بدر بن فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرأ تأنق فى بنائه ، وأنفق فيه مالا كثيراً ، وصنع فيه بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة ، وسبق الماء إلى رأس القبة ، على تدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالىها ، محيطاً بها ، متصلاً ببعضه ببعض ، فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب ^(٢) لا يفتقر ، والمأمون ابن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء

(١) العالقة المعروفون فى التاريخ لم يكونوا البانين لطيطة ولكن العرب يطلقون لفظة عمالقة على جميع الأقدمين الذين اشتهروا بالقوة والعظمة وأما قولهم النهر الكبير فان كان يريد به نهر تاجه فهو صحيح لأنه من أكبر أنهار الأندلس ولكن جرت العادة بأن يسمى بالوادى الكبير نهر قرطبة النازل إلى اشيلية وهو غير تاجه كما لا يخفى (٢) إن طليطلة هى من الأقاليم المعتدلة فى اسبانية ولكن الحر يشتد فيها جدا أيام

شيء ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعّل ، فبينما هو فيها إذ سمع منشداً ينشد :
 أَنبَنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ
 لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِهَابِيَّةُ لِمَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَعْتَرِيهِ رَحِيلُ
 فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قضى نحبه . ١٠٨١ .

وقال ابن خلكان : إن طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد
 حصار شديد . وقال ابن علقمة : إن طليطلة أخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من
 الحرم سنة ٤٧٨ ، وكانت وقعة الزلافة التي نشأت في السنة بعدها ١٠٨١ .

وجاء في دليل بديكر أن الأذفونش السادس ملك قشتالة دخل طليطلة ومعه
 السيد^(١) في ٢٥ مايو ١٠٨٥ ونقل كرسى الملك من برغش إلى طليطلة عام ١٠٨٧
 وجعل مطران طليطلة هو أسقف اسبانية الأعظم ، وبدأوا ببناء الكنائس والأديار
 فأكثرها منها . ولكن المدينة العربية بقيت حافظة سيادتها في وجه الحملة المسيحية ،
 وبقى الناس في طليطلة يبنون مدة قرون متطاولة على الطرز العربي (إلى أن قال)
 وكان أساقفة طليطلة مثل لوزريقة وفونسيقة وتنورويو ومندوسة . وشيمينيس
 وطلبيرة ولورنسانة هم أصحاب الأمر والنهي في البلدة ، وكان دخل الأسقفية السنوي
 ثلاثمائة ألف دوكة ، وكان في دار الأسقفية ١٥٠ قسيساً هم حاشية برماط اسبانية ،
 وكانت لهم عناية بالعلوم والآداب^(٢) وكانوا أيضاً يسوقون الجيوش إلى القتال

الصيف بما يلفحها من رياح افريقية حتى تبلغ درجة الحرارة فيها أربعين بميزان سنتيغراد
 وهي تجمع الاضداد ففي الشتاء تنزل درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر ولكن لا يطول
 فصل البرد الشديد أكثر من شهر واحد وفصل الربيع فيها لا يطول أيضاً بل يبدأ
 الحر فيها من شهر مايو . وأحسن فصولها هو الخريف

(١) Le Cid وهو القميينور الذي سبق ذكره عند ذكر مدينة برغش

(٢) في دار الاسقفية خزانه كتب مفتوحة للزائرين ثلاث ساعات قبل الظهر ولكن
 خزانه كتب الكنيسة الكبرى هي أهم بكثير وفيها مخطوطات نفيسة واسفار من
 الطبع القديم . وليس اليوم في طابطة معاهد علمية تستحق الذكر كما كان في الماضي فقد

فأسماءهم داخلة في جميع الحوادث الكبيرة في عصرهم . ولقد كان الكرد ينال بطروه غونزاليس مندوزه هو الذي أغرى أكثر من الجميع بقتال مملكة غرناطة اه .
ولنذكر الآن ما جاء في معجم البلدان عن طليطلة قال : طليطلة ، هكذا ضبطه الحميدى . بضم الطائين ، وفتح اللام ، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة ، وهى غربى ثغر الروم ، وبين الجوف^(١) والشرق من قرطبة . وكانت قاعدة ملوك القوطيين ، وموضع قرارهم ، وهى على شاطئ نهر تاجه ، وعليه القنطرة التى يعجز الواصف عن وصفها . وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف . قال : وبالقرب منها موضع يقال له جنان الورد ، فيه أجساد أهل الكهف لا تبلى إلى الآن ، والله أعلم . وقد قيل فيهم غير ذلك ، كما ذكر في الرقيم ، وهى من أجل المدن قدراً ، وأعظمها خطراً . ومن خاصيتها أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير ، وزعفرانها هو الغاية في الجودة . وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس وما زالت في أيدي المسلمين منذ أيام الفتوح إلى أن ملكها الافرنج في سنة ٤٧٧^(٢)

كان أمرها في زمن العرب معلوماً وسيرى القارىء من كثرة عدد من خرج منها من العلماء والادباء درجة رقيها العلمي في الدور العربى . ولما عاد الاسبانول إليها وردوها عاصمة لهم لم تبلغ الدرجة التى كانت عليها لعهد العرب لأن مدينة العرب كانت بلاجدال أرقى جداً من مدينة الاسبانول . إلا أنه في القرن الخامس عشر بنى الاسبانول فيها مدرسة جامعة وظهرت فيها نهضة علمية وتحولت قصور عبد الله بن موسى أحد امراء طليطلة لعهد العرب معاهد للتدريس ولكن انتقال الحكومة إلى مجريط رد طليطلة إلى الدرجة الثانية بل الثالثة من جهة العلم والتعليم

(١) يستعمل ياقوت الحموى هنا لفظة الجوف بمعنى الشمال على نسق المغاربة

(٢) روى بعضهم أن استيلاء الفرنج على طليطلة وقع في سنة ٤٧٥ وروى آخرون أنه وقع سنة ٤٧٧ وروى آخرون أنه في سنة ٤٧٨ وهى أصح الروايات وأما بالتاريخ المسيحى فدخل الاذفونش السادس إلى طليطلة فاتحاً كان في ٢٥ مايو عام ١٠٨٥

وكان الذي سلمها اليهم يحيى بن يحيى بن ذى النون ، الملقب بالقادر بالله ، وهى الآن فى أيديهم (إلى أن قال) : ينسب إليها جماعة من العلماء ، منهم أبو عبد الله الطليطلى روى كتاب مسلم بن الحجاج ، توفى يوم الأربعاء الثانى عشر من صفر سنة ٤٥٨ عيسى بن دينار بن واقد العافى الطليطلى ، سكن قرطبة ، ورحل ، وسمع من أبى القاسم ، وصحبه ، ووعول عليه ، وانصرف إلى الأندلس ، فكانت الفتيا تدور عليه ، لا يتقدمه فى وقته أحد . قال ابن الفرضى : قال يحيى بن مالك بن عائذ : سمعت محمد بن عبد الملك بن أيمن يقول : كان عيسى بن دينار عالماً متفناً ، وهو الذى علم المسائل أهل عصرنا .

وكان ألقبه من يحيى بن يحيى ، على جلالة قدر يحيى . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى ابن يحيى . وتوفى سنة ٢١٢ بطليطلة ، وقبره بها معروف . ومحمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلى أبو عبد الله ، كان فقيهاً ، وله مختصر فى الفقه ، وكتاب فى توجيه حديث الموطأ ، وسمع كثيراً من الحديث ، ورواه . وله إلى المشرق رحلة ، سمع فيها من جماعة ، وتوفى بطليطلة لتسع ليال خلون من صفر سنة ٣٤١ هـ كلام ياقوت

ولما تغلب الاسبانيول على طليطلة اهتز لذلك الاسلام ، وأدرك العقلاء سوء المصير ، لأن ذهاب هذه القاعدة من أيدي المسلمين ، وهى فى وسط أسبانية ، كان مقدمة حوادث كبار توقعوها ، ولم يخطئوا فى حسابهم لها . وقد كانت وقعة الزلاقة فى السنة التالية ، وهى التى أجاز فيها يوسف بن تاشفين إلى الأندلس اصراً لمسلميها هى نتيجة سقوط طليطلة فى أيدي النصارى . وبالرغم من كون ابن تاشفين أحرز فى وقعة الزلاقة نصراً عزيزاً ، وفتحاً مبيناً ، وخضد شوكة الاسبانيول فى ذلك اليوم ، فإنه لم يتمكن من استرداد طليطلة ، وبقيت العلة فى محلها ، وإنما تأخر انحلال دولة الاسلام فى الأندلس بواسطة المرابطين ، ثم بواسطة الموحدنين نحواً من ثلاثمائة سنة

ولندكر هنا مرثية قيلت لدى سقوط طليطلة ، وحتى الآن لم نعرف اسم قائلها ، ونحن

ننقلها عن نفع الطيب كما هي . وهي هذه :

لِشُكْلِكَ كَيْفَ تَبْتَسِمُ الثُّغُورُ سُرُورًا بَعْدَ مَا بَنَسَتْ ثُغُورُ؟ !
أَمَّا وَأَبِي مُصَابُ هُدًى مِنْهُ نَبِيرُ الدِّينِ ، فَاتَّصَلَ الثُّبُورُ
لَقَدْ قُصِمَتْ ظُهُورٌ حِينَ قَالُوا : أَمِيرُ الكَافِرِينَ لَهُ ظُهُورُ
تُرَى فِي الدَّهْرِ مَسْرُورًا بَعِيثُ؟ مَضَى عَنَّا لِطِيبَتِهِ السُّرُورُ !
أَلَيْسَ بِنَا أَيْ النَّفْسِ شَهْمٌ يُدِيرُ عَلَى الدَّوَابِرِ إِذْ تَدُورُ؟ !
لَقَدْ خَضَعْتَ رِقَابٌ كُنَّ غُلْبًا وَزَالَ عُمُوتُهَا وَمَضَى النُّفُورُ
وَهَاتَ عَلَى عَزِيزِ القَوْمِ ذُلٌ وَسَامَحَ فِي العَرِيمِ قَتَى غَيُورُ
طَلِيظَةٌ أَبَاحَ الكُفْرُ مِنْهَا حِمَاهَا ! إِنْ ذَا نَبَأٌ كَبِيرُ !
فَلَيْسَ مِثَالَهَا إِيوَانُ كِسْرَى وَلَا مِنْهَا الخُورَنَقُ وَالسَّدِيرُ
مُحَصَّنَةٌ مَحْسَنَةٌ بَعِيدٌ تَنَاوَلَهَا ، وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ
أَلَمْ تَكُ مَعْقَلًا لِلدِّينِ صَعْبًا فَذَلَّلَهُ كَمَا شَاءَ القَدِيرُ
وَأَخْرَجَ أَهْلَهَا مِنْهَا جَمِيعًا فَصَارُوا حَيْثُ شَاءَ بِهِمْ مَصِيرُ
وَكَانَتْ دَارَ إِيمَانٍ وَعِلْمٍ مَعَالِمَهَا الَّتِي طُمِسَتْ تُنِيرُ
فَعَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً قَدْ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِيهَا الأُمُورُ
مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ ! أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرُؤُ وَلَا يَطِيرُ؟ !
فِيَا أَسْفَاهُ ! أَسْفَاهُ ! حُزْنَا يُكْرَرُ مَا تَكْرَرَتْ الدُّهُورُ
وَيُنْشَرُ كُلُّ حُسْنٍ لَيْسَ يَطُوى إِلَى يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ النُّشُورُ
أَدْبَلَتْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ كَانَتْ مَصُونَاتٍ مَسَاكِنَهَا القُصُورُ
وَأَدْرَكَهَا فُتُورٌ فِي انْتِظَارِ لِسْرَبٍ فِي لَوَاحِظِهِ فُتُورُ

وكان بناً وبالقييناتِ أولى
 لقد سَخَنَتْ بِحَالَتِهِنَّ عَيْنُ
 لَنْ غَبْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ إِنَّا
 نَدُورُ كَانَ لِلْأَيَّامِ فِيهِمْ
 فَإِنَّ قُلْنَا الْعُقُوبَةَ أَدْرَكْتَهُمْ
 فَإِنَّا مِثْلُهُمْ وَأَشَدُّ مِنْهُمْ
 أَنَا مَنْ أَنْ يَحُلَّ بِنَا انْتِقَامُ
 وَأَكْلٌ لِلْحَرَامِ وَلَا اضْطِرَارُ
 وَلَكِنْ جُرْأَةٌ فِي عَقْرِ دَارِ
 يَزُولُ السَّيْرُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا
 يَطُولُ عَلَى لَيْلِي ، رَبَّ خَطْبِ
 خُذُوا ثَارَ الدِّيَانَةِ وانصروها
 وَلَا تَهِنُوا وَسَلُّوا كُلَّ عَضْبِ
 وَمُوتُوا كُلُّكُمْ فَاَلَمُوتُ أَوْلَى
 أَصْبَرًا بَعْدَ سَبِيٍّ وَامْتِحَانِ
 فَأَمُّ الصَّبْرِ مِذْكَارٌ وَلُودٌ
 نَحُورُ إِذَا دُهِنَا بِالرَّزَايَا
 وَنَجْبُنُ لَيْسَ نَزَارُ ، لَوْ شَجَعْنَا
 لَقَدْ سَاءَتْ بِنَا الْأَخْبَارُ حَتَّى
 أَتَمْنَا الْكُتُبُ فِيهَا كُلُّ شَرِّ
 وَقِيلَ تَجَمَّعُوا لِفِرَاقِ شَمْلِي
 لَوْ انْضَمَّتْ عَلَى الْكُلِّ الْقُبُورُ
 وَكَيْفَ يَصْحُ مَغْلُوبٌ قَرِيرُ؟
 بِأَحْزَانِ وَأَشْجَانِ حُضُورُ
 بِمَلِكِهِمْ فَقَدْ وَفَتْ النُّدُورُ
 وَجَاءَهُمْ مِنْ اللَّهِ الذِّكْرِ
 نَجُورُ ، وَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ يَجُورُ؟
 وَفِينَا الْفَسْقُ أَجْمَعُ وَالْفَجُورُ؟
 إِلَيْهِ ، فَيَسْهَلُ الْأَمْرُ الْعَسِيرُ
 كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْكَلْبُ الْعَقُورُ
 عَلَى الْعِصْيَانِ أُرْخِيَتْ الشُّتُورُ
 يَطُولُ لِهَوْلِهِ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ
 فَقَدْ حَامَتْ عَلَى الْقَتْلِ النُّسُورُ !
 تَهَابُ مَضَارِبَا عَنْهُ النُّحُورُ
 بِكُمْ ، مَنْ أَنْ تُجَارُوا أَوْ تُجُورُوا
 يَلَامُ عَلَيْهِمَا الْقَلْبُ الصَّبُورُ !؟
 وَأَمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
 وَلَيْسَ بِمَعْجَبٍ بَقَرٌ تَحُورُ
 وَلَمْ نَجْبُنْ لَكَانَ لَنَا زَيْرُ
 أَمَاتَ الْخَبْرَيْنِ بِهَا الْخَبِيرُ
 وَبَشَّرْنَا بِأَنْحُسِنَا الْبَشِيرُ
 طُلَيْطَلَةٌ تَمَلَّكَهَا الْكَفُورُ

قُتِلَ فِي خُطَّةٍ فِيهَا صَغَارٌ يَشِيبُ لِكَرْهِيهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ
 لَقَدْ صَمَّ السَّمِيعُ فَلَمْ يُعَوَّلْ عَلَى نَبَأِ كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ
 تُجَادِبُنَا الْأَعَادِي بِاصْطِنَاعٍ فَيَنْجَذِبُ الْمُؤْمَلُ وَالْفَقِيرُ
 فَبَاقِي فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خِزْيِ تَبْطُّهُ الشُّؤْمَةُ وَالْبَعِيرُ
 وَآخِرُ مَارِقٍ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ دِينِهِ فَلَهُ السَّيْرُ
 كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا إِلَى أَيْنَ التَّحْوُلُ وَالسَّيْرُ؟
 أَنْتَرَكُ دُورَنَا وَنَفَرْنَا عَنْهَا؟ وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورُ
 وَلَا نَمَّ الضِّيَاعُ تَرُوقُ حُسْنًا نُبَاكِرُهَا فَيُعْجِبُنَا الْبُكُورُ
 وَظِلٌّ وَارِفٌ وَخَرِيرُ مَاءٍ فَلَا قُرٌّ هُنَاكَ وَلَا حَرُورُ
 وَيُؤْكَلُ مِنْ فَوَاكِهَيْهَا طَرِيٌّ وَيُشْرَبُ مِنْ جَدَائِلِهَا نَمِيرُ
 يُوَدَّى مُغْرَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَيُؤْخَذُ كُلُّ صَائِفَةٍ عُشُورُ
 فَهَمْ أَحْمَى لِحُوزِنَنَا وَأَوْلَى بِنَا ، وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْعَشِيرُ
 لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ وَغَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ التَّغْرُورُ
 فَلَا دِينَ ، وَلَا دُنْيَا وَلَكِنْ غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَاغُرُورُ
 رَضُوا بِالرَّقِّ ، يَا لَللَّهِ ! مَاذَا رَأَى وَمَا أَشَارَ بِهِ مُشِيرُ؟
 مَضَى الْإِسْلَامُ فَابِكِ دَمًا عَلَيْهِ ! فَمَا يَنْفِي الْجَوَى الدَّمْعُ الْغَزِيرُ
 وَنُحْ وَانْدُبْ رِفَاقًا فِي فَلَاحِ حَيَارَى لَا تَحْطُّ وَلَا تَسِيرُ
 وَلَا تَجْنَحْ إِلَى سَلْمٍ وَحَارِبٍ عَسَى أَنْ يُجَبَّرَ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ
 أَنْعَمَى عَنِ مَرَاشِدِنَا جَمِيعًا وَمَا إِنْ مِنْهُمْ إِلَّا بَصِيرُ؟ !
 وَنَلْقَى وَاحِدًا وَيَفْرُ جَمْعٌ كَمَا عَنْ قَانِصٍ فَرَّتْ حَمِيرُ !
 وَلَوْ أَنَّا ثَبَّتْنَا كَانَتْ خَيْرًا وَلَكِنْ مَالَنَا كَرَمٌ وَخَيْرُ
 (٢٩ - ج أول)

إذا ما لم يكن صَبْرٌ جَمِيلٌ فليسَ بِنافعٍ عَدَدُ كَثِيرٍ
 ألا رَجُلٌ له رَأْيٌ أَصِيلٌ به مِمَّا نُحَاذِرُ نَسْتَجِيرُ!
 يَكُرُّ إِذَا السَّيْفُ تَنَاوَلَتْهُ وَأَيْنَ بِنَا إِذَا وَلَّتْ كُرُورُ؟
 وَطَعْنٌ بِالْقَنَا الخَطَارِ حَتَّى يقولُ الرَّمِيحُ : ما هَذَا الخَطِيرُ؟
 عَظِيمٌ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ طُرًّا بَأَنْدُلُسَ : قَتِيلٌ ، أَوْ أُسِيرُ
 أَذْكَرُ بِالْقِرَاعِ اللَّيْثِ حِرْصًا على أَنْ يَقْرَعَ البَيْضَ الذَّكُورُ
 يَبَادِرُ خَرْقَهَا قَبْلَ اتِّسَاعِ لِخَطْبِ مِنْهُ تَنْخَسِفُ البُدُورُ
 يُوسِّعُ لِلَّذِي يَلْقَاهُ صَدْرًا فقد ضَاقتْ بِمَا تَلْقَى صُدُورُ
 تَنْفَصَّتِ الحَيَاةُ فلا حَيَاةً ووَدَّعَ حَيْرَةً إِذْ لا مُجِيرُ
 قَلِيلٌ فِيهِ هَمٌّ مُسْتَكِينٌ وَيَوْمٌ فِيهِ شَرٌّ مُسْتَطِيرُ
 وَنَرَجُو أَنْ يُتِيحَ اللهُ نَصْرًا عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ نَعِمَ النَّصِيرُ!

ويقال في قضية أخذ الألبانيول لطليطة النكتة الآتية : كان الأذفونش السادس
 قد فر من وجه أخيه شانجه ، فالتجأ الى ابن ذي النون ملك طليطة ، فسمح له بالإقامة
 عنده ، ولم يكن من عادة العرب أن يستنكفوا في وقت من الأوقات من إيواء الدخيل .
 وكان المسلمون أنفسهم اذا حزب الواحد منهم أمر يذهب نزيبلا عند أحد ملوك النصارى ،
 وهم التجأ فيما بعد مسلمون من غرناطة الى اشبيلية ، ونصارى من اشبيلية الى غرناطة
 فلأمون ابن ذي النون تلقى الأذفونش وأثنى براً وترحيباً ، وأثاف الضيف والمضيف
 وكانا يذهبان معاً إلى الصيد ، وكانت أرض طليطة شجراً ، أكثر جداً مما هي اليوم
 فبينما ذات يوم المأمون والأذفونش في إحدى الجنان بجوار طليطة ، أدركت القائلة
 الأذفونش ، فاضطجع في ظل شجرة ، وجلس المأمون يتحدث إلى أصحابه على مقربة
 منه ، فبينما هم في الحديث ، عن لهم موضوع طليطة وما هي عليه من المنعة الطبيعية ،

على شفير ذلك الوادى العميق . فأجمع من حضر من أهل النظر على أن طليطلة لا تؤخذ ولا ينال منها مرام . فانبرى أحد الذين كانوا في ذلك المجلس ، وخالف رأى الجماعة ، وقال إنه يكفى لتذليل طليطلة ، أن يعمد العدو إلى ضواحيها فيجتاحها ، ويقطع الميرة عن أهلها ، فيضطروا إلى التسليم . فان لم يمكن أخذ طليطلة بالسيف فيمكن جداً أخذها بالجوع .

وكان الأذفونش بين النائم والواعى . فلما سمع الحديث عن أخذ طليطلة ، أصغى إليه ، وتنبه له ، ووعى كل ماسمعه . ولسكنه أسرها في نفسه ، ولم يشعر القوم بأنه سمع مما قيل شيئاً . ثم إنه لما جلس على عرش قشتالة تذكر ذلك المجلس ، وعمل برأى من قال إن طليطلة قد تؤخذ بالحصر والجوع .

ويظهر من هنا أن الأذفونش لم يكن يجهل العربية ، لأن ابن ذى النون وجماعته إنما تسكلموا في تلك القائلة بالعربية ، لا بالاسبانية . فلو لم يكن الأذفونش عارفاً بالعربية لما فهم الحديث

والخلاصة أنه حاصر طليطلة عدة سنوات وعاش في نواحيها ، وقطع الميرة التي كانت تأتيها من ضواحيها ، ومازال يجوع أهلها حتى أخذها في ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ كما تقدم

وقيل ، وهو الأرجح ، إنه استولى على تلك البلدة بدون عناء كبير ، بل باقناعه القادر بن المأمون بن ذى النون بأنه يكون خيرا له لو ذهب إلى بلنسية ، وملاك فيها وهى في مجبوحة من الاسلام ، وترك له طليطلة الواقعة دائما في حلق العدو .

وقد أجمع المؤرخون على سوء تدبير القادر بن ذى النون ، وأنه لم يكن كفؤاً لعروس مثل طليطلة ، فكان وجوده فيها السبب في ذهابها من يد الاسلام . وكان ذلك نبأ كبيراً ، كما جاء في مرثية طليطلة ، لان القشتاليين أخذوا بعدها بمخنق الاسلام وبركوا على قلبه في جزيرة الأندلس ، وصار بعدها ثغرهُ مُعَوِّراً وأمرهُ مدبراً .

وأصل نبي ذى النون من البربر الذين كانوا في خدمة الدولة العامية . وروى

ابن عذارى أن اسم جدّهم لم يكن « ذا النون » ، وإنما كان « زنون » ، وهو اسم من أسماء البربر فتصحف بطول المدة ، وصار « ذا النون » بالنال .
قال : ولم يكن لهؤلاء القوم نباهة قديمة ، ولا ذكر إلا في دولة ابن أبي عامر ، فإنهم تقدموا في دولته واشتهروا ، فكان منهم من يقود الجيوش ، ويلى الأعمال والبلاد . وكان منهم في آخر أمد الجماعة وال بكورة « شتت بريّه » ، فلما وقعت الفتنة بالأندلس كان الوالى بمدينة طليطلة وذواتها عبد الرحمن بن منيوه ، وأدركته منيته في خلال ذلك ، فورث نظره عبد الملك بن عبد الرحمن بن منيوه ، فأساء السيرة بالريّة . وكان أهل طليطلة على قديم الدهر أهل فتنة وقيام على الملوك ، فلم يرضوا سيرة هذا الفتى فخلعوه ، وولوا على أنفسهم من ينظر في أمرهم . ثم إنهم تقموا عليه شيئاً فمزلوه وولوا غيره ، ثم خلعوه . ثم رأوا أن يرسلوا إلى ابن ذى النون بشنتت بريّه ، فوجه إليهم ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون . فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة و بلادها ، فساس أهل مملكته السياسة الحسنّة

وكان أكبر أهل طليطلة رجلاً يسمى أبا بكر بن الحديدى ، وكان شيخها ، والمنظور إليه بها من أهل العلم ، والعقل والدهاء ، وحسن النظر في صلاح البلد . وكانت العامة تعضده ، وتقوم دونه ، فكان هذا الفتى اسماعيل بن ذى النون لا يقطع أمراً دونه ، ويشاوره في مهمات أموره ، فحسده قوم من أهل طليطلة على منزلته عند أميرهم ، فناقشوه وعادوه ، وحضرت منية اسماعيل بن ذى النون ، فولى بعده ابنه يحيى بن اسماعيل الملقب بالمأمون ، ولما ملك يحيى بن ذى النون طليطلة جرى على سيرة أبيه في استعمال قانون العدل ، وجرى مع بن الحديدى على سنن أبيه ، فاستقامت طاعته ، وضخم مملكته . انتهى . قلنا ولم يكن القادر بن المأمون على شيء مما كان عليه أبوه فلذلك أضاع تلك البلدة العذراء ، والخطّة الغراء ، وأى ملك أضاع !
وأى ثغر مكن منه عدو الاسلام ، فتمكن بقدر ما استطاع ؟ !

ولنذكر هنا ملخصاً ما قاله المستشرق لاوى بروفنسال فى الانسيكلوبيديّة

الاسلامية قال : توليدو ، وبالعربي طليطلة ، مدينة في اسبانية ، موقعها في وسط الجزيرة الايبيرية على مسافة ٩١ كيلو متراً إلى الجنوب ، والجنوب الغربي من مجريط وارتفاعها عن سطح البحر ٥٦٨ متراً ، وهي على أكمة من الصخر ، يحيط بها نهر تأجّه من الجهات الثلاث ، جاريا في واد عميق ، يسقي حفافيه إلى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، بقعة بديعة مريعة ، ومن بعدها ترى بسائط قشتالة الجرداء . وليس في طليطلة اليوم أكثر من ٢٥ ألف نسمة من السكان ، إلا أنها لا تزال مركز ولاية ، ولا يزال فيها كرسي الأسقف الأعظم برماط اسبانية . وأما موقعها فلا يبضاهيه موقع في العظمة .

وقد ذكرها جغرافيو العرب فأطالوا ، وقصروا ، وجعلها الشريف الادريسي من إقليم الشارات ، وفي زمانه كانت طليطلة انتقلت إلى أيدي الاسبانيول ، وإنما نوه الإدريسي بمنعة موقعها ، وبحصانة أسوارها ، وبالتفاف جناحها التي تجرى فيها قبيّ الماء المرفوع بالنواعير .

ومن أطرى طليطلة أبو الفداء الذي ذكر بساتينها ، وقال إنه يوجد فيها رمان ذو حجم غير معهود . وقال ياقوت الحموي : إن الحنطة التي تنبتها بقعة طليطلة تبقى سبعين سنة ولا تتعفن ، وإن زعفرانها هو بغاية الجودة . وقد ذكر طليطلة المؤرخ الروماني تيتليف وسمها « توليته » وقال : إن الرومانيين استولوا عليها بصعوبة سنة ١٩٣ ق م . وذلك في زمن فولفيوس Fulvius ، وكانت مدينة زاهرة لعهد الرومان وصار لها شأن عظيم بعد انتشار النصرانية . وفي سنة أربعمائة للمسيح انعقد فيها مجمع أساقفة حضره ١٩ أسقفا ، وفي سنة ٤١٨ استولى عليها القوط ، وجعلوها حاضرة ملكهم . وفي سنة ٥٦٧ استقر بها « أتانا جلد » ملك القوط ، ولما تنصر ريكاريدي سنة ٥٨٧ عظم شأنها ، وصارت عاصمة الكنتلكة في اسبانية . وفي طليطلة كان لذريق ملك اسبانية ، ويتحدثون أنه فيها شاهد فلورنדה ابنة الكونت يوليان صاحب سبتة تعتمس في الحمام ، الذي يقال له حمام الكهف ، فهام بها ، ولما فتح طليطلة طارق بن

زياد سنة ٩٢ للهجرة ، او ٧١٤ للميلاد ، كانت تقريباً خاوية على عروشها ، ولم يكن فيها غير نزر من اليهود ، ضمهم طارق إلى جيشه . ثم وافاه الجيش الذي كان سرحه لأخذ غرناطة ومرسية . وفي طليطلة جعل مؤرخو العرب ملتقى طارق مع موسى ابن نصير سيده ، ولكن موسى لم يترث في طليطلة ، بل ساق منها إلى الشمال قاصداً سرقسطة . وجميع من كتبوا من العرب عن الأندلس ينقلون الأخبار التي كانت شائعة ، والتي هي أشبه بالأساطير منها بالحقائق عن الكنوز والأموال التي وجدها العرب في طليطلة عند ما فتحوها ، وأشهر هذه الأخبار قصة « البيت المغلق في طليطلة » وقد بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً المسيو « ريني باسه » René Basset في رسالة ألفها سنة ١٨٩٨ .

ويدور ذكر طليطلة كثيراً في كتب العرب ، ولا سيما من بعد استقرار دولة بنى أمية في قرطبة ، فان طليطلة لم تكن تطيع قرطبة ، وأصبحت مركز عصيان دائم على الدولة ، ومما لا شك فيه أن السواد الأعظم من أهلها بعد استيلاء الاسلام عليها لم يتركوا الديانة الكاثوليكية برغم استعراهم ، وأهم كانوا لا يطبقون حكم المسلمين برغم شدة تسامح هؤلاء ، فكانوا لا يدعون فرصة تمر ، ولا غرة تلوح ، حتى يطفوا ويتمردوا

وفي طليطلة وجدت الثورة البربرية التي وقعت سنة ١٢٢ للهجرة أعظم أنصارها وبجانب طليطلة كانت واقعة وادي السليط التي استأصل فيها جيش قرطبة دابر ثوار طليطلة .

ثم إلى طليطلة هذه انهزم يوسف الفهرى من وجه عبد الرحمن الداخل ، وبقى ممنعاً بها حتى قتل ^(١) سنة ١٤٢ ، ومن زمن عبد الرحمن الداخل إلى زمن عبد الرحمن

(١) بعد أن تمت الغلبة لعبد الرحمن الداخل على يوسف الفهرى في خبر سنأى على تفصيله في قسم التاريخ إن شاء الله ، فر يوسف إلى « فريش » ثم إلى « خص البلوط ، كما جاء في كتاب « اخبار مجموعة » أقدم تاريخ عربي للأندلس ، ثم واقع محجة طليطلة



ملاقاته موسى بن نصير مع طارق بن زياد بآرض طليطلة

الناصر لم تفتّر طليطلة يوماً واحداً عن المقاومة ، وفي سنة ١٤٧٠ ثار فيها هشام بن عذره فرماه عبد الرحمن باثنين من قواده : بدر وتمام بن علقمة اللذين حصرا المدينة ^(١) ،

يريد بن عروة ، ليأمن عنده ، وهو إلى طليطلة على عشرة أميال ، فر بعد الله بن عمر الانصارى . وهو بقرية من قرى طليطلة ، فقبل له : هذا يوسف منهزماً . فقال لأصحابه : ويحكم ! اخرجوا بنا نقتله ، ونزيح الدنيا منه ، ونزيحه من الدنيا ، ونزيح الناس من شره ، فقد صار رجلاً ناجشاً للحرب . فخرج حتى لحقه ، وليس بينه وبين مدينة طليطلة إلا أربعة أميال ، وليس معه إلا سابق الفارسي ، مولى لبنى تميم ، ومن يجمله يقول مولى يوسف . وبقية بسر قسطة ، ووصيف واحد فقط ، وقد ماتوا من شدة الركض . وليس معهم منعة ولا مدفع ، فقتل عبد الله يوسف الفهرى ، وقتل سابق ، وهرب الغلام حتى دخل طليطلة . ثم أقبل عبد الله بن عمر برأس يوسف ، فلما بلغ ابن معاوية (أى عبد الرحمن الداخل) إقبال عبد الله بن عمر برأس يوسف أمر بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف المكنتى بأبي زيد ، وكان عليه حرداً لما صنع بعياله ، ثم أخرج رأسه إلى رأس أبيه . اه قلنا ظاهر من هذا النص ، وصاحبه أدري بالحقيقة لأنه أقرب عهداً بالحوادث المذكورة ، ان يوسف الفهرى لم يكن دخل طليطلة ، وإنما كان قاصداً دخولها يوم قتله عبد الله بن عمر الانصارى

(١) الذى فى د أخبار مجموعة ، هو هشام بن عروة الفهرى ، لاهشام بن عذره ؟ ولا نعلم هل التصحيح فى كلام أخبار مجموعة أو فى كلام لاوى بروفنسال ؟ وقال فى د أخبار مجموعة ، إنه كان مع هشام فى الثورة حياة بن الوليد التجيبى والعمري من ولد عمر بن الخطاب رحمه الله فخرج إليه الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة فحاصره فيها فلما عضته الحرب ، وناله الحصار ، دعا إلى الصاح وأعطى ولده رهينة ، ورجع عنه الأمير . فلما انصرف عنه خلع أيضاً ، وعاد إلى نفاقه ، فغزاه الأمير السنة الثانية ، فنزل به وحاربه ودعاه إلى الرجوع فصر ، فلما يئس منه أمر بابنه الرهينة فضربت عنقه ، ثم جعل الرأس فى المنجنيق ورمى به إليه فسقط فى المدينة ، ورجع عنه ذلك العام (إلى أن يقول) ثم رجع الأمير ، وبعث بعد ذلك بدرأ مولاه ، وتمام بن علقمة إلى طليطلة فحاصر هشام بن عروة ، وقطع الأمير البعوث على الأجناد ، وجعلها بينهم دولا فى كل ستة أشهر ، فاذا انقضت دولة نذب أخرى ، حتى مل أهل المدينة الحصار ، واستقلوا الحرب ، وكاتبهم مع ذلك تمام وبدر ، فاسلخوا هشاماً والعمري وحياة (إلى أن يقول) ثم أمر بهم الأمير فقتلوا وصلبوا

ولما تولى هشام الاول ونازعه أخوه سليمان، ذهب هذا إلى طليطلة، والتزم الامير هشام أن يذهب ويحاصر طليطلة، وبعد حصار شهرين رجع عنها خائباً. وسنة ١٨١ تولى الحكم بن هشام فثارت عليه أيضاً طليطلة بقيادة رجل اسمه عميدة بن حميد، وكان أكثر من يعرئ أهل طليطلة بالثورة شاعرهم غريب، الذي كانوا يحبونه^(١) حباً جماً، فولى الامير الحكم على طليطلة مولداً أصله من وشقه، اسمه عمروس، وكان اتفق مع الامير أن يأخذ أهل طليطلة في شرك يوقعهم فيه، وذلك انه دعاهم وقتلهم جميعاً، في الواقعة المسماة بواقعة الحفرة^(٢) (سنة ١٩١) ولكن لم يمض أكثر من عشر سنوات

(١) قال في النسخ: وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار من أهل طليطلة
 (٢) يقول دوزي المستشرق العظيم، أشهر أوربي كتب على الاندلس، إن طليطلة كان فيها من الاسبانول المستعربة أكثر مما فيها من العرب والبربر الذين كانوا منتشرين في قراها. فبسبب ذلك، وبسبب نفوذ كلمة القسيسين والأساقفة، كانت طليطلة مستعدة دائماً للانتفاض. وكان الاسبانول لا يزالون ينظرون إليها نظراً إلى عاصمة لهم في الدين والدنيا، وأهل طليطلة بفطرتهم مترعون إلى الثورة لا يضاھيم في ذلك قبيل، وكان عندهم شاعر اسمه غريب من عائلة اسبانيولية مسلمة يعريهم بالانتفاض أبداً. وكان أمير الاندلس يحسب الحساب لغريب، ولم يقدم على شيء بحق طليطلة ما دام غريب حياً، ولكن بعد موت غريب استدعى الأمير اسبانيوليا مسلماً من وشقة اسمه عمروس وقال له: انه لا يوجد غيرك من يقدر أن يريحني من أهل طليطلة الذين لا يرضون عليهم والياً عربياً، فلذلك أنا اخترتك والياً عليهم لأنهم من جنسك. ثم أسره إليه رأيه في الاقتصاص منهم فوافقه عمروس عليه لما كان من شدة طمعه ورغبته في ارضاء الأمير، ثم كتب الأمير إلى أهل طليطلة كتاباً يقول لهم فيه إنه نزولاً عند رغبتهم اختار لهم والياً من جنسهم

وما وصل عمروس الى طليطلة حتى بدأ بإعمال الحيلة حتى ينال ثقة الطليطليين التامة، وأخذ يتظاهر بالعصية للجنس الاسبانولي، ويبدى في الأحايين بغضاه لبني أمية وللعرب على الاطلاق، ثم قال للطليطليين ان سبب العداوة بينكم وبين السلطان هو وضع الجنود في بيوتكم، وتثقيلم عليكم باصناف المغارم فن هناك كانت تنشأ أسباب الخصام فاذا ساعدتموني في بناء حصن لا يواء هذه الجنود في طرف البلدة تكونون

على هذه الواقعة حتى ثارت طليطلة مرة أخرى ، وذلك سنة ١٩٩ فزحف إليها الأمير الحكم بنفسه ، ودخل البلدة ، وأحرق الجانب الأعلى منها ، ثم في سنة ٢١٤ وفق

كفيتم أنفسكم مؤونة هذه المشاجرات . ولما كان الطليطيون قد أولوا عمروس مزيد ثقتهم رضوا باقتراحه هذا بل آثروا أن يكون هذا الحصن في وسط البلدة بدلا من أن يكون على طرف منها . ولما انتهى بناء الحصن أعلم عمروس السلطان بأنه قد أتم بناء الحصن وانتقل إليه بجواده . فأسرع السلطان باعلام أحد القواد الذين يرابطون في الثغور بان يكتب اليه عن حركة بدت من جهة العدو ، وذلك حيلة منه حتى يتمكن من ارسال الجنود الى طليطلة . فلما وصل كتاب القائد أمر السلطان بزحف الجيوش على رأسها ثلاثة من وزرائه بعمية ابنه الأمير عبد الرحمن ، ولم يكن بالغ من العمر اكثر من ١٤ سنة ، فوصلت الجيوش الى ضواحي طليطلة فإشار عمروس الى أعيان الطليطليين بالسلام على الأمير ففعلوا وقابلهم الأمير بالحفاوة الزائدة ورجعوا مسرورين فقال لهم عمروس : تقتضى المصلحة ان ندعو الأمير ليقم بين أظهرنا عدة أيام ، فان هذا الأمير سيكون هو الملك في المستقبل ، وانه يحسن أن تكون علاقات الطليطليين به وثيقة فاستحسن القوم رأى عمروس ، وأقبلوا على الأمير يدعونه ليقم عندهم أياماً فأجاب دعوتهم بعد أن اعتذر ثم لما حصل المقصود أمر الامير بدعوة أهالي طليطلة وضواحيها إلى طعام فكتبوا إلى جميع الأعيان والوجوه وأقبلوا زرافات في الميعاد المعين ، فلم يأذنوا لهم في الدخول إلا واحداً واحداً فكان الواحد يدخل من باب ويرسل فرسه مع تابعه لا تنظاره أمام الباب الآخر . وكان عمروس أمر بحفر حفرة في دار الحصن أقام بجانبها عددا من الجلادين فعندما يصل الواحد من أعيان طليطلة إلى جانب الحفرة يتلقونه بالسيوف ويلقونه فيها . ولم يعلم على التمام عدد الذين قتلوا في ذلك اليوم : فابن عذارى يقول سبعائة والنويرى وابن القوطية يجملونهم خمسة الآف . ولما صار الوقت ضحى قال أحد أطباء طليطلة لجماعة كانوا أمام باب القصر : ماذا تراه حصل بهؤلاء المدعوين ؟ فقيل له : لعلمهم خرجوا من الباب الآخر . فقال لهم : كنت عند الباب الآخر فلم أجد احداً خرج . ثم نظر فرأى دخاناً يتصاعد فقال لهم : ليس هذا دخان الوليمة وإنما هو دخان أجساد قتلاكم . وبعد ذلك هدأت طليطلة مدة طويلة . اه وأما غريب الشاعر الطليطلي فقد قال عنه في « بغية الملتمس » ما يلي : غريب (بكسر أوله) الطليطلي شاعر قديم مشهور الطريقة في الفضل والخير وما يتداول الناس من شعره :

٨٢٩ ، ثارت طليطلة أيضاً بتحرير مولى هاشم الغراب ، فاستمرت الفتنة سنتين إلى أن سكنت . وفي زمن عبد الرحمن الثاني ثارت أيضاً فأرسل إليها جيشاً بقيادة الأمير أمية ، وكان ذلك بعد الفتنة السابقة بخمس سنوات لاغير .

ثم في السنة التي بعدها حصر الأمير طليطلة حصاراً استمر عدة أشهر ، ثم أخذها عنوة في عام ٢٢٢ ولم يرجع عنها حتى أخذ منها رهائن بقيت في قرطبة إلى سنة ٢٣٨ ولكن في هذه السنة نفسها عند ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم رفعت طليطلة لواء العصيان ، وعزل أهلها والى العربي الذي عندهم وزحفوا بجيش هزم جيش الأمير محمد في اندوجر سنة ٢٣٩ ، ولما كانوا يتوقعون زحف الجيوش اليهم من قرطبة تحالفوا مع « أوردنوه » الأول ملك ليون الذي أمدهم بجيش من عنده ، ولكن الجيش الأموي تغلب عليهم وقتل منهم عشرين ألفاً .

وسنة ٢٤٤ قوّب الأمير محمد تحت جسر طليطلة بينا كتائب الجند فوق القنطرة ، فوقت وهلكوا جميعاً ، فاضطر الطليطليون إلى الخضوع ، ولكن على صورة دفع جزية سنوية ، وتمتعهم باستقلالهم الداخلي .

وبقيت الحال على هذا المنوال إلى زمن الخليفة الناصر ، فلما انتهى من إخضاع

يمددنى بمخلوق ضعيف	يهاب من المنية ما أهاب
وليس إليه محيا ذى حياة	وليس إليه مهلك من يصاب
له أجل ، ولى أجل ، وكل	سيلغ حيث يباغى الكتاب
وما يدرى ، لعل الموت منه	قريب . أينا قبل المصاب
لعمرك ما يرد الموت حصن	إذا اكتاب الملوك ولا حجاب
لعمرك إن محياى وهوتى	إلى ملك تذلل له الصعاب
إلى ملك يدوّخ كل ملك	وتخضع من مهابته الرقاب

فظاهر من شعر غريب أنه شاعر نائر صعب المقادة لا يهرب الملوك ولا يعرف فرقاً بين الملك والصعلوك وهو يذكّر ما يذكّر من استواء الجميع أمام الموت تهويناً للوت على الناس صنع كل داع إلى ثورة

جميع الثائرين أرسل إلى طليطلة جماعة من الفقهاء ، ليلبغ أهلها بأن استقلالهم الداخلي غير مقبول . فنصح الفقهاء لهم ، فذهب نصحبهم بدون فائدة فزحف الخليفة إلى طليطلة بنفسه بجيش جرّار ، وخيّم على الجبل المقابل لطليطلة ، وأصرّ وصمّم على أن لا يبرح مكانه حتى يفتحها .

ثم جعل يبنى في المحيّم بالحجر ، وأقام سوقاً ، وسمّى المحيّم مدينة الفتح . ودام الحصار إلى سنة ٣٢٠ ، وفق ٩٣٢ ، فاضطر الطليطليون إلى الاستسلام . وجعل فيها الناصر حامية أموية ، وصارت مركزاً للشعر الأوسط .

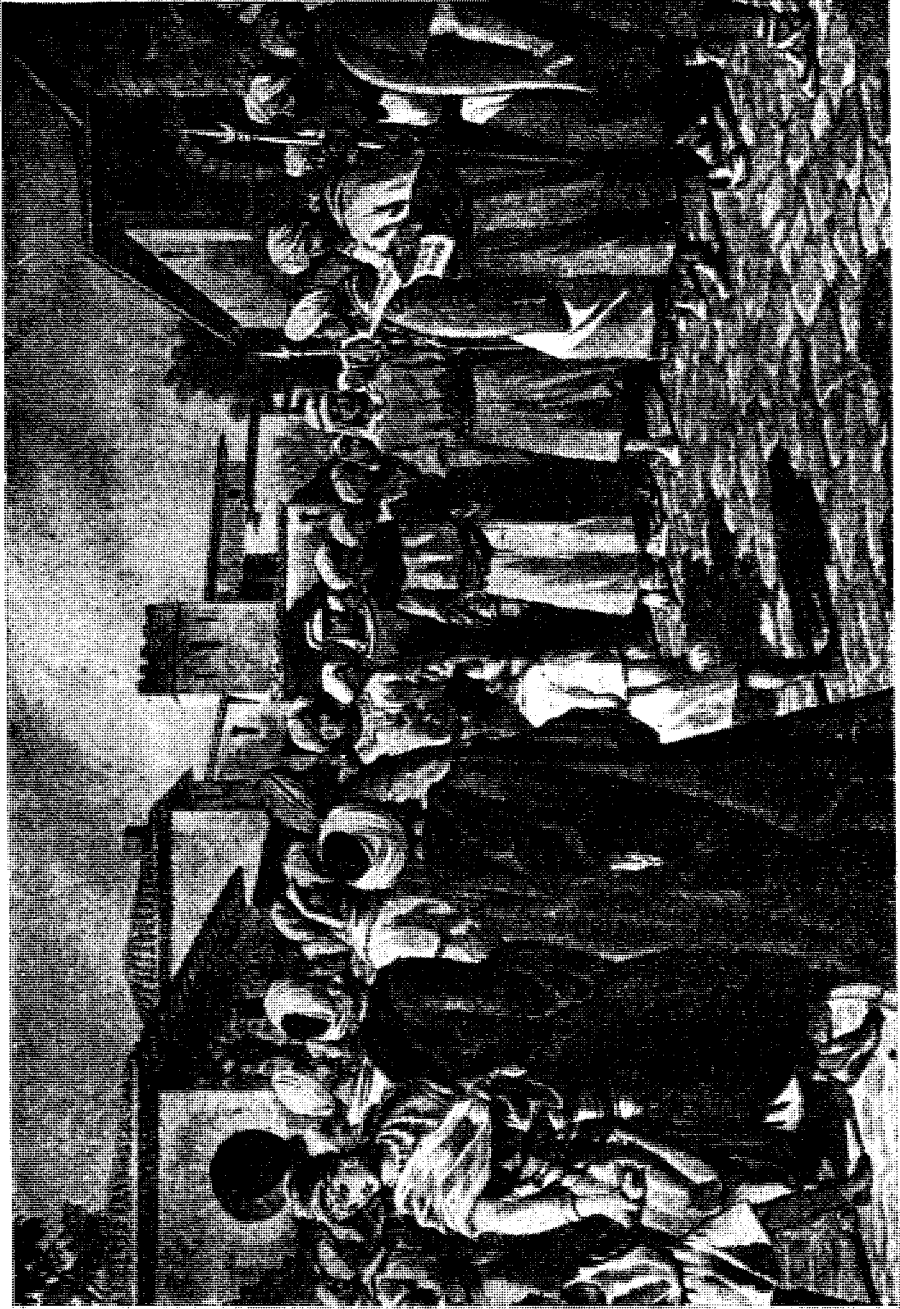
وكان والى طليطلة معدوداً من أكابر رجال الديوان ، فتولاها محمد بن عبد الله ابن حدير ، ثم القائد أحمد بن يعلى .

وفي زمن الحكم المستنصر بن الناصر تولاها غالب بن عبد الرحمن الناصري ، حمو الحاجب المنصور بن أبي عامر

ولما نشبت في قرطبة الفتن التي أفضت إلى سقوط دولة بني أمية ، لم تستفد طليطلة من تلك الحوادث ، كما كانت تفعل قبل ذلك ، وكانت على مدة سنين مقرأ للقائد واضح ، وملجأً لمحمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولكن لما انقسمت الأندلس إلى ممالك صغيرة صارت طليطلة مملكة مستقلة يلبها بنو ذى النون

وكان بنو ذى النون من زعماء البربر خدموا المنصور بن أبي عامر ، وكانوا في شنته برّيه^(١) . فلما سقطت الخلافة في قرطبة أرسل أهل طليطلة إلى عبد الرحمن ابن ذى النون يعرضون عليه ولاية بلدهم ، فأرسل إليهم ابنه اسماعيل ، فتولّى طليطلة وملحقاتها ، واعتمد على أحد أعيانها أبي بكر بن الحديدى . وذهب بعض مؤرخى العرب إلى أنه بعد سقوط الخلافة لم يكن ابن ذى النون أول أمير لطليطلة ، بل سبقه ابن مسرة ، ومحمد بن يعيش الأسدى ، وولده أبو بكر يعيش . وذكروا أيضاً سعيد

(١) Santaver وهي من مقاطعة قونكة



تسليم طليطلة لعبد الرحمن الثاني سنة ٨٣٨ م

ابن شنظير ، وولده أحمد وعبد الرحمن بن منبوه وولده عبدالمالك . على أن بداية حكم ابن ذى النون كانت سنة ٤٢٧ وفق ١٠٣٥ إلى ١٠٣٦ ، فتلقّب ابن ذى النون بالظافر . وكانت وفاته سنة ٤٣٥ ، وخلفه ابنه يحيى ، وتلقّب بالمأمون . ولما مات يحيى سنة ٤٦٧ كانت المملكة الطليطلية قد عظمت واتسعت ، فخلفه حفيده يحيى بن اسماعيل بن يحيى ، الذى تلقّب بالقادر ، ولم يكن فى هذا شىء من حسن تدبير جده ولا من دهائه . فأخذت مملكة طليطلة بالانحطاط ، وفارقه جميع حلفاء جده من أمراء الاسلام ، فانفرد وأحسن بالضعف ، والتزم أن يلجأ إلى الأذفونش السادس صاحب قشتالة وليون ، فرضى الأذفونش بأن يحميه لكن على شرط أن يودى إليه إتاوة سنوية كان الأذفونش يزيدا سنة عن سنة . فاضطر القادر إلى أن يزيد الضرائب على أهل مملكته ، فثاروا به فتقبض على كثير من أعيانهم ، وأوقع بهم ، ومن جاتهم وزيره ابن الحديدى ، فازداد بذلك غضب الطليطليين ، حتى فرّ القادر من طليطلة ، وباع أهلها المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس الذى تولاها سنة ٤٧٢ .

فلما زحف إليها الأذفونش السادس بحجة أنه يريد حفظها لابن ذى النون كان ذلك خداعاً منه ، ودخلها فى ٢٧ محرم سنة ٤٧٨ ، وفق ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ وكان قد أجبر القادر على عقد معاهدة معه يتخلى له بها عن المملكة ، فكانت مرحلة شاسعة من مراحل استرداد المسيحيين للأندلس .

وحصل لأخذ طليطلة وقع عظيم فى النصرانية وعند المسلمين أيضاً . وكانت هذه الواقعة سبب غارة المرابطين فى السنة التالية . إلا أنه مع ظفر يوسف بن تاشفين ، والأيام التى أداها الله للموحدين بعد المرابطين فى جزيرة الأندلس ، لم يتمكن المسلمون من استرجاع طليطلة ، ولبثوا يحاصرونها حيناً بعد حين ، فقد حصروها مرة فى زمن الأذفونش السادس نفسه ، ومرة أخرى فى زمن سلطان الموحدين أبى يوسف يعقوب المنصور ، وذلك سنة ٥٩٢ ، وفق ١١٩٥ ، وكان المنصور يعقوب استرجع فى هذه

الغزاة قلعة رباح ، ووادى الحجارة ، ومجريط ، على أثر واقعة الأرك^(١) ، التي كانت للمسلمين على النصارى^(٢) ، إلا أنه بعد واقعة نافاس طولوزه (المسماة عند العرب بالعقاب) في ١٦ يوليو سنة ١٢١٢ ، لم يبق أدنى أمل للإسلام في استرجاع طليطلة . ولما رجعت طليطلة مسيحية ، وصارت عاصمة قشتالة ، بقيت حافظة مسحة إسلامية راسخة ، فان قسما من أهلها لبثوا مسلمين ، فسكا أنها كانت مدينة الموزاراب

(١) يسميها احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة صاحب بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، واقعة الاركة فهو يقول ما يلي : وكان جواز عسكر الموحدين أعزم الله - يقول أعزم الله لانه هو كان في ذلك العصر - الى الجزيرة الخضراء في عام تسعة وثلاثين وخمسمائة وكان النصارى وقهم الله قد استجاش بهم ابن غانية ودخل بهم قرطبة وغلبوا عليها وأدخلوا دواهم في جامعها المعظم ومزقت أيدي الكفار به مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وجمع بعد جهد . ولما سمع النصارى وزعيمهم الانباطور بان عسكر الموحدين قد جاز الى الجزيرة خاف وخار وجمع الاعوان والانصار واستشار فاشاروا عليه بان يرجع الى بلاده وينظر في حمايتها فغذله الله وتوافق مع ابن غانية على أن يتركه بقرطبة وينصرف فتركها بها ثم خدعه وطلب منه يياسه فدفعها اليه مخافة أن يستقر بقرطبة . واستولى الأمر العالى أدامه الله بعد ذلك على جميع ما كان بأيدي المسلمين بالاندلس وارتفعت المحن والفتن والجور والجزية واجتمعت الكلمة وجرت على الروم دمرهم الله هزيم جمه آخرها هزيمة أذفونش بن شانجه قصمه الله عند الاركة على مقربة من قلعة رباح في التاسع لشعبان المسكرم عام احدى وتسعين وخمسمائة . وكان عسكره الذميم يذيف على خمسة وعشرين الف فارس وماتى الف راجل . وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشترى أسرى المسلمين واسلابهم واعدوا لذلك أموا الا فهزمهم الله تعالى واستوعب القتل اكثرهم وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلثهم الذميمة وعابن اللعين الحمام ونجا برأس طمرة ولجام وكانت هزيمة شديعة على الشرك واهله لم يسمع بمثلها والحمد لله رب العالمين والعاقة للبتقين .

(٢) الذين يعرفون تاريخ دولة الموحدين يجزمون بأنه لو طالت حياة يعقوب المنصور لاسترجع طليطلة وجميع ما كان خلا من الاسلام من بلاد الاندلس .

أى الأسبان المستعربين في دولة الاسلام ، كانت أيضاً مدينة المورسك أى المسلمين المدجنين في دولة النصارى . ومن الغريب أنه لم يبق آثار كثيرة في هذه البلدة للمسلمين عن إقامتهم الطويلة بها ، وكل مابقى هو آثار جامع صغير في بيب^(١) مردوم هو الذى تحول إلى كنيسة باسم كنيسة مسيح النور ، وكذلك وجد في طليطلة من بقايا الاسلام بعض أقسام من قصر « تورنيرياس^(٢) » ، ومن الباب القديم المسمى بباب شقره^(٣) . ولكنه وجد كثير في الأرباض من قبور المسلمين التى عليها كتابات عربية^(٤)

(١) ذكرنا من قبل أنهم في الأندلس كانوا يلفظون بالامالة ويقولون للباب بيب ولا يزال في قرطبة وفي اشبيلية وفي غرناطة أبواب كثيرة يقال للواحد منها بيب كذا وييب كذا وهى إمالة يرجح عندى أنهم أخذوها من الشام فقد سمعت باذن بعض أهالى بعلبك يقولون للباب بيب وإن كان الآكثرون في الشام اليوم لا يلفظون الباب بالامالة . ولقد حررت رسالة في علاقة المهجات العربية بالتاريخ القيتها في مؤتمر المستشرقين بليدن سنة ١٩٣١ ونشرتها في مجلة المقتطف وربما أطبعها على حدة إن شاء الله .

(٢) Tornerias (٣) Visagra

(٤) وجدت سنة ١٨٧٨ في ديرسان برتلى في بقعة طليطلة كتابة هى الآن محفوفة في المتحف الأثرى الوطنى في مجريط هذا نصها بعد البسملة : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . هذا قبر محمد بن أحمد بن محمد ابن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمه الله ليلة الاحد ثمان بقين من ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ،

ذكر لاوى بروفنسال : أن الغزال سفير المغرب زار سنة ١٧٦٦ طليطلة واطلع على هذه الكتابة وروى ذلك في رحلته فقال : « وركبت في الحال مع الحاكم اللواضع التى أرشدنا إليها فاذا بمقبرة المسلمين رحمهم الله سارية من الرخام مكتوب عليها بخط كوفى : يا أيها الناس الآية ، وهذا قبر الامام أحمد بن أحمد بن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق

وختم لاوى بروفنسال هذا الفصل فى الانسيكلو بى دىة الاسلامىة بقوله : برغم أن طليطلة كانت ثغراً ، وكان فيها عناصر عظيمة من النصرانية ، فقد كانت لآخر عهد بنى أمية ، وفى أيام المأمون بن ذى النون ، من القواعد الكبرى للثقافة الاسلامىة فى الاندلس ، وإن كثيراً من التراجم والسير لتتعلق بعلماء وحكام وفقهاء من مسلمى طليطلة . انتهى

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمة الله عليه ليلة الأحد ثمان بقين من ربيع الثانى سنة تسع وأربعين واربعمائة ثم سارية أخرى مكتوب فى أولها ما فى الأول من الآية الشريفة غير أن صاحب القبر لم يعرف من هو لمحو المحل الذى هو مكتوب ولم يبق من الحروف إلا لفظ أربع وأربعين فى محل التاريخ لا يقرأ ما قبله ولا ما بعده قال لاوى بروفنسال : إن صاحب هذا القبر فيما يترجح هو ابن أبى عمر احمد بن محمد بن مغيث الصدى المحدث الطليطلى الذى مات سنة ٤٥٩ ، وترجمه ابن بشكوال فى الصلة وقال إن السفير المغربى لم يكن فيما يظهر ماهراً بقراءة الخط الكوفى وقد وجدت أيضاً فى تلك البقعة كتابة أخرى هى هذه : **بسملة . . .** « هذا قبر أحمد بن فرج مولى محمد بن جهور توفى رحمة الله يوم الأحد يوم خمس عشرة من شهر رمضان سنة اثنتين وستين واربعمائة رحمة الله عليه » وكتابة أخرى على قبر مجهول نصها : **بسملة . . .** هذا قبر محمد بن يوسف ابن العاسل توفى رحمة الله يوم الخميس لسته عشر خلون من المحرم سنة أربع وستين واربعمائة فرحم الله من ترحم عليه ، ووجدت كتابة بخط نسخى تاريخها سنة ٦٦٠ للهجرة هذا نصها بعد **بسملة** والتصلية : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر زهرة بنت محمد بن محمد رحمها الله توفيت وهى تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فى عام ستين وستمائة »

فهذه الكتابة هى بعد رجوع طليطلة للاسبانول بنحو من ما تبنى سنة فقد بقى فيها عدد غير قليل من المسلمين المحافظين على جميع شائهم وقد بقى فيها مسلمون إلى ما بعد ذلك العهد بكثير ولكن بعد صدور الأوامر من ملوك الاسبان بتصير جميع المسلمين قسراً أصبحوا لا يقدر أن يعلنوا اسلامهم وبقى فى تلك البلدة مسلمون مكرهون على النصرانية وقلوبهم مطمئة بالإيمان إلى ما بعد سنة الف للهجرة

وجاء في الانسيكلوبيديّة الاسلاميّة تحت لفظة « أندلس » بقلم المستشرق سيبولد كلام قال فيه : إلى الآن لم يتيسر القيام بتحقيق علمي تام عن كيفية تأثير المدينة الإسبانيّة العربيّة بأوربة في القرون الوسطى ، وإلى أية درجة بلغ هذا التأثير . فهذا الأمر يتعلق بالبحث عن دار الترجمة التي كانت بطليطلة ، وهي الواسطة التي قام بها أدباء اليهود بين الشرق والغرب ، وكان هؤلاء اليهود بأجمعهم منسوبين إلى الثقافة العربيّة . انتهى

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي : أن موقع طليطلة في آخر الاقليم الخامس قال ابن سعيد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة ، قال في تقويم البلدان : وهي من أمنع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والأشجار محدقة بها من كل جهة ، وبصير بها الجبلنار بقدر الرمانه من غيرها ، ويكون بها شجر الرمان عدة أنواع ، ولها نهر يمر بأكثرها ، ينبعد من جبل الشارة ، من عند حصن هناك يقال له تاجه ، وبه يعرف نهر طليطلة . ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقيّة ، عند الحاجز الذي هو جبل البرت ، نحو نصف شهر . وكذلك إلى البحر المحيط بمجهة رشب . ثم ذكر القلقشندي من مضافات طليطلة مدينة وليد^(١) ، ومدينة الفرج^(٢) ، ومدينة سالم^(٣) التي فيها قبر المنصور بن أبي عامر

بقي علينا أن نذكر قضية المائدة التي يقال إن طارق بن زياد وجدها في طليطلة عند فتحها ، وأطال مؤرخو العرب في وصفها ، وهاموا في أودية الخيال ، وقالوا ما ليس وراءه مقال ، وسمّوها مائدة سليمان ، وزعموا أنها كانت من دخائر أشبان ، ملك الروم لدى نبي أشبيلية ، وأنه أخذها من بيت المقدس . وقالوا إن هذه المائدة قومت عند

(١) Valladolid

(٢) ويقال لها وادي الحجارة وبالاسبانيولي Guadalajara

(٣) والاسبانيول يقولون لها مدينة سالي بالترخيم Medinaceli

الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار، وقيل إنها كانت من زمرد أخضر. وقالوا إن طارقاً وجد بطليلة ذخائر عظيمة، منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة، وإيوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة، وهو كبير، حتى قيل إن الخليل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه. وذكروا أن أواني المائدة من الذهب، وصحافها من الشَّم والجَزَع، قال المقرئ في نفتح الطيب بعد سرده هذه الأشياء: وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه

قلنا: هذه أخبار أشبه بالأساطير، وحكايات العجائز منها بالتوار يخ، وقد كان مؤرخونا رحمهم الله في غنى عن نقل كل ما تلوكه ألسن العوام الذين يتكلمون بقدر عقولهم، وكما بعد الزمان أو المكان ازدادت المبالغة في الخبر. ورحم الله ابن خلدون الذي عاب على المؤرخين تسويقهم من الأخبار كيفما اتفقت، بدون تمحيص ولا تفكير وبدون عرض الأشياء على أصولها، ولا قياسها بأشباهها، وأطال في هذا الموضوع. وكان حجة للعرب في أمر التحقيق.

والحقيقة التي لا مفر منها أن من عادة مؤرخي العرب، إلا من رحم ربك، نقل الفث والسمن بدون أن يأذنوا لأنفسهم في الاعتراض على ما يكونون هم أنفسهم مرتابين في صحته، وذلك تورعاً عن تكذيب من قبلهم، وبمجة ان هذه الرويات قد تكون صحيحة، وان هذا العالم هو عالم الامكان، فليس ثمة شيء مستحيل، وان قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء، وما أشبه ذلك من التعليقات.

والجواب: نعم ان قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء، وان هذه الرويات وأغرب منها بكثير غير خارج عن حيز الامكان، ولكن هذا شيء والذي نحن فيه شيء آخر، فعدم خروج الغرائب عن حيز الامكان لا يوجب أن يكون كل ما يروى منها صحيحاً، اذا لم توجد له أسانيد لا يتطرق اليها الشك، وحجج لا يمكن فيها النزاع. والحال انه في ما يروى عن هذه المائدة التي قيل ان العرب وجدوها في طليطة، لا توجد اثبات تحمل على الجزم بصحتها، وقد يكون طارق وجد في عاصمة القوط هذه

بعض ذخائر ونفائس ، مما لا تخلو منه عواصم الملوك ، وربما وجد مائدة مرصعة بالدرر واليواقيت ، وهذا عند الملوك شىء معتاد ، وقد قيل : عن الملوك ولا تسلم ، ولكن العوام جعلوا الواحد مئة ، وواصلوا المسألة إلى الحد الذى يتخيل فيه الانسان قصص ألف ليلة وليلة .

وأما الافرنج فقد تكلموا عن هذه الروايات فحملوها على الخيالات ، وعدوها من المحالات ، وهذا أيضاً مردود لأن عاصمة كعاصمة اسبانية يجوز أن يجد فيها الفاتح من ذخائر ملك القوط حجارة كريمة ، وتيجاناً مرصعة ، ومائدة من الذهب والفضة ويجوز أيضاً أن يطأ إيواناً واسعاً ، مموهة أطرافه بالذهب ، وإن كانت الفرسان لا تلعب فيه بأرماحها .

وأما طول قنطرة طليطلة وعرضها ، وإن الطول ثلاثمائة باع ، وإن العرض ثمانون باعاً ، فهو من المبالغات التى تتناقضها العوام بدون روية ، ولعلها من خطأ النساخ الذين نقلوا نصح الطيب .

أما ابن حوقل فى المسالك والممالك فيقول عن طليطلة : وهى مدينة كبيرة جميلة مشهورة ذات سور منيع ، وهى على وادى تاجه ، وعليه قنطرة عظيمة ، ويقال ان طولها خمسون باعاً ، الخ ، فظهر من هنا اختلاف الرواية من ثلاثمائة إلى خمسين ، على ان المقرئ فى النصح يروى أن هذه القنطرة قد خربت أيام الأمير محمد الأموى ، لما عصاه أهل طليطلة ، وقال فيها الحكيم عباس بن فرناس أول من اخترع آلة للطيران :

ما كان يُبقي الله قنطرةً نُصبت لحل كتاب الكفر

والأمير محمد قد توفى سنة ٢٧٣ ، وابن حوقل كتب كتابه هذا فى الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة ، أى بعد وفاة الأمير محمد الأموى بستين أو سبعين سنة ، فتكون القنطرة الشهيرة الموصوفة قد خربت ، وقام مقامها القنطرة الحديثة ، التى يقول ابن حوقل ان طولها خمسون باعاً فهل بين القنطرتين كل هذا الفرق ؟ وعلى كل حال

لا نجد القنطرة الحاضرة على تلك العظمة التي حدثوا عنها ، فهي قنطرة كبيرة بجانبها أخرى صغيرة أصلها من بناء العرب ، ثم تشعبت في زمن الازفونش الملقب بالحكيم فأصلحها . ثم جردها تينوريوه رئيس الأساقفة .

وجاء في مروج الذهب للمسعودي عن طليطلة قوله : قصبة الاندلس يشقها نهر عظيم يدعى تاجه : يخرج من بلاد الجلالقة والوسقيد (Basque) وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لأهل الأندلس كالجلايقة والافرنجة ، وبصب هذا النهر في البحر الرومي .

هذا تحريف من النساخ أو هو سهو من المسعودي نفسه ، لأن نهر تاجه مصبه في البحر الاطالانتيكي وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتعة ، لا سبيل للامويين اليها . فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثير من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة إلى هذا الوقت . . . (إلى أن يقول) : ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة ، وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير انه يخاطب بأمر المؤمنين اه .

قلت : ذكر هذا المسعودي في زمن عبد الرحمن الناصر ، ويظهر انه كتبه قبل أن علم أن الناصر رحمه الله تلقب في آخر الأمر بالخليفة ، وأمر المؤمنين معاً . وذلك بعد أن توحدت الجزيرة الاندلسية تحت حكمه ، وامتد سلطانه إلى بر العدو ، وكان قد بدأ الضعف في دولة بني العباس في بغداد .

وربما يكون الناصر لم يكن اشتهر تلقبه بالخلافة في سنة ٣٣٢ التي كتب
 المسعودي فيها كتابته هذه فإن وفد قسطنطين بن ليون ملك القسطنطينية إلى الناصر ،
 كان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، على رواية ابن خلدون ، أوسنة ثمان وثلاثين
 وثلاثمائة ، على رواية غيره ، وقد خاطب فيه صاحب القسطنطينية المذكور عبدالرحمن
 الثالث الأموي الناصر لدين الله بقوله : « العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب
 عبد الرحمن الخليفة ، الحاكم على العرب بالاندلس ، أطال الله بقاءه » وفي الاحتفال
 الذي جرى عند وصول سفراء ملك الروم وتكلم فيه القاضي المفوه المشهور ، منذر
 ابن سعيد البلوطي ، كان من جملة كلامه في ذلك الجمع : فأصبحتم بنعمة الله إخواناً
 ويلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح
 الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات . (إلى أن يقول) : فقد أصبحتم بين
 خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسداد ، وألمه خالص التوفيق إلى سبيل
 الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً الخ .

فمن هنا يظهر أن لقى الخليفة ، وأمير المؤمنين كانا في ذلك الوقت مستعملين
 بحق عبد الرحمن الناصر ، وإذا رجعنا إلى رواية النفع نجد أن الناصر تلقب بهما من
 قبل ذلك ، فانه يقول في صفحة ١٦٥ من الجزء الأول ، الطبعة المصرية الاولى ،
 ما يلي : وهو أول من تسمى من بني أمية بالاندلس بأمر المؤمنين ، عند ما التاث
 أمر الخلافة بالمشرق ، واستبد موالى الترك على بني العباس ، وبلغه أن المقتدر قتله
 مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فتلقب بألقاب الخلافة . انتهى .

وفي بغية الملتبس لابن عميرة : ان موسى ابن نصير لما افتتح الاندلس ، مضى
 على وجهه يفتح المداين ، حتى انتهى إلى مدينة طليطلة . وهي مدينة الملوك ، فوجد
 فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ، وجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكللة بالدر والياقوت ،
 وهي على عدد الملوك الذين ملكوها ، كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت ،
 وكتب على التاج اسم صاحبه ، وكم آتى عليه من الدهر إلى يوم مات . انتهى .
 فهنا خمسة وعشرون تاجاً لا غير .

وأما في نفتح الطيب فقد ذكر في الجزء الأول في الصفحة ١٣٥ أنه وجد في طليطلة مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر، مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد فيها الف سيف ملوكي، ووجد فيها من الدر والياقوت ا كيال، ومن الذهب والفضة مالا يحيط به وصف. ومائدة سليمان، وكانت فيما يذكر، من زمردة خضراء وزعم بعض العجم أنها لم تكن لسليمان^(١)، وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم، إذا مات أحد منهم، أوصى بمال للكنائس، فاذا اجتمع عندهم مال له قدر، صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة، والكراسي من الذهب والفضة، تحمل الشمامسة والقسوس، فوقها الأناجيل في أيام المناسك، ويضعونها في الأعياد المباهاة. فكانت تلك المائدة في طليطلة مما صنع في هذا السبيل، وتأتق الملوك في تحسينها، يزيد الآخر منهم فيها على الأول، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، وطار الذكر بها كل مطار. وكانت مصوغة من الذهب الخالص، مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد. وقيل إنها من زبرجدة خضراء، حافاتها وأرجلها منها، وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا، وكانت توضع في كنيسة طليطلة، فأصابها طارق، اه.

قال المقرئ: وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان ما فيه نظير هذا، وذكرنا فيما مضى من أمر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالف. وما ذلك إلا لأننا نقل كلام المؤرخين، وإن خالف بعضهم بعضاً، ومرادنا تكثير الفائدة

وبالجملة فالمائدة جلييلة المقدار، وإن حصل الخلاف في صفتها، وجنسها، وعدد أرجلها. وهي من أجل ما غم بالأندلس، على كثرة ما حصل فيها من الغنائم

(تم الجزء الأول والحمد لله)

فهرس الكتاب

المقدمة صفحة ٦ - ١٩

الأسباب التي حملت على تأليف هذه المعلمة الأندلسية - علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء فضلاً عن الارتقاء - درس تاريخ السلف أحسن وسائل النشاط من العقل ليقال للناسي: هكذا كان آباؤك فأين إباؤك؟ وهذا ما فعله أجدادك فأين جهادك؟ - الأسباب التي حملت العرب على فتح الأندلس، وما بذلوا في فتحها من دماء، حتى خيم الاسلام بعقرتها تخميم من أجمع الاعتمار، والأسباب التي عادت فأخرجتهم منها - مختصر تاريخ الأندلس الذي كتبناه من أربعين سنة - اختيارنا النقل عن المؤلفين لتكون هذه الموسوعة معرضاً لآراء جميع الذين كتبوا عن الأندلس، مع ذكر رأينا الخاص في ما نقله - بدايتنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ - إدخالنا في القسم الجغرافي ذكر من نبغ من العلماء، ولا سيما علماء العرب، في كل بلد من البلدان التي وصفناها - تويجنا الكتاب باسم الأمير عمر طوسون الذي وقف نفسه على خدمة الاسلام والشرق، وقد علمنا ذلك بنفسنا منذ خمس وعشرين سنة إلى اليوم.

صفحة ٢٤ - ٤٢

لمحة عامة عن شبه الجزيرة الايبيرية من الجهة الجيولوجية، ومن جهة الاقوام الاولى الذين سبقوا إلى سكنى هذه الجزيرة - التقسيمات الطبيعية لهذه الجزيرة - اشتقاق اسم الجزيرة الايبيرية واسم الأندلس - خطط هذه الجزيرة في أيام العرب، وعدد سكانها من قبل ومن بعد -

صفحة ٤٢ - ٥٤

أقوال العرب عن جغرافية الأندلس - قول ابن حوقل - رد ابن سعيد على ابن حوقل في مازعه بحق مسلمي الأندلس - المناقشة بين مسلمي الأندلس ومسلمي الشرق في من هو أولى بالملامة على خذلانه لقومه - كلام ابن حوقل عن الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان هو في عصره - بحث عن الصقالبة وخصيانهم - قرطبة كأحد جانبي بغداد - وصف ابن حوقل لقرطبة وللزهراء - مسالك الأندلس بحسب تعريف ابن حوقل -

صفحة ٥٤ — ٦٠

قول ياقوت الحموي في معجم البلدان عن الأندلس — صنم قادس من بناء
الفيثيقين — لفظة الجوف الذي كان الأندلسيون والمغاربة اليوم يعنون بها
الشمال والبحث عن سبب هذه التسمية —

صفحة ٦١ — ١٤٨

وصف الشريف الإدريسي لجزيرة الأندلس — زعم الاولين أن الاسكندر هو
الذي خرق بحر الزقاق وهذا من أساطير الاولين — كون اتصال الأتلاتيك
بالبحر المتوسط هو من الحوادث الجيولوجية القريبة بالنسبة إلى الجيولوجية —
ذكر البلاد المغربية المقابلة للأندلس مثل طنجة وسبتة وتطوان وغيرها —
تقسيمات الأندلس بحسب قول الادريسي — سياحة المرحوم احمد زكي باشا
المصرى إلى الاندلس سنة ١٨٩٣ — خبر كنيسة الغراب في غربي الاندلس —
قصة الاخوة المغرورين الذين حاولوا الوصول إلى أميركا الحاضرة — قصة هذه
المحاولة نفسها من ملك « مالى » في السودان الغربي على ما روى القلقشندى في صبح
الأعشى — أسماء بلاد الاندلس كلها بالعربية وما يقابل ذلك بالاسبانية — خبر
الشريف الادريسي واتصاله بخدمة روجار الثاني ملك صقلية — وصف الادريسي
بالظويل لقرطبة ومسجدها الجامع ومقابلة ذلك بأقوال الجغرافيين الآخرين .

صفحة ١٤٨ — ١٥١

قول أبي محمد الحسن بن احمد الهمداني عن الاندلس — أقوال بطليموس عن
الاقالم السبعة وتأثير الكواكب بزعمه في طبائع سكانها

صفحة ١٥١ — ٢٦٢

ما قاله المقرئ صاحب نفح الطيب عن الأندلس — نفح الطيب على علته واشتماله على
مادب ودرج لا يزال أحسن مرجع لتاريخ الاندلس — رغبة المقرئ في السجع —
كلامنا عن نفح الطيب منذ أربعين سنة في ذيل « آخر بني سراج » وكلامنا عنه اليوم —
أهل البلاد الجنوبية من اسبانية أجهل خلقة من البلاد الشمالية لأن الدم العربي فيها أكثر —
أكثر الامم متأثر في الاندلس قبل مجيء العرب الفيثيقيون والقرطاجنيون ثم الرومان
ولليونانيين علاقة بكتلونية — كتاب رافائيل بالستر عن اسبانية هو من أحسن
الكتب الحديثة عنها — بحث آخر عن استعمال الجوف بمعنى الشمال ، ملك الاندلس

قبل مجيء العرب وما ورد في ذلك من أساطير ومن حقائق — ملوك القوط ومدة كل منهم — الحساب اليولياني والحساب الغريغوري وحساب الصفر الاسبانيولى — بحث عن المعادن بالاندلس وما نقله المقرئ وما قاله لاوى بروفنسال المستشرق المعاصر — قول رافائيل بالستر إن اسبانية الاسلامية كانت من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكاناً ، في عصر الخلفاء ، كان فيها ست حواضر كبرى وثمانون مدينة معمورة جد العمران وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية — مملكة غرناطة آخر ممالك الاسلام بالاندلس كانت قبل سقوطها ثلاثين مصرأً وثمانين قسبة وبعدها أربعة ملايين نسمة — المرية مرسى الاسطول الاسلامى الاندلسى وفيها دار الصناعة — دور الصناعة في دانية والجزيرة الخضراء وشلب والقنت وقستلون والمنكب ومالقة وقصر أبى دانيس وطرطوشة وجزيرة يابسة — كان في المرية ألف إنثلاثين فندقاً مقيدة في ديوان الحراج — طليطلة قاعدة ملك القوطيين — كلام أبى بحر صفوان بن ادريس عن الأندلس بشكل مفاخرة بين مدائنها — أهل شلب وفصاحتهم بالعربية وأن الفلاح الذى خلف فدانه كان يقرض الشعر — كتاب من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب عن لسان سلطانه بترجيح الجهاد فى الاندلس على الحج وصف سرقسطة وذكر السمور المنسوب إليها — التين المالحى والزبيب المنكبي والزيت الاشيبلى والمان السفرى الخ — أفاويه الاندلس المتنوعة — حيوانات الاندلس وطيورها — مقاطع الرخام بالاندلس — صناعات الاندلس المتعددة الفائقة — قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مريبطر — رواية أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول من أوصى بفتح الأندلس — كلمة للشيخ عبد العزيز الثعالبي عن هذه الرواية — خبر البيتين اللتين كانتا بطليطلة — منارة اشيلية التى من بناء يعقوب المنصور — دخل الدولة الاندلسية أيام الناصر عشرون مليون دينار ذهب وثلاثمائة وأربعون مليون درهم من الفضة . ويقول لاوى بروفنسال إنه تضاعف فى زمن المستنصر إلى أربعين مليون دينار وهذا عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر — تعاقب الولاة المستمر بسرعة على القيروان وبالتالى على الأندلس كان السبب فى وقوف الفتوحات العربية فى أوربة لأن الثبات والاطراد هما من أهم شروط النجاح . وأما بعد أن صار الحكم إلى بنى أمية فى قرطبة فقد زال التذبذب الذى كان فى ولاية الاندلس — الجهاد العربى فى أوربة صار مقصوراً على مسلمى الاندلس وحدهم وفى الاحايين من يأتهم من المغرب وذلك بسبب

انفصال هذه البلدان عن الخلافة العباسية وشتان بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذي كان ينظم بين الشرق والغرب -- استقامة أحوال بنى أمية في قرطبة إلى أن جاء هشام الثاني ابن المستنصر الذي كان ضعيفاً واستبد بالأمر حاجبه المنصور بن أبي عامر وأولاده فنقم عليهم ذلك بنو أمية وسائر البيوتات العربية فلجأ العامريون إلى إيقاد الفتنة بين العرب والبربر فوقع ما وقع بقرطبة من الحروب بين الفريقين ونجحت ملوك الطوائف وكان ذلك مبدأ انهيار الاسلام في الاندلس -- أهل الاندلس أشد الناس تهاوتاً على الثورة وغراماً بتغيير الدول -- خطط الدولة في الاندلس من وزارة وكتابة وقضاء وشرطة وحسبة وغيرها -- العلوم في الاندلس وما كان يرغب فيه أهلها منها ولا سيما علم العربية -- كانت الاندلس على مذهب الازعاعى فلما اشتهر مالك وجاء شبطون وغيره من علماء الاندلس وأخذوا عن مالك نشروا مذهبه في تلك البلاد برأى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل -- زى أهل الاندلس وتقليدهم النصارى في الحقب الأخيرة -- بحث ان المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب مما أشار إليه بن خلدون وإيراد الشواهد عليه مما رأيناه من الدول الشرقية في عصرنا هذا

صفحة ٢٦٢ -- ٢٦٦

• ما قاله المسعودى في مروج الذهب عن الاندلس

صفحة ٢٦٦ -- ٢٦٧

• ما قاله القلقشندى في صبح الأعشى

صفحة ٢٦٧ -- ٢٦٨

• ما قاله ابن العماد الحنبلى في شذرات الذهب

صفحة ٢٦٨ -- ٢٧٩

• قول المقدسى في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» -- بحث المقدسى في المذاهب عند أهل المغرب والاندلس

صفحة ٢٧٩ -- ٢٩١

وصف لسان الدين بن الخطيب لعرب غرناطة وهو ينطبق على جميع الاندلس نقلاً عن الاحاطة -- شرحنا لجميع الأنساب العربية التي وردت في كلام لسان الدين بن الخطيب -- عرب الاندلس كانوا يتكلمون بالامالة -- سكان مملكة

غرناطة أكثرهم من العرب — بحث المجاهدين في الاندلس من أهل المغرب من
بربر وعرب

صفحة ٢٩٢ — ٣٠١

ما ذكره المقرئ في النفع عن أنساب عرب الأندلس

صفحة ٣٠١ — ٣٠٣

نظرة اجمالية نحو اسبانية والبرتغال -

صفحة ٣٠٤ — ٣١٤

ال عمران والفن في اسبانية - ذكر أشهر كنانس اسبانية ومبانيها المذكورة
في الكتب - ذكر الآثار العربية فيها - ذكر أعظم المصورين والنحاتين

صفحة ٣١٥ — ٣١٦

كلام القاضي أبي القاسم صاعد الطليطلى عن الاندلس في كتابه « طبقات الامم »

صفحة ٣١٧ — ٣٣٤

التقسيمات الجغرافية الحاضرة - قشتالة القديمة وقشتالة الجديدة - الوادى الجوفى -
وادى إبره - قشتالة القديمة ست مقاطعات : برغش وآبله وسقوية وشورية
ولوكروني وشدت اندر - قشتالة الجديدة : مجريط وطليلة وسيودادريال وقونكة
ووادى الحجارة - ولاية ليون - أمة البشكونس وأصلها ولغتها وأخلاقها - الحدود
بين قرنسة واسبانية وتفصيل بلاد ليون وقشتالة

صفحة ٣٣٤ — ٣٣٨

مدينة برغش - خبر لذريق دويفار بطل الاسبانيول الذى كان يلقب بالسيد
والذى عظامه محفوظة في دار البلدية ببرغش

صفحة ٣٣٨ — ٣٤٣

بلد وليد وتوابعا - ذكر آبله

صفحة ٣٤٣ — ٣٥٣

ذكر مجريط عاصمة اسبانية - من انتسب من علماء العرب إلى مجريط - عند
ما استردها الاسبانيول كان فيها أربعة جوامع - أسباب نقل فيليب الثانى عاصمة
اسبانية من طليطلة إلى مجريط - حروب الكرلوسيين - خزنة كتب مجريط واشتغالها
على ستائة وخمسين الف مجلد منها ثلاثون الف مخطوط وفيها عشرون الف ورقة

من الوثائق وثلاثون الف صورة يدويه وثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط -
خزانة الآثار القومية فيها متا الف وثيقة - الآثار العربية التي فيها

صفحة ٣٥٣ - ٣٥٥

ذكر خزانة الاكاديمية التاريخية في مجريط والكتب العربية التي طالعها فيها

صفحة ٣٥٥ - ٣٦٠

ذكر الاسكوريال - معارفنا مع المستشرق آسين بلاسيوس

صفحة ٣٦٠ - ٣٦٣

ذكر بلدة شقوية

صفحة ٣٦٣ - ٤٧١

ذكر طليطلة - قسم كبير من نصارى طليطلة كانوا قد استعربوا وصارت لغتهم
العربية وكانت جميع مكاتباتهم بها حتى إن الكتابات المنقوشة على قبورهم كانت
بالعربية - اتمودجات من صكوك البيع والشراء العربية بين نصارى طليطلة
واختلاط الاسماء الاسلامية بالاسماء المسيحية - نقل ما قاله الوزير الغساني
المتوفى سنة ١١١٩ للهجرة وذلك في رحلته إلى اسبانية عن مدينة طليطلة - بقاء
الاسلام سرآ في طليطلة إلى القرن الحادى عشر للهجرة - نقل كلام ابن عبد الرفيح
الاندلسى المتوفى عام اثنين وخمسين والف - أمثال من أعمال ديوان التفتيش
الثقافة العربية في طليطلة تبقى فيها مدة ستمائة سنة من بعد رجوعها إلى الاسبانول -
الطقس اللاتينى في الكنائس والطقس الخاص بالمستعربين - صكوك متعلقة بأرقاء
المسلمين في طليطلة - كيفية أخذ الاذفونش السادس لطليطلة من القادر بن ذى النون -
الجامع الأعظم يتحول كنيسة خلافاً لتعهد الاذفونش - كنائس طليطلة وأما كنها
المشهوره - صناعات طليطلة المتعدده - حروب بنى ذى النون مع بنى هود أصحاب
سرسطة وكيف كان ذلك أعظم سبب لسقوط طليطلة في ايدى الاسبانول - رثاء
طليطلة - ملخص ما قاله عن طليطلة المستشرق لاوى بروفنسال فى الانسيكلوبيديه
الاسلامية - بعض أقوال مؤرخى العرب عن طليطلة - ثورات طليطلة المتكررة
فى أيام العرب - مبلغ تأثير المدنية الاسبانية العربية باوربا فى القرون الوسطى ،
بواسطة دار الترجمة التي كانت بطايطة

فهرس الاعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية

رتبا الفقير إليه تعالى عثمان خليل

أحوخا ٣٥٥	(١)
ادريس بن عبد الله بن الحسن	ابراهيم بن اسحاق ٣٧١
العلوي ٢٤٨ ، ٢٩٢	ابراهيم بن خليل ٣٨٣
ادريس بن يحيى الحوي ٢٤٨	ابراهيم بن عبد الرحمن ٣٦٨
الادريسي (الشريف) ١٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٦١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠	ابراهيم بن علي بن سعيد ٣٦٧
١٦١ ، ١٧٠ ، ٣٥٤ ، ٤٥٣	ابراهيم بن القاسم القروي (الرقيق) ١٨٣
الادريسية ٣٧٣	ابراهيم بن وهب ٣٦٧
الاذفونش (الملك الحكيم) ٣٥٨ ، ٤٦٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢١	ابراهيم بن يحيى ٤٠٤
الاذفونش (السادس) ١٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٢	أبطرقيس ١٦٨
الاذفونش (الثامن) ٣٣٠	أتابنجلد (الملك) ٤٥٣ ، ٣٦٣
الإرجيرشت ٣٨٣	أتانا وينوس ١٧٥
الارسيدي باقن ٣٦٦	أحد بن الأمين الشنقيطي ٣٤٣
أرنلد فرانساك ٣٨٥	أحد بلافريج ٣٥٩
آريوس (قسيس) ٤٣٩	أحد بن سعيد بن شظير ٤٦٢
الازد بن القوث ٢٩٥	أحد بن علي الحداد ٤٠٨
أسينوزه (مصور) ٣١٣	أحد اللوق ٤٠٢
آسين بلاسيوس (مستشرق) ٣٦ ، ٣٥٩	أحد بن محمد ٣٦٧ ، ٤٠٨
اسحاق بن سليمان ٣٥٥	أحد بن محمد بن حجاج ٣٥٥
	أحد بن محمد بن موسى الرازي ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٨
	أحد بن المهدي الغزال القاسي ٣٥٤
	أحد بن يعلى ٥٤ ، ٤٦٠
	أحد بن يوسف الأنصاري ٣٦٨
	أحد بن يوسف الرحوي الأسمر ٤٠٧
	آدم (الحكيم) ٣٥٥

أسد بن ربيعة بن نزار ٢٩٤
أسد بن عبد الله ٣٧٣
اسكندر المقدوني ٦١ ، ١٧٠ ، ٦٢ ، ٢٠٩ ، ٢٠١ ، ١٩١ ، ١٨٤
اسماعيل (عليه السلام) ٢٩٤ ، ٢٩٥
اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي التون ٤٥٢ ، ٤٦٠
الاسماعيلية ٢٧٣
اشبان بن طيش ١٦٨
أشتابن بن لازرة ٣٧٦
أشتافن مشتابار ٣٨٥
أشتافن بليانس ٣٨٧
أشجع بن ريث بن عطفان ٢٩٤
أشباره القميراني ٣٨٤
الاصطخري ٣٩
أغسطس قيصر ٣٦١
أغيلاز ٣٨
ألباردوسيركور ١٦
آل بوربون ٣١٤ ، ٣٤٧
ألبيرة (زوج فرته) ٣٧١
ألبيره البرسي ٣٩٢
ألبيرغومس (مهندس) ٤٢٩
الونزو بروغيت ٣١١
الونزوكانو (مصور) ٣١٣
الونزو (المطران) ٣٣٩
آل هيسبورج ٣١٣
اليان بن سعيد ٣٦٨

بيطرة قولو نيريانة ٣٧٤
بيطرة بن بليان بن أبي الحسن
٣٨٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٦
بيطرة بن يوسف بن مروان ٣٧٤
بيطروه بن أشتافن ٣٩٧
بيطروه بن أندراش ٣٨٤
بيطروه بن أنفونش ٣٦٩
بيطروه جلبرت ٣٨٤
بيطروه دبس ٣٨٥
بيطروه رويس ٣٩٨
بيطروه بن مرتين بن بهلول ٣٨٧
بيطروه بن مرتين (مستعرب) ٣٩٤
بيطروه نقولا (البنّا) ٣٩٧
بيطروه يوانش (الوزير) ٤٠٥
بيطروشى بن غايام ٣٨٦
البيهي ١٧١

(ت)

تحيب (امراة أشرس) ٣٩٧
تراجانوس ٣٦١
تقلب بن وائل الاسدى ٣٩٤
تمام بن علقمة ٤٥٦
تيم بن مرة بن أد ٣٩٣
توان (مصور) ٣١٢
تووريو (أسقف طليطلة) ٤٤٤ ،
٤٦٩
توطة بنت لب ٣٩٦
توكادا (كردينال) ٣٣٩
توما دوتوكادا ٣٣٣
تيلدي (مصور) ٣٥٦
تيفيلف (مؤرخ) ٣٦٣ ، ٤٥٣
تيريزة (قديسة) ٣٣٩ ، ٣٤٢
تينوريو (مطران) ٤٧١ ، ٤٣٣
نيودوسيوس (امبراطور) ٤٣٩
نيوفيل غوتيه ٤٧٤

بالومينو (مصور) ٣١٤
بامين (الانرجي) ٣٧٤
بترو (القاسم) ٣٠٨
بختنصر ١٦٩
بدر بن علقمة ٤٥٦
بدر الدين الميني ٣٥٤
بدر (الدون) ٣٣٩
براديل (مصور) ٣١٤
برنار (رئيس الأساقفة) ٣٨٠
بروكا (الدكتور) ٣٣٦
بريان (الملك) ١٦٩
بست بن عبد العزيز ٣٨٩
بشر بن عياض القشيري ٣٩٩
بطرس بترى (مهندس) ٤٢٨
بطروه غونزاليس ٤٤٥
بطليموس (القلودي) ٣٦ ،
١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١
بكر بن هوازن ٢٩٣
بكر بن وائل ٢٩٤
بلاي (الملك) ٣١٧
بلد البيرة (مهندس) ٣٠٩
بلدوين قيليبار ٣٧٤
بلج بن بشر ٢٩٤ ، ٢٩٩
بلى بن عمرو ٣٩٨
بليور (مصور) ٣١٤
بهلول بن عمر ٣٧٥
بهلول بن غالب ٣٨٧
بهلول بن مرتين بن بهلول ٣٧٥
بوان باطرس ٣٨٣
بياترو توريجاني ٣١١
بيطره بن البهلول (البنّا) ٣٧٥
بيطره تمليقس ٣٧٤
بيطرة (الخطاط) ٣٧٤
بيطرة بن سهل ٣٧٣
بيطرة بن عبد العزيز بن عطاق
٣٧٥

اليزى ركلوس (جغرافي) ٣٣٦
أمية (الامير) ٤٥٩
انتالين بن غلتازلقواس ٣٨٥
انجيل غوانزاليز ٣٦٦
اندراش دحجاج ٣٨٤
اندراش فرنوم ٣٨٦
اندلس بن طوبال بن يافت بن
نوح ١٥٧
انريك دوايفاس ٣٠٩
انمار بن نزار بن معد بن عدنان ٢٩٧
اوجيني (الامبرطورة) ٣٣١
أوردونوه (الاول) ٤٥٩
أوردونيو (الثاني) ٣٣٧
اورغاز (السكونت) ٤٣٤
أوزوريو (مصور) ٣١٣
أوسلة بن مالك بن زيد ٢٩٦
اوغست مولر ٣٧
اولالية بنت ديفة ٣٨٥
إياد بن نزار ٢٩٤
إيزابلا بنت هنري (الرابع) ٣٢٩ ،
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
٣٦٢ ، ٤٣٠
إيزابلا البرتغالية (الملكة) ٤٣٤
إيزابلازاسن ٣٨٢
إيزيدور الباجي ١٦ ، ٢٥٠
ايوب بن حبيب اللخمي ٢٩٩

(ب)

بادس بن حيوس ١٢٩
باديس ١٩٠
باسه ٣٨
باطره بن عمر بن غالب ٣٩١ ، ٤١١
باطره بن عمر القلاس ٣٧٦ ، ٣٨٩
باطروه جسولين ٣٩١
باقي بن عمر بن باقي ٣٧٥

(ث)

ثابت بن قرة ٣٥٥
ثعلبة بن سلامة العاملي ٢٩٩
ثوابة بن سلامة المجذمي ٢٩٩، ٢٩٧
ثور بن عفير بن عدى ٢٩٧

(ج)

الجاحظ ٢٧٦
جانثريولين ٢٣٤
جان فان ايك ٣١٢
الجباني ٢٧٦
جذبة (الأبرش) ٢٢٠
جرم بن كهلان ٢٩٥
جلبانش بطريس تشتا ٣٦٨
جمال الدين الجزائر ٣٥٤
جميلة بنت فرح ٣٦٧
جهينة بن أسود ٢٩٨
جوان ابن ايزابلا ٣٤١
جوان بوتيسنا ٣٥٥
جوان خيل اوتانون ٣٦٢
جوان (النون) ٣٤٩
جوان ديمتوس ٣٩٩
جوان روينس ٣٦٨
جوران غواس (مهندس) ٤٢٩
جوان فرناندس ٣٥٦
جوان كارينيو (مصور) ٣١٣
جوان كرادو ٣١٥
جويرت (جنرافي) ٣٧
جوسه (جنرافي) ١٦ ، ٤٢١ ،
٤٣٥ ، ٤٣٨
جوقاره (مهندس) ٣١٠
جيوردانو (مصور) ٣١٣

(ح)

حاتم (الطائي) ٢٢٠ ، ٢٥٩

الحاج الفرناطي ٣٥٥

الحازمي ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩

حامد بن سمحون (الطبيب) ٢٢٩

الحجاري ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧

حذيفة بن الأحوص القيسي ٢٩٩

الحربن عبد الرحمن الثقفي ٢٩٤، ٢٩٩

حسان بن جهيد ٢٧٢

حسين بن جعفر ٢٨٣

الحسين بن علي ٢٩٢

حضر موت بن قحطان ٢٩٩

حكيم بن شلمون ٢٧٥

الحكم المستنصر ٤١ ، ٣٠٠ ، ٤٦٠

الحكم بن هشام ١٩٨ ، ٢٦٥ ،

٣٠٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨

الحيدى ٤٤٥

حمير بن سبأ ٢٩٧

حمير بن يشجب ٢٩٥

حنة (أخت فيليب الرابع) ٣٢٩

حنين اليهودي ٢٤٠

حيوس الصنهاجي ١٢٩

(خ)

ختم بن أثمار بن أراش ٢٩٧

خشندهش (ملك القوط) ١٧٥ ،

١٧٨

خشين بن تنوخ ٢٩٨

الحضر (عليه السلام) ١٧١، ١٧٢

خلف بن جواد ٣٦٩

خلف بن عبد الله ٣٦٨

خلف بن عمر ٢٧٣

خولان بن عمر ٢٩٧

الخولاني ٣٤٣

خيران الصقلي ١٧٩

خير الدين بارباروس ٣٥٢

خير بن ركوي ٣٦٩

خير بن مورن ٢٧٢

خير بن يحيى ٣٧٠

خيل دوسيلو ٣٠٦ ، ٣١١

(د)

دايمان (الخيزال) ٣٣١

دايمان فرمان ٣١١

داني (الشاعر) ٣٥٩ ، ٣٦٠

داود الأسمر بن سليمان ٤٠٨

دقيانوس (صاحب أمل الكهف)

٤٤٥

دمنة برتندة ٤١٢

دمنة نقلاوش ٢٨٧

دومنة أنطولين ٤١٥

ديمقته بنت أبي الربيع سليمان ٣٩٤

ديمقته البريتي ٢٨٨

ديمقته بشكوال ٢٩٦

ديمقته بيطروس الباسي ٢٨٧ ، ٢٩١

ديمقته بيطريس ٤١٣

ديمقته بنت حضوره ٢٨٤

ديمقته بنت الريم ٢٨٦

ديمقته سبريان ٢٨٥

ديمقته سربطول تشتش ٢٧٦

ديمقته بن سليمان بن غيصن ٢٨٩

ديمقته بنت شلبطور ٢٨٧

ديمقته بنت عبد الرحمن بن جابر

٢٩٥

ديمقته مرزاه ٢٨٣

ديمقته بن مقيال ٢٨٣

ديمقته نفره ٢٨٤

ديمقته بن يحيى ٢٧٢ ، ٢٧٥

دمنقريوانش ٢٨٤

دنيس (ملك البرتوغال) ٤٠

دوريزين ٢٧

دوزيت يواكين ٣٥٩

دوزي (المستشرق) ١٦، ٣٥، ٣٧، ٣٨

سلامة بن مقيال ٢٧٣	ريكاريد (الملك) ٣٣٨ ، ٣١٢ ، ٤٣٨	دوسار فتنس (الأسقف) ٣١١
سلمة بن حسان ٢٧٥	ريموند بلدى ٣٨٥	دوق أوشونة ٣٥٠
سلمة بن سعد ٢٧٢	رينه شاتوبريان ١٢	دومارليس ١٦
سلمة بن يونس الانصارى ٣٦٨	رينو (المستشرق) ١٦	دوموراه (الكونت) ٤٢٣
سلول ٢٩٣ .	ربى باسه ٤٥٤	دونا (الحكيم) ٣٥٥
سليان بن عمر ٣٦٨	(ز)	دون كيشوط ٣٥٠
سليان (عليه السلام) ١٦٩ ، ٤٥٧ ، ٢٠١	زار سيلو ٣١١	دونة بنت عبد الله بن يحيى ٣٩٣
سليان بن المدجاله ٣٦٨	الزغل ١٥٥	دومار ٣٢٨
سليان بن هود ٤٤١ ، ٤٤٢	زكرى بن عثمان ٣٦٩	دياغود وريانو ٣٠٩
سليم بن زكريا ٣٦٨	زوباران (المصور) ٣١٢	ديمتقوس الارحيمسى ٣٧٠
سليم بن منصور ٢٩٣	زوكارو ٣٥٦	(ذ)
السمح بن مالك الحولاني ٣٩٩	زيان بن مردنيش ٣٠٠	ذو أصبح بن مالك ٢٩٨
السموال بن عاديأ ٣٢٠	زبدان (السلطان) ٣٥٨	ذورعين ٢٩٧
سنقة (أم الملك تيودوريق) ٣٣٨	زيد بن حارث ٤١٠	(ر)
سهل بن خلف بن على ٣٧٢	زينب بنت الحاج ٤٠٤	الرازى ٣٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٥ ، ٣٥٥
سوزة ٣٧	زين العيين العيني ٣٥٤	رامير (الاول) ٣٠٤
سيولده (مستشرق) ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٦٦	(س)	ربى بو اسحاق اليهودى ٣٦٧
سيديزو (مصور) ٣١٣	سافيدار ٣٨	ريمة بن تزار ٢٩٤
سيف بن المزاد ٣٧٢	سان أبلدفونس ٤٢٣	ردريقة (القديس) ٣٦٨
سيف الدولة ٢٢٠ ، ٢٣٥	سان إزيدور ٤٣٠	الرصافي ٢١٨
سيلو (مهندس) ٣٠٩	سان جوان (قديس) ٤٣٠	رفاعة بن يحيى ٢٨٣
سيمونة ١٦ ، ٣٨	سبا بن يشجب بن يرب ٢٩٦	رمان بن عامر ٣٧٣
(ش)	سبت بن يافث بن نوح ٢٢	الرندي ١٥٥
شاتوبريان ١٥٣	سيروز (جغرافى) ٢٧	رودريقس بورسالوس ٢٢٧
شارلكان ٣١١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣	سبريان بن بسنت ٢٨٩	رودريقة أوردوناز ٣٧٥
٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٤٢٦ ، ٣٦٢	سبريان بطرس تشاش ٣٧٦	رودريقة بن بشكوال ٢٨٩
شارلمان ٣٣٢	ستافى لانبول ٢٧	رودريقة ديمونقس ٣٨٥
شانجة مرتينوس ٤٠٠	سعدان بن عبد الله ٣٧١	رودريقة شمانس ٢٩٦ ، ٢٩٨
شانجة (الملك) ٤٠٠	سعد بن بكر بن هوزان ٢٩٣	رودريقة الفونسه (مهندس) ٤٢٩
شيب بن عبد الرحمن (دون) ٣٨٣	سعيد بن سالم الثقرى ٣٤٤	رومان بن باطروز (وزير) ٣٩٥
شيرند بن باطره ٣٨٤	سعيد بن سالم المجرىطي ٣٤٥	ريبارا (مهندس) ٣٠٩
شيب الرحوى للطيرش ٤٠٩	سعيد بن شنطير ٤٦٠	ريباره (مصور) ٣١٣
الشقندي ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥	سفيان بن أبى البقى ٣٧٢	ريبالنا (مصور) ٣١٣
	سالزار دومندوسه ٤٢١	ريكاردو القوطى ٤٠٣ ، ٤٢٥

عبد الملك بن بهلول ٢٧٣
عبد الملك بن حبيب السلمى ٢٩٣ ،
٤٤٦
عبد الملك بن عامر ٣٧٠
عبد الملك بن عبدالرحمن بن مينو ٤٦٢
عبد الملك بن عبد الملك ٣٦٨
عبد الملك بن قطن ٢٩٩ ، ٢٩٢
عبد الملك بن السكردبوس ٣٥٤
عبد الملك بن مرتين بن خير ٣٧١
عبد الملك بن هارون ٤١١
عبد الله أيتوال ٣٦٨
عبد الله بن ادريس ٦٧
عبد الله بن جابر ٣٧٠
عبد الله بن حسان ٣٧٢
عبد الله بن داود ٣٧٥
عبد الله بن سعيد الجريطى ٣٤٤
عبد الله بن عبد العزيز ٣٨٩
عبد الله بن عبد الله الجريطى ٢٩٩ ، ٣٤٤
عبد الله بن اليمص ٣٧٥
عبد الله بن عثمان ٣٧٣
عبد الله بن عمر ٣٨٣ ، ٣٨٧
عبد الله بن فرسان ٣٧٣
عبد الله القزاز ٤١٧
عبد الله بن محمد ٣٠٠
عبيد الله بن قاسم (مطران طليطلة) ٣٧٧
عبيد الله القوطي ٣٧٠
عبيد بن أسد ٣٦٨
عبيدة بن حميد ٤٥٧
عتبة بن وايد ٣٧٣
عثمان بن ابى نعمة ٢٩٧ ، ٢٩٩
عثمان بن سليمان ٣٧٤
عثمان بن عثمان ٣٧٣
عثمان بن عفان ٢٣٥ ، ٢٣٧
عذرة بن سعد ٢٩٨
عذرة بن عبد الله الفهرى ٢٩٩
عريشو (المصور) ٤٣٤

عائشة بنت معين (الحداد) ٤٠٨
عامر بن تمام ٣٧٥
عامر بن يحيى بن بلاى ٣٨٧
عاملة القضاءية ٢٩٦
عباد بن محمد بن عباد ٢٤٨
عباس بن فرناس ٢٠٢ ، ٤٦٨
عبد بن معاوية ٢٦٥
عبد الرحمن بن ابراهيم ٣٧٥
عبد الرحمن بن احمد الفهرى ٣٧٧
عبد الرحمن الاوسط ١٨٥ ، ٣٠٠
عبد الرحمن الثالث ٤٧٠
عبد الرحمن الثانى ٤٥٩ ، ٤٦١
عبد الرحمن الداخلى ٣٦٧ ، ٢٩٢ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٤٥٤
عبد الرحمن بن ذى النون ٤٦٠
عبد الرحمن بن زكريا ٣٦٨
عبد الرحمن بن زيدان ٣٥٨
عبد الرحمن بن عبد الرحمن ٣٧٣
عبد الرحمن بن عبد الملك ٣٨٧
عبد الرحمن بن عيسى الجريطى ٣٤٤
عبد الرحمن الناصر ٣٩ ، ٤١ ،
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤١ ، ٢٠٢ ،
٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٠٠ ،
٣٣٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،
٤٥٩
عبد الرحمن بن منبوه ٤٥٢ ، ٤٦٢
عبد الرحمن بن يحيى ٣٦٩ ، ٣٧٦ ،
٣٨٦
عبد الرحمن بن يوسف بن
عبد المؤمن ٢١٠
عبد الرحمن بن غلمير ٣٧٠
عبد العزيز بن ابى الرجال ٣٧٣
عبد العزيز بن خير ٣٦٨
عبد العزيز بن سعيد ٣٧٠
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٢٩٩
عبد العزيز (قسييس) ٣٩٦
عبد المؤمن ٢٤٩ ، ٣٠٠

شلبطور بن سهل بن عبد الرحمن
٣٧٦
شلبطور بن عبد الملك بن عريب
٣٨٦
شلمون بن على بن وعيد ٣٨٣ ،
٣٩١
شمس الدين محمد بن نور الدين ٣٥٤
شمسى بنت لب (الفخار) ٤٠٩
شوقى بك الشاعر ١٣
شولى بنت عمر بن هشام ٣٧٧
شيبانة (امراة القبيدور) ٣٣٦
شيبانيس (السكرديال) ٤٣٠ ،
٤٣٤ ، ٤٤٤

(ص)

صاعد بن احمد ٣١٥
صاعد الطليطلى ١٦
صغريت ٣٥٥
صموئيل لادى ٤٣٤
الصهاجى حيوس ١٩٠

(ض)

ضبة بن أدبن طابحة ٢٩٣

(ط)

طارق بن زياد ٨١ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٤٥٣ ،
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ،
طريف (البربرى) ٣٦ ، ٢٠٠
طليطلة (أسقف طليطلة) ٤٤٤
طلوش بن بيطة ١٧٢
طوبار (المصور) ٣١٣
طوبال بن يافت بن نوح ٣٣

(ع)

عائشة بنت احمد السكوني ٤٠٨
عائشة بنت السودرى ٣٩٨

فرناندس (مهندس) ٣٤٥	(غ)	عزوز بن معمر العربي ٤٠٢
فرتندوه لبوس ٣٩٨	غانق بن عك المدنائى ٢٩٦	عزيز بن خطاب ٢٥٦
فرنسوا الأول ٣٢٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢	غالب بن عبد الرحمن ٥٤ ، ٤٦٠	عريب (المؤرخ) ٣٥
فرنسيسكو ديزي (مصور) ٣١٣	غالب بن غلمون ٣٩١	عريم بن زيد ٢٩٨
فرنسيسكو غويا (مصور) ٣١٤	غانبوس ٣٧	عقبة بن نافع الفهري ٢٩٢
فزارة بن ذبيان ٢٩٤	غريب بن خلف الجربطى ٣٤٥	على باشا (أمير البحر) ٣٥٢
فطوة الماشطة ٤٠٠	غريب الشاعر ٤٥٧	على بن سعيد ٢٤٥
قطيمة بنت عمر ٤٠٤	غرسية رويس ٣٩٨	على بن عياش ٢٧٥
فلاكس (مصور) ٣١٣	غرسية القميراني ٣٨٥	على بن عبد الرحمن الفزاري ٣٥٤
فلافانوس ٣٦١	غريب بن سعد ٣٥٥	على بن على الفهري ٤٠٤
فلبش القصرى ١٧٥	غريوار التورى ٣٦	على بن عيسى ٢٠٧
فلورنده بنت الكونت بليان ٤٢٣ ، ٤٥٣	غليم طبلد ٣٩٧	على الأسمر (البنا) ٣٩٩
فليس بن مروان ٣٧٣	غضالبة الجزار ٤٠٦	على بن البيلوشى ٣٦٧
الفنش (أذفونش) ٢٤٠	غضالته فرولس ٣٧٤	على بن الحرير ٣٦٨
فورتوفى (مصور) ٣١٤	غضالته بن الفونس ٣٩٩	على بن محمد بن الوزير النجيبى ٣٥٤
فولفيوس (الملك) ٤٥٣	غضالته (القاضى) ٣٩٩	على بن يحيى ٤٠٨
الفونسو دوماريفال ٣٤١	(ف)	على بن يوسف بن تاشفين ٢٢٦ ، ٣٠٠
فولسيه (أسقف طليظة) ٤٤٤	قابر الميورقى ٣٠٦	على الرمتقارة الفمارى ٤٠٣
فجيل (الشاعر) ٣٥٨	قارسكوزارزا (نحات) ٣٤١	على ولد القليق ٣٩٤
فيغارنى (البناء) ٣٣٩	فاطمة بنت احمد الانصارى ٤٠٤	عمر بن أبى الفرج ٣٨٦ ، ٣٨٧
فليب الثالث ٣٣٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩	الفاطمى ٢٨٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥	عمر بزارة ٤٠٣
فليب الثانى ٣١٠ ، ٣٢٨ ، ٣٤٦	فالسكو (أمير الجيوش) ٣٣٧	عمر بن حفصون الخارجى ٤٧
٣٥٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥	فلسكو (دكتور) ٣٢٦	عمر بن سعيد ٣٧٣
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩	فرج بن عبد الله ٣٦٩	عمر طوسون (البرنس) ١٨٠ ، ١٩٠
فليب الخامس ٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢	فرديناند الثالث ٣٣٥ ، ٣٣٨	عمر بن طامر ٣٧٠
فليب الرابع ٣٠٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩	٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٤٢٠	عمر بن عبد العزيز ١٩٣
٣٥٣ ، ٣٥٦	فرديناند الرابع ٣٤٦	عمر بن عبد الله ٣٧١ ، ٣٧٦
فليب فيكارنى ٣٠٩	فرديناند السابع ٣٠٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤	عمروس (والى طليظه) ٤٥٧
فليز شنجنس ٣٨٥	٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢	عنيسة بن سحيم الكلبى ٢٩٩
فليس بن غلبام ٣٨٦	فرديناند السادس ٣٥٨	عنسى بن مالك بن أدد ٢٩٦
فيليز بن يحيى ٣٩٧	فرديلند بن شانجة الطاغيه	عيسى بن الحسن ٣٦٩
فيستنت (قديس) ٣٤٢	٤٤١ ، ٤٤٢	عيسى بن دينار الطايلى ٤٤٦
ق	فرنانده يوانش ٣٨٩	عيسى (المسيح عليه السلام)
قاسم بن احمد ٤٠٤	فرنان غونزاليز ٣٣٧	١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٣٦٣ ، ٣٠١
قاسم بن محمد (البنا) ٤٠٠	فرناندس دولونا (قسيس) ٣١٠	عيشون بن يحيى ٣٦٩

لويس الرابع عشر ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣
 لويس فيليب ٢٤٩
 ليوفيجلد ٣٣٠
 ليوناردو (مصور) ٢١٢
 (م)
 ماتيو مورازو ٣٣٠
 مارتين بن باطروه ٢٩١
 مارتينس مورنانس ٣١١
 ماردة بنت الملك هرسوس ٧٩، ٩٠
 مارية كرسقيا ٢٤٩
 مارية لويز ٢٣٣
 مازارين (الكردينال) ٢٢٨
 ماسي (الحكيم) ٢٥٥
 مالك بن انس ٢٥٥، ٢٧٢، ٢٩٨
 مالك بن نويره ٢١٦
 المأمون القاسم بن حود ٣٠٠
 ماير تمام ٤١٢
 ماير ديمتق ٤٠٦
 ماير عبد العزيز (قسيس) ٤١٤،
 ٤١٥
 ماير عبدلي ٤٣٤
 مقيم بن نويره ٢١٦
 المنفي ٢٢٠، ٢٥٦
 المؤكل بن هود ٢٩٧، ٣٠٠
 محانت بن عثمان بن خلف ٣٧٦
 محارب بن عمرو الاسدي ٢٩٤
 محمد بن ابراهيم الفصلوني ٣٩٩
 > > ابي عامر ٦٤
 > > احمد الرازي ٤٠
 > > احمد بن سعيد ٣٦٧
 > > احمد بن غرغل ٤٠٤
 > > الآوي (الأمير) ٢٠١، ٤٦٨
 > الثالث ٢٥١
 > بن الحسن ٣٧٢
 > القسوي (بناء) ٣٣٧
 > سويد المجاشعي ٤٢٣
 > القاسي الفهري ٢٥٩

كهلان بن سبا ٢٩٥
 كوندى ١٦، ٣٧، ٢٨
 كونراد الثاني ٣٥٨
 كونز تاتزه ٢٨٠
 كولو (مصور) ٣١٣
 (ل)
 لازر بن علي ٢٨٤
 لاوون (ملك أرمينية) ٢٤٦
 لاوني بروفنسال ١٦، ٢٣، ٢٩
 ٤٥٢، ٤٦٥
 لب أشنابنس ٢٨٦
 لب بن تمام (قسيس) ٣٩٦
 لب بن فرنس ٣٨٤، ٣٩٨
 لب بن نصر ٤٠٤
 لب بن يحيى ٣٩٤
 لحم بن عدى ٢٩٧
 لندريق بن خيل (البنا) ٣٦٢
 لندريق دوبغار ٣٣٥، ٣٣٦
 لندريق (الملك) ١٧٨، ١٨٨، ٣٦٢،
 ٢٩٩، ٣٢٣، ٤٤٣، ٤٥٣
 لسان الدين الحبيب ١٦، ١٥١،
 ١٥٢، ١٥٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٢٤،
 ٢٢٧، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٩،
 ٣٦٠
 لوزريقة (أسقف طليطلة) ٤٤٤
 لورنزو (القديس) ٣٥٦
 لورنسانه (أسقف طليطلة) ٤٤٤
 لوزنس بن ديمتق بن عمران ٣٩٤
 لوقاديه بنت بيطرو ٢٨٩
 لوقادية بنت ميقاتيل ٢٨٥
 لوقاديه بنت يحيى اليباسي ٢٨٩
 لوقادية بنت يوانش ٤١٦
 لوقاديه (القديسة) ٤٣١
 لويس بونابرت ٣٣٣
 لويس دوهارو ٣٣٢

قحطان بن الميسع ٢٩٥
 قديره ٢٨، ٣٩، ٢٦٠
 القرامطة ٢٧٣
 قرشتويل بن بليان ٣٩٤
 قرشتينه بنت اندراش ٤١٦
 قسطنس (امبراطور) ٤٣٩
 قسطنطين (امبراطور) ٤٣٩
 قسطنطين بن ايون ٤٧٠
 قشير بن كعب ٢٩٣
 قضاة بن مالك بن حير ٢٩٨
 القلقشندي ١٦، ٢٣، ٤٦، ٣٦٦
 ٢٦٧، ٤٦٦
 قلمية بنت فرنند ٣٦٠
 قلوبظره (الملكة) ٦٠
 القنديلش ٣٤
 قيس بن سعد بن عبادة ٢٩٥
 قيس بن هنية بن هوازن ٢٩٤
 قيس بن عيلان ٢٩٣، ٢٩٤
 (ك)
 كارلوس الثالث ٣١١، ٢٤٧
 كارلوس الثاني ٣٣٣، ٣٥٩
 كارلوس الخامس ٣٤٨، ٢٤٩
 كارلوس الرابع ٣١٤، ٣٤٧، ٣٤٨،
 ٣٦٢
 كارلوس السابع ٢٤٩
 كازيري ٢٧، ٢٨
 كاسترو (مصور) ٣١٢
 كامبيازو (مصور) ٣٥٦
 كانتري (حكيم) ٣٥٥
 الكرامية ٢٧٣
 كريستوف كواومب ٣٣٨، ٣٥٢
 الكريكو (مصور) ٣١٢
 كسبار بسمه ٣١١
 كلاب بن ربيعة ٢٩٣
 كلب بن وبرة ٢٩٨

المقري (صاحب نفع الطيب) ١٦، ٢٩، ٣٣، ١٥٤، ١٥٢، ١٥١، ١٥٥، ٢١٧، ٢١٢، ٢٧٧، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧١	مرتير شانجس (مهندس) ٤٠٠، ٤٢٩، مرتين غرسيه ٣٩٩ مرتين فرنس القرموي ٤٠٦ مرتين قابله ٣٨٦	محمد بن عباد (العمد) ٢٠٠، ٢٤٨، ٢٠٣ محمد بن عبد الرحمن بن الحسك ٤٥٩، ٣٤٣، ٣٠٠
مقيال بن سليان ٣٨٧ مقيال بن سيد (الوزير) ٣٩٣ مقيال بن علي بن عمر ٢٩٢ مقيال بن يواس ٣٧٣ ملرن ٣٨، ٣٧ ماندة الدليل ٣٨٧ ملندة فرنس ٤١٨ منبه بن معد المشيرة ٢٩٦	مرتين بن يحيى بن عبد العزيز ٣٩١ رشكيظه ٣٨٥ مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ٢١٧ مروان بن غالب ٢٧٠ مريه بنت تمام ٣٨٤ مريه بنت حسين بن فرون ٣٩٧ مريم (زوج عبد الله القران) ٤١٦ مريم بنت محمد ٤٠٧	محمد بن عبد الرحمن الصفار ٤٠٤ محمد بن عبد الرحمن بن محمد ٤٠٨ محمد بن عبد الرفيق ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣ محمد بن عبد الله ^{عليه السلام} ٢٩٠، ٢٢٤، ٤٤ ٤٢٣
مندوزا (مطران طليطلة) ٣٢٩، ٤٤٤ منذر بن سعيد البلوطي ٤٧٠ المنذر بن محمد ٣٠٠ المنصور بن أبي عامر ٢٠٢، ٢٥٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٤٢، ٤٥٢، ٤٦٠، ٤٦٦ منكئة ٣٧ المهدي محمد بن هشام ٣٠ مهرة بن حيدان ٢٩٨ مورلو ٣١٣ موسى بن الشحات الاز اثلي ٣٩٥ موسى بن نصير ٦٣، ٨١، ١٦٩، ١٩١، ٢٠٠، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٩٩، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٧١ مؤنس المظفر ٤٧٠ ميشال دوسر ٣٣٩ ميقايل أرتند ٣٨٦ ميقايل بن بقي ٣٧١ ميقايل بن سلمة ٣٨٤ ميقايل بن شبيب بن عبد الرحمن ٣٨٣ ميقايل ميظس ٣٧٥ ميقايل يوانش ٣٨٤ ميكال (ملك البرتغال) ٣٤٩	مسلم بن الحجاج ٤٤٦ مسلمة بن احمد المجر يطي (لفلكي) ٣٤٥ مسعود زرقون ٣٦٩ المسودي ١٦، ٣٩، ٤١، ١٥٩، ١٨٤، ٢٣٠، ٢٦٢، ٤٦٩، ٤٧٠ مسعود بن يحيى ٣٧٣ مطرف (شاعر غرناطه) ٢٠٠ المعافر بن يفر ٢٩٧ المعتضد (العباسي) ٢٤٨ المعتد بن عباد (محمد) ٢٠٠، ٢٤٨، ٢٠٣ المعتد هشام بن محمد ٣٠٠ معد بن عدنان ٢٩٦ المغامي (الشيخ) ٤٢٨ المغورين ٩٢ مفرج بن خير ٣٧٢ مفرج بن عثمان ٣٦٩ المقدر بالله ٤٧٠ المقدسي ١٦، ٤٠، ٣٦٨، ٣٧١	محمد بن عبد الله الأشجعي ٢٩٤، ٣٩٩ محمد بن عبد الله الانصاري ٣٦٨ محمد بن عبد الله بن حدير ٤٦٠ محمد بن عبد الله بن عيشون ٤٤٦ محمد بن عبد الملك بن أين ٤٤٦ محمد بن عمر بن لبابة ٤٤٦ محمد بن غازي المكناسي ٣٥٤ محمد بن مرديش ٣٠٠ محمد المناري ولد القنان ٤٠٢ محمد المهدي الجابي ١٩ محمد (مهندس عربي) ٣٠٩ محمد بن هانئ (الشاعر) ٢٩٥ محمد بن هشام بن عبد الحيار ٤٦٠ محمد بن يعيش الاسدي ٤٦٠ محمد بن يوسف بن اسماعيل ٢٩١ مدرازو (مصور) ٣١٤ مراد بن مالك بن أدد ٢٩٦ المراكشي ٣٦ مرة بن أدد ٢٩٦ مرة بن صعصعة ٢٩٣ مرتين الارحيد ياقن ٣٧١ مرتين بن أستانف ٣٧٤ مرتين باطروس ٣٧٦ مرتين بن حسن ٤١١ مرتين الحياط ٣٧١ مرتين بن رمانش ٣٧٦ مرتين سلمة بن ابي حجة ٣٧٦

يحيى بن عبد الرحمن الجريطى ٣٤٥
 يحيى بن عبد السلام ٣٦٩
 يحيى بن عبد الله الفافقى ٣٦٨
 يحيى بن عدي ٣٥٤
 يحيى بن على الملقى ٣٨٩
 يحيى بن على بن يحيى ٢٧٣
 يحيى بن العوام الاشيلي ٣٥٥
 يحيى بن قريش ٣٦٩
 يحيى بن مالك بن عائذ ٤٤٦
 يحيى بن محمد الجريطى ٣٤٤
 يحيى بن محمد الأنصارى ٤٢٠
 يحيى بن معبد ٣٧٠
 يحيى بن مفرج ٣٧٥
 يحيى بن وليد ٣٧٦ ، ٣٨٦
 يحيى بن يحيى المقيه ٤٤٦
 يزيدور (مطران) ٤٣٩
 يشة بنت مرتين ٣٨٣
 يشة الحريرى ٣٦٨
 يشاش فليش بطره ٣٦٩
 يعقوب البرساونى ٣٧١
 يعقوب أنصور (ملك المغرب)
 ١٩٦ ، ٢٤٠ ، ٤٦٢
 اليقوبى ٣٩
 يعيش الحياط الفرناطى ٣٠٣ ، ٣٠٤
 يعيش بن فيلبش ٣٧٣
 يعيش بن قريش ٣٧٦
 يلبان بن أبى الحسن ٣٨٤
 يلبان بن فرحون ٣٨٤
 ينبوشاد ٣٥٥
 يوان بن خلف ٣٦٨
 يوان رودميروس ٤٠٩
 يوان بن غار ٣٧٥
 يوان بن عثمان ٣٨٤
 يوان فرندس ٤٠٦
 يوان الكراستى ٣٧٥
 يوان (مستعرب) ٣٨٧

هند بنت جبران ٤١٢
 هند بنت عبد الرحمن ٤٢٠
 هنري الثالث ٣٤٦ ، ٣٥٨
 هنرى دوايلاس (مهندس) ٤٣٠
 هنري الرابع ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٢
 هوازن بن عوف ٢٩٨
 هوازن بن منصور بن عكرمة ٣٩٣
 هور الافرنجى ٣٧٤
 هود (عليه السلام) ٢٩٤
 الميثم بن عبيد الكلاني ٢٩٩
 (و)
 واضح (القائد) ٤٦٠
 ويالك وونس ٣٧٤
 الوطاسى ١٥٥
 وهب بن عيسى ٣٤٤
 وهب بن مسرة ٣٤٤
 وهب بن وهب ٣٧٢
 الوليد بن عبد الملك ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٤٦٧
 (س)
 بأحوج بن يافت بن نوح ١٧٨
 يافت بن نوح ٢٦٢
 ياقوت الحوى ١٦ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٥٧ ، ٢٢٢ ، ٣٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣
 يحصب ٢٩٨
 يحيى بن اسماعيل ٣١٦
 يحيى بن ذى التون ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٢
 يحيى بن خلف ٣٦٩
 يحيى بن خليل ٣٨٣
 يحيى بن سرير ٣٧٢
 يحيى بن سميد ٣٧٦
 يحيى بن سلعة الكلبي ٣٩٩

ميكال لويس ٣٣٠
 مينوز (مصور) ٣١٣
 مينوه ادفونس (القائد) ٣٧٥
 ميهونه بنت يحيى ٤٠٤
 (ن)
 نابليون الاول ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
 الناصر على بن حمود ٣٠٠
 الناصر السلاوى (مؤرخ) ٣٥٨
 نفاريت للسكرونى (مصور) ٣٥٦
 نافع (شيخ القراء) ٢٧٣ ، ٢٧٢
 نرسيزوبشكوال ٣٤٩
 نزهة بنت سعيد الأوريونى ٤٠٨
 نزهونة بنت الفلاعى ٢١٤ ، ٢١٨
 نزهونة الركوبيه ٢١٤
 النعمان بن المنذر ٢٩٧
 نغلاش دطوريش ٣٨٥
 النمر بن قاسط الاسدى ٢٩٤
 نعيم بن عامر بن حصصه ٢٩٣
 (ه)
 هارون بن موسى الأديب ٣٤٣ ، ٣٤٤
 هاشم القراب ٤٥٩
 هامر ٣٧ ، ٣٨
 هذيل بن حكم ٣٦٩
 هذيل بن مدركة بن الياس ٢٩٣
 هربرت بنلك ٣٧٤
 هرقلس ١٥٨
 هريرة (البناء) ٣٣٨ ، ٣٥٥
 هريرة (مصور) ٣١٣
 هشام الأول ٤٥٧
 هشام بن الحكم ٣٠٠
 هشام الرضى ٣٠٠
 هشام بن عبد الرحمن ٣٦٥ ، ٣٦٨
 هشام بن عبد الملك بن مروان ٣٦٥
 هشام بن عذرة ٤٥٦
 الهذلي ١٦ ، ٣٩ ، ٤٤٨ ، ١٥١

ابن عذاري ١٦، ٤٤١، ٤٥٢	ابن جبير ٢٦٣	يوان بن يليان الصقل ٣٦٩
ان السال الشاعر ٤٤١	ابن جزري ١٩٠، ١٩٣، ٢١٥	يوانش بن تمام ٣٨٧
ابن علقمة ٤٤٤	ابن جهور ٣٠٠	يوانش بن عطاق ٣٨٧
ابن العماد ٢٦٧	ابن حجاب ٣٣٦	يوانش بن مقابل بن عبد العزيز
ابن عمار ٢٢٢	ابن حزم ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٥	٣٦٩ ، ٣٩٢
ابن عميرة ١٦ ، ٤٧٠	٣٣٠	يوانش بن ملوك ٣٧٣
ابن غالب ٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨	ابن حوقل ١٦ ، ٤٢، ٣٩ ، ٥٤	يوسف (عليه السلام) ١٩٧
ابن فرحون (قسيس) ٣٧٢	٤٦٨، ٢٤٤، ١٥٧	يوسف بن ابي الحجاج ٢٩١
ابن الفرضي ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥	ابن حيان ١٦٠، ١٧١، ١٩٣، ٢٤٥	يوسف بونابرت ٣٤٧
٤٤٦	٤٧١، ٢٩٩، ٢٤٧	يوسف بن تاشفين ٤٤٦، ٤٤٦، ٣٠٠
ابن الفصال ٣٥٥	ابن خرداذبه ٣٩، ٣٦٨، ٢٧٦	يوسف بن عبد الرحمن الفهري
ابن الفقيه ٢٧٦	ابن خفاجة ٢٠٩، ٢٤٣	٢٤٥، ٣٤٤، ٣٠٠، ٢٩٩
ابن اللبابة ٢٠٩	ابن خلدون ١٦، ١٩، ١٨٦، ٤٦٧	يوسف بن عبد المؤمن ١٩٥
ابن اليسع ١٥٩، ٢٠٣، ٢٤٢	٤٧٠	يوسف الفماری ٤٠٤
ابن مالك ٣٨١	ابن خلصكان ٤٤٤	يوسف الفهري ٤٥٤، ٣٧٧
ابن مالك الرعيني ٢١٤	ابن الحارثة ٢٣٨	يوسف بن محمد الشقيق ٤٠٧
ابن مسرة ٤٦٠	ابن ذي النون ٣٠٨، ٤٢٨	يوسف بن هارون الرمادي الشاعر
ابن المطرف ٣٥٤	ابن رزين ٧٧، ١٠٤	٢٩٧
ابن مفلح ٢٤١	ابن رشد ٣٤٥	يوسف بن يعيش اليهودي ٣٧١
ابن مقاتا الاشبوني ٢٤٨	ابن رشيق ٢٤٨	يوليان بيريز ٤٣٨
ابن هلاله ٣٠٠	ابن الربيعي ٣٠١	يوليان فيسون ٣٢٤
ابن هود ٢٤٩، ٢٥٦	ابن زاكور ٣٥٣	يوليان بن يحيى ٣٧٤
(بنو)	ابن الرقاق ٢١٧	يوليوس قيصر ١٩٧
بنو أبي عبدة ٢٩٨	ابن سعيد ٣٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠	(ابن)
بنو الأحرر ٢٩٥، ٣٠١	١٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥	ابن الأبار ١٦، ٣٥٤، ٣٦٠
بنو أسد ٢٩٤	٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨	ان الاثير ١٦
بنو أضحى ٢٩٤	٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١	ابن ابي لجود ٣٥٥
بنو أمية ٢٤٦، ٢٤٨، ٣٥٢	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٣٧	ابن الاحمر ٢٥٦، ٢٥٠
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٩٥، ٢٩٩	٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٧	ابن ابي عامر ١٣٠
٣٠٠، ٣١٥، ٣٦٤، ٤٤٤، ٤٥٤	٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٤٦٦	ابن الافطس ٤٤٣
٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٠	ابن سفر ١٩٧، ٢٤٢	ابن بديون ٢٢٢، ٢٢٣، ٤٤٣
بنو الباجي ٢٩٧	ابن سيده ٣٦١	ابن بسمام ٣٥٤، ٣٧٧، ٤٢٨
بنو الجد ٢٩٢	ابن شرف ١٩١	ابن بشكوال ١٦٦، ١٩٦، ٢٣٥، ٢٣٦
	ابن طورينو ٣٧٥	٢٤٤، ٢٤٣، ٣٦٠
	ابن عباد ٣٠٠	ابن بطلان ٣٥٤
	ابن عبدون ٢٢٢	ابن بطوطه ١٩٣، ٢١٤، ٢١٥

	(أبو)	
ابو حفص بن عمر ٢٩٣	ابو اسحاق الطرسوني ٢١٨	بنو حمور ٢٩٨
ابو خنيفة النعمان ٢٧٢	ابو اسحاق العمراني ٣٧٢	بنو جودي ٢٩٣
ابو خالد بن اسطر ٣٦٩	ابو الأصبح القاضي ٤٣٥	بنو حزم ٢٩٣
ابو الخطار الكلابي ٢٩٩	ابو بكر بن الحديدي ٤٥٥ ، ٤٦٠	بنو حمديس ٢٩٤
ابو الخير الاشيلي ٣٥٥	ابو بكر بن زهر ١٩٦	بنو حمود ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠
ابو زكريا يحيى ٣٠١	ابو بكر بن زيدون ٢٩٢	بنو ذي النون ٣٧٤ ، ٢٠٠ ، ٤٤١ ، ٤٤١
ابو زيد ٢١٣	ابو بكر بن سعادة ١٩٦	٤٦٠ ، ٤٥١
ابو سرور فرج ٤٠٥	ابو بكر بن سعيد ٢٢٧ ، ٢٢٨	بنو رشيق ٢٩٤
ابو صفوان بن ادريس ٢١٠	ابو بكر بن عبادة ٢٩٥	بنو زهرة ٢٩٢ ، ٢٩٤
ابو الطاهر (صاحب المقامات اللزومية) ٢٩٣	ابو بكر بن عمار ٢٩٨	بنو سراج ٢٩٦
ابو الطيب حمدان ٢٧٣	ابو بكر بن القيطرته ١٩٦	بنو سعيد ٢٩٦
ابو الطيب المقرئ ٢٨٤	ابو بكر السبقي ٢١٥	بنو سماك ٢٩٦
ابو عامر السلمى ١٥٨	ابو بكر الخزومي الشاعر ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٩٢	بنو عباد ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧
ابو عبد الله الاحمر ١٥٥ ، ٣٤٨	ابو بكر يعيش ٤٦٠	بنو العباس ٤٦٩ ، ٤٧٠
ابو عبد الله الحناط الشاعر ٢٩٧	ابو تغلب الفضفري ٤٩	بنو عبد البر ٣٩٤
ابو عبد الله بن ابى الخصال ٢٩٦	ابو جعفر بن خاتمة ٢٠٣	بنو عبد النار ٢٩٢
ابو عبد الله الطليطي ٤٤٦	ابو جعفر بن عقدة ٢١٧	بنو عبد السلام ٢٩٧
ابو عبد الله قاضي الجماعة ١٩٣	ابو جعفر الكنتاني ٢٩٣	بنو عبد المؤمن ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢
ابو عبد الله بن عياش ٢١٨	ابو الحجاج البلوي ١٩٢	بنو عذرة ٢٩٨
ابو عبد الله الحشني ٣٥١	ابو الحسن بن حاتم ٤٠٩	بنو عطية ٢٩٤
ابو عبد الله المنصفي ٢١٨	ابو الحسن بن حريق ٢١٨	بنو القاسم ٢٩٢
ابو عبد الله بن ميمون ٢٠٧	ابو الحسن بن ذكرى ٣٦٩	بنو القاسمي ٢٩٥
ابو عبد الله الياكوري ٢٠٣	ابو الحسن زيزة ٤٠٥	بنو مازن ٢٩٥
ابو عبيد البكري ١٥٨ ، ٢٩٤	ابو الحسن بن سراج ١٩٦	بنو محارب ٢٩٢
ابو عمر بن ابي سليمان ٢٩٩	ابو الحسن البشري ٣٩٨	بنو مردنيش ٢٩٧
ابو عمر بن اسرائيل ٣٩٩	ابو الحسن على بن موسى ٢٠٠	بنو مروان ٢٤٤ ، ٢٩٩
ابو عمر بن شهيد ١٩٧	ابو الحسن بن نزار ١٨٩	بنو المنتصر ٢٩٦
ابو عمر شوشان ٣٩٠	ابو الحسن بن يامن ٤٠٦ ، ٤٠٧	بنو المهلب ٢٩٥
ابو عمر بن الشيخ ابى سليمان ٤٠٥		بنو هاشم ٢٩٢
ابو عمر بن عبد البر ٢٩٤		بنو هود ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٤٤١
		بنو وافتد ٢٩٧

فهرس الأماكن والبلاد

الواردة في الجزء الأول من كتاب

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية

رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

	أدلى ٥٤	(١)
٣١١، ٣١٠، ٣٠٩، ٣٠٦، ٣٠٠	ازبلا ٦٦	أباحو ٣٥٥
٣٥٠، ٣٤٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٢	استجة ٤٠، ٧٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤	آبار الرتبة ١١٨
٤٥٠، ٤٣٩، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٦٤	٢٣٤، ٢٠٥	ابان ١٣٥، ١٣٤
٤٦٦	الاسترامادور ٣٢٠، ٣١٨	أبنة ١١٦، ١٢٨، ١٨٠، ٢٠٥، ٣٠٩
الاشتورياس ٣٣٠	استورقة ٣١١	آبلة ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٤١
اشكونية ٢٢٢	استورية ٣٢	٣٤٢
إشمة ٤١	اسطبة ٢٠٥	ابلس ٥٤، ٥٣
اشونة ٧٤، ٤٠	اسقى ٩٨	الابواب ١٦٦، ١٦٣، ٦٠
اصبان ١٦٨	اسكندرية ١١٩، ١٤٨، ٢٤٢، ٤٣٩	اخشبية ٣٦٨، ٥٢
اطرابزنده ٤٧	الاسكوريال ٣١٠، ٣١١، ٣٥٥	اراغون ٣٢٢، ٣١٢، ٣١٧، ٣٤٩
اطرية ٤١	٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٦	ارانجيز ٣٦٢، ٣٦٣
اغريطة ١٦٣	اشبانيا ٣٤، ٦١، ٧٢	اراندة ٣٣٣
إفراغة ٤١، ٧٩، ٢٦٥	الاشبلونة ١٨٠	ارانفورن ٣٣٢
افرايدة ١٢٦	اشبونة ٣٦، ٤٠، ٥٥، ٥٨، ١٥٩	اربونة ٣١، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ١٥٩
آفارية ٣٤	١٨١، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٦٠	١٦٠، ٢٦٥، ٢٦٧
آقرسيف ٦٩	٢٦٧	ارجدونة ٤٧
اقشبونة ٤٠	اشبيلية ٢٧، ٣٠، ٣٣، ٤٠، ٤٥، ٥١	ارجونة ٢٦٨، ٢٦٩
اقليش ٧٩، ١١٦، ١٦١	٧٤، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٩	ارحيرة ٧٦، ٤٠
اكاديمية التاريخ ٣١١، ٣٥٣	١١٧، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٣	الأردن ٤٠
اكشونية ١٧٩	١٤٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٨٠	ارشدوة ٧٤، ١٣٠
اكشيتانية ٤٠	١٨٧، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨	ارغلزون ٣٣٠
الب ٤٥، ٥٢	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٠٨	ارمينية ٥١
الدة ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٠	٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣	ارنيدة ٤٠
الش ٣١، ٥٢، ٧٦، ١١١، ١١٢، ١٤٥	٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٠	ارنيط ٧٩
السانة ١٣١، ١٣٣، ٢٠٥	٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٢	اريفالو ٣٤٠، ٣٤٣
أموربيطة ٣٣١	٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩	
انتقيرة ١٣٠		
اندة ٢١٩		

٣٨٤	باب عبد الجبار	٢٠٥
٣٤٦	باب المطارين	انزلاق ٦٨
١٩٢، ١٩١، ١٢٩، ١٢٠، ٧٥	باب العقاب	انظاكية ١٤٧
٢٢٣	باب قرون	انكوره ٥٤
١٦١، ١٦٠، ١٦٠، ٥٩، ٥٦	باب القنطرة	اويط ٣٣٦، ٤٨٠، ٤٠
٢٦٦، ٢٢٣، ١٦٦	باب لانتنه	اوردوتية ٢٢٣
بررعة ٥١	باب الحاضه	اوريوته ٢٩٣، ٢٠٦، ١١٧، ١١١، ٧٦
برشانه ٧٥	باب مردوم	اوسما ٣٣٤
برشلونه ٨٠، ٥٨، ٤١، ٣٦، ٣١، ٣٠	باب المسخ	اولية ٢٧٠
١٧١، ١٦٠، ١٤٨، ١٤٧، ١٠٨	باب المكاره	اوليدور ٢٤٣، ٢٤٢
٣١٢، ٣٠٦، ٣٠٥، ٢١٦، ١٨١	باب الهدى	وليش الكبرى ٤٣٤، ٢٠٦، ٣٩٠
برغش ٣١٩، ٣١١، ٣١٠، ٣٠٩	باب وادي الحجارة	اوتيه ٢٠٨، ٢٩٤، ٢٢٣
٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤	باب اليهود	اونداروه ٣٣١
٣٤٧، ٣٣٩	نابل ١٤٩	ايبار ٣٣١
٤٣٩، ٢٧٤	باتيكة ٢٢	ايرون ٢٢٩
بركة منسا ٢٢٠	باجه ٢٦٨، ٢٦٠	ايكجا ٢٧٥
برلمانيه ٢٠٧	بادس ٦٩، ٦٨، ٦٣	ايليا ١٧٢
برميو ٣٣١	باروشه ٢٠٧، ٤٠	ايوان كسري ٤٤٧
بروكسل ٣٥٦	باشكونيه ١٨١	
بريانه ٢٦٩، ٧٦	باطقه ٣٤	(ب)
بريفسكا ٢٢٣	باغه ٢٢٢، ٢٠٠، ١٨٩، ١٣٠	باب الابواب ٥١
بزليانه ١٢٣	بافيه ٣٥٣، ٣٤٦	باب اقلام ٦٧
بزليطه ٢٠٠	بالش ١١٢، ٧٥	باب بيزغره ٤٣٦
بسطة ١٢٨، ١٢٦، ٧٦	بيشطر ٧٤	باب الجعفرية ٣٥١
بسقاية ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٢، ٢٢١	مجانة ٤٠، ٤١، ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٧٥	باب الحديد ٢٦٩
بسكونس ٤٥، ٤٢	٣٦٨، ٢٤٢، ١٨٠، ١٤٧، ١٢٤	باب الديباغين ٢٢٩
البشارات ٧٦، ٧٥، ٤٠	٢٧١	باب ساحة النارنج ٣٠٦
البشرة ١٧٩	البجانس ١٢٠	باب سانتو دو مينكو ٣٤٦
البصره (المغربيه) ٦٦	البحيره ٤٠	باب سان مرتين ٤٤٦، ٤٢٢
بطرانه ٢١٩، ٢١٨، ١٨١، ١٢١	بذه ٧٩	باب سراده ٣٤٦
بطروش ١٤٥، ٧٧	برباطانيه ٤٠	باب السول ٤٣٦، ٤٣٧
بطليوس ٢٩، ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٧٨	بريشتر ٤١	باب الشقره ٤٣٦، ٤٦٤
١٤٧، ١٤٦، ٩٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦	البرتات ٧٩، ٤٠	باب الشمس ٣٤٨
٢٩٨، ٢٧١، ٢٦٠، ٢٢٣، ٢٠٧	برتمان الكبير ١١٢	باب الصول ٣٤٦
٤٤٣	برجان ١٧١	باب طليطله ٤٣٦
بغداد ٢٦٩، ١٥٥، ٤٨	برج سرافوس ٧٢	باب عامر ٢٦٩

جبل ابقادو ٣٢٩	بيجة ٤٠	بكة ٧٣
جبل البرانس ٣٠٢، ١٨١	البيرة ٤٠، ٤٦، ٧٥، ١٢٩، ١٨٠	بكيران ١١١
جبل البرت ١٦٠، ١٦٢، ١٦٦، ٣٦٧	١٨١، ١٨٨، ١٩٠	البلاط ٤٠، ٧٨، ٧٧، ١٠٠
جبال بسقاية ٣١٧	بيغو ٢٦٨، ٢٧٠	بلاط مروان ٢٦٩، ٢٦٨
جبال البشرات ٢٨	بيلة انتقوه ٣٩٧	بلاطة ٧٨
جبل البشكنس ١٦٣	بيونة ٣٢٤	بلباو ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٣
جبل البصرة ٦٦	(ت)	بلد الوليد ١٣٩، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١،
جبل بطش ٤٨		٣٢٠، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٥٢
جبل الثلج ٣٧، ١٢٩	تافركنيت ٦٩	بلدوذ ١٢٥
جبال حمة ١٨١	ناكرونة ٤١	بلشانة ١٣٣
جبل سهيل ٢٠٤	ناهرت ٢٦٨، ٢٧١	بلش ٢٠٦
جبل الشارة ٣٦٧	تدمير ٤٠، ٧٦، ١١٤، ١٦٤، ١٨٠،	بلسكونة ٢٠٥، ٢٧٠
جبل شحيران ١٨٠	١٨١، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٧١، ٢٩٣	بلنسية (٣١، ٣٦، ٤٠، ٤٥، ٥٣، ٥٨،
جبل الشرف ١٩٨	ترحيلة ٥٣، ١٠٠	٧٣، ٧٣، ١٠٩، ١١٠، ١١٤،
جبال طليطة ٢٩	تشمش ٦٥، ٦٦	١١٥، ١٧١، ١٨٠، ٢٠٦، ٢١٢،
جبل طافور ١٤٦	تطوان ٣٥	٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٦٦،
جبل الغروس ١٣٦	تظيلة ٢٨، ٤٠، ٤١، ٧٩، ١٠٦، ١٠٧، ٢٠٧،	٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٣، ٣١٢،
جبل العليا ٣٢٩	٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٤، ٣١٢،	٣١٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٦،
جبل النور ٥٥	تلمسان ٦٩	٣٥٠، ٤٥١
جبل فأره ١٢٩	تمريط ٢٠٧	بليانة ٢٠٧
جبل قاعون ٥٦، ١١٠	تنس ١٤٧	بليسانة ١٢١
جبال قفسالة ٣٦	توركادة ٣٣٣	بليونش ٦٣
جبال قطبرية ٢٨، ٣١٨، ٣٢١	تورو ٣٣٤	بمغام ١٠٢
جبال الكراكب ٦٨	تونس ٥٤، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٦٨،	ببلونة ٢٧، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٤
جبال كور ١٢٧	٢٧٥، ٣٥٢، ٣٥٣	بنك بلباو ٣٣٣
جبل لاهم ١١٩	تيطل ٢١٩	بنى عبدوس ١٢٤
جبل منت ليون ٨٤، ١٧٩	(ث)	بنى وزار ٦٣، ٧٠
جبل المنية ٦٤	الثغر الأعلى ٢٠٦	بوتسد، ام ٣٦٣
جبل موسي ٦٣	(ج)	بورقة ٤١
جبال نيفادة ٣٦		بورياتنة ١٠٨، ١٠٩
جبال يابسة ١١٠		بوزكور ٦٨، ٦٩
جراو ٦٩	حاقة ٧٢، ٧٩	بياسة ١١٦، ١٢٨، ٢٠٥، ٢٦٨، ٢٧١،
جرف ٤٠	جبال الاجراف ٦٩	٣٠٩، ٣١٠
الجزائر ٣٥٣	جبال استورياس ٣١٧، ٣١٨	بيانة ٧٤، ١٣١، ٢٠٥
جزيرة أبلناصة ١١٢	جبال الاغن ١٦٢	بوغاز جبل طارق ٢٧، ٣٠، ٣٢
جزيرة اجيال ١٧١	الجبال الايرية ٣١٨	بيت المقدس ٢٠١، ٢٦٦،

الحرشة ٧٠	جزيرة قبرص ١٤٩	جزيرة إرشقول ٦٩
حصن أبال ١٤٧	جزيرة قربيرة ١١٤	جزيرة أفور ٦٠
حصن ابن هارون ٧٧	جزيرة القشقر ٦٩	جزيرة أم حكيم ٨١
حصن أرجونة ٥٢٠	جزيرة القتير ٨٠	الجزيرة الأندلسية ٣١، ٣٢، ٣٦،
حصن أركش ٧٣	جزيرة كريت ٤٣٤	٤٠، ٤٥، ٦١، ٧٠، ١٦٠، ٢٠٤،
حصن أرندة ٩٩	جزائر مزغناى ٥٤	٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٦٦،
حصن أسلان ٧٠	جزيرة ميورقة ٣٠، ٥١، ٥٦، ١٤٧،	٤٣٣، ٤٥١، ٤٦٢، ٤٦٩
حصن أشر ١٣٠	١٦٠، ١٦٣، ٢٠٩، ٢٦٦، ٢٦٧،	الجزيرة الايبيرية ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧،
حصن أشونه ١٣٣	٣٣٢	٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٠، ٣٠٢،
حصن إفرد ١١٧	جزيرة مينورقة ٥٦، ١٤٨، ١٦٠،	٢١٧، ٣٢٦، ٤٥٣
حصن آقه ١١٣	١٦٣، ٩٠، ٢٦٧،	جزيرة بريطانيا الكبيرة ١٦١،
حصن أندا ٢١٩	جزيرة النساء ١٧١	١٦٦، ١٧١، ٢٠٨، ٢٢٩
حصن اندوحر ١١٦	جزيرة ياسة ٢٠٩، ١٤٧	جزيرة تولي ١٧١
حصن برغش ٣٣٤	جزيرة ينشالة ٨٣	جزيرة جبل طارق ٣٦٨، ٥٥
حصن بكيوران ١١١	جسر سان مارتين ٤٣٢	جزيرة الحجيل ٣٢٨
حصن بطروش ١٤٥، ١٤٦،	جسر قرطبة ١٩٣، ١٩٤، ٣٠٤،	الجزائر الخالدات ٢٠٧
حصن البلاط ١٠٠	جسر طليطلة ٤٢٤	الجزيرة الخضراء ٢٠٨، ٣٢، ٥٦،
حصن بلاى ١٣٢	جلنكش ٣٦٧	٦٣، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٣٠،
حصن باسكونة ٢٦٨	جليانة ٥٢	١٧٠، ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٩٧،
حصن بندر ١٤٦	جليقية ٤٤١، ١٦٦، ٤٥	٢٩٨، ٣٨١
حصن بشككة ١٠٨	جنان الورد ٤٤٥	جزيرة سردانية ١٤٨
حصن بوترون ٣٢٧	جنة الحنشى ٤١٢	جزائر السماعات ٢٠٨
حصن البولت ١٨٠	جنة النبات ٣٥٠	جزيرة شقر ١٠٩، ١١٠، ١١٥،
حصن بيانة ١٣١	جنجاله ٧٦، ١١٤، ١١٥،	٢٠٦، ٢٤٣
حصن بيرة ١١٣، ١١٨	جنوة ٣٠٩	جزيرة شلطش ٥٨، ٧٤، ٨٥، ٨٦،
حصن تاجمريت ٦٩	الجوف ٥٨، ١٦٣، ٤٤٥،	٨٩، ٢٠٨
حصن تاجه ٤٦٦	الجويبار ٣٣١	جزيرة صقلية ٤٥، ١٧١، ٢٥٩،
حصن تشكر ٧٦	جيان ٤٠، ٤٥، ٧٥، ١٢٧، ١٢٨،	٢٦٨
حصن قطاون ٦٨	٢٠٥، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠،	جزيرة طرف ٣٥، ٣٦، ٥٦، ٥٨،
حصن تقساس ٦٨	٣٤٥، ٣٨١، ٣٨٢،	٦٣، ٧٣، ٧٦، ٨٠، ١٧٠، ١٨٤،
حصن الجرف ١١٧، ١٣٥	جيرونة ٤٢	٢٠٠
حصن جليانة ١٩٠	جيرونة ٣١	جزيرة العرب ٣١، ٦٠،
حصن حيرة ١٠٦	(ح)	جزيرة الفم ٧٠، ٩٧،
حصن الحش ١٤٦، ١٤٧	الحامة ٢٠٦	جزيرة الفيان ١١٢
حصن الحمة ١١٧، ١٢٤	حجر ابن خالد ٦٧، ٧٩،	جزيرة قانس ٥٨، ٧٣، ٨٣، ٨٦،
حصن دلو ١٢٥	حديقة النبات (في بلنسية) ٣٥٠،	١٣٤، ١٥٩، ٢٠٧، ٢٣٣، ٢٣٤،
		٣٦٦

خليج برديل ٣١	حصن المدور ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،	حصن الريحين ١٠٩
الخليج الرومي ٤٥	٢٩٢ ، ٢٢٨	حصن الزهر ٨٣
خليج قانس ٢٩	حصن مراد ٣٩٦ ، ١٣٥	حصن سان سرفندي ٤٢٣
الحنادق ١٣٥	حصن مرية بلش ١٢٣	حصن شقورى ١١٤
خندق آش ١٢٦	حصن مسيكا ٦٨	حصن شنت افرج ١٩٨
خندق فير ١٢٥	حصن الممدن ٩٢	حصن شنت باله ١٩٢
الخورنق ١٩٤ ، ٤٤٧	حصن منت ميور ١٨٠ ، ٩٢	حصن شنش ٢٠٤
(د)	حصن منترك ١٣٢	حصن شوذر ١٢٨
دار البقر ١٤٥	حصن مندوجر ١٢٥ ، ١٢٤	حصن صالحه ١٢٣
دار البلدية ٣٠٩	حصن المنكب ٥٦	حصن طشكر ١٢٧
دار الطيخ ٩٠ ، ٨٩	حصن مورة ٣٧٢ ، ٣٧٥	حصن طشكره ٨٠
دار المخازن ٤٦٢	حصن موله ١١٧	حصن طويه ١٢٨
دار المؤتمر ٣٤٩	حصن ولبه ٨٧	حصن غافق ١٤٦
الداموس ٨٩	حصن موت ٢٩٨	حصن فريبره ١٢٥
دانية ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١	حلب ٢٤٥ ، ٢٤٢	حصن فريش ١٣٥
٢٠٦ ، ١٤٧ ، ١١٥	حلق الراوية ٨٧	حصن فنيانه ١٢٥
درب المغررين ٩٤	حلوق بالش ١١٢	حصن قبره ١٣١
دروقة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٣٥١	حاه ٢٤٢	حصن قبداق ١٣١
دشمة ١٢٦	حام بلباو ٣٣٢	حصن القصير ١٢٥
الدقالي ٧٥	حام الكهف ٤٥٣ ، ٤٣٢	حصن قليره ٥٨
دلایه ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٧٩	الحنه ١٣٢ ، ٩٤	حصن قسطله ٨٦
دمشق ١٥٩ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ١٩٨	حمة عشر ١٢٥	حصن قسطينه الحديد ١٣٥
٢١٥ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥	حمة وشن ١٢٥	حصن قصرس ١٠٠
ذهاجة ٦٦	الحراء ٣١٤ ، ٣٢٤ ، ٣٠٨ ، ٤٣٠	حصن القصر ٧٤
الدواميس ٢٠٨	حصص ٤٠ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢١٠	حصن قطيانه ١١٧ ، ١٣٤
دورنغو ٣٣١	حصل ١٢٥	حصن قليده ١١٠ ، ١١٥
دويره ٤١	حوز الريحانه ٥٨	حصن قيشاطه ١٢٨
دويناس ٣٣٣	حوز المورة ٥٨	حصن القيله ١١٧ ، ١٣٤
دير الاسكوريال ٣٤٣	(خ)	حصن كاستيليو ٣٣٥
دير البدال ٣٠٦	خراسان ٢٧١	حصب كركال ٦٨
دير بيداره ٣١٢	خزانه الاثار القومية ٣٥١	حصن كركوى ٩٩
دير راهبات برغش ٣٣٧	خزانه الاسكوريال ٣٥٨	حصن لبراله ١١٧
ديرسان بابلو ٣٠٥	خزانه دير لورنزو ٣٥٨	حصن لوروقه ١١٨
ديرسان بادروه ٣٠	خزانه الكتب الوطنية ٣٥٠	حصن لوره ١١٧ ، ١٣٤
ديرسان توماس ٣٤١	خشنيه ٢٧١	حصن مارتلة ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٩
ديرسان سلفادور ٣٣٣	الحضراء ١٨٤ ، ٢٠٧	حصن مادلين ١٠٠
	خليج أشبونه ٢٩	

سجلماه ٣٦٨،٣٧١	(ز)	دير سيلوس ٣٣٨
سرته ١١٧،٧٧	الزاهرة ٣٠٠،٣٩٩،١٩٧	دير شنت باترو ٣٩١
سرقسطه ٢٨، ٤٠، ٤٥، ٧٩، ٨٤،	زجان ٦٨	دير شنت قلمنت ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠١،
١٠٩، ١٠٦، ١١٤، ١٦٤، ١٧١،	الزراده ١١٧	٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧،
١٩١، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٢٨، ٣٠٠،	الزقاق ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٨٠،	دير القديس أغناطيرس ٣٣٠
٣٠٨، ٣١١، ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٥١،	ز مورة ٤١، ٣١١، ٣٢٠، ٣٣٤،	دير كاردينيه ٣٣٨، ٣٣٦
٤٥٤، ٤٤١	الزهراء ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٧٤، ١٤٤،	دير بنبلونه ٣١٠
سرقوسة ٢٧١	١٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٥١،	ديفا (مرسي بحري) ٣٣٠
سقبويه ٣٤٦، ٣١٠، ٣٦١، ٣٦٢،	الزولة ٣٣١	ديوان التفتيش ٣١٤
٣٧٤	زومراقه ٣٣٠	(ذ)
سلا ٥٦، ٢٠٨، ٢٢٣،	زوريته ٤٠	الدراده ١٣٥
سموره ٤٥، ٢٦٥،	زوميه ٣٣٠	(ر)
سمور ٤٨	زواغه ١٤٦	رابطة كشتابي ١٠٨، ١١٨،
سيساط ٣٦٣	زيرد الجباله ٨٤	رأس روكه ٣٦
سنناكروسي ٣٠٦	الزيتون ٤٠، ٧٩،	رأس فسنان ٣٦
السبهله ٢٠٦	(س)	رأس كوريوس ٣٦
سهيل ٢٠٤	ساحة البربطبطلة ٤٣٨	رأس المجاز ٦٥
السواني ١٣٥	ساحة السوقه ٣٦٢	رأس مراکش ٣٦
سور مدينه آبله ٣٤٢	ساحة الضمق ٣٥٠، ٣٥٢،	رأس نان ٣٠
السوس ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٣،	ساقية ألس ٧٧	راقويل ٤٠
سول ٣٢٥	سانت أندر ٣٣٢	الران ٥١
سيمنكاس ٤١	سان ايلد فونسو ٣٦٢	ربض الثباين ١٢٤
سيستون ٣٣٠	سان بابلو ٣٠٦	ربض قنتاله ١٢٤
سيودادريال ٣٣٠	سانت ياقو ٣٠٩	الرتبه ٨٤، ١٢٥، ١٢٦
(ش)	سان دورازوانزو ٣٦١	الرصافه ٤٩، ٢١٧، ٢١٨،
شارات آبله ٣٤١	سان سيبتسيان ٣٣٩	الرصيف ١١٤
شارات استريل ٢٩	سان غريغوريو ٣٠٦	رندة ٣٣، ٤١، ٧٥، ٢١٩، ٣٠٧،
شارات سان برناردو ٤٣١	سان كنتين ٢٥٥	روطه ٨٣
شارات غانا ٢٩	سان مرقس ٣٦١	رومه ٣٤، ١٠٢، ١٠٧، ١٨٦، ١٩١، ٢٠١،
شارات غريديوس ٤٣١	سان ميلان ٣٦١	٣٥٦ -
شارات فنفر يا ٣٦١	سبأ ١٤٨، ١٤٩،	رومية الكبرى ٥٥، ١٧١، ٢٣٤، ٣٣٥،
شارات ملاغون ٣٤١	سبته ٢٥، ٣٣، ٥٤، ٥٦، ٦٣، ٦٤،	رومية يوليس ١٩٨
شارات مورتيا ٣٠	٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨١، ١٥٧، ١٨٤،	الريبه ٣٥٥
شارات مورينا ٣١٨، ٣١٩،	١٨٥، ٢٠٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٤٢،	ريو ٤٧
شارات وادي الرمل ٢٢٩، ٣١٩، ٣٤٢،	٤٥٣	ريه ٤٠، ٤١، ٧٤، ١٢٩،
الشارات ٤٥، ٧٨،	سبيرزوس ٣٤٢	

طرسونه ٢٠٧	شتت رمعان ٣٨٤	شارع جرينمو ٢٤٨
طرش ١٢٢	شتت طانكش ٣٤٠	» القامة ٢٤٨
طرطوشه ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٥ ،	شتت فليش ٣٨٤	شارمارتين ٢٤٢
٧٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٨١ ، ٣٦٥ ،	شتت ماريه ٧٧ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٦ ،	شاط ١٢٢
٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٣١٠	٢٠٧	شاطبه ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ،
طرف الاغر ٥٨ ، ٣٣١	شتتمريه ١٦٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،	الشامة البيضاء ١١٤
طرف ثفالل ٦٩	شتت ياقوب ٧١	شجانه ١١٣
طرف جليقيه ٢٣٤	» ياقور ٢٦٦	شدونه ٤٠ ، ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
طرف العرف ٥٨	» ياقور ٢٢٢	٢٦٨ ، ٢٧١
طرف القيطال ١١٢	» ياقوه ١٦١	شروان شاه ٥١
طرف الناظور ١١٢	الشنيده ٢٦٨ ، ٢٧٠	شرف أشيليه ١٩٨ ، ١٩٩
طرركونه ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ،	المنشين ٨٧	الشرف ٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
١٠٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦ ،	شودر ٢٦٨ ، ٢٦٩	شريشه ٧٨ ، ٩٩
٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٦١	شوريه ٢١٩	شربش ٧٣ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٠٧ ،
طريانه ٢١٩	شوشيل ١٣٥	٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٣٠٩
طريف ٢٢	(ص)	ششله ٢٩٧
طريق الزنجيار ١٣٤	صاع ٦٩	شطور ٨٨
طريق لوره ١٣٤	صالحه ٢٩٥	شعراء القوارير ٥٤
طريق الوادي ١٣٤	صان استيان ٣٣٣	شقرش ٧٧
طشان ٧٣	صدف ١٣٤ ، ١٣٥	شقر ٧٦
طلبيرة ٥٣ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،	الصغانيان ٢٧١	شقه ٢٧١
٢٩٣	الصفیحة ٦٢	شقده ٢٣٤
طلمنكه ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،	صقلبه ٢٥ ، ١٨٥ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،	شقوره ٧٦ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٩٦ ،
٢٢٠	صنعا ٢٤٣	شبلونه ١٢٢
طلوزه ٣٠٥ ، ٣٣٠	صنم جليقيه ١٥٩	شلب ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٨٧ ،
طليطم ٣٣٣	صنم قانس ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،	٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٦٠ ،
طليطلة ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ،	٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥	٣١٣ ، ٤٦٦
٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٠١ ،	صور ١٨٥ ، ٢١٦	شلطيش ٨٦ ، ٢٩٤
١٠٣ ، ١٤٥ ، ١٠٧ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ،	الصيرة ١٢٣	شليز الثلج ٣٠
١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،	(ط)	شتت اردم ٢١٩
١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،	طالعة ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ٣١٥ ،	شنتيريه ٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠
٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ،	طبرشانه ١١٧	شتت بيطر ٨٣
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،	طبرقه ٥٤	شنترين ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ،
٢٧٧ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ،	طبيرة ٥٨ ، ٨٦ ، ٣٠٠	٧٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٨٢ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،	طرجاله ٧٥	١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢٦٨
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٤٤ ،		شنترة ٤٥ ، ٥٤ ، ٧٨ ، ٢٠٢
٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ،		

فرغاره ٣٣٠	غاليسيا ٣٦، ٣٢	٤٣٧٠، ٤٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧، ٤٣٦٦
فرنجلوش ١٣٥	غانه ٦٥	٤٣٧٥، ٤٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٢، ٣٧١
فريره ٤٠، ٧٥	الفرا ٥٤	٤٣٨١، ٤٣٨٠، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٦
فريس ٤٠	غرغيرة ٥١	٤٣٨٦، ٤٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢
الفسطاط ٢٤٢	غرذطة ١٤، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٩	٤٣٩٣، ٤٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠، ٤٣٨٧
الفسطاط ١٣٣	١٢٨، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٢، ٧٥	٤٣٩٩، ٤٣٩٨، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٥
الفقر ٧٧	١٥٢، ١٤٧، ١٣٣، ١٣٠، ١٢٩	٤٤٠٩، ٤٤٠٦، ٤٠٣، ٤٠١، ٤٤٠٠
الفلجة ٤٠	١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٥٥، ١٥٤	٤٤١٨، ٤٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤٤١١
فلسطين ٤٠	٢١٥، ٢١٤، ٢١١، ٢٠٥، ٢٠٠	٤٤٢٣، ٤٤٢٢، ٤٢١، ٤٢٠، ٤٤١٩
الفت ١٠٤، ٧٧	٢٣٨، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٤	٤٤٣٠، ٤٤٢٨، ٤٢٦، ٤٢٥، ٤٤٢٤
١١٦	٢٩٠، ٢٧٦، ٢٧٠، ٢٦٨، ٢٥٠	٤٤٣٧، ٤٤٣٦، ٤٣٥، ٢٣٤، ٤٤٣٢
الفندون ١١٣	٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩١	٤٤٤٢، ٤٤٤١، ٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٨
الفهمين ١٠٣، ٧٩	٣١٣، ٣٠٩، ٣٠٨، ٢٩٨، ٢٩٧	٤٤٤٧، ٤٤٤٦، ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٤٤٣
فونتراين ٣٦	٣٨١، ٣٥١، ٣٤٨، ٣٤٥، ٣١٦	٤٤٥٣، ٤٤٥٢، ٤٥١، ٤٥٠، ٤٤٤٨
فيتورية ٢٣	٤٥٠، ٤٤٥، ٤٣٠، ٣٩٩، ٣٨٢	٤٥٠٩، ٤٥٠٨، ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٥٥
فيسانه ٨٤	٤٥٤	٤٥٦٤، ٤٤٦٣، ٤٦٣، ٤٦١، ٤٦٠
فيانا ٣٨٢	غرنيقة ٣٣١	٤٤٦٩، ٤٤٦٨، ٤٦٧، ٤٦٦، ٤٦٥
فينيستير ٣٦	غلسانة ٨٤	٤٤٧١، ٤٤٧٠
فيلابه ٢٤٢	غمدان ١٩٤	طنجه ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٣، ٦٢، ٢٥
(ق)	غوتارية ٣٣٠	٣١٢، ١٨٤، ١٧٠، ١٤٩
قابطه ابن اسود ١١٤	غوطة بلنسية ٣١	٣٤٠، ٣٤٠، ٣٤٠، ٣٤٠، ٣٤٠
قادس ١٤٧، ١٧٠، ٥٦	غوطة دمشق ٣١	ظرا كونه ٨٣، ٨٢
قاعة الاسود ٣٥١	الغيران ١٣٤	(ظ)
قاتت ٢٧٠، ٢٦٨	غيشة ألى ٧٨	(ع)
القاهرة ٢٤٢	غيوسكوه ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤	عبلة ١٢٥
قبتور ١١٧، ٨٣	٣٢٧، ٣٢٩	عذرة ١٢١
قبرة ٢٣٥، ٢٠٥، ١٣١، ٧٤، ٤٠	(ف)	عساروكه ٨٤
قبرص ٣٥١، ٢٥	فاس ٦٧، ٦٨، ١٥٥، ٢٤٢	العطوف ٨٣
قبطال ١١٧، ٨٣	٢٧٤، ٢٦٨	عقبه أيشه ١٠٨
القدس الشريف ١٦٩	فاندااليسيا ٣٢	عقبه شقر ١١٨
قوت ٦٧	فته ٧٧	علجكسس ٥٥، ٤٥
قورسيس ٢٧٠، ٢٦٨	فج ابن لقيط ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨	عين السمع ٢١٤
قرطاجنة ١١٢، ١١١، ٧٦، ٧٥، ٥٦	فخص بلاطه ٩٨	(غ)
٢٠٩، ٢٠٨، ١٦٣، ١١٤، ١١٣	فخص البلوط ٤٠	غادرة ١١٦
٣٥٢	فخص عبلة ١٣٦، ١٣٥	غافق ٢٠٥، ٧٧، ٤٧
	الفخر ٤٠	
	فرساي ٣٦٢	
	فرضة بجانه ٥٣	

قلعة شنت فيله ١٣٤	قصر تاركا ٦٨	قرطبة ٤١،٤٠،٣٣،٣٠،٢٧،٢١
قلعة طاقق ١٤٦	تورنيرياس ٤٦٤	٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٧١
قلعة ملبال ١٣٥	الجيفرية ٣٠٨	٧٤، ٨٩، ١١٤، ١١٦، ١١٧
قلعة ورد ٢٣٥	الجواز ١٧٠	١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤
قلعة يحصب ٢٩٨	شارلكان ٤٣٤	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤
قلصة ١١٥، ١١٦	شقوية ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٧١، ١٨٠
قلعة ولى حسن ٢٧	طليطة ٤٣٨	١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٤
القناتان الملققان ٣٠٤	عبد الكريم ٦٦، ٦٥	١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩
القناة الرومانية ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢	غالبان ٤٢٤	٢٠٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٩
قناة لوزويا ٣٥٢	فلاسكو ٣١	٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٠
القناطر ٨٣	كازادل ٣٠٩	٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١
قناش ٣٨٩	الكردون ٢٣٧	٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠
القتت ٣١، ٤٢، ٧٦، ١٠٩	مجلس الشيوخ ٣٥٠	٣٠٧، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٤
١١٢، ٢٠٦	المركيزه فيله ٤٣٤	٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٦٤، ٣٨١
القنابية ٤٠، ٧٤، ١٩٥، ٢٦٩	مصودة ١٨٤، ٦٥، ٦٣، ٥٦	٣٨٢، ٣٩٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٥
٢٧٠	الملك لتريق ٤٣٢	٤٤٦، ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٩
قناش ٢٦٨، ٢٦٩	القصر الملوكى ٣٥٩، ٣٤٥	قرموتة ٤٠، ٧٤، ١٣٣، ١٣٤، ١٩٨
قنسرين ٤٠	قصر مندوزه ٣١٠	قسطة ٢٠٥، ٢٦٨، ٢٦٩
القنطرة ٦٢، ١٠٤	موتا ٢٣٤	القسطنطينية ٤٧، ١٧١، ٢٣٥، ٢٣٩
قنطرة استشان ١١٦	مونارس ٤٣٥	قشالة ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٧٢، ١٧١
قنطرة إشكابة ١١٧	ميرانده ٣١٠	٣١١، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢
قنطرة سنجه ٢٦٣	قطنيانة ١٣٥	٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥
قنطرة السيف ٧٨، ٩٠، ٩١	القلعة ١٠٤	٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣
١٠٠، ٢٣٤، ٢٦٣، ٤٦٩	القلعة ١٣٤	٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٤٥١
قنطرة طليطله ٢٣٤، ٤٣٥، ٤٦٨	قلعة أزلية ٩٩	٤٥٣، ٤٦٣
قنطرة قرطبة ١٩٣، ١٩٤	قلعة أيوب ٧٩، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦	القصر ٧٨، ٨٨، ٣٠٨، ٣٤٦، ٤٢٥
قنطرة ليله ٨٥	٢٠٧، ١٨٠	القصر ١١٦، ٢٠٥
قنطرة ماردة ٢٣٤	قلعة يشتر ١٣٠	قصر الاسكوريال ٣٠٢
قنطرة محمود ١٠٤	قلعة بنى سعيد ٢٩٨، ٢٩٦	آش ٥٣
قلمرية ٩١، ١٠٢	القلعة البيضاء ٢٠٦	بريون ٣١٠
قلهرة ١٠٦	قلعة خولان ٢٩٧	بينافنت ٣١٠
القواطم ٤٠، ٧٧، ١٠٤	قلعة خيران ٢٠٢	ماكده ٤٣٥
قورية ٤٠، ٧٨، ٩١	قلعة درووقه ١٠٥، ٧٩	مدينة سالم ٣١٠
قوس النصر ٣٠٤	قلعة درووقه ١٠٥، ٧٩	أبي دانس ٤٠، ٥٧، ٧٨
قونسه ٤٠	قلعة رباح ٥٣، ٧٧، ٩٩، ١٠٠، ١٤٦	الانفاتادو ٣٠٩
قونسكه ٣١٠	٢٠٥، ٢٢٦، ٢٩٧، ٣٩٧، ٤١٨	
	٤٣٤، ٤٦٣	

كنيسة طلمنكة ٣٦٢
 > طليظه ٤٢٥ ، ٤٢٩
 > الغراب ٥٨ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ٨٨
 > غرناطه ٤٣٠
 > لورنزو ٣٥٥
 > مارده ١٦٩
 > ماريا البيضاء ٤٣٢
 > مالقة ٣٠٩
 > مرسية ٣١٠
 > مسيح النور ٤٦٤
 > كنيس اليهود بطليبه ٤٢٠
 > كهف مرقل ٤٣٢
 > كورنيه ٣٠٥
 > كوغولودو ٣١٠
 > كوننكه ٧٦ ، ١١٥ ، ١١٦
 > كوكو ٣٤٣
 > كيتانا بالا ٣٣٣

(ل)

لابورد ٣٢٥،٣٢٧
 لاردة ٤٠، ٤١، ٤٢، ٧٩ ، ١٠٦ ،
 ١٨٠، ١٠٧، ٢٠٦، ٢٦٥، ٣٠٥
 لاغرنجه ٣٦٢
 لاميفو ٤١
 لبله ٤١، ٤٥، ٧٤، ٨٥، ٨٦ ،
 ١٨٠، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٦٩، ٤١١
 لبيرة ٢٧١
 لشبونيه ٥٢، ٧٨، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٠٤
 لقتت ١١١، ١١٢
 لورقة ٢١، ٧٤، ٧٦، ٩١ ، ١١٧ ،
 ١١٨، ١٦٣، ١٨٠، ٢٠٦، ٢٠٩ ،
 ٤٠٨
 لورة ١٣٤، ١٣٥
 لوزان ٤٢٤
 لوشة ١٢٩، ١٨٩، ٢٠٥
 لوكروني ٣١٩

كنيسة سان جوان التمامة ٤٣٤
 > سان سرنين ٣٠٥
 > سان سفوندو ٣٤٢
 > كنيسة سان سلفادور ٣٤١
 > سان سليفانو ٤٣٨
 > ساقطومي ٤٣٤
 > سنت فليس ٣٧٥
 > سان فيسينت ٣٤٢
 > سان قرشتويل ٤٣٨
 > سانتو كريستو ٤٣٧
 > سان لورنزه ٤٣٨
 > سانتا ماريه نارنكو ٣٠٥ ،
 ٣٠٩، ٣٣٩
 > سانتا مريه المدليه ٣٣٩، ٤٣٨
 > سان ميكال ٣٦٢
 > سان نيولا ٣٣٥
 > سانت ياقو ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٤
 > سان يشته ٤٣٨
 > سرقسطه ٣١٠
 > السيدة العذراء ٣٤٦
 > سيده المدينة ٣٥٣
 > شنت إفرج ٤٣٠
 > شنت زوال ٣٩٦
 > شنته قلميه ٣٨٩
 > شانت لوقاديه ٣٧٠ ، ٤١٢ ،
 ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٨
 > شنت مارنين ٤٠٦ ، ٤١٢ ،
 ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ،
 ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٥
 > شنت ياقوب ٧٠
 > شانت يناس ٣٩٦
 > شنت يوانش ٣٨٩ ، ٤١٧
 > طركونه ٣١٠ ، ٣١١

قونله ٣٢٠
 قويمرة ٤٠
 القيروان ٢٣٥ ، ٢٧١
 (ك)
 كارانزا ٣٣٣
 الكامبو ٣٣٤
 كلونيّة ٣٠ ، ٣١ ، ٣٠٦ ، ٣١٢
 ، ٣١٤ ، ٣٤٩
 كتنده ٨٠ ، ١٠٩
 كرتش ١٨١
 كرط ٦٩
 كركويه ٥٣
 كريت ٢٥
 كستيلو ٣٣٠
 كشتالي ٨٠
 كش ٢٧١
 كنيسة آبله ٣٠٦ ، ٣٥١
 كنيسة استورقه ٣٠٦
 كنيسة أشيليه ٣٠٦ ، ٤٢٩
 كنيسة امنوم شنتوروم ٤٢٠
 كنيس الانتقال لليهود ٤٣٤
 كنيسة باليسو ٣١١
 كنيسة برشلونه ٣٠٦ ، ٣١٢
 كنيسة برغش ٣٠٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
 كنيسة بلد الوليد ٣٣٨
 كنيسه ببلونه ٣٠٦
 كنيسة جيان ٣٠٩
 كنيسة سان اشبان ٣٥٣
 > سان انطوين ٤٣٨
 > سان ايزيدور ٣٠٥ ، ٤٣٨
 > سان بابلو ٣٣٩
 > سان بدرو ٣٤١
 > سان بطرو ٣٣١
 > سانت نيبنو ٣٠٦، ٤٣٤
 > سان جوان الملوك ٤٣٠ ،
 ٤٣١ ، ٤٣٢

١٢٩، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٠، ١١٩،	مدرسة سان غريغوريو ٣٣٩	ليسط ٣٥٢
١١٩، ١١٨، ١١٧، ١٤٧، ١٤٥،	مدلين ٥٢، ٧٨	ليسكنصا ٧٤
٢٣٢، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢	المدور ١١٧، ٢٠٥	ليكينو ٣٣٠
٣٠١، ٣٦٨، ٣٣٨، ٣٣٣	مدينة ابن السليم ٧٣، ٨٤	ليون ٣٢، ٤٥، ٤٨، ١٨١، ٣٠٥
٣١٦، ٣٨٤	المدينة البيضاء ١٠٦	٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٣٧
مرية بليش ١٢٣	مدينة سالم ٤٠، ٥٤، ١٠٢، ١٠٤	٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٥١
المزعة ٦٣، ٦٩، ١٤٧	٢٠٧، ٢٧١، ٤٤٢، ٤٦٦	(م)
المساجد ٨٣، ١١٧	مدينة غالب ٥٤	المائة ٢٦٨
مسجد أقليش ١٩٨	مدينة الفتح ٤٦٠	مارتش ٢٦٨، ٢٧٠
المسجد الأقصى ٣٠٦	مدينة الفرج ٤٦، ٤٦٦	مارتله ٧٧
مسجد ابن طولون ٣٠٦	مدينة القلعة ٣٠٩	ماردة ٤٠، ٤١، ٤٧، ٥٢، ٧٨، ٨٩
المسجد الحرام ٣٠٧	مدينة وليد ٤٦٦	٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١٤٧، ١٧٢
مسجد الزاهره ١٩٧	مراد ٥١	١٧٨، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٠٩
مسجد طليله ٣٠٨	مراكش ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢	٣٠٤
مسجد قرطبة ٣، ١٩٣، ٣٠٧، ٣٥٤	٢٤٢، ٣٠٠	الموازن ٣٣٤
مستقائم ٦٣	مرباطر ٤٠، ٧٦، ١٠٩، ٣٠١	ماسنة ٦٧
مصر ٤٠، ٤٦، ٥٦، ١٠٣	مربله ٧٤، ٧٥، ١٢٥، ١٣٠	مالطه ١٨٥
١٢٣، ١٤٨، ١٨٢، ١٨٨	مرتفات ديمند ٢٩	مالقة ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٤٥
١٩٧، ٢٠٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢	مرسية ٣١، ٣٦، ٤٥، ٤٦	٥٥، ٥٦، ٧٤، ٨٢، ١٢٠، ١٣٣
٢٧٤، ٣٠٧	٥٣، ٥٥، ٧٦، ١١٠، ١١٢	١٢٤، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٧، ١٤٥
المدن ٥٢	١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٧١	١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥
مغام ٥٤	٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٥٦	٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٣٣
مقبرة الملوك ٣٥٧	٢٦٨، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١١، ٣١٦	٢٣٨، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٧١
مكتبة جريط ٣٥٢	٣١٨، ٣٤٥، ٣٥٤	٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٤٥
المكتبة الوطنية ٣١١	مرسى البيرة ١٢١	متحف البرادو ٣٥٠
مكناسة ٥٣، ٧٩، ١٠٠، ١٠٧	مرسى الشجرة ٨٢	مجريط ٧٩، ١٠٣، ٣١١، ٣١٢
ملعب الثيران ٣١٤	مرسى طبرشانه ٨٣	٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٣
ملعب مريبطر ٢٣٤	مرسى الفروج ١٢١	٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨
ملقون ٥٣	مرسى قاندر ٣٦	٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥
مليلة ٦٣، ٦٩	مرسى القنت ٧٩	٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٨٢
منار الاسكندرية ٩٠	مرشانه ٤٠٤	٤٠٤، ٤٣٢
منارة اشيلية ٣٠٨	مرطيلة ٣٧١	خاضة البلاط ٥٣، ١٠٠، ١٠٤
منزله واميرو ٨٠	مرمرية ٤٠، ٨٠	المدائن ٨٤
منزله طراكونه ٨٣	مرو ١٤٩	سة سانتا كروز ٣٠٩، ٣٣٩
منزله النخل ٧٣	المرية ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٥، ٥٦	
منزله ٢٧٠، ٣٦٨	٧٠، ٧٤، ٧٥، ١١٤، ١١٧، ١١٨	

نهر مزانارس ٣١٩	نهر أريسجه ٣٦١	المنسكب ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٠٥
» الملاحه ١٢٣	» أمبيلية ٢٦٠ ، ٥٨	المنصف ٢١٨
» ملبال ١٣٥ ، ١٣٦	» الأودر ٣٢	منية ابن أبي عامر ٢١٧
» ماوية ٧٠	» أوروله ٣٣٠	المنية ٦٤
» منديق ٩٢	» أورية ٣٣٠	موتريكو ٣٣١
» ميل ١٢٢	» برباط ٨٤ ، ٨٢	مورون ٤٠ ، ٤١
» مينو ٢٨	» بسبورقه ٣٣٨ ، ٣١٩	موزاراب ٣٦٤ ، ٣٦٦
» وادي الاييار ٣٠	» بكة ٨٣	مونسير ٣٩٧
» يانان ٢٨٨ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١١٩	» بلون ١٢٨	مولة ٧٦
نيسابور ٢٧٣	» بيداسيو ٣٢٨	ميراندة ٣٣٠
(ه)	» تاجه ٢٨ ، ٢٩ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤	الميرقا الايرييه ٣٠
هارو ٤١	» ٢٠١ ، ٢٦٢ ، ٣١٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٢	ميندا كا ٣٣١
هضاب غريديوس ٢٩	» ٣٧٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩	مينظه ٢١٩
هضاب وادي لب ٢٩	» ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤	ميورقة ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢
هنداي ٣٢٨	» ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	(ن)
هنين ٦٣ ، ٦٩ ، ١٤٧	» الجوفي ٣١٨	نارجه ٢١٥ ، ٢١٦
هيطل ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١	» حدرو ١٢٩ ، ٢١٥	ناشرة ١٨٠
هيكل الزهرة ٦٠ ، ٧٠ ، ٣١٦	» جلق ١٨١	ناصح ١٣٦
هيكل المريخ ٣٠٤	» دورو ٢٨	نافاس طولوز ٤٦٣
(و)	نهر زاروره ٣٣٠	ناكارونه ٤٠
وادي ابره ٤١ ، ١٦٣ ، ٣١٨	نهر نرقيون ٣٣١ ، ٣٣٣	نباره ٢٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤
» آش ٣١ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٧	» الزيتون ١٠٦	» ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
» ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٥	» سقدر ٦٦ ، ٦٥	» ٣٢٧ ، ٣٢٩
٢٩٤	» سقر ٣٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣١٩	نجدة ١١٦
» ابرش ٣٤٢	» شقورينه ٣٠	ندرومة ٦٩
» بيداسو ٣٣٩	» شنيل ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩	نربونة ١٦٦
» بلنسيه ٣٠	» طليطله ٩٢	نشاله ٢٣٢
» بيره ١١٣	» العسل ٨١	نشوز شوريه ٢٩
» تاجه ٥٤	» الفيستول ٣٢	نفره ٤٠ ، ٤٧
» الحجارة ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٤	» قرطبة ٨٥ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٣٥	نسكور ٦٣
» ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٧١	» ١٩٩	نهر أبرة ٢٧ ، ٣٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩
» ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٤	» لارده ١٨١	» ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣
» ٣٤٥ ، ٤٦٣	» لسكس ٦٦	النهر الأبيض ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧
» دورو ٣٣٣	» مارده ٨٦	نهر اائه ١٤٦
» الدوره ٢٩	» مرسية ١١١ ، ١١٧	» أرلنسون ٣٣٤
	» المارية ٣٠	

رمزان ٢٥٣،٣٥١،٧٠،٦٣	وبنة ٤٠٤	د الرممان ١٣٦ ، ٢٧٠
(ى)	وبذي ١١٦	د الرمل ٣٥٩،٣٤٣
يابرة ٢٠٧،٧٨،٥٢	ود ١٣٦	د زلقطو ١٦٠
يابسة ٢٧١	الوردانية ٦٩	د شنفورينة ٣١
يانة ١٠٨،٩٩	وريوالة ١١١	د طبرنش ٢٠٤
بيرة ١٨١	وسكة ٤٥	د عبد الله ٢٧٠،٢٦٨
بيورة ٨٨	وشقة ٤٠،٤١،٤٢، ٧٩، ١٠٦،	د عذراء ١٩١
يسانه ٧٤	٤٥٧،٣٠٥،٢٠٧	الوادي الكبير ٥١،٢٩
بلاق ٢٧١	ولبة ٨٦،٨٥	وادي مالقة ٣٠
بلش ٩٩	ولجة ٧٧	د النسا ٨٠
	ولدين سربي ٣٧٥	د وادي يانه ٥٨،٢٩

تم فهرس الأماكن والبلاد والحمد لله



الخطأ والصواب الواقع في الجزء الأول

من الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
سهام غير خطاء	سهام غير خطاء	١٦ ^٤	٥
هما	وهما	١٦	٦
قفشلت	قفشلت	١٤	٨
العناصر الغربية	العناصر العربية	٢٢	٢٥
الكتلونيون	الكتكلونيون	٢٢	٢٦
« الميزيتا »	و « الميزيتا »	١٧	٢٨
نشوز	نشوذ	٦	٢٩
السلتيون	السلتون	١٢	٣٤
Lisbonne	sisbonne	١٩	٣٦
درايزن	دوريزين	٥	٣٧
réunissent	réuniment	٢١	٣٧
نواحي	في حوالى	١٦	٣٩
الهمداني	الهمذاني	١٦	٣٩
في أكثرهم	من أكثرهم	٢٠	٤٢
إغراء	أغراء	٢٠	٤٣
ابن سعيد	بن سعيد	١٢	٤٤
سلاع	قلاع	٦	٤٦
Verdun	Verdune	٢٢	٤٦
مقدود	مقدّ	٢	٤٧
خمس عشرة دقيقة	خمسة عشر دقيقة	٤	٥٠
فرسافارها أو بزدونا هجيناً	فرس فاره أوبزدون هجين	١٠	٥٠
من يقبض رزقه	فن يقبض رزقه	١٣	٥٠
murcie	marcie	١١	٥٥

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
أزلية	الزلية	٩	٦٩
البلوطيين	البلوطين	١١	٧٧
المجتازين	المجتازون	١٧	٨٧
١٢٧٦	١٨٧٦	٢٣	٩٠
جوبى	جنوبى	٢٧	٩٤
ما بين	(قرب) ما بين	٣	٩٥
شالطيش	شاليش	١٥	٩٥
باتفاق	باتقان	٣	١١٥
ثلاث	ثلاثة	٦	١١٥
(ولا تزال عادة	ولا تزال عادة	١٢	١١٥
إلى يومنا هذا)	إلى يومنا هذا	١	١١٦
رجار	دجار	١٨	١١٩
خمسة	خمسة	١٢	١٢٢
أتقان	إتقان	١٢	١٤١
نحو من	نحو من	٨	١٤٧
نشك	لشك	٢	١٥٦
L'islam	Lislam	٢٥	١٥٦
درر	در	٣	١٥٨
اليونانيين	اليونانيين	٨	١٥٨
متمهن	متمهين	٣	١٧٢
الصفير	الصغير	٢٠	١٧٨
الاشبونة	الاشبلونة	٦	١٨٠
ولدنا	والدنا	١٥	١٩٩
Vargas و	Vargas	١٧	١٩٩
Baena	Baossa	٩	٢٠٥

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
القهوات	القهوات	١٨	٢٠٦
القَلْعِيَّة	القلبية	١٢	٢١٤
يجب هنا وضع رقم ٣ على جبل شلير ووضع رقم ٢ على قوله « مائتان وسبعون قرية »		٦	١٢٥
شنت ياقور	شنت ياقور	٢	٢٣٢
فازدرت	فاذردت	١٤	٢٤٨
اي بعد	الى بعد	٨	٢٦٤
عما بايدي	عن ايدي	١٣	٢٦٥
الاندلس	الالس	١٣	٢٦٥
الصغانيان	الصفانيان	١٥	٢٧١
ولا يأخذون به	ولا يأخذونه على	١٠	٢٧١
محمد بن عبد الله	محمد بن عبد الله	١٥	٢٩٩
الارضين	الاراضين	١٨	٣١٩
قونكة	قونلة Cuenla	٥	٣٢٠
ابن حماد	ابن الحاج	٢٥	٣٤٤
واقعة	موقعة	٢٠	٣٥٢
المكتبة	المملكة	١٩	٣٥٣
تحصيله	تحصله	٩	٣٥٦
ورد فيها	وردفها	٢٢	٣٦٥
ز كرى	ذكرى	٥	٣٦٩
المأمونية	الماحونية	٤	٣٧٢
الفرايلية	الغرايلية	٢٤	٣٧٩
و الى	و على	٢٧	٣٧٩
خمس دقائق	خمسة دقائق	١	٤٣٦
حافة رأسه	حامل رأسه	٩	٤٤١